



# الاتجاه الانساني

في

أدب المنفلوطي

٢٥٢٩ ر



رسالة مقدمة

لنيل درجة الماجستير في الأدب

إعداد الطالبة : سميرة عدلى محمد رزق

( المعيدة بقسم اللغة العربية . كلية الآداب والعلوم الانسانية )

جامعة الملك عبد العزيز بجدة

إشراف : سعادة الأستاذ الدكتور محمد نبيه حجاب

١٤٠٢/٣-١٤٠٣ - ١٩٨٢/٣-١٩٨٣ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا

من أمرنا رشدا ) .

( صدق الله العظيم )

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا

محمد النبي المصطفى الأمين القائل : "وان من البيان لسحرا"

وبعد :

فقد نشأت منذ حداثتي على شغفٍ بالمنفلوطي ، أقرأ أدبه فيهرأوتار قلبي  
وأطالع قصصه فتشبع وجداني واتصفح معانيه فنهش لها نفسي ، ودفعني هذا  
التآلف المتصل الى تحيين الفرصة للتفتيش عن هذه المشاعر نحو هذا الأديب الذي  
ملك عليّ حواسي ومشاعري .

وبالأمس القريب قدّمت الى كلية دار العلوم بالقاهرة رسالة عن المنفلوطي لدرجة  
الماجستير ، اهتمت فيها الباحث بأدب المنفلوطي بصفة عامة غير أنه أغفل الإتجاه  
الانساني في أدبه ، ذلك الإتجاه الذي بدأ في أمثال قوله :-

( الحرية شمس يجب أن تشرق في كل نفس فمن عاش محروماً منها عاش فنى

ظلمة حالكة )

( الشرف في كمال الأدب لا في رنين الذهب )

( ليتك تبكي كلما وقع نظرك على محزون أو مفئود فتبتسم سـروراً

بيكاك ، واعتباطاً بدموعك لأنّ الدُّموع التي تنحدر على خديك في هذا الموقف

إنما هي سطور من نور تسجل لك في تلك الصحيفة البيضاء أنك إنسان )

أجل ما أشدّ حاجتنا في هذا العصر الذي تخبطت فيه القيم الخلقية والحقوق

الإنسانية في ظلمات المادة وضراوتها الوحشية ، ما أحوجنا إلى ذراع قويّة تأخذ

بيديهما الى ما فيه خيرهما صلاحهما .

ولما عَزَّ الْمَطْلَبُ وسما الْهَدَفُ وجدتُ ضالَّتِي في أدب المنفلوطي الانساني الذي أغفله الباحث في رسالته .

وقد زاد كلفِي بِهِ وإقبالِي عليه ، لما امتاز به من بَراعة في الأداء وقُدرة على التعبير بأسلوب شائق بريء من الصَّنعة اللَّفْظِيَّة التي كانت ترسُف فيها الأساليب ، أو مما أثقلها من حُلِي لفظية ضاع بين ثناياها سمو المعاني وفضيلة الأغراض فأصبحت لا قيمة لها في دولة الأدب ، تلك الدولة التي حفلت بحُساد المنفلوطي والحاقدين عليه ، أولئك الذين كانوا كلما زادت شهرته وشعَّ نوره وأقبل النَّاسُ عليه ، ازداد حسدُهم له وغيَّرتهم منه وكأنما عَشِيَتْ أبصارهم من ساطع أنواره فلم تتبيَّن الحقيقة التي آن الأوان لتأكيد ها ، ألا وهي طريقة المنفلوطي الجديدة وأستاذيته في فن التعبير ، فما من أديب أتى بعده الا وتَفَضَّحَ بلسانه وكيان بيسانه ثغرة بيانسه .

أمام هذه الأسباب عَقَدْتُ الْعَزْمَ على أن يكون :-

( الإتجاه الانساني في أدب المنفلوطي ) موضوع رسالتي لنيل درجة الماجستير ، فلما تمَّ لي ذلك ، انشرح صدري وهشَّ له قلبي وشعرت براحة من تحقُّق ما مله ودنت القطوف الشهية اليه ، فجنى منها أحب الثمار وأطيبها ، وكان هذا البحث وكانت هذه الرسالة ، تلك التي استقرت في :-  
تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة .

أفردت التمهيد للحديث عن الحياة الاجتماعية في عصر المنفلوطي من حيث أن أدبه قد مرَّ شفاف المجتمع وجال في هذا المجال .



أما الباب الأول : فكان عن ( حياته ) وقد تحدّث فيه عن مولده ونسبه ونشأته ثم وفاته ، كما تحدّث أيضاً عن أساتذته الذين تلمذ على أيديهم وكان لهم الفضل في رعايته وتوجيهه .

وفى بيان روافد ثقافته تحدّث ما وسعني الحديث عن ثقافته الإسلامية ، التي نبتت في رحاب الأزهر .

وانتقلت بعد ذلك إلى ذكر ظروفه الخاصّة وما كان لهذه الظروف من أثر في تعاطفه مع المزدوئين من الفقراء والبائسين .

ولم أغفل هنا الحديث عن أخلاقه ، فأدبه من قبل وبعد رساله خُلقية تهذيب النفوس وتقويم أخلاقها .

وإذا كان كلُّ إناء بالذي فيه ينضح - كما يقولون - ، فلا شك أن نتاجه الأدبيّ كان ثمرةً لهذه الأخلاق القويمة التي تأصّلت على تعاليم الإسلام في كتاب الله وسنة رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - ذلك التأثير الذي أسفر عن أدب إنساني رفيع ، وهنا أشرت إلى عاطفته الإنسانية التي ربطت احساسه باحساس بني وطنه ، فاهتزّت لكلّ ما يدور حولها من فقر وجُهل ومرض فضلاً عن ظلم الإنسان لأخيه الإنسان .

وأما الباب الثاني : فقد خصّصته للحديث عن " أدبه " بصفة عامّة شعراً ونشراً ، وإن كان حظّ الشّعرفيه قليلاً ، وقد بدأتُ هذا الباب بتمهيد عن الحياة الأدبيّة في عصره وما أصابها من ضياع وسقوط على النحو الذي ضاعت معه قيمة المعاني وأهدأها النبيلة وسط ظلمة حالكة وقيود سقيمة من الصنعة اللفظية وأنواع البديع التي هي من أذيال العصر العثماني .

وذكرتُ بعد ذلك كتبه سواءً ما كان منها المؤلف كالنظرات والعبيرات ،  
أو ما قام بترجمته من روايات كالفضيلة ، والشاعر ، ماجدولين أو ( تحت طلال  
الزيفون ) أو ( فى سبيل التَّاج ) فتناولتها بالتحليل وبيان المواقف الإنسانية  
فيها ، ثم تناولتُ شخصيته الأدبية وأسلوبه بحديث بين ما أمتاز به ذلك الأسلوب  
من خصائص وسمات استحقَّ أن تكون له طريقة متَّعِزَّة وهي ( طريقة المنفلوطي ) .

وختمت هذا الباب ببيان موقف النقاد من أدبه ثم أدليتُ برأيي فى هذا  
المجال .

أما الباب الثالث والأخير وهو بيت القصيد وما سبقه إن هو الاتمهيد له ،  
وقد أفردته للمظاهر الإنسانية فى أدبه والتي بدت فى :

- ١ - مقالاته الاجتماعية
- ٢ - عطفه على البائسين
- ٣ - انصافه للمظلومين
- ٤ - حملته على الاغنياء وطبقة الحكام
- ٥ - دعوته الى التمسك بأهداب الفضيلة

أما الخاتمة فقد قدَّمت فيها خلاصة للبحث تجمع ما تناثر من عناصره الأساسية  
وضمنتها ما توصلت إليه من نتائج أسفرت عنها الدراسة . وطاب لي بعد ذلك أن  
أذيل بحشى بمقترحاتٍ ربما يفيد منها من سار على الدَّرب بعدى .

ويجد ربي هنا أن أشير الى أهم ما أعاني من مصادر ومراجع لإتمام  
هذه المسيرة العلمية : -

استعنتُ بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف كما جاء في صحيح مسلم بشرح النووي أوفى سنن بن ماجه وذلك لبيان مدى تأثير الكتاب والسنة على معاني المنفلوطي والفاظه .

وعدتُ إلى بعض معاجم اللغة لتحديد معنى الشخصية والإنسانية لفظة واصطلاحاً ، فأفادني في ذلك لسان العرب ، وتاج العروس ، والقاموس المحيط والمعجم الوسيط .

ولد راسة أدب المنفلوطي عدتُ إلى كتبه (المؤلفه ، المترجمه ) واستعنتُ بعد ذلك بمؤلفات أخرى في الأدب الحديث وردت في موضعها من الرسالة .

أما عن الصعوبات التي واجهتني فهي :-

١ - عدم توفر المراجع عن هذا الموضوع في مكتبة قسم الطالبات سواء كان ذلك في الجامعة هنا أم في جامعة الملك عبد العزيز بجدة ولم تسنح لي الظروف بالاستعانة بمكتبة البنين فيهما ، وحسبذا لويسرت لنا الجامعة الرشيدة هذا السبيل فالطالبات أولى بالتيسير ، أمام هذه الصعوبة في الحصول على المراجع حولي لم أجدُ بداً من القيام برحلة علمية الى القاهرة فوجدت فيها ضالتي بعد أن عانيت مايقرب من عامين في سبيل الحصول على مراجع للموضوع ، فبحثت في العام الأول منها في مكتبات الأسواق فلم أجد فيها الا القليل القليل الذي لاينفع القليل

ولما كان لا بد لي من الوصول مهما بلغت مناعة الأسوار وشدتها ، طوّعت نفسي لارتياك المكتبات العامة ومكتبات الجامعات في القاهرة ، فوجدت ماوجدته في مكتبة جامعة القاهرة ومكتبة جامعة عين شمس ، ومكتبة جامعة الأزهر ، ومكتبة كلية دار العلوم .

أما معظم هذه المراجع فكانت من مكتبة دار الكتب المصرية التي قطفت من ثمارها كل ما سئلت لي به ظروفي في قطر غير قطري .  
٢ - وهنا نقف قليلاً لنذكر مدى الصعوبة في الحصول على الدوريات القديمة إذ أن معظم ما كتب عن المنفلوطي كان في ثنايا صفحات المجلات والصحف التي وجدت منها ما وجدت وبلي منها ما بقي .

لهذه الأسباب ولأكثر منها كانت رحلتي شاقة شاقة قضيت فيها ثلاث سنوات ذلل صعابها الإيمان القوى بقول الله تعالى :-

( إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنُ عَمَلًا )

ثم رغبت الصادقة في إصابة الهدف مهما كلفني ذلك .  
ومن تكن العلباء همته نفسه فكل الذي يلقاه فيها محبب  
فإن وقفت فذاك ما علي غاية مطلبني ، وماتوفيقي إلا بالله  
عليه توكلت واليه أنيب .

ولإلا . . . فسلوني في ذلك شرف المقصد ونبل الغاية والله الهادي  
إلى سواء السبيل .

وفي الختام لا يسعني المجال هنا إلا أن أشكر الله تعالى على إتمام هذا العمل  
ثم أتوجه بالشكر الجزيل لفضيلة الأستاذ المشرف على هذه الرسالة سعادة الدكتور  
محمد نبيه حجاب ثم شكري وتقديري للسيد بن عضوي لجنة المناقشة الذين أترقب  
توجيهاتهما السديدة لاستفيد من علمهما وسديد آرائهما وكرم عطائهما  
إن شاء الله .

كذلك لا يفوتني هنا أن أشكر السيدة عميدة قسم الطالبات  
بجامعة الملك عبد العزيز بجدة والسيد عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
والسيدة وكيلتها الفاضلة لتقديرهم ظروفني أثناء إعداد هذه الرسالة.

التمهيد :-

## الحياة الاجتماعية في عصر المنفلوطي

تعريف المجتمع :- عَرَّفَ أرنولد وجريت المجتمع بقوله : ( ان المجتمع أكبر جماعة

ينتمي اليها الفرد ، ويتكون من السكان والتنظيم والزمن والمكان والصالح ) ( ١ )  
وأضاف آخر : ان هذا المجتمع يضع المقاييس التي يسير عليها الناس ، فهو  
نسق من الاجراءات والعادات والسلطة والمعونة المتبادله ، كما يكون من جماعات  
وأقسام عديدة ومن ضوابط السلوك الانساني والحريات ( ٢ )

مراحل الحياة الاجتماعية في مصر الى عصر المنفلوطي .

لقد مرَّت مصر بثلاثة أطوار اجتماعية تبعاً للحالة السياسية التي مرَّت بها  
البلاد وهي :-

- ١ - طور الحكم العثماني وأثره في المجتمع .
- ٢ - طور البعث وما أصبحت عليه مصر بعد الحملة الفرنسية .
- ٣ - طور الانتداب الانجليزي عليها .

ولا يتعيننا هنا الحالة السياسية في مصر بقدر ما يعيننا الحديث عن الحالة  
الاجتماعية فيها وخاصة الاحوال الاقتصادية التي مرَّت بها البلاد والتي حرَّكت مشاعر  
الكتاب والمصلحين وبخامة مصطفى لطفى المنفلوطي ، فسالت أعلامهم أسى ولوعة  
تفجعاً على الفقراء واليتامى والمساكين ولهجت ألسنتهم سخطاً على مارأوه من ظلم  
الانسان لأخيه الانسان .

أما الطور الاول وهو فترة الحكم العثماني :- فمن المعروف أن مصر وبلاد العرب  
ظلَّت تحت حكم الأتراك ثلاثة قرون ( وهي في جهل فاضح تعاني من مرارة الظلم ،

١ - محمد عاطف غيث . علم الاجتماع . ص ١٩٥ ط ١٩٨١ دار المعرفة الجامعية  
الاسكندرية .

٢ - نفس المرجع ص ١٩٦ بتصرف

## وقسوة البغى ( ١ )

والناظر فى صفحات التاريخ - تاريخ تلك الفترة - لا يجد الا ألوان الاستبداد والبطش ، ولن يصكَّ أذنيه ، الا صراخ المظلومين ، كما لا تملأ ناظره الادماء الفلاحين فى كل مكان ، تسيل تحت سياط الجبهة وتتمثل له بلاد العروبة ( تخنقها يد غاشخه أصابعها الفقر والمرض والجهل والذلة والأغلال ) ( ٢ )

ولم يكن همُّ الولاة الاتراك الا جمع الاموال واستدراها بأية وسيلة غير مبالين بصرخات الشعوب صارفين النظر عما يقاسونه من غنك وبؤس وفاقة وجهل .

واشتدَّ النزاع بين أمراء المماليك ، وسلبوا والي سلطته الفعلية وشنوها حرباً شعواء كل على أخيه ينازعه السلطه والجاه وأبناء البلاد هم الضحية فى كل هذا النزاع .

كان الحكم للأتراك أما السلطة الفعلية فكانت فى يد المماليك وجميع ثروة البلاد فى أيديهم ( ٣ )

لم تكن لهم عصبية وإنما كانت ضربة موفقة من حمام والي المتآمر تكسبه الصداده بين أبناء جلدته .

أما روح هذا والي ، فكانت روح العبد الوضيع ليس له من هم الا الاستيلاء على النساء والخيل والاموال ، وكان الفلاح البرىء المسكين يُغزى وتنهب أمواله ، ولم يكن التاجر المصري أو الأوربى القريب بأحسن منه حالاً ، ( ولا ريب ان الحالة الاجتماعية والادبية تتأثر الى حد كبير بالحالة السياسية ؛ فرعية همل ، ورعاة مستبدون وهيئات أن يكون للأدب نصيب فى هذه البيئة الجاهلة . ) ( ٤ )

- 
- ١ - عمر الدسوقي . فى الادب الحديث ج ١ ص ١١ ط ٨
  - ٢ - نفس المرجع كذلك كتاب د . شوقي خيف الادب العربى المعاصر فى مصر ص ١٢ ط ٧ دار المعارف ( بتصرف )
  - ٣ - أحمد حسن الزيات . تاريخ الادب العربى ص ١٥ ط ٧ بتصرف
  - ٤ - عمر الدسوقي فى الادب الحديث ج ١ ص ١٢

وقد أشار الى ذلك أحد الرحالة الفرنسيين الذين زاروا مصر وبلاد الشرق وتركيا فى أخريات القرن الثامن عشر ، وقد راعه ما رأى بها من جهل مطبق وفساد شائع ، فلمح ذلك فى قوله :-

( الجهل عام فى هذه البلاد ، وفى كل بلد تابع لتركيا ، وقد عمَّ كل الطبقات ، ويتجلى فى كل العوامل الادبية وفى الفنون الجميلة حتى الصناعات اليدوية تراها فى حالة بدائية ، ويندر أن تجد فى القاهرة من يصلح الساعة وإذا وجد فهو أجنبي ) ( ١ )

كما حرم الاتراك مصر أعلى كنوزها ، فنقلوا أكثر الكتب التى كانت بخزائن المدارس الى بلادهم ، كما نقلوا كثير من العلماء والأدباء ، والامراء والمهندسين والوزّاقين وأرباب الحرف .

( وكان من نتائج ذلك الاحتلال كذلك أن قلت أموال الأوقاف التى كانت محبوسة على العلماء ، وطلبة العلم ، فتفرق الطلاب ، وانفضت سوق العلم ولم يبق منه إلا ذمء يسير بالأزهر ومن البديهي أن تضع اللغة العربية فى ذلك العهد فلم تجد من يشد أزرها ويشيب الأدباء أو الشعراء المهتفين بها لأن اللغة التركية ظغت وصارت اللغة الرسمية فى الدواوين وفشت على ألسنة الناس ، ولأن الحكام لا يفهمونها ولا يقدرونها حق قدرها فلا يميزون بين الفثّ والجيد حتى يلجأ اليهم الشعراء مادحين ) ( ٢ )

هذه باختصار صورة مبسطة عن الحالة الاجتماعية والعلمية فى مصر ابان الحكم العثمانيّ والتى أثرت فيما كتبه لنا الأدباء والشعراء فى تلك الفترة وما بعدها . وقد لجأت الى ذكرها وان كانت بعيدة العهد بالمنفلوطى إلا أن الاديب قد ذكر فى أدبه ما يدل على أنه تأثر بالأوضاع التى قرأ عنها فى مصر والتى كانت تعانى

١ - عمر الدسوقي فى الادب الحديث ج ١ ص ١٢

٢ - المرجع السابق ح ١ ص ١٣ .



منها هذه البلاد وسيظهر هذا في موضعه من البحث ان شاء الله .

التطور الثاني وهو طور البعث :- قلنا ان الحياة العقلية والادبية قد إتهسارت في مصر ، لولا نشاط ضئيل ظلَّ في الأزهر وكان يحفُّ ظلام مطبق من الفقر والبؤس والحكم الظالم الغاشم .

لكن في هذه الاثناء نزلت الحملة الفرنسية صر يقودها نابليون بونابرت عام ١٧٩٨م ومكث نحو ثلاث سنوات كانت جميعها جهاداً عنيفاً وصراعاً قاسياً بين الشعب المصري والمعتدين ، وقد أنشأ نابليون مجالس شورى سُمِّيت باسم الدواوين وألفها من طبقة المثقفين الأزهريين ومن كبار الأعيان والتجار ، وجعل لها حقوق البحث في بعض شئون الحكم ، وخاصة الضرائب ، فقد كانت مجالس صورية لتنفيذ مآربه الاستعمارية في السياسة والادارة ، وقد ظل الشعب المصري يقاومه ويشهور ضده وضدَّ حملته ثورات متوالية بذل فيها غالي الدماء وعزيز الفداء . ( ١ )

ولكن هذه الحملة قد كان معها طائفة من العلماء البارعين المتخصصين في مختلف العلوم التاريخية والطبيعية والرياضية ، ولم يلبث نابليون حين نزل مصر أن أسس المجمع العلمي المصري على غرار المجمع العلمي الفرنسي وأخذ العلماء الذين جاءوا معه يدرسون مصر من جميع أطرافها .

كما أنشأ نابليون بجانب هذا المجمع العلمي معامل ومكتبة ومطبعة وكانت المعامل تعنى بالبحث العلمي التجريبي اذ كان الفرنسيون يستدعون المصريين لرواية مايجرون من تجارب كيميائية لاعهد لهم بها ، فيعجبون وينبهرون بما يرون .

ورأى المصريون المطبعة التي جلبها نابليون معه فأعجبوا بها حيث لم يكن لهم عهد بالمطابع ولا بما تطبع من منشورات وكتب فكل ذلك جديد عليهم ( ٢ ) ورغم أن مصر يغمرها هذا التطور إلا أن شراسة رجال الحملة واستهتارهم بالشعب

١ - د . شوقي ضيف . الادب المعاصر في مصر ص ١٢  
واحمد حسن الزيات . تاريخ الادب العربي ص ٤١٥

٢ - د . شوقي ضيف . الادب العربي المعاصر في مصر ص ١٤ بتصرف

المصري ودينه وتقاليده ، وانتهاكهم حرمت الاهالي جهاراً ونهيبهم القري  
الآمنة ، واغزاع أهلها وفرض الضرائب على الأوقاف الخيرية التي كان يصرف ريعها  
على المساجد وطلاب العلم ، وفرضها كذلك على المنازل ، كل ذلك قد جعل  
قلوب المصريين تنفر من نابليون وإصلاحاته وعلمه وتنظر اليه نظرة الغاضب  
المستبد ، ولقد ثار المصريون في أكتوبر سنة ١٧٩٨ م فأخذ ثورتهم في قسوة  
وعنف وغلظة وانتهك حرمة المساجد الإسلامية وعبثاً حاول بعد ذلك أن يؤلف  
قلوبهم أو يستحيلهم الى المدينة الغربية وان كفوا بها بعد خروج الحملة  
الفرنسية من مصر ، واتخذوا ما وضعه لهم اساساً للإصلاح الداخلي ( ١ )  
واستولى محمد عليّ على مصر واتيحت لصر الفرصة لكي تنهض وتتجوأ مركزها بين  
دول العالم المتحدين ( وحاول أن ينشئ دولة قوية خالصة لنفسه ولذويه  
من بعده فأفادت مصر من مجهوداته في هذا السبيل وإن حكمها حكماً استبدادياً  
خالصاً ) ( ٢ )

أما الطور الثالث : وهو فترة الحكم الانجليزي في البلاد والذي بدأ عام ١٨٨٢ م  
فالمعروف أن أهم أطراف المواجهة كانت تتمثل في الخديوي توفيق المتواطئ  
مع الانجليز المعتدين ، ولذا تآزر هذان الطرفان من أول أيام الاحتلال على  
إضعاف القوى الواعية في مصر حتى تستحيل البلاد الى حقل كبير ينتج القطن  
لمصانع بريطانيا ، ويصب المال في جيب الخديوي وأعوانه الرجعيين .

وتبعاً لتنفيذ تلك الخطة ، إكتفى الخديوي من حكم البلاد بالاسم وبعض  
مظاهره الشكلية الزائفة التي يضفيها له الانجليز ، وأطلق أيدي هؤلاء  
المعتدين في مصر ، يضعفون كل قواها الواعية على الوجه الذي يحقق أطماعهم

١ - عمر الدسوقي في الادب الحديث ج ١ ص ١٨ بتصرف

٢ - نفس المرجع بالاضافة الى كتاب د . شوقي ضيف الادب العربي المعاصر مصر ١٤

وَيُسَدِّدُ لَهُمْ شَعْنَ حِمَايَتِهِمْ لَهُ .

ونتيجة للسياسة الانجليزية نفسها أُرْهِقَ الاقتصاد المصري بل خُنِقَ ،  
وذلك بتعيين مستشار انجليزي للمالية ، واجهاد الخزنة المصرية  
بتعويضات مُحْجَفة تُوَدَّى لِلْأَجَانِبِ مِمَّا أَصَابَهُمْ مِنْ خَسَائِرٍ وَهَمِيَةٍ .

ثُمَّ كَانَ مِنْ عَوَامِلِ خُنْقِ الْاِقْتِصَادِ الْمِصْرِيِّ وَارْهَاقِ الْمِصْرِيِّينَ مَالِيًّا ، تَحْمِيلُ  
صِرْ تَكَالِيفِ جَيْشِ الْاِحْتِلَالِ وَالْمُوظَّفِينَ الْاِنْجِلِيزِ ، ثُمَّ تَحْمِيلُهَا كَذَلِكَ تَكَالِيفَ  
حَرْبِ الْمَهْدِيِّ فِي السُّودَانِ ( ١ )

هَذَا فِيمَا يَخْتَصُّ بِالْحَالَةِ الْاِقْتِصَادِيَةِ الَّتِي هِيَ بَيْتُ الْقَصِيدِ مِنْ هَذَا التَّمْهِيدِ .

أَمَّا الصَّحَافَةُ فَقَدْ أَخَذَتْ أَنْفَاسَهَا بِسَبَبِ أَقْلٍ شَبِيهِةٍ فِي مَعَادَاةِ الْاِنْجِلِيزِ  
أَوْ الْخَدِيوِيِّ فَمُنِعَتْ ( الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى ) مِنْ دُخُولِ مِصْرٍ وَكَانَ يَصْدُرُهَا فِي بَارِيْسَ  
جَمَالُ الدِّينِ الْاِفْغَانِي وَمُحَمَّدُ عَبْدُهُ ، كَذَلِكَ الْغَيْثُ صَحِيفَةُ ( الْوَطْنِ ) وَصَحِيفَةُ  
( مِرَاةُ الشَّرْقِ ) وَصَحِيفَةُ ( الزَّمَانِ ) وَطَلَّتْ ( الْأَهْرَامُ ) بَعْضُ الْوَقْتِ ( ٢ )  
وَهَكَذَا اخْتَفَتْ رُوحُ الْقُوَّةِ الْاِخْلَاقِيَّةِ وَهِيَ الْحُرِّيَّةُ ، وَأَصْبَحَ بَعْضُ النَّاسِ يَتَشَكَّلُونَ وَفَوْقَ  
مَصَالِحِهِمْ أَوْ مَا يَرَوْنَهُ مِنْ صَالِحِ جَمَاعَتِهِمْ ، فَتَقَرَّبَ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْتَعْمَرِينَ وَهَادَنَ آخَرُونَ  
الْحُكَّامَ الْخَائِنِينَ ، وَبَدَأَتِ الْمَفَاسِدُ الْخُلْفِيَّةُ الَّتِي تَخْلُقُهَا مَصَادِرُ الْحُرِّيَّةِ تَظْهَرُ  
فِي صُورَتَيْ وَلَكِنْ كُلِّهَا قَبِيحٌ شَائِهٌ .

وَقَدْ أَضْيَفَ إِلَى هَذَا الْعَامِلِ الرَّئِيسِيِّ الْعُفْدِ لِلْاُخْلَاقِ عَامِلُ الضُّغْطِ الْاِقْتِصَادِيِّ  
عَلَى طَبَقَاتِ الشَّعْبِ الْكَادِحَةِ بِمَا كَانَ مِنْ اسْتِغْلَالِ الْاِقْطَاعِيِّينَ لَهُمْ وَامْتِنَاعِ الْمُرَابِيعِ  
لِدِمَائِهِمْ ، وَجُورِ السُّلْطَاتِ عَلَيْهِمْ .

١ - عبد الرحمن الرافعي . مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال البريطاني  
ص ٩ ، ١٢ ، ١٩ ، ٦٤ ، ١٥٩ ، ج ١ ط القاهرة سنة ١٩٤٢ م بتصرف

٢ - المرجع نفسه ص ٣٦ ، ٥١ بتصرف كذلك كتاب  
أحمد شفيق . مذكراتي في نصف قرن ج ١ ص ٢٩٠ ط القاهرة سنة ١٩٣٦ م بتصرف

أجل أضيف هذا العامل الاقتصادي المفسد التي العامل المعنوي المتلف فتضاعفت المأساة ، وظهرت مع الاحتلال عيوبٌ خلقيةٌ عديدة ، في طبيعتها النفاق والجشع ، والحقْد ، وما الى ذلك مما يخلفه فقدان الحرية وسوء النظم الاقتصادية .

كذلك أدخل الاحتلال الى مصر ألواناً من المبادل الوضيعه ، كالبيعاء الرسمي ونوادي الميسر ، وحانات الخمر ، وظهرت هذه المبادل في المدن ، وجرفت كثيراً من المواطنين فعرفت الحياة الاجتماعية وخاصة في المدن عيوباً لم تعرفها قبل عهد الاحتلال ( ١ )

وهكذا عمل الإستعمار على فساد الأخلاق واضطراب الحالة الاقتصادية وحقيقة قد قام الاحتلال ببعض ألوان من إصلاح الري وإقامة بعض السدود والقناطر ، ولكن ذلك كان بقصد زيادة محصول القطن الذي كانت تحتكره المصانع الإنجليزية ، على أن هذا كله لم يُخلف رخاءاً اقتصادياً ولم يرفع مستوى الشعب . وانما زاد من شراء طائفة كبار الملاك ، وضاعف من تحكمهم في الطبقة الكادحة ( ٢ ) وقد وردت أشعار كثيرة ترغّب في العطف على هؤلاء الفقراء والطبقة المحتاجة فقال الشاعر :

أفني الحقّ أن يشقى الفقير بعيشه      وذو المال في شرّ الفؤاية يسرف  
عليكم يكشف الضرّ عنهم فإنما      أخوا لضرّ يفسى ضارباً حين يهحف ( ٣ )

- ١ - ندد بهذه المفاصد عبد الله النديم في مقالته في ( الأستاذ ) عدد ١٧ يناير سنة ١٨٩٣ م ، كذلك المنفلوطي في مقالاته الداعية الى التمسك بالفضيلة فضلاً راجع ص ٣٦١ الى ص ٤٠٠ من هذا البحث .
- ٢ - د . محمد حسين الإتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ج ١ ص ٢١٥ ط القاهرة سنة ١٩٦٣ م بتصرف
- وكتاب د . عبد المحسن بدر - تطور الرواية العربية ص ٣٦ ط ١٩٦٣ م
- وكتاب / عبدالرحمن الرافعي - مصطفى كامل ص ٢٢٧ ط القاهرة ١٩٥٠ م بتصرف
- ٣ - يجوع

فان لم ينالوا بالهَوَادَةِ حَقَّهُمْ <sup>١</sup> يَنَالُوهُ يَوْمًا وَالصَّوَارِمُ تَرَعَفُ ( ١ )  
وبذلك بيد ولنا أن التَّركه التي خَلَفَهَا الاحتلال تركه مُثْقَلَةً رَهِيْبَةً تحتاج إلى  
نضال صابر وكفاح مرير فكان على البلاد أن تتأغل في ميادين عديدة ، ففى  
ميدان السِّيَاسَةِ ضد الْمُحتل وخليفة القصر ، وفى ميدان الإقتصاد ضد الفقر  
والاستغلال ، وفى ميدان التعليم ضد الجهل والأُمِّيَّة ، وفى ميدان الثَّقَافَةِ ضد  
العدوان على اللُّغَةِ وتراث العرب والاسلام ، وفى ميدان الاجتماع ضد التخلف والجمود  
وفى ميدان الأخلاق ضد التَّبَذُّلِ والتَفَرُّجِ ، وفى ميدان الصِّحَّةِ ضد المرض وانتشار  
الأوبئة وخاصة فى القرى .

فقد قوبل الضَّغَطُ الإقتصادى وما خلفه من فَقْرٍ وَعُدْمٍ بدعوات إلى مُسَاعَدَةِ  
المعوزين ، ومدَّ يد العون إلى المحتاجين ، وَأُنْشِئَتِ الْجَمْعِيَّاتُ الخيرية ، وَأُسِّسَتْ  
الملاجئ ونحوها من دور البر .

وقد وردت أشعار معبِّرة عن ذلك النُّضال كقول الشاعر :-

فَإِنْ لَمْ يَنَالُوا بِالْهَوَادَةِ حَقَّهُمْ <sup>٢</sup> يَنَالُوهُ يَوْمًا وَالصَّوَارِمُ تَرَعَفُ  
لَكُمْ عِبْرَةٌ فِى الْغَرْبِ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ <sup>٣</sup> تَهْزُ الْجِبَالُ الرَّاسِيَّاتِ وَتَخْسِفُ ( ٢ )

كذلك قوبل ما بَشَّهَ الاحتلال من مَفسادٍ خُلِقِيَتْ وما أشاعه من مباديل بدعوات  
حازة إلى الأخذ بالأخلاق الكريمة وإزلاء العادات المريضة الوافدة من الغرب  
المادى وكان أكثر الدَّاعِينَ إلى صِلَابَةِ الْخُلُقِ واستقامة السُّلُوكِ من أصحاب  
الاتجاه العربى الاسلامى وكانت دعوتهم تتخذ أشكالاً مختلفة من أشكال الأدب ،

---

١ - تسيل دماً .

٢ - اهتم الاستاذ الكبير أنيس المقدسى بعرض أشعار فى هذا المنحى ،  
فضلاً راجع أنيس المقدسى ، الاتجاهات الادبية فى العالم العربى الحديث

والحقيقة أن المنفلوطي قد وجه معظم مقالاته لهذا الغرض وهو الانتصار للفضيلة والدعوة إلى التمسك<sup>س</sup> بها ونبذ الرذائل والمفاسد<sup>س</sup> الخلقية ، وسيظهر هذا في مقالاته الاجتماعية . كذلك دعا إلى إغاثة المحتاجين والعطف على المعوزين والفقراء وهذا ما سنراه في مقالاته الإنسانية .

---

" الباب الاول "

حياته

- ١ - مولده ونسبه ونشأته
- ٢ - أساتذته وروافد ثقافته
- ٣ - ظروفه الخاصة
- ٤ - أخلاقه وخصاله
- ٥ - وظائفه
- ٦ - مرضه ووفاته
- ٧ - تأثيره بآعماله الاسلام
- ٨ - عاطفته الانسانية ( احساسه باحساس بني وطنه )

مولده ونسبه ونشأته :

ولد مصطفى لطفى المنفلوطى على الضفة الغربية للنيل فى  
المدينة ذات التاريخ ، المسمّاه (منفلوط) فى العاشر من ذى الحجة سنة ١٢٩٣ هـ

١٨٧٦ م .

( ونشأ فى بيت كريم بالدين جليل بالفقه توارث أهله قضاء الشريعة ونقابة

الصرفية قرابة مائتى سنة . ) ( ١ )

وهو مصطفى بن محفد بن حسن بن محمد بن لطفى لاب عربى يتصل نسبه  
بالحسين ولأم تركيه شابكه القرابة الى أسرة الجوريجى ، وكانت نقابة الأشراف ، ومرتبة  
القضاء يتوارثها بيت أبيه ، منذ مائتى سنة ( ٢ )

أما شهرته بالمنفلوطى ، فترجع الى مملته بوطينه الصغير ، ودعى بالسيد  
لانه يتصل بعشرة الحسين فى ذبه وتوارث أهله نقابة الاشراف ( ٣ )

وفى مئة الصبأ أرسله والده الى الفقيه الذى يتولى تحفيظه القرآن الكريم  
كعادة أهل العصر ، وقد تلقى دروسه الأولى فى مكتبه الشيخ جلال الدين  
السُّيوطى الذى كان يديره الشيخ محمد رضوان أحد الفقهاء الذين كان لهم  
الفضل فى تربية كثير من أدباء أسيوط وعلمائها ، وبعد انتهاء من حفظ القرآن  
الكريم ، أرسله والده الى الأزهر الذى كان يرجو أن يتخرج فى علومه ( ولقد ظل  
هنالك قرابة العشر سنوات درس فيها علوم اللغة والبلاغة والشريعة ) ( ٤ )

- 
- ١ - احمد حسن الزيات تاريخ الادب العربى ص ٤٦٠ ط ٢٦
  - ٢ - محمد صبرى . شغراء العصر ح ١ ط ١٩١٠ م ، كذلك محاضرة مطبوعة  
لأحمد عبد الحميد السحرتى بعنوان ( المنفلوطى ) سنة ١٩٢٩ م ص ٦ ( بتصرف )
  - ٣ - طاهر طناجى . مجلة الهلال أول سبتمبر سنة ١٩٥٤ م ( بتصرف )
  - ٤ - د . ابراهيم على ابوالخشب . تاريخ الأدب العربى فى العصر الحاضر ص ٢٥٤  
ط ١٩٧٨ م . الهيئة المصرية العامة للكتاب



أساتذته وروافد ثقافته :-

من المعلوم أن المنظوطى قد حفظ القرآن الكريم كاملاً  
 فى صباه ، وكفى بكتاب الله معلماً وهادياً ومقوِّماً لللسنة ، كما أنه حفظ كثيراً  
 من الأحاديث النبوية الشريفة ، ودرى بفضل نشأته فى بيت فقه وقضاء ببعض المسائل  
 الفقهية ، أضف الى ذلك ملازمته للامام الشيخ محمد عبده الذى طقَّ عنه كتابي  
 عبد القاهر الجرجاني ، ( دلائل الإعجاز ) ، و ( أسرار البلاغة ) ، ثم استفاد من  
 صلته بالإمام أن اتصل بسعد زغلول باشا السياسي الخطيب وتقرَّب من الصحفي  
 الكاتب على يوسف وهؤلاء الثلاثة ( كانوا أقوى العناصر فى تكوين المنظوطى الأديب  
 بعد استعداد فطرته وإرشاد أبيه ) ( ١ )

فاذا أضفنا الى ذلك أن الأستاذ عبد الله هاشم الذى كان على أدب جم ونزعة  
 شعرية ، كان يتردَّد على منزل أبيه من حين لآخر فى الوقت الذى كان المنظوطى  
 فيه ما يزال صبيّاً ( ٢ ) ، اذا أضفنا ذلك الى ما سبق علمنا كيف حُبِّب الى المنظوطى  
 فى ميسرة الصبا حبُّ الأدب العربى ، فأكبَّ على قراءة كتبه وأخذ ينهل من معينها  
 الفياض ، كما أنصت الى أساتذته الذين كانوا يُلطِّعون لقراءتها أمثال الشيخ سيِّد  
 المرصفي والشيخ حسين المرصفي ( ٣ )

أضف الى ذلك أنه كان ينهل من آثار معاصريه المترجمه والمؤلفه ( ٤ ) ، وقد  
 حفظ الأشعار وتصيد الشوارد منها .

- ١ - أحمد حسن الزيات ، وحي الرسالة ج ١ ص ٣٨٨ ط ٨ سنة ١٩٦٤ م دار نهضة مصر
- ٢ - الأستاذ طاهر طناحى . مجلة الهلال أول سبتمبر سنة ١٩٥٤ م ( ينظر )
- ٣ - ابراهيم على أبوالخشب . تاريخ الادب العربى فى العصر الحاضر ص ٢٥٤ ( ينظر )
- ٤ - د . شوقي ضيف . الادب العربى المعاصر ص ٢٢٨ ط ٧ ( ينظر )

أما ما قرأه في فترة دراسته بالأزهر - من كتب الأدب النثرية فهي :-

كتب ابن المقفع ، والحافظ ، وشربين المعتمر ، والمبرد ، والآمدي  
والجرجاني ، وديع الزمان الهذلي ، وغيرهم من ذوي الثقافات العالية ،

وبالجدة كان يقرأ كل ما يعثر عليه من كتب التراث القديم شعره ونثره ، وما أنتجت  
القراخ في الأدب الفري الحديث شعره ونثره أيضاً ، وما دخل في أدبنا الحديث  
من روائع الأدب الفري عن طريق الترجمة التي آتت ثمرتها منذ أواخر القرن الماضي ،  
فأقبل المنظوطي على مطالعة هذه الألوان الأدبية ، ووقف على ضرائق النثر الفني  
التي كانت سائدة في أيامه ، والنثر الفني كان على عهده لوناً حافلاً من أدب القاضي  
الفاضل ، أو أشراً ما سلا لفن ابن خلدون ، يتمثل الأول قوياً في طبقة المويلحي  
وحفني ناصف ، ويظهر الثاني ضعيفاً في طبقة قاسم أمين ولطفسي السيد وقد قال  
الزيات في ذلك :-

( إعلم أن المنظوطي تأثر في القديم بأبن المقفع وابن العميد ، وفي الحديث  
بجبران ونعيمه ، ولكن هذا دخل في فته دخول إلهام وإيحاء لا دخول التقليد  
والاجتذاء ) ( ١ )

وقد أفصح المنظوطي نفسه عن روافد هذه الثقافة العربية بقوله في مقدمة  
النظرات :-

( ولقد قرأت ماشئت من هثور العرب ، ومنظومها في حاضرها وماضيها .  
قراءة المتثبت المستبصر ... ) ( ٢ )

١ - أحمد حسن الزيات . وحي الرسالة ج ١ ص ٣٨٩ ، ٣٩٠

٢ - المنظوط . النظرات ج ١ ص ٣٤ دار الثقافة بيروت

يضاف الى ذلك ما أشرنا اليه من تلمذته على الإمام محمد عبده الذى كان  
معنياً بعلوم البلاغة العربية ، لدرجة أن الاستاذ محمد رشيد رضا اعتبر أن  
المنطوطي الأديب قد تخرج على يد الأستاذ الإمام ، لأنه تلمذ عليه فى كتابي  
عبد القاهر ( أسرار البلاغة ) ، ودلائل الإعجاز ( ١ )

كذلك كان يقيم المنطوطي ندوة أدبية يداره تعتمد على القراءة فى  
أهم الكتب العربية . ( ٢ )

وقد كشف المنطوطي نفسه عن جانب آخر فى مطالعته وهو جانب الأدب الشعبي ،  
وذلك حين حدث عن نفسه فى صباه ، فيقول :-  
( كنت أجد فى نفسي غبطة عظيمة حينما أجلس لمطالعة قصة ألف ليلة وليلة ،  
أو سيرة سيف بن زى يزن ، أو حروب عنترة ، أو وقائع أبو زيد ، أو أساطير الجن  
والشياطين . . ) ( ٣ )

ولاشك أن للرجل إطلاعات عامة فى مختلف العلوم كالفلسفة والتاريخ مثلاً ،  
فنحن لانزال نطالعنا إشارات فلسفية تدل على نفسها ، كالأصطلاحات  
المنطقية من الجوهر والعرض والمقولات ( ٤ )

وهكذا يتضح لدينا أن المنطوطي كان واسع الإطلاع فى حقل الثقافة العربية  
وله دراية لا تُنكر فى مجال الأدب المترجم ، وله إلمام بالتاريخ والفلسفة وقد بدأ ذلك

١ - محمد رشيد رضا . تاريخ الاستاذ الإمام ج ١ ص ٢٥٧ ط ( ١٩٣١ )

٢ - محمد ابوالأنوار . المنطوطي الكاتب ، رسالة مخطوطة ص ٤٠ . قدّم الى دارالعلوم العليا  
لنيل درجة الماجستير

٣ - المنطوطي . النظرات ج ٣ ، ص ٢٥٨

٤ - فضلاً راجع مقال مدينة السعادة ج ١ ، وخطبة الحرب ج ٢ ومقال الانسانية العامة  
ج ٢ من النظرات

واضحاً في كتاباته وتصريحاته السابقة ( ١ )

وبهذا يمكن أن نتساءل :

أليس للأستاذ الهياوي أن يدعي أن المنظومي ألم بالجسم الوفير من القصص  
الأعجمية المترجمة - فقط - ولم ينظر في سواها من كتب الأدب الممتع ، فطُبِعَتْ  
ملكته ( عليها ) واستمد لغته من أساليبها السَّقيية المريضة ١٢ ( ٢ )

لا شك أننا لا نوافق على رأيه هذا ومن يقرأ قصص المنظومي فقط يؤكِّد صحة

رأينا ، فمابالنا بمن يقرأ مقالاته ١٣ ( ٣ )

ظروفه الخاصة :-

ان من المؤثرات التي أحاطت بالمنظومي عدم استقامة الأمور  
بين أمه وأبيه الى الحد الذي أدى الى طلاقها منه واستمرار حياته مع زوجة أبيه  
ولا شك في أن كيفية هذه الحياة معلومة لدى من عاشرها ، أضف الى ذلك عسرة  
نفسه ، وترفعه عن السوءال مع حساسيته المفرطة ورقة مشاعره المتناهية كل  
ذلك ولا شك - كفيل لأن يكون لنا شخصية معقدة منطوية متشائه ، ولكن المنظومي  
بفضل الله عليه وتوفيقه له لم يكن معقداً ولا متشائماً ، وإنما كان حريصاً في معاملاته  
مع الناس ، قليل الإختلاط بهم ، دقيقاً في اختيار ألفاظه مع من يخاطبه محافظة  
منه على شعور الآخرين .

وقد تحدَّث هو عن حياة العزلة والانفراد في قصيدته ( يول وفرجينى ) فقال :-

١ - فضلاً راجع ص ١١٤ من هذا البحث

٢ - مصطفى الهياوي ، قصص المنظومي ص ٢٦ ، ٢٧ ط

٣ - ورد هذا الرأي في رسالة د أبو الانوار المخطوطة ( المنظومي الكاتب ) ص ٩٠

ونشاطه هذا الرأي

ان عيثر المرء في وحدته      خير عيثر كافل خير هناء  
فالورى شرورهم دائم      وشقاء ليس يحكيه شقاء ( ١ )

وقد لعبت ظروف العصر الاجتماعي التي سبق الإشارة إليها - ( ٢ ) - قد لعبت دورها في توسيع الهوة بين مثالية المنظوي وبين واقع الحياة حوله . وما يغمرها من غش ونفاق أو ظلم وإستبداد أو كذب ورياء . . . الخ  
كذلك من المؤثرات الخاصة في حياة المنظوي وشخصيته أنه أنجب من زوجته الأولى خمسة أولاد ماتوا جميعاً منهم ولدان توأمان وثلاث بنات توفت إحداهما قبله . . . ( ٣ )

ثم توفت زوجته الأولى وتزوج بالأخرى وأنجب منها ولدين وثلاث بنات توفي أحدهم الذكور وهو ما يزال صغيراً وقد رثاه في مقاله ( الدفين الصغير ) ( ٤ )

وشمة مؤثر آخر برز فيه إنسانيته وتضحيتة ذلك هو أن زوجته ضعف بصرها ( فكان يرعاها بإحسانه ويحتهد في تسليتها وإزالة حزنها حتى بلغ به أنه كان يوهما أنها حادثة البصر جداً ، ليدخل السرور على قلبها ، فكان يلقي بجوارها إبرة بحيث تكون في ملتقى أول نظرة منها دون أن يشعرها بذلك ، ثم يطلب إليها أن تتناول هذه الإبرة فتنظر أمامها فتقع نظراتها الأولى عليها فتتهوى إليها وتناوله إياها .

١ - فضلا راجع القصيدة كاملة ص من هذا البحث

٢ - فضلا راجع التمهيد في هذه الرسالة ص ٦٢ من هذا البحث

٣ - محمد أبو الأنوار ( المنظوي الكاتب ) رسالة مخطوطة ص ٧٥

٤ - المنظوي . النظرات ح ١ ص ٥٢

( ١ )

فيظهر السيد إعجابه بحدّة بصرها . . فتفرح كثيراً وتعتقد أنها كما رآها زوجها )

وقد أشار المنظوطي الى هذه القصة في مقالاته ( ٢ )

ومما سبق بيدولنا المؤثرات الخاصّة في حياة المنظوطي والتي كانت واقعاً ملموساً إلى أدبه الانساني الرفيع ، وانفعاله بكل ما يدور حوله من مؤثرات مؤكّدة أو مجرّد قراءته لقصص البؤس والشقاء . . يقول المنظوطي :-

( ولا أدري ما الذي كان يعجّني في مطالعاتي من شعر الهموم والأحزان ، ومواقف البؤس والشقاء وقصص المحزونين والمنكوبين خاصّة . . ) ( ٣ )

وقد حكى في شعره عن نفسه القريحة المعذبة بقوله :-

ومن كان ذا نفس كنفسي قريحة	من الهم لا يعنى بوصل ولا هجر
كأنو ولم أسلخ ثلاثين حجة	ولم يجر يوماً خاطر الشيب فوشعري
أخو مائة يمشي الهوينا كأنه	إذا مشى في السهل في حبل وعري
إذا شاب قلب المرء شاب رجاءه	وشاب هواء وهو في صحوة العمر
حييتُ بآمالي فلما كذبتني	قنعت فلم أحفل بقل ولا كثر
جنوا لله في اليأس خير فائمه	كفاني ما ألقى من الأمل المرّ ( ٤ )

١ - طاهر طناحي - الهلال ديسمبر سنة ١٩٢٩ م

٢ - المنظوطي - النظرات ج ٢ ص ١١٨ مقال ( الوفاء )

٣ - المنظوطي - مقدمة النظرات ص ١٦

٤ - محمد محمد عبدالمجيد ( الكواكب والمواكب والدرر ) ص ٣٨ مطبعة محمد عطيه

أخلاقه وصفاته :-

( كان المنظوطى قطعة موسيقية فى ظاهرة واطنه ، فهو مؤلف الخلق متلائم الذوق متناسق الفكر منسق الأسلوب ، منسجم الرّزى ، لا طمح فى قوله ولا فى فعله شذوذ العبقرية ، ولا نشوز الفدامة ، كان صحيح الفهم فى بطنه ، سليم الفكر فى جهده ، دقيق الحس فى سكونه ، هيب اللسان فى تحفظه ، وهذه الخلال تظهر صاحبها للناس فى مظهر الفبى الجاهل ، فهو لذلك كان يتقى المجالس ويتجنب الجدال ويكره الخطاب و مرجع ذلك فيه إلى احتشام التربية التقليدية فى الأسرة ونظام التعليم الصامت فى الأزهر أو فرط الشعور المرفه بكرامة النفس ، وكذلك إذا جلست إليه رأسا إلى رأس ، تسرح فى كلامه ، وتبارى لسانه ، وخاطره فى النقد الصريح ، والرأى الناضج ، والحكم المرفق ، والتهكم البارع ، فلا شك فى أن هذا هو المنظوطى الذى تقرأه . . ثم هو إلى جانب ذلك رقيق القلب ، عف الضمير ، سليم الصدر ، صحيح العقيدة ، نفاح اليد وموزع العقل والفضل والهوى بين أسرته ، ووطنه وإنسانيته ) ( ١ )

وفى تأكيد هذا يقول الطناحى :

( كان السيد المنظوطى متواضعا ، رقيق الحاشية ، هادى الطبع ، لا كما يلقه القارىء بين سطوركته ، من الأسى والتوجع الذى يدل على ما يصاحبه من التشاؤم أو عصبية التبّع الحاد ، فكنت إذا جلست إليه تشعر بهدوء ، ورضا ، بما تتعاقب به الأيام من مختلف الحوادث ، وشدائد الخطوب ويخيل إليك أن تلك النفس الحزينة النائرة على مأسى الأيام الباكية لمصارع بني الإنسان ، ما هو

الا صورة أخرى ينتقل اليها المنظوطى اذا خلا بنفسه وناجى النجم فى علاسه  
والقمر فى سماءه ( ١ )

تلك هي أخلاق المنظوطى التى أسفرت عن أدب انساني خالص ، لان الأدب  
الحق ماهو الا خلاصة لروح الأديب وصورة لمشاعره الصادقة اتجاه ما يدور حوله  
من مؤثرات ، ونجاح الأديب يعتمد على أن يكون قوى الإحساس مُرهِف الوجدان  
رقيق العاطفة ، لأنه بهذه المقومات النفسية يتأثر له أن يبعث فى جمهوره  
العواطف الخلقية النبيلة التى تنهض بالأمة وترفع شأنها . ( ٢ )

وظائفه :-

بعد أن توفى الإمام محمد عبده ، أسف المنظوطى على ذلك  
أسفاً شديداً ، فرجع إلى بلده ومكث بها عامين يكتب صحيفة المؤيد ، ثم عاد  
وقد حاز على إعجاب سعد زغلول الذى تولى وزارة المعارف ، فعينه محرراً عربياً  
لوزارته وانتقل سعد زغلول إلى وزارة العدل ، فنقله معه ، ولكنه لم يظل فى  
الوظيفة وقُصِّل منها بعد خروج سعد من الوزارة ، وظل يكتب فى الصحف إلى أن قام  
البرلمان سنة ١٩٢٣ م فعينه سعد رئيساً لطائفة من الكتّاب فى مجلس الشيوخ ( ٣ )

١ - طاهر طنّاحى . مجلة الهلال ديسمبر ١٩٢٩ م .

٢ - الأستاذ حامد عبد القادر . دراسات فى علم النفس الادبى ص ١٦ ط ١٩٤٩ م

٣ - د شوقي ضيف . الادب العربى المعاصر فى مصر ص ٢٢٨ بتصرف



مرضه ووفاته :-

أصيب المنفلوطي قبل وفاته بشهرين بشلل خفيف فأخفى ذلك على زوجته وأولاده حرصاً منه على استمرار سعادتهم ، ثم أصيب قبل وفاته بثلاثة أيام بتسمم في الدّم أدّى الى وفاته ، وقد لقي ربه في يوم السبت ١٢ يوليو ١٩٢٤ م ، يوم الاعتداء على سعد باشا زغلول ، وتُجمع الأخبار على أنه مات في العقد الخامس من عمره - عن ثمانية وأربعين عاماً ( ١ )  
رحمه الله رحمة واسعة وجزاه الله عن الإنسانية خيراً .

---

١ - مارون عبود ، أدب العرب ص ٤٦٦ ط بيروت سنة ١٩٦٠ م

## تأثيره بتعاليم الاسلام

ان الأمر الذي لا يُدانيه ريب أن المنفلوطي تأثر بتعاليم الإسلام الحنيف تأثراً كبيراً ، وذلك بسبب النشأة الإسلامية التقيّة التي نشأها مع أسرته وحفظه للقرآن الكريم وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم وانعكس هذا التأثير على أدبه ، وسنجلو هذا التأثير بشواهد من أدبه الزاخر بالتأثير الإسلامي معنى ولفظاً ، وما الإ تجاه الانساني الذي إتجه إليه المنفلوطي في أدبه إلا أثر من آثار الإسلام الحنيف على شخصية الرجل وطباعه .

وسنكتفي هنا بذكر ثلاثة شواهد ، على أن يكون لنا عودة الى هذا التأثير أثناء حديثنا عن المظاهر الانسانية في أدبه .

وأول هذه الشواهد على تأثير الاسلام في أدبه نراها في حديثه عن (يوم الحساب) ، في كتابه " النظرات " وتخلّيه أنه أصبح في ذلك اليوم الرَّهيب ، فرأى الناس لاهية في أمورهم وأن لكل إنسان شأنًا يغنيه عن النظر إلى رفيقه فيقول :-

( وأنشأت أمشي مشية الحائر الذاهل لا أعرف لي مذهباً ولا مضطرباً ولا أجند من يأخذ بيدي ويدلني على نفسي في هذا الموقف الذي ينشد كل ذي نفس نفسه ) ( ١ ) .

فهذا المعنى مأخوذ من الآية الكريمة ( يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ . ) ( ٢ ) . وفي نفس

١ - مصطفى لطفى المنفلوطي . النظرات ج ١ ص ١٣٧

٢ - القرآن الكريم . سورة عبس آية ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .

الموضوع يرى المنفلوطي فيما تخيَّله صديقاً له كان يعرفه وكان هذا الصديق كما يقول ( لا يتَّقِي مائماً ولا يهاب مُنْكَراً ... ) ( ١ ) . أقول يراه وقد حاسبه الله حساباً يسيراً وما ذلك الا لأنه كان له جار قد نكبه دهره بنكبة ذهبت بحاله فأهمَّه أمره ، واحتال على أن يُدْخِل في داره خادماً وجعل لها جعلاً على أن تدسَّ في كبر دراهمه كل ليلة خمسة دنانير من حيث لا يشعر بمأثاها ... ويقو على هذه الحال حتى فرَّق الموت بينه وبين جاره فما نفعه عمل من أعماله في آخرته كما نفعه هذا العمل في دنياه . ( ٢ )

والحقيقة أن هذه القصة إسلامية لأن الرجل علم قيمة الصدقة التي تؤدى  
فى السر وعمل بالحديث الشريف الذى يقول :

( إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع  
به أو ولد صالح يدعو له ) ( ٣ ) .

وها هو المنفلوطي يقول على لسان ذلك الرجل المحسن :

( وما كان الإحسان وحده سبب سعادتي ، بل كان سببها أنه أصاب الموضع  
وخلص من شائبة الرياء ) ( ٤ ) .

ثم يمضي المنفلوطي في تخيله فيطلب من الرجل أن يشفع له عند الله ولكنه يجيبه  
بقوله : ( لا تطلب المحال ، ولا تصدق كل ما يقال فقد كنا مخدوعين في الدار الأولى

١ - مصطفى لطفي المنفلوطي - النظرات ج ١ ص ١٣٨

٢ - " " " " " " ص ١٣٩ بتصرف

٣ - صحيح مسلم بشرح النووي الطبعة الثانية سنة ١٣٩٢ هـ سنة ١٩٧٢ م ج ١١  
كتاب الوصية ص ٨٥ دار الفكر . بيروت

٤ - مصطفى لطفى المنفلوطى . النظرات ج ١ ص ١٣٩

بتك الآمال الكاذبة التي كان يبيعها لنا تجار الدين بئس غال ولا يتقون الله  
 في غشنا وخذاعنا ، وما الشفاعة الا مظهر من مظاهر الإكرام والتجليل  
 يختص به الله بعض المقررين ، فلا يشفع عنده أحد الا بأذنه ، ولا يأذن بالشفاعة  
 لأحد الا اذا كان بين أعمال المشفوع له أو في أعمال سريره ما يقتضي إثاره  
 بالمغفرة على غيره من العصاة والمذنبين ، والله سبحانه وتعالى أجل من  
 العبث وأرفع من المحاباة ( ١ ) . . . فلا يشفع عنده أحد الا بأذنه .  
 فهو مأخوذ من الآية القرآنية :-

( مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ) ( ٢ )

وهكذا ينسج المنفلوطي طو هذا المنوال موضوع ( يوم الحساب ) ( ٣ )  
 متأثراً بالقرآن تارةً والحديث تارةً أخرى في كل ما يرويه من قصص عن ذلك اليوم  
 الرهيب ، وثمة شاهد آخر طو تأثر المنفلوطي بالإسلام ( الدعوة ) ( ٤ ) الذي  
 أورده في الجزء الثاني من النظرات حيث يقول ( وما سقالت الدماء ولا تمزقت الأشلاء  
 في موقف الحروب البشرية من عهد آدم إلى اليوم إلا حماية للمذاهب وذوداً عن  
 العقائد . لذلك كان الدعاة في كل أمة أعداءها وخصومها ، لأنهم يحاولون  
 أن يرزوهها في دوائر نفوسها ، ويفجعونها في أعلاق قلوبها . ) ( ٥ ) .  
 فهذا يدل على شدة تمسك الرجل بعقيدته ودينه ، ويقول أيضاً في هذا الموضوع

١ - المنفلوطي . النظرات . ج ١ ص ١٣٩

٢ - القرآن الكريم . سورة البقرة . آية ٢٥٥

٣ - المنفلوطي . النظرات ج ١ ص ١٣٧

٤ - المنفلوطي . النظرات ج ٢ ص ٤٩

٥ - المنفلوطي . النظرات ج ٢ ص ٤٩

( الدُّعَاةُ أَحْجَجُ النَّاسِ إِلَى عِزَائِهِمْ ثَابِتُهُ ، وَقُلُوبُ صَابِرَةٍ عَلَى إِحْتِمَالِ الْمَصَائِبِ وَالْمَحَنِ  
الَّتِي يَلَاقُونَهَا فِي سَبِيلِ الدُّعَاةِ ، حَتَّى يَلْغُوا فِي الْغَايَةِ الَّتِي يَرِيدُونَهَا أَوْ يَمُوتُوا  
فِي طَرِيقِهَا ) ( ١ ) .

وهذا معناه مأخوذ من قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لعنه أبي طالب  
عندما عرض عليه الجاه والمال في قريش على أن يترك الدُّعَاةَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَالَ لَهُ :  
( يَا عَمَّ ، وَاللَّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرِكَ هَذَا  
الْأَمْرَ حَتَّى يَظْهَرَ لِلَّهِ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ ، مَا تَرَكْتُهُ . ) ( ٢ ) .

ويقول المنفلوطي أيضا في نفس الموضوع :-

( الدُّعَاةُ الصَّادِقُونَ لَا يَبَالُونَ أَنْ يَسْمِيَهُمُ النَّاسُ خَوْنَةً أَوْ زِنَادَةً أَوْ مُلْحَدِينَ ،  
أَوْ ضَالِّينَ ، أَوْ كَافِرِينَ ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَدُورُ عَنْهُمُ ) ( ٣ ) . فهذا المعنى مأخوذ  
من القرآن الكريم حيث أدعى المشركون أن محمداً ساحراً ، وأنه ساعر .  
قَالَ تَعَالَى : - ( بَلْ قَالُوا أَضْغَاتُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ... ) ( ٤ )  
و: - ( أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرْنَاهُ رِيبَ الْيَمِينِ ) ( ٥ )

ألم يقل قوم موسى في شأن دعوته إنها سحر ؟ . . فقال تعالى : ( ظَنَّمَا جَاءَهُمْ مُوسَى  
بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٍ ) ( ٦ ) .

١ - المنفلوطي . النظرات ج ٢ ص ٥٠

٢ - سيرة النبي صلى الله عليه وسلم . محمد بن اسحاق . تهذيب ابن هشام ج ١  
ص ١٧٢ . مطبعة المدني . العباسية . القاهرة . الناشر . مكتبة صبيح ، القاهرة

٣ - المنفلوطي . النظرات ج ٢ ص ٥٠

٤ - سورة الأنبياء . آية ٥

٥ - سورة الطور . آية ٣٠

٦ - سورة القصص . آية ٣٦

ومما يدل أيضا على تأثر المنفلوطي بتعاليم الإسلام قوله في موضوع ( لا هُجِيَّةٌ

في الإسلام ) ( ١ ) :-

( أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ إِنْ كُنْتُمْ تَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يَخْلُقِ الْمَسِيحِيِّينَ  
إِلَّا لِيَمُوتُوا ذَبْحًا بِالسَّيُوفِ وَقُطْعًا بِالرَّمَا حَ ، وَحَرْقًا بِالنَّيِّرَانِ ، فَقَدْ أَسَأْتُمْ بِرَبِّكُمْ ظَنًّا ،  
وَأَنْكَرْتُمْ عَلَيْهِ حِكْمَتَهُ فِي أَفْعَالِهِ وَتَدْبِيرِهِ فِي شَعْنُونِهِ وَأَعْمَالِهِ . . . ) ( ٢ )

نعم لقد حرّم الإسلام قتل النَّفْسِ التي حرّم الله إلا بالحَقِّ حتى وإن كان هَذَا  
المَقْتُولُ مَسِيحِيًّا ، ثم يقول الرَّجُلُ في نفس المقالة هذه مَبْرَرًا قتل الْمَسِيحِيِّينَ فـ  
صدر الإسلام :-

( أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ لَيْسَ مَا كَانَ يَجْرِي فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ مِنْ مَحَارِبَةِ الْمُسْلِمِينَ الْمَسِيحِيِّينَ  
كَانَ مُرَادًا بِهِ التَّشْدِيقُ وَالْإِنْتِقَامُ مِنْهُمْ ، أَوْ الْقَضَاءُ عَلَيْهِمْ ، وَإِنَّمَا كَانَ لِحِمَايَةِ الدَّعْوَةِ  
الْإِسْلَامِيَّةِ أَنْ يَعْتَرِضَهَا فِي طَرِيقِهَا مُعْتَرِضٌ أَوْ يَحُولَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ انْتِشَارِهَا فِي مَشَارِقِ  
الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا حَائِلٌ ، أَيْ أَنَّ الْقِتَالَ كَانَ ذَوْدًا وَدَفَاعًا لَا تَشْفِيًّا وَانْتِقَامًا ) ( ٣ ) .

ثم يمضي في موضوعه هَذَا مُبَيِّنًا أَنَّ السُّرِّيَّةَ مِنَ الْجَيْشِ مَا كَانَتْ تَخْطُو خُطْوَةً  
فِي سَبِيلِهَا الَّذِي تَذْهَبُ فِيهِ إِلَّا وَيَأْتِيهَا أَمْرُ الْخَلِيفَةِ بِالرَّفْقِ فِي دَعْوَتِهِمْ وَعَدَمِ إِزْعَاجِ  
الرَّهْبَانِ فِي أَدِيرَتِهِمْ . . . ( ٤ )

١ - المنفلوطي . النظرات ج ١ ص ٢١٥

٢ - المنفلوطي . النظرات ج ١ ص ٢١٥

٣ - المنفلوطي . النظرات ج ١ ص ٢١٦

٤ - المنفلوطي . النظرات ج ١ ص ٢١٧ بتصرف

وهذا المعنى إسلامي أيضاً مأخوذ من قوله تعالى :

( ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) (١)

وهكذا يعضي المنفلوطي متأثراً بالإسلام في معظم مقالاته ان لم تكن كلها  
لأنني أرى أن الإنسانية التي دعا إليها إنما هي أثر واضح من آثار الإسلام  
عليه ، وما أشدَّ عَجَبِي من أولئك الذين يُفَرِّقُونَ بين الإسلام والإنسانية ،  
وما الإسلام الا دين الإنسانية جمعاء .

عاطفته الإنسانية ( إحساسه بإحساس بني وطنه )

لقد كان المنفلوطي - كما نعرف - مرهف الحس فياض المشاعر رحيم القلب

يَهْتَزُّ أَلَمًا وَيَذُوبُ حُزْنًا لِكُلِّ مَا يَحِيطُ بِهِ مِنْ مَظَاهِرِ الْبُؤْسِ وَالشَّقَاءِ .

وقد كتب المنفلوطي مقالاً بعنوان " العام الجديد " ( ١ ) تتجلى فيه عاطفته

الإنسانية وموقفه من كل ما يحيط به من أنماط البشر الذين نشأوا على الجشع وأقفر قلوبهم من ينابيع الرحمة فيقول :-

( لا سعادة في الحياة إلا إذا نشر السلام أجنحة البيضاء على هذا المجتمع

البشري ، ولن ينتشر السلام إلا إذا هدأت أطماع النفوس ، واستقرت فيها ملكة

العدل والإنصاف ، فعرف كل ذي حق حقه ، وقنع كل بما في يده عما في يد غيره

فلا يحسد فقير غنياً ، ولا عاجز قادراً ، ولا محدوداً محدوداً ولا جاهلاً عالماً ،

وأشبعرت القلوب الرحمة والحنان على البائسين المنكوبين ، فلا يهلك جائع بين

الطامعين ولا عاربين الكاسين ، وامتلات النفوس عزةً وشرفاً ، فلا يقهر شيء من

ظك الحبائل المنصوبة لاغتيال أموال الناس باسم الدين مرةً والإنسانية أخرى .

ولا ترى طبيباً يدعو علم ما لا يعلم ليسلب المريض روحه وماله ، ولا محامياً يخدع

موكله عن قضيته ليسلب منه فوق ما سلب منه خصمه ، ولا تاجراً ليشتري بعشوه

ويبيع بمائة ، ثم ينكر بعد ذلك أنه لص خبيث ، وكاتباً يضرب الناس بعضهم ببعض

حتى تسيل دماؤهم فيمتصها كما يضرب القادح الزند ليظفر بالشرر المتطاير منها ) ( ٢ )

١ - المنفلوطي . النظرات ج ٢ ص ١٣٩

٢ - المنفلوطي . النظرات ج ٢ ص ١٤٠



فهذا شاهد يؤكّد ما انطوت عليه نفس المنفلوطي من انسانية عامرة  
بالأمان وحبّ السّلام بمعناه الواسع الرّحّب ، ثم يعكس إحساس المنفلوطي  
بما يدور حوله من مأسى بين أفراد وطنه الذين طفت عليهم الأثرة وحبّ الذات  
ومحاولة ابتزاز أموال النّاس بالباطل وانتشار الفوضى وعدم الاسـتقرار  
ولا أدلّ على إحساس المنفلوطي بإحساسه ببنـي وطنه من قصيدته " قدوم " التي  
عبّر فيها عن إحساسه بما يدور من ظلم واستبداد في الشعب حوله والـكـتـي  
سُجن من أجلها واشتهر بها في عالم الشّعـر ( ١ )

---

١ - فضلا راجع نص القصيدة وتحليلها في تمهيد الباب الثانو ( الحياة الادبية في  
عصره ص ٤١ من هذا البحث

## الباب الثاني

---

### أدبه

تمهيد : الحياة الأدبية في عصره

- كتبه . ( مؤلفه ، مترجمه )

- شخصيته الأدبية وأسلوبه

- موقف النقاد من أدبه

تمهيد :

## الحياة الأدبية في عصره

أ - حالة النثر :- من المعروف أنَّ النثر العربي قد ترقى في أسلوبه حتى وصل إلى قمته الفنية في العصر العباسي الأول ، ثم أخذ يسير في عظمته وُرقِيَّه زمنًا طويلًا حاملًا معه آثار تلك النهضة ، وإن اختلف من إقليم إلى إقليم ، وكانت مصر موطنًا خصيبًا له حتى عهد المماليك الذي بدأت فيه الأساليب تنوء بالمحسنات البديعية والصلصة اللفظية .

وحين دخل العثمانيون مصر سلبوها كل ميزة كانت فيها حتى أننا نجد فرقًا كبيرًا جدًا بين كتاب مثل " بدائع الزهور " في التاريخ ، وبين كتاب آخر مماثل له في عصر المماليك ، فالركاكة والأخطاء النحوية والامتزاج بالألفاظ التركيبية النثر نجد لها عند ابن رياس لا نجد مثلها عند ابن تفرج بردي .

أما الكتابة الفنية فكانت طفيفًا خالصًا من أساليب السابقين وقد أدخلوا فيه التصنيع واستعمال البديع بكثرة إلى جانب مصطلحات العلوم ولم يعد هناك شيء من الجديد والابتكار فالقوم يعيشون على التقليد وتكرار أعمال السابقين ، وهكذا نجد أنَّ الكتابة الفنية جمدت جمودًا بل تحجرت وأصبحت مواتًا ( ١ )

أما في أخريات العصر العثماني ، فقد بلغ الغاية في الركعة والضعف ؛ فعباراته سقيمة ، تقيدّها قيود ثقيلة من الحلي والزخارف اللفظية المصطنعة المتكففة لتخفي وراءها غثائفة المعنى أو تفاهة الفكرة وضالته ، تلك المعاني التي

١ - د . د . شوقي ضيف . الفن ومذاهبه في النثر ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ ط ٦ دار المعارف ( بنصره )

أُخِذَتْ مِنْ كُتَابٍ سَابِقِينَ بَيِّنَ أَنَّهَا سَيَقْتَ لِعَجْزِ الْأَدْبَاءِ عَنِ الْإِدْرَاءِ الصَّحِيحِ - فَيُذَكِّرُكَ الثَّوْبُ الْمُهْلَلُ الرَّثَّ ، وَكَثِيرًا مَا يَنْقُصُ ذَلِكَ التَّعْبِيرُ الْكَلِمَةُ الْفَصِيحَةُ ، مَعَ غَلَبَةِ الْعَامِّيَّةِ وَالْكَلِمَاتِ التُّرْكِيَّةِ وَالذَّخِيلَةِ ، فَيَأْتِي الْكَلَامُ أَشْبَهَ مَا يَكُونُ بِالرَّمْزِ وَالْأَحَاجِي .

أَمَّا مِنْ تَذَوُّقِ الْأَدَبِ عَلَى دَرَجَةٍ لَا بَأْسَ بِهَا مِنَ اللُّغَةِ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ

فَقَدْ نَسَجَ عَلَى أَسْلُوبِ الْمَقَامَاتِ فِي أَخْرِيَاتِ عَصْرِ الْمَمَالِيكِ . ( ١ )

وَالْتَزَمَ السَّجْعَ فِي كُلِّ مَا يَصْطَنَعُ مِنْ كِتَابِهِ ، بَلْ إِنْ بَعْضُهُمْ كَانَ يَتَلَاَّبُ بِالْأَلْفَاظِ وَيَأْتِي بِالْمَقَامَاتِ الْمُحَرَّفَةِ وَالْمُضَحَّفَةِ مَا يُبْعِدُهَا عَنِ الْأَدَبِ ، مِنْ ذَلِكَ مَثَلُ الْمَقَامَةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا مَهْطَفِي أَسْعَدِ الدَّمِيَّاطِي فِي مَدْحِ (رِضْوَانِ كَشْخَذِ عَزْبَانَ) وَالَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

( حَكَى الْبَدِيعُ بَشِيرُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي الرَّبِيعُ بْنُ رَشِيدٍ قَالَ :

هَاجَتْ لِي دَوَاعِي الْأَشْوَاقِ الْعُذْرِيَّةِ ، وَهَاجَتْ بِي لَوَاعِي الْأَنْوَاقِ الْفُكْرِيَّةِ ، إِلَى وَرُودِ حِمَى مَصْرِ الْمُعْزِيَّةِ الْبَدِيعَةِ ذَاتِ الْمَشَاهِدِ الْحَسَنَةِ وَالْمَعْلَمَةِ الرَّفِيعَةِ ، لِأُشْرَحَ بِمَقْنِ حَدِيثِهَا الْحَسَنِ مَدْرِي ، وَأَرْوِّحَ بِحَوَاشِي نِيلِهَا الْجَارِي رَوْحِي وَسَّرِّي ) ( ٢ )

١ - الْمَقَامَةُ : وَهِيَ نَوْعٌ مِنَ الْقِصَصِ الْأَدَبِيَّةِ الْقَصِيرَةِ الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَى الْخَيَالِ فِي تَأْلِيفِ حَوَادِثِهَا وَتَرْهِي إِلَى غَايَةٍ مِثْلَ تَعْلِيمِ اللُّغَةِ ، وَسَرْدِ الْمَوْعِظَةِ ، وَقَدْ اشْتَقَّتْ مِنَ

الْمَقَامِ أَيْ مَكَانِ الْقِيَامِ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي الْخُطْبِ وَالتَّكَلُّمِ فِي الْمَحَافِلِ ، أَمَّا أَسْلُوبُهَا فَتَقُومُ الْعِبَارَاتُ فِيهِ عَلَى الصَّنْعَةِ الْبَدِيعِيَّةِ مِنْ سَجْعٍ وَجَنَاسٍ ، وَازْدِوَاجٍ وَطَبِيعٍ وَمُقَابَلَةٍ وَاسْتِعَارَاتٍ عَلَى اخْتِلَافٍ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْإِغْرَابِ الْكَلِمِيِّ وَدَرَجَةِ التَّكَلُّفِ ،

٢ - فَضْلًا رَاجِعَ الْأَسْلُوبِ . الْأُسْتَاذُ أَحْمَدُ الشَّايِبِ فِي ١١٠ - ١١٢ ط ٧ سَنَةِ ١٩٧١ م ، مَكْتَبَةُ النَّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ .

٣ - عَمْرُ الدَّسُوقِيِّ ، نَشْأَةُ النُّثْرِ الْحَدِيثِ وَتَطْوِيرُهُ فِي ٣٧ ج ١ ط ٢ .

دَارُ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ .

وهكذا بدا لنا من المثال السابق كيف كان الكلام متكلفاً مصنوعاً لا يفضي السر  
غاية ولا ينبئ عن فكرة سليمة وانما هو لإظهار البراعة في اقتناص السجعات  
ووضع المحسنات وقد غلب هذا الأسلوب على ألسنة مدعي الأدب في مصر والعراق  
في تلك الفترة ، أضف الى ذلك غلبة العاقبة والتركية على الألسنة مع تفشي الجهل ،  
وتراكم ظلمات الاستعمار على تلك البلاد .

وحين أقبل العصر الحديث بنهضته منذ بداية القرن الميلادي الماضي وما فيه  
من ترجمة وإحياء للتراث العربي القديم وطباعة الكتب وانتشار الصحف اليومية  
وغيرها من العوامل التي ساعدت على نمو الأدب وتقدمه - أقول حين أقبل هذا  
العصر الحديث بنهضته - بدأت الأساليب تتطور وتتقدم وتترك السجع والتقليد  
والأساليب العامية الساقطة والكلمات الدخيلة على العربية بقدر الإمكان ، لأن  
النهضة لا تكون طفرة واحدة وإنما تأتي تدريجياً ، لذلك فقد ظل الأسلوب  
بين الإطلاق والسجع ، ولم يستطع التخلص منه حتى ما بعد العقد السابع من  
القرن الماضي ، اذا أردنا أن نضرب أمثلة واضحة لما نقول ، فإننا نأخذها  
من الصحافة لأنها أقرب الكتابة الى الحرية والإطلاق ، وأجدر بها أن تتخلص  
من رواسب الماضي ، وكان لها دورها في تخليص الأدب من ركامات العصر السابق ،  
فقد جاء في خبير داخلي نُشر في العدد الرابع من "الوقائع" سنة ١٨٦٥ م :-

( إن أناساً من اللئام سَظَرُوا الأَنامَ ارتضوا بالخِزْيِ وارتكاب الآثام فاستبدلوا  
الاشتغال بأنواع الكسب الحلال ، بالاشتغال بالحرام والعار ، والدوران في  
القرى والأصهار ) ( ١ )

وعلى هذا الموال من السَّجْع كان يُنْسَج الخبر الخارجي المُترجم سواءً كان سياسياً أو غير سياسي ، ولم يكن يخلو من الكلمات الأعجمية ، وإن ظلمت الكلمات المحليّة تأتي على أقلام الكتاب إلى أن تولّى الشيخ محمد عبده تحرير الوقائع سنة ١٨٨٠ م فخلصها من هذه الآفة وجعل السيّادة للفصحى ( ١ )

والواقع أن هناك عاملاً كان له أهميّة في تطوّر الأدب ورقّيته خاصة النشـر لأنّه أسرع تطوّراً من الشّعـر ، ذلك العامل هو وجود طبقة جديدة من المُرتشقين للثقافة الغربية من منابعها الأولى ، أو عن طريق الترجمة لروائع الأدب ، ثم أخذوا أنفسهم بالجدّ والمثابرة على القراءات المستمرة من أجل التذوّق للأساليب الجديدة .

والذي لا يَنْكَرُ أن عشنا الحاضر قد دخله من أسباب العمران ما بعد بينه وبين العصور السّالفة اعتُبر ذلك في شتّى المبادئ السياسية التي طفت على مصر من وراء البحر ، وتلك الانقلابات الإقتصادية والاجتماعية التي اقتضاها تقدّم العلم والتوسّع التجاري والاحتكاك بالأُمم الغربية ، كل ذلك قد أدّى إلى تطوّر البيئة العربيّة ، ومن ثمّ إلى توجيه الأدب العربيّ نحو أهداف وأساليب لم تنهيك في البيئة القديمة أو في الأدب القديم ( ٢ )

وإذا أردنا أن نحصر الاتجاهات في النشر الفنى في تلك الفترة فإننا نجد يدور حول أمور أهمها :-

١ - عمر الدسوقي . نشأة النشر الحديث وتطوره ج ١ ص ٥٤ بتصرّف

٢ - أنيس المقدسى . الاتجاهات الأدبية ص ١٢ بتصرّف

١ - النشر الاجتماعي :- وهو الذي يُطلب به تغيير حالة إجتماعية أو محاولة

إصلاح ناحية من نواحي الحياة العامة .

ومن مقومات هذا النشر صحة العبارة وترك الزخرف ووضاعة الأسلوب ووضوحه ، والبعد عن الخيال والمبالغات لأنه يقوم على المنطق والحجة ، ومعالجة الواقع الاجتماعي ولما يستخدم الإشارة العاطفية مثل الكتابة الدينية التي تدعو إلى الإصلاح العام مثلاً .

٢ - وثمة نوع ثان وهو نشر الصحافة الذي من مقوماته السهولة والوضوح حتى يتسنى لكتابه مخاطبة الجماهير باختلاف نزعاتها . ( ١ )

ولا ينبغي بذلك أن يكون نشر الصحافة عامياً ، إنما هو ذو لفة متوسطة ، وأكثر اعتماد هذا النوع على الأدلة الخطابية لأنها هي الأنفذ في إقناع الجماهير . ( ٢ )

٣ - أما النوع الآخر : فهو الذي يمتد إلى موضوعاً بصفة وثيقة ، ذلك هو النشر الأدبي ، وهو أشد أنواع النشر حاجة إلى تخير اللفظ والتأني في النظم وهو يمتاز بالأسلوب الجميل الذي يشبه الشعر وإن لم يكن على وزن من أوزانه .

ولا نستطيع هنا أن نخص كاتباً في اتجاه من هذه الاتجاهات النثرية ، لأنها متداخلة بعضها في بعض ، فنجد كثيراً من الكتاب الذين يكتبون في الصحافة مثلاً يعالجون مشكلات إجتماعية في أسلوب أدبي جميل كما كان الشيخ محمد عبده

١ - فاروق خورشيد . بين الأدب والصحافة ص ١٥٨ ط ٢ سنة ١٩٧٢ م دار الفكر العربي بتصرف

٢ - نضر المرجع ص ١٥٩ بتصرف

والمنفلوطى ( ١ ) وعلى يوسف وعبد العزيز جاويش ، وإن كان بعضهم يعيىل إلى ناحية خاصة لقربه منها واتصال حياته العملية بها .

وليس من الغريب أن نجد الكتاب ينقسمون الى طوائف مختلفة ؛ فمنهم المحافظ الذي يتمسك بالقديم ، يقابله المجدد الذي ينزع منزع الأوربيين فى تحرير الأسلوب من المحسنات والسجع والتقليد ، وقد وجدت ههذه الطائفة الثانية من ينصرها من السوريين والمهاجرين ثم كانت طائفة أخرى أسهمت فى التطوير المفرط حتى كانت تستخدم العامية ، وفيما يلي نذكر أهم المدارس التي كانت فى مصر فى أخريات القرن التاسع عشر ( ٢ )

١ - طائفة الأزهريين المحافظين ومن هنا نحوهم من دار العلوم من أمثال توفيق البكري ، وحفنى ناصف وغيرهما .

٢ - طائفة المجددين المعتدلين من خريجي المدارس المدنية الحديثة من أمثال قاسم أمين ، وفتحي زغلول ولطفى السيد .

٣ - طائفة المشرقين فى التجديد وهم دعاة العامية من أمثال محمد عثمان جلال ( ٣ ) وغيره من أولئك الذين أخذوا بجمال الصياغة ويلحق بهم عرب لبنان النازحون أمثال ميخائيل نعيمة وجبران وغيرهما ممن هاجر الى الأمريكتين ، وكانت عباراتهم

---

١ - فضلا راجع مقالاته الاجتماعية فى الفصل الأول من الباب الأخير فى هذا البحث ص ٢٤١ إلى ص ٢٨٦ .

٢ - د . شوقي ضيف الفن ومذاهبه فى النشر ص ٩٢ ط ٦ بنصرى

٣ - ترجم محمد عثمان جلال بعض روايات مولير الى لغتنا الدارجة فأتت هذه الدعوة الى العامية .



لا تسلم من الركاه والتساهل في وجود الدخيل من الألفاظ ( ١ )

٤ - وثمة طائفة رابعة اتجهت الى ردّ الفعل الذي لابدّ من وجوده أمام هذه الطرائق الثلاث ، تلك الطائفة التي تمثّلت في طريقة رابعة أخذت من محاسن السابقين وأعرضت عن مساوئهم ، فرضينها الأذواق جميعاً لما فيها من إحياء الأسلوب العربيّ الخالص ، فأكمل النقص بما فاتته من أمور البيان لانقطاع أهله عن مسامرة التجديد الحديث ، .

استبانَت معالم هذه الطريفة في نشر المنفلوطي ثم سار عليها الكتاب الموهوبون والشعراء المطيوعون فتميّزت أساليبهم بالرفقة والسلاسه والرحمانه والعذوبة .

من هؤلاء الكتاب طائفة من الكتاب جمعت بين ثقافة الشرق القديم وثقافة الغرب الجديد ، وبلغت بالنثر الفني منزلة لم يبلغها في عصر من عصوره ، فالأسلوب الذي كتب به المنفلوطي والبشرى والرافعي والمازني والعقاد ، هو ثمرة التطور الحديث في الأدب ، والعلم والفن والحضارة وهو وإن اختلف بين الكتاب في القوة والضعف والعُمق والضحل ، والدقة والتجوز ، والتركز والإنتشار ، يشترك في الصفات الجوهرية للغة وهي الصحة والتقاء والمرونة وفي الخصائص الأصلية للبلاغة وفي الأصالة والإيجاز والتلاؤم . ( ٢ )

تلك هي حالة النثر في عصر المنفلوطي وهذه الحالة تبين شطراً من الحياة الأدبية في عصره .

١ - د . شوقي ضيف ، الأدب العربي في مصر ص ١٨١ ط ٢ بتصرف

٢ - احمد حسن الزيات . دفاع عن البلاغة ص ١٤٢ ط ١٩٤٥ م كذلك كتابه : تاريخ الادب العربي ص ٤٣٢ ط ٢٦ دار الثقافة بيروت ( بتصرف )

ب - حالة الشعر : أما عن حالة الشعر، فمن المعروف أنه وصل إلى قمة تطوره في العصر العباسي ، ثم أخذ في الانحدار تدريجياً إلى أن بلغ أقصى إنحداره في العهد العثماني ، ( إذ اقتصر الأمر على جماعة يقرؤون بعض القصائد الموروثة وخاصة التي كانت قريبة من عصورهم ، ثم يعارضونها أو يخمسونها أو يريعونها أو يشطرونها فيأتين بنماذج لا روح فيها ولا جمال ، وإنما هي تقليد ركيك ضعيف ) ( ١ )

وكان الشعر في مصر أثناء النصف الأول من القرن التاسع عشر يجري على نفس الصورة السيئة التي كان يجري عليها أثناء العصر العثماني ( ٢ ) ، فكان أكثر الشعر من هذا اللون التقليدي المتخلف الذي يسر هزلة وتهافته بألوان المهارة اللفظية والحيل اللغوية والمحسنات البديعية المتكفة ، كعمل أبيات تُقرأ طرداً كما تُقرأ عكساً فلا تستحيل بالانعكاس ، أو أبيات جميع كلماتها من معجم الحروف أو كل كلماتها من حروف مهملة ، أو أبيات أوائل حروفها تُؤلف بيتاً آخر أو تدل على اسم معين أو تاريخ خاص ، أو نظم أبيات كلماتها مبدوءة بحرف معين أو جميع أبياتها مفرقة الحروف إلى آخر هذه التعقيدات التي لا طائل من ورائها .

ومن النماذج السائرة في هذا الاتجاه ، أغلب أشعار الشيخ علي الدرويشي فهو مثلاً يقول منعزلاً ببيتين من الشعر كل كلماتها لشتل على حرف العين :-  
 عَلَى عَيْنِكَ عَذْلُ عَوَازِلِ  
 عَذَابُ عَلَيْهَا عِنْدَ عَاشِقِهَا عَذَابُ

١ - د . شوقي ضيف . الفن ومذاهبة في الشعر العربي ج ٥٦ ط ٨

٢ - د . شوقي ضيف . الأدب العربي المعاصر في مصر ص ٣٨ ط ٧ بَنَصْرُف

عذارك عذرى عجب عطفك عذتي  
عيونك غصبي عاد عابها غضب ( ١ )

كما كانت بعض نماذج الشعر في تلك الفترة تخلو من الألاعيب والمحسنات ،  
ولكنها سطحية الفكرة ، مهزوزة الصورة ، فاترة التأثير ، ومن ذلك قول

الشيخ حسن قويدر ( ٢ ) :-

يا طالب النصح خذ مني مبرة  
عروسة من بنات الفكر قد كسبت  
لأنها وهي بالأمثال ناطقة  
أحفظ لسانك من لغو ومن غلط  
واحذر من الناس لا تترك إلى أحد  
بواطن الناس في ذا الدهر قد فسدت  
تلقي إليها على الرغم المكاليد  
ملاحة ولها في الخد توريد  
طير له في صميم القلب تغريد  
كل البلاء بهذا العضو مرود  
فالخل في مثل هذا العصر مفقود  
فالشر طبع لهم والخير تقليد

على أن نماذج قليلة من شعر تلك الفترة كان أقل تكلفاً وأكثر قرباً من

روح الشعر ، ومن تلك النماذج قول الشيخ حسن العطار راثياً :-

أحاديث دهر ألم فأوجعاً  
لقد ممال فينا البين أعظم حولة  
وجاءت خطوب الدهر تترني ما  
وحل بنا مالم تكن في حسابه  
وحل ينادى جمعنا فتصدعا  
فلم يخل من وقع الضربة مؤمعا  
مضى حادث يعقبه آخر مسرعاً  
من الدهر ، ما أبكى العين وأفزعا ( ٣ )

١ - لويس شيخود ديوان . على الدرويش ص ١٧

٢ - لويس شيخو . تاريخ الادب العربية في القرن التاسع عشر ج ١ ص ٩٤  
بيروت سنة ١٩٠٨ بتصرف

٣ - هذه الابيات من قصيدة وارده في الجبرتي ص ٢٣٢ ، ٢٣٢ ح ٤ وهي  
رثاء للشيخ محمد الدسوقي .

بل قد ظهرت فى أواخر تلك الفترة نماذج أقل من السابقة القريبة من روح الشَّعر ، وتضمَّنت أوائل سمات التجديد وإن لم تكن من الشَّيوع بحيث تُعدَّ إتجاهاً . وكان أصحاب هذه النماذج من أهم تلاميذ ذلك الجيل السابق لأنَّهم أضافوا الى ثقافتهم العربيَّة ثقافة أجنبية ، فقد نظم رفاعه الطهطاوي بعض الأشعار الوطنية ، كما نظم بعض الأناشيد الحماسية ، كذلك نظم صالح مجدي تلميذ رفاعه طائفة من الأناشيد التى نراها فى نهاية ديوانه .

ونلاحظ أنَّ الشَّعر الوطنيَّ وشعر الأناشيد ذو طابع تجديدي واضح على الأقل إذا قيس بما كان من طابع الشعر فى تلك الفترة ( ١ )

وهذه الروح الجديدة فى الشَّعر ، بدأت منذ أوائل النصف الثانى من القرن الماضى الميلادى ، وقد ساعدت عدَّة عوامل على هذه التَّهضة أهمها :-  
تقدُّم الوعي القومي ، كذلك الإتصال بالأدب الغربى عن طريق التَّرجمه أو عن الطَّريق المباشر لمن يُجيد اللُّغات الغربيَّة ، كذلك إحياء كتب الأدب العربى القديم والنَّسج على منواله والاهتمام بالصحافة ( ٢ )

ومن شعر رفاعه الوطنيِّ الذى يأتى متاثراً فى قصائده قوله :-

وَلَيْسَ حَلْفُهُ بِأَنَّ هَرَكْجَنَةً	وَقَطُوفُهَا لِلْفَازِيْنَ دَوَانِسِي
وَالنَّيْلُ كَوَثَرُهَا الشَّهْيَ شَرْبُهُ	لَأَبْرُكُلَّ الْبَرِّ فِي إِيْمَانِسِي ( ٣ )

١ - د. أحمد هيكل . تطوُّر الأدب الحديث فى مصر منذ أوائل التاسع عشر الى قيام الحرب الكبرى الثانية ص ٢٥ ط ٣ . دار المعارف القاهرة .

٢ - أنيس المقدسى . الإتجاهات الأدبية فى العالم العربى ١٩٥٥ . بتصرف .  
د . علي العمَّار . الصِّراع الأدبي بين القديم والجديد ص ٢٠٦ ط عام ١٩٦٥  
دار الكتب الحديثة ( بتصرف )

٣ - رفاعه الطهطاوى . تخليص الإبريز فى تلخيص باريز ص ١٩١

ط ١٩٥٥ القاهرة

وبالرغم من التطور والتقدم الذي ساعد على النهضة الأدبية عند الشعراء فان أحداً لم يستطع أن يبعث الشعر في نهضته الحديثة ويخلصه من البديعيات والمحسنات والتضحيات إلا البارودي ومن لف لفه إذ أنه لم يكن مقلداً للقدماء بالمعنى السيئ والتقليد ، وإنما أراد أن يرد الشعر جزالته ومضاعته وروانته أما بعد ذلك فشخصيته في شعره قوية بارزة ، ( وهو الذي أنقذ الشعر من عثرة الأساليب الركيكة ورد إليه الحياة والروح ، حياة نفسه وروح عصره وقومه في الفترة التي عاش فيها ، إذ جعله متفصلاً حقيقياً لعواطفه ومشاعره أمته ، وما ألم به وبها من أحداث وخطوب ) ( ١ )

لقد جعل البارودي الشعر في نهضة جديدة لأنه عبر به عن خلجات نفوس الشعب ، فلاعجب أن يظهر في تلك الفترة المنفلوطي ليكون شاعراً معبراً عن الشعب وآماله ، فقد حصل على العوامل التي تمكّنه من أن يقف في هذا الميدان بثقافته العربية الأصيلة ورقة حسّه وقوة شعره وظهوره من بين طبقات الشعب الأصيلة ، وهو من الذين يُجلّون ويقدرّون الإمام الشيخ محمد عبده والذي كان ينادى بإصلاح الأزهر ، ويجد معارضة من الخديوي عباس الثاني . وكان المنفلوطي أيضاً له اتصالات بشيخ الطرق الصوفية ونقيب الأشراف السيد توفيق البكري الذي كان يُعدّ هو وأسرته أكبر معارض للسلطة في مصر ، لأنه ركن من أركان الخلافة بصفته الدينية والاجتماعية ، والمنفلوطي كان في تلك الفترة طالباً فقيراً من طلاب الأزهر ، ولكن انتسابه إلى الشرف النبوي هو الذي قرّبه من شيخ الطرق الصوفية وزجّ به في منازعات الخلافة ومناوراتها ( ٢ )

١ - د . شوقي ضيف ، الادب العربي المعاصر في مصر ص ٤٤

٢ - عباس محمود العقاد . رجال عرفتهم ص ١١٠ بصرى

ومن هنا اشتهر المنفلوطي في عالم الشعر بقصيدته " قدوم " التي شغلت  
الرأي العام وقتاً طويلاً لأنها كانت حملة على الخديوي عباس وتعبيراً عن روح  
الشعب الساخط على الأوضاع .

وبهذا يكون المنفلوطي مشاركاً في الحياة العامة منذ حداثة سنه وأبصر  
عن قرب سير المعارك السياسية لأنه وقف على خبايا القصور وما يجري فيها من  
تصريف أمور الشعب فقال معبراً عن إحساسه بذلك الجور الذي يعيش فيه  
المجتمع حوله :-

قدوم لكن لا أقول سعيد	وعمر وإن طال المدى سيئ
علام التهانى هل هناك مآثر	فنفرح أو سقمي لديك حميد
تربنا لا طرف نحوك ناظر	ولا قلب من تلك القلوب جود
تذكرنا رؤياك أيام أنزلت	طيناً خطوب من جدورك سود
رمانا بكم ( مقدرينا ) فأصابنا	مصوب سهم بالبلاء سديد
ظما توليت طغيتم وهكذا	إذا أصبح التركي وهو عييد
فكم سفت منا دماء بريئة	وكم ضمنت لك الدماء لحود
وكم ضم بطن الأرض أشلاء جمه	تمزق أحشائها وكبود
وكم صار شمل للعباد مشتتاً	وخرب قصر في البلاد ممشيد
وسبق عظيم القوم منا مكبلاً	له تحت أثقال القيود وثيد
فما قام منكم بالعدالة طارف	ولا سار منكم بالسداد طييد
كأنني بقصر الملك أصبح بائداً	من الظلم والظلم المين ييد
ويندب في أطلاله اليوم ناعيا	له عند ترداد النداء نشيد
أعاس ترجو أن تكون خليفة	كما ود آباء ورام جود

فِيالَيْتَ دُنْيَانَا تَزُولُ وَلَيْتَنَا  
نَكُونُ بِبَطْنِ الْأَرْضِ حِينَ تَسْوَدُ ( ١ )

والملاحظ أنَّ القصيدة تعبير صادق عن عاطفة المنفلوطي الإنسانية التي حركها الظلم الذي يعيش فيه أبناء وطنه من حوله ، والقصيدة كما سيبدو في تحليلها مثال واضح على شعر المنفلوطي الذي وجد في تلك الفترة متحرراً من القيود اللفظية التي كانت سائدة قبل ذلك .

تحليل القصيدة :

يستقبل الشاعر هذا الخديوى أسوأ استقبال ، فقد بدأ قصيدته بالأسف الشديد لمقدمه ، لأنه قدوم لرجل ظالم ، ولا بد للظالم من أن يزول حكمه وإن طال الأمد .

كُلِّمَ التَّهْنِئَةُ ؟ ، وَعَلَّامُ الْأَفْرَاحِ ؟ فلا شيء من المحامد أو المآثر يستحق ذلك ، بل إن ذلك الظالم لا يستحق حتى النظرة ، فمن الأولى ألا تحمل له قلوب الناس مثقال ذرة من الحب والسود .

وكيف يكون ذلك ؟ وهو الذي تُثِيرُ رُؤْيَاهُ ذَكَرَى تلك المآسي التي نزلت بمصر منذ دخوله أجدا به ، يقول الشاعر :-

تَهْرَبْنَا لَا طَرْفَ نَحْوِكَ نَاطِرٌ      وَلَا قَلْبَ مِنْ تَكَ الْقُلُوبِ وَدُورٌ  
' تَذَكَّرْنَا رُؤْيَاكَ أَيَّامَ أَنْزَلْتَ      طِينَا خُطُوبٍ مِنْ حَدُودِكَ سُودٌ

١ - نشر هذه القصيدة بمجلة الرسالة في أكتوبر عام ١٩٥٢ ضمن مقال فيه  
للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي بعنوان ( المنفلوطي الشاعر الجريء ) ، كذلك  
نُشِرَتْ مع بعض الزيادات في الجمهورية ٢٣ مايو سنة ١٩٥٦ م

ثم يذكر الشاعر أن تلك العصية الحالة بهم كان سببها (مقدونيا) الذي أصاب  
مصر بسهم من البلاء شديد ، حتى إذا تمكن الأتراك من الولاية استفحل طغيانهم  
وهذا هو شأن الجنس التركي في تسلطة وُغفوانه .

فكم من دماء بريئة ضمنتها اللهود وكم من أشلاء مفتتة ضمتها تلك اللهود  
وتقطعت لفقدها القلوب . يقول :-

ظمًا توليتهم طفيتهم وهكذا	إذا أصبح التركي وهو عميد .
فكم سفكت دماء بريئة	وكم ضمت تلك الدماء لهود
وكم ضم بطن الأرض أشلاء حجة	تمزق أحشائها وكبود

ثم ماذا ؟؟

لقد أصبح قصر الملك المنشيد خراباً بسبب الحكم الجائر حتى أن عظماء  
البلاد وكبارهم سيقوا مبكّلين بقيودهم مستقيتين بأنينهم ، ولكن هيهات فلا  
جد يد منهم ولا قديم ناصر للحق أو مقيم للمعدل  
فهذا قصر الملك قد بدا مقوضاً لما أحاط به من جور وطغيان وذاك الناعب  
في أطلاله ، قد أصبح ندبه إنشودة لا يطمأ اللسان ، تلك الأنشودة التي يردد  
فيها قوله :

أعاسر ترجو أن تكون خليفة	كما ود آبائهم ورام جدود
فياليت دنيانا تزول وليتنا	تكون بطن الأرض حين تسود



وقد بدت معاني الشاعر قوية هادفة ، تهيب بالشعب أن يشور ثورته على  
العدو .

أما عاطفة الشاعر فتبدو حيّاشة مشبوه تدلّ على تأثر المنفلوطي بظروف  
أمته ، وما يحيط بمجتمعه من ظلم واستبداد ، ولم لا يكون كذلك ؟ وهو الداعي  
الى المثل الإنسانية النبيلة في أدبه . ١٤

تجلى شرارة تلك العاطفة في ذلك الأسلوب الإنشائي الذي استعمله الشاعر  
في قصيدته كقوله :-

( علام التهانى ، هل هناك مآثر  
ر ( أعباس ترجو أن تكون خليفة )  
فنفج أوسعي لديك حميد )  
( فياليت دنيانا تزول وليتنا . . )

وهو الى جانب ذلك عاطفة متنوعة تنور أحياناً وقد بدا ذلك في أسلوبه الإنشائي  
ثم تهدأ أخرى ، ويبدو ذلك في أساليبه الخبرية في القصيدة . وهكذا تسير  
وفقاً لشعور الأديب ودرجة انفعاله في كل بيت من أبيات قصيدته .

وقد استعمل الشاعر في خياله بعض الصور البلاغية كالتعبيرات المجازية  
في قوله :

( قلب ودود ) ( دماء بريئة ) ( شمل للبلاد )

والتشبيه في قوله :-

( كاني بقصر الطك أصبح بائداً )

ولكن الخيال هنا بدا غير مجنح والصور ليس فيها جدء ولا ابتكار

أما أسلوبه فبدا سهل الألفاظ خالياً من التعقيد اللفظي أو المعنوي -  
 وذلك ما عهدناه في أسلوب المنفلوطي دائماً - أضف الى ذلك سلاسة عباراته  
 وجمالها .

وأسلوبه بصفة عامة أسلوب سهل واضح صحيح التركيب إلى جانب سلاسته وخلوّه  
 من الألفاظ العامية أو الركيكة والدخيل كذاً خالٍ من المحسنات البديعية الزائدة  
 التي تطفئ على المعنى وتفسده وهذا خلاف ما عهدناه في الشعر في عصر المنفلوطي  
 كما سبق أن أشرنا ( ١ )

أما موسيقا الشاعر فبدت متناوِجة تسير وفقاً لعاطفة الشاعر ومدى انفعاله  
 في كل بيت من أبيات القصيدة ؛ فتعلوا أحياناً وعندها يظهر الأسلوب الإنشائي  
 ( علام التّهاني هل هناك مآثر ؟ )

( فياليت دُنْيانا تزول وليتنا )

( أعاس ترجو أن تكون خليفة )

وتهدأ أحياناً أخرى ويدو ذلك في أساليه الخيرية

( فما قام منكم بالعدالة طارف . )

( كأنني بقصر الملك أصبح بائداً )

كذلك بدت قوة الموسيقى وشدة رنينها في استعماله لرويّ الدال المضموم  
 التي يتردد صداها في القلوب مما يدل على نفسه الشاعر .

---

١ - فضلاً راجع حالة الشعر في عصره ص ٣٧ من هذا البحث

المعاني الانسانية فيها :-

لَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ كَانَتْ نِعْمَةً عَلَى الْخَدِيِّوِي وَلَكِنَّهَا كَانَتْ نِعْمَةً عَلَى الشَّعْبِ وَعَلَى الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مَوْضُوعَهَا بِصَفَةِ عَامَّةٍ مَوْضُوعَ إِنْسَانٍ فِيهِ تَعْبِيرٌ وَاضِحٌ عَنْ مَشَاعِرِ الشَّعْبِ الْمَصْرِيِّ الَّذِي كَانَتْ الْوِيَلَاتُ أَثْنَاءَ الْحُكْمِ الْعُثْمَانِيِّ الْجَائِرِ ، فَكُلُّ بَيْتٍ مِنْ أُبْيَاتِهَا يَحْمِلُ مَعْنَى إِنْسَانِيًّا وَاضِحًا لَا مَرَأَ فِيهِ ، كَمَا يَدُلُّ عَلَى صَفَاءِ نَفْسِ الْمَنْظُوطِيِّ الْحَسَّاسِ وَمَشَاعِرِهِ الرَّقِيقَةِ الَّتِي تَنْفَعِلُ بِكُلِّ مَا يَدُورُ حَوْلَهَا مِنْ عَدْلِ أَوْ ظُلْمٍ وَطُغْيَانٍ ، وَتَسْمُو بِمَشَاعِرِ الْإِنْسَانِ إِلَى الْمَرْتَبَةِ اللَّائِقَةِ بِهَا ، وَهُوَ بِذَلِكَ يَتَّازَعُ عَنْ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ لَا يَعْنِيهِمْ إِلَّا حَيَاتُهُمْ الْخَاصَّةُ يَعِيشُونَ فِي بَرَحِهِمُ الْعَاجِزِ بَعِيدًا عَنْ مَوَئِزَاتِ الْعَصْرِ وَأَحْدَاثِ الْحَيَاةِ حَوْلَهُمْ .

## كتبه

أولا : مؤلفاته :-

أ - النظرات :-

تقع النظرات في ثلاثة أجزاء ، وهي عبارة عن مجموعة مقالات

تعالج قضايا عصر المنفلوطي الإجتماعية وتتسم معالجته لهذه القضايا

باتجاه إنساني واضح المعالم مع ارتكازها على أساس ديني توجيهي ( ١ )

وهذه المقالات قد نشرت متفرقة بصحيفة ( المؤيد ) التي كان يحررها

الشيخ علي يوسف ولعل أهم ما يميز هذه المقالات ميزتان أساسيتان :-

أحدهما : تتناول الشكل

والأخرى : تتناول المضمون أو الموضوع

أما من حيث الشكل ( فإنها كتبت في أسلوب نقي خالص ليس فيه شئ

من العامية ولا من أساليب السجع المتلوية إلا ما يأت عفواً ) ( ٢ )

وهو وإن قلد الجاحظ وابن المقفع في أسلوبهما ولكنه . . ليس التقليد

الواضح المكروه وإنما يعيد السبك بطريقته المتميزة والتي توحى للقاري

بشخصيته الخاصة به ( ٣ )

( أما من حيث الموضوع فقد اختار الحياة الاجتماعية لبيئته ، واتخذها

ينبوعاً لأفكاره ، وتحول فيها بتأثير أستاذه الشيخ محمد عبده إلى صالح اجتماعي ، فهو

١ - فضلا راجع ( تأثيره بتعاليم الإسلام ) . ص ٢١ من هذا البحث أيضا الباب

الآخر من هذا البحث .

٢ - د . شوقي ضيف - الأدب العربي المعاصر في مصر ص ٢٣٠ ط ١

٣ - نفس المرجع . بتصرف

يردّد آراء المصلحين من حوله ويؤدّيها بلغته التي تأسر السّامع وتخلب لبه ( ١ )  
ولن نورد هنا أمثلة من النظرات لإثبات صحة القول السّابق لان الدّراسة  
فى هذا البحث ترتكز معظمها عليها لأنّها من بنات أفكار الكاتب وحده ولمّا  
تتضمنه مقالاتها من انسانية فاضله .

ب - العبرات :-  
وهى مجموعة من القصص بعضها مترجم وبعضها من وضع الكاتب  
وتأليفه وكلّها - كما يدلّ اسم الكتاب - تتسم بالطابع الحزين المؤثّر سواء  
كانت ذلك فى المضمون أو الأسلوب ( ٢ )

؛

- 
- ١ - د . شوقي ضيف الأدب العربى المعاصر فى مصر . ص ٢٣١
  - ٢ - سنتناول كل قصة فى العبرات لبيان المواقف الإنسانية فيها وسيرد ذلك فى  
موضعه من البحث إن شاء الله .

ثانياً : مترجمات : وهي عبارة عن قصص حزينة مؤثرة فيها ملامح إنسانية  
 كثيرة ، ترجمها المنفلوطي عن الأدب الفرنسي ، أو بالأحرى كان هناك من  
 يترجمها قبله ترجمة حرفية ، لعدم إتقانه للفرنسية ، ثم يقوم المنفلوطي بترجمتها  
 مع بعض التصرف .

وفيما يلي من الصفحات سنتناول كل قصة على حدة ليبيان المواقف  
 الإنسانية فيها ، لأنها وإن كانت ليست من تأليف الكاتب ، إلا أنها من  
 اختياره وفي اختياره لهذا النوع من القصص دليل واضح على مصادفته مواقفها  
 من هوى فؤاده لما بها من ملامح إنسانية لا يعرفها إلا ذوو القلوب الرحيمة .

أ - ماجدولين أو ( تحت ظلال الزيزفون ) : وهي رواية من تأليف الكاتب الفرنسي

( ألفونس كار ) ، قام بتلخيصها وترجمتها مع بعض التصرف السيد مصطفى لطفى المنفلوطي ، وهي :

تحكي قصة شاب بائس فقير يدعى ( استيفن ) ، ويحظى بدرجة لا بأس بها من العلم والمعرفة ، قد أستأجر الطابق العلوي من منزل رجل فقير له فتاة جميلة تدعى ( ماجدولين ) ، وكان لهذا المنزل على صفه - حديقة غناء ، وتحف البساطة والهدوء من كل جوانبه مما يشعر ساكنيه بالطمأنينة والراحة التامة .

كانت ( ماجدولين ) على صلة وثيقة بصدقتها ( سوزان ) وكان حبلا المراسلة دائم الإتصال بينهما .

أما ( استيفن ) فكان صديقا لوالدها ، حيث يربط الود والتفاهم صداقتهما برباط وثيق ، وكثيرا ما كانوا يتناولون أحاديث النباتات بينهما أما علاقة ( ماجدولين ) - ( استيفن ) فكان يغلبها حياء ( ماجدولين ) فلم يظهر حبها إلا بعد فترة طويلة من سكناه بهما .

وعندما ربط الحب بينهما رباطه ونذر بذوره العميقة في قلوبهما ، كانت الحديقة هي الموطن الأول لذلك الغراس ، فأعجب ( استيفن ) بجمال ( ماجدولين ) وصفاء نفسها ونضارة شبابها ، وأعجبت هي الأخرى بسمو خلقه وطيبة نفسه ، ونقاء سريرته وشجاعته النادرة ، فأخذا يتجاذبان أطراف الأحاديث ، في صفاء لا يشوبه كدر ولا ينقصه منغص بين أحضان تلك الطبيعة الفيحاء .

وهكذا توالى أيام سعادتهما ولحظاتها . . . وما أسرع أيام السعادة ! - دون

أن يحسب أحدهما لصدمات الدهر حساب

ولكن . . . لا بدّ للأيام من فعلتها ، ولا بدّ لقضاء الله أن ينفذ مهمما كانت الأسوار منيعة أو الحواجز متينة ، لقد علم والد ( ماجدولين ) بسرّ العلاقة بينهما وبين ذلك الشاب الفقير المعدّم ، فأبى أن ترتبط ابنته بمثله إذ لا مصدر للرزق له يُعولهما ، ولا إرث يعود عليه بإيراد شهرٍ يتولّى أمرهما أن تُقدّر لها الزواج منه .

فحرر والد ( ماجدولين ) رساله للشاب يطلب منه فيها أن يرحل عن سكّنه وأن يقطع علاقته بابنته على أن تستمرّ علاقته به كما كانت من قبل .

قرأ الشاب الرسالة فجئن جنونه ، وطمّت ( ماجدولين ) بالامر ، فقطعت على نفسها عهداً أن تحتفظ بحبه في قلبها مخلصه له في ذلك الحب إلى أن تفارق الحياة مهما فرقت حصروف الدهر بينهما ، وطلبت من حبيبها أن ينزل عند رغبة والدها ويحاول أن يعد نفسه بما يضمن لهما عيشاً هائناً في مستقبل حياتهما ليحلا الدنيا سعادة وحبوراً .

فلم يء الشاب قوة وعزيمة ومضاءً وقرّر الرحيل على أن يعود إليها بعد أن يحقق أمل والدها في شريك حياة ابنته .

وصل استيفن إلى ( كويلانسر ) موطن أهله وذويه فأقام والده حفلة رقص كبيرة استدعى فيها أعيان المنطقة ووجهاءها ، وطلب من ابنه أن يتزوج من فتاة ثريّة قد اختارها له لتستقيم حياته ويودّع أيام البؤس والشقاء .

رفض استيفن ذلك الزواج ، فما كان من والده إلا أن طرده من منزله ، ولكن . . . تبعه أحد أقربائه فزوده ببعض المال ليستعين به على رحلته المجهولة .



سار ( استيفن ) في طريقه وهو يعمل نفسه بآمال عراض وآمانٍ حسان ، فرسم  
للمستقبل حياته ماشاء من الخطط والنظم ، حتى وصل في الأصل إلى ( جوتج )  
وهي البلدة التي تعلم في مدرستها وقضى فيها أكثر أيام صباه ، فذهب ساعة وصوله  
إلى أستاذه القديم في الموسيقى ويدعى ( هومل ) ليُفْضِي إليه بشأئه ، ويستعين  
به على حاجته ، فكان له بمثابة الأب الرحيم وكان ( استيفن ) أثيراً عنده عن غيره  
من التلاميذ ، فلما وصل إليه عقد الحياة لسانه ولم يستطع أن يُفْضِي إليه بشيء  
ما في نفسه إلى أن مرت أيام على ذلك ، فسأله أستاذه عن مخططاته لمستقبل  
حياته ، فتحدث ( استيفن ) في إجابته فاشار عليه أن يفيد من هذا الفن الذي  
تعلق به ( الموسيقى ) لما سيعود عليه من الرّيح الكثير بسببه ، وهنا حلت عقدة  
الحياة من لسان ( استيفن ) فقضى على أستاذه قصته وصارحه برغبته ، فوعده  
أستاذه بمساعدته والأخذ بيده ثم كان له ما أراد

دبر الأستاذ لاستيفن عملاً بإحدى المدارس في تلك القرية بعائد ضئيل من  
المال على أن يزيد الضّعفين بعد ثمانية شهور ، فاستقرت نغمة الشاب واطمأن إلى  
حاله الجديد ، وبدأ يرسل ( ماجدولين ) ليخبرها بحاله أولاً بأول ، بينما  
كانت ( ماجدولين ) على صلة بصديقتها ( سوزان ) التي طلبت منها الحضور إلى  
مدينتهم لتقيم معها بضعة أيام .

رحلت ( ماجدولين ) إلى صديقتها برفقة والدها ورأت من رفاهية العيش ورغد  
الحال ما لم تعرفه من قبل فطربت لهذه الحياة الجديدة وأخذت برفاهيتها ، ثم  
بعثت إلى ( استيفن ) تطلب منه الحضور لرؤيتها ، فأذن عن لرغبتها وتجشم فرس  
سبيل ذلك ما تجشم من المصاعب . .

حضر ( استيفن ) الى الطعيب في يوم ما، وكانت ( ماجدولين ) جالسة الى جانب رفيقاتها اللائي كنَّ يهزأن من شاب مجهول في هياآت وطبسه بالنسبة الى وسطهن فالتفتت ( ماجدولين ) فاذا هو حبيبها فلم تجد بُدّاً من إخفاء شخصيته عنهن

وهكذا أخذت الحياة الباذخه بلباً ( ماجدولين ) القروية الطيبة وسيطرت على وجدانها وعواطفها النقية الطاهرة واختارت لها صديقتها أحد الشباب الأثرياء وهو ( إدوار ) صديق حبيبها القديم - اختارت له ليكون زوجاً لها وأقنعت ( ماجدولين ) بأن زواجها من رجل ثري سينقذها من ورطتها مع ( استيفن ) وينقذ ( استيفن ) نفسه حياة البؤس التي يحياها ، لأنه سيتزوج هو الآخر من فتاة ثرية ترفع من شأنه وتصلح حاله .

اقتنعت ( ماجدولين ) - للأسف - بالفكرة وأذنت لرغبة صديقتها ، فتزوجت ( إدوار ) وتحللت من عهدتها مع ( استيفن ) بينما تحسنت أوضاع ( استيفن ) حبيبها الأول بسبب إرث ورثه من قريب له كان قد قام على خدمته عدة أيام حتى استفتت عنه المدرسة التي كان يعمل بها لطول تغييه عن العمل .

اشتري ( استيفن ) بما ورثه من مال بيتاً صغيراً من طابقين ، أعدّها كما أرادت ( ماجدولين ) وكسا جدران حديقته بأزهار البنفسج التي تروق ( ماجدولين ) مشاهدتها وبعد أن أتم إعداده كل شيء كما أرادت الحبيبة وكما اتفقا من قبل ، رحل وهو لا يعلم بخطبتها لصديقه فلما وصل رأى مالم يكن في حسبانته وفي نفس الحديقة التي كانت موطن حبهما ومسرح آمالهما ؛ ولكن ... حبه لماجدولين أعس قلبه عن فهم الحقيقة الماثلة أمام عينيه وأخذ يحذثها عن نعيمه الحديث وعن تغير حاله ورفاه عيشه الجديد ، ثم مد يده ليقدم لها خاتم الخطبه فإذا به

يرى خاتماً آخراً في إصبعها غير خاتمه الذي كانت قد نسجت من شعره أيام حبهما  
والتى كثيراً ما حدثته عنه في رسائلها إليه

اشتد حُزن ( استيفن ) وزاد خوف قلبه واضطرابه وصار حائراً ملتاعاً  
لا يعلم أخيراً يطير في أجواء أم حقيقة يتوه في ظلماتها ؟ وازدحم الدُموع  
في عينيه وكاد أن يسقط صريعاً ولكنه . . تماسك وحاول محادثة ( ماجدولين )  
ليعلم منها شيئاً ، ولكتها جمدت هي الأخرى وبقيت صامتة في مكانها حتى أخذها  
( ادوار ) وتركها ( استيفن ) في حيرة وضياح بين أغصان الحديقة التي كانت موطئ  
أمانه وراحة نفسه .

وبينما هو يترنح في حيرته تلك خرج صديقة وخطيب حبيته ممطياً جواده  
فاستوقفه وأمسك بعنان فرسه وسأله عن شأن وجوده في دار ( ماجدولين ) فأعلمه  
( ادوار ) بلهجة حمقاء خشنه - أنه خطيب ( ماجدولين ) وما أتى الى هذه  
الدار إلا من أجلها لانهما سيتزوجان عما قريب .

صعق ( استيفن ) لهول المفاجأة وخرج من دار حبيته الأولى وهو لا يلوي على  
شيء أمامه وحوله ثم حطه المارة حملاً الى العربة ، حتى أوصلوه الى الدار التي  
كان يعيش فيها ، ويقف في غرفته يصيح صياح المجانين ، ولكن بصيحاً من نور الأمل  
كان ينير فؤاده ويبعث فيه طمأنينة تريحه الى حد ما ، فكان يرسل ( ماجدولين ) ،  
ويستعطفها مسترحماً قلبها ويناشدها الود والمحبة والبر بالعهد الذي كان بينهما  
وعرض عليها في سبيل ذلك أثنى العروض من مباحج الدنيا وزينتها ولكن هيبتها

فقد بعثت له برسالة قصيرة تخبره فيها أن الله قد اختار له ولها هذا الفراق  
ليسعد كل منهما في حياته الجديدة ، كما أخبرته أنها فعلت ذلك برضاها واقتناعها  
التام . . وأن ليس لخلق آخر ضغط عليها .

سلم ( استيفن ) لقضاء الله المحتوم وحان يوم زفاف ( ماجدولين ) إلى صديقه ،  
فذهب حببها الأول إلى المعبد وحضر ذلك المشهد ولم يعلم بوجوده أحد ، السو  
أن نطق القسيس كلمته الأخيرة سقط المسكين على الأرض مغشياً عليه وخرج الناس من  
الكنيسة وأسدل الليل ستارته على الوجوه ، فأفاق من غشيته وخرج وهو في  
حال يرث لها من الحيرة والضياح لا يعلم كيف يحيا حياته في ظلمات تلك الوحدة  
الموحشة ولا يدري أي فجٍّ من فجاج الأرض يسلك ؟ والأرض أضيق في عينيه  
من كفة الحابل ! ، فإذا هو في منزل الشيخ ( مولر ) والد ( ماجدولين ) ورأى  
المدعوين منصرفين من الحظة ، فتسلل إلى الحديقة وصعد إلى غرفة العروسكين  
فما أن سمع حديثهما حتى سقط مغشياً عليه ورأته الخادم صباحاً ، فطلب منها  
ألا تعلم أحداً بحاله ثم رحل وتلبس بقطر ألماً وحسرة إلى منطقتهم وحينما وصل إلى  
المنزل الذي أعد له لحبيته ، لم يستطع أن يقيم فيه وإنما أقام عند ( فرتز ) وهو رجل  
فقير كان قد تعرف عليه في تلك القرية وكانت زوجته مقيمة معه .

أصيب ( استيفن ) إثر وصوله بحمى شديدة كادت تذهل عقله بل لم يكن يهتف  
إلا باسم ( ماجدولين ) ولا يراودها سوى طيفها يحادثه ويتفق معه على ما يحسب  
أن يفعلاه بعد زواجهما ، فسرّاً لحاله الطبيب ورأى أن يذهب بنفسه إلى حبيته  
الأولى ليطلب منها الحضور إلى هذا المسكين رحمة به ورأفة لحاله ، راجياً أن يكون  
في نظره إليها ومحادثتها له ما يخفف عنه وطأة المرض وشدة الذي طالما كابده منه  
الكثير والكثير . . .

حضرت ( ماجدولين ) بعد غناء شديد بذله الطبيب لإقناع زوجها - ذلك الصديق الفادر - وحضر برفقتها هذا الزوج ورأت ( ماجدولين ) حال المريض فتقطع قلبها حزناً وتمزق فؤادها ألماً وحسرة لما رأت . . . وماهي إلا أيام قلائل ، حتى عادت إلى منزلها تاركة المسكين في حال بائسة حزينة يرثي لها كل من رآه أو علم به .

بريء ( استيفن ) بعض الشدة من مرضه فأخذ البستاني ( فرتز ) يحادثه حديثاً طويلاً ليخفف عنه ألم تلك الصدمة العنيفة التي أصابت فؤاده ، وطلب منه أن يكرس كل جهوده وينفق جل وقته لفته ليصبح ذا شأن تندم عنده ( ماجدولين ) طو تركه ، فنزلت كلمات الرجل منزلة حسنة من نفس الشاب الحزين وأخذ يمشي قيثارته وألحان موسيقاه أحزانه القوية وآلامه العميقة إلى أن أصبح فناناً له شأنه وذاع صيته في الآفاق وكثيراً ما شاهدته ( ماجدولين ) وزوجها في الحفلات التي كان يحييها بفنّه وعزفه الطروب ، وكثيراً ما كان هو يراها ولا يكتشر ويخفي آلامه بين حنايا أضلعه دون أن يشعر هي بشيء منها ، فحرك أمره كثيراً من التساؤلات في نفسها ، أما زال ( استيفن ) يحبها أم لم يعد يهمل أمرها ؟ وودت لو تعلم حقيقة الأمر منه ولكنها لم تستطع .

مرت الأيام تلو الأخرى وصيت استيفن يطبق الآفاق شهرة ونجاحاً . . . أما ( ماجدولين ) فبدأت تشعر بطل زوجها منها وتغير حاله معها وكشفت صديقتها ( سوزان ) بأمرها في رسائلها ، فأخذت صديقتها تخفف عنها إحساساتها مؤكدة لها أنها مجرد أوهام تريد أن تكدر عليها صفو حياتها ، في الوقت الذي كانت فيه ( ماجدولين ) واثقة كل الثقة من إحساسها بتغير زوجها من ناحيتها .

لقد باع ذلك الزوج ذلك القصر الذي كانوا به ولم يبق لهما شيء من المال ،  
حتى مرض مرضاً شديداً فحضر ( استيفن ) لمساعدتها والقيام بشأنيهما عدة أيام ،  
ثم اقترح عليهما أن يذهبا معه إلى قريته فاستجاب صديقه لرغبته ورافقتهما  
( ماجدولين ) .

وصلت ( ماجدولين ) إلى منزل ( استيفن ) فما أن رأت أشجار البنفسج  
تطلُّ الدار ورأت كل شيء وفي تلك الدار كما كانت تتمناه من قبل وما أن رأت ذلك  
حتى جاشت في نفسها الأشجان ولكتها تأسكت وأخفت أمرها ، بينما سهر  
( استيفن ) على راحة زوجها وتمريضه حتى قارب الشفاي ، ثم عادا إلى موطنهما

وفي ليلة حالكة السَّواد هرب ( ادوار ) تاركاً زوجته وحيدة ليس لها أنيس ولا حتى  
شيء من المال لتعيش به باقي حياتها ، فاضطرت إلى بيع المنزل الذي تركها  
لها والدها لتسدَّ به دين زوجها .

لم تجد ( ماجدولين ) بداً - في حالتها تلك - من العودة إلى موطنها الأول  
حيث وجدت دارها القديمة التي قد باعها - ورأت البستاني وزوجته فطلبت منهما  
أن يستأجرا لها الفُرقة الصغيرة التي كان يسكنها ( استيفن ) في حياة والدها  
فرثيا لها ، وأسكنها تلك الفُرقة والحسرة تمزق قلوبهما ، حتى إذا جالها المخاض  
وضعت طِفلة اسمها ( ماجدولين )

لم يكن حبيبها الأول يعلم من أمرها شيئاً ، حتى علم أخيراً بانتحار ( ادوار )  
- زوجها - فلم يجد بداً من البحث عنها حتى وجدها وكاد أن يعود إلى حبِّه الأول

لولا تذكره لحدِيثها مع زوجها الأول ليلة عرسها - والذي حمَّ بسببه - فتبادر  
الى الخروج مسرعاً وتركها تغط في ألم عميق وحسرة لا تنتهي ثم عاد الى قريته .

وفي اليوم التالي جائت ( ماجدولين ) متخفية الى منزل ( استيفن ) حاملاً  
إبنتها في صفت ووضعته عند بابها ثم تركته ومضت الى سبيلها وقد رآها  
البستاني وزوجته ، فأخبراه بالأمر بعد استيقاظه .

سأل ( استيفن ) بعد عن وجهة تلك المرأة فعلم أنها أتجهت الى النهر  
وأدرك أنها ( ماجدولين ) حبيته الضائعة - فاتجه مسرعاً الى وجهتها ، فاذا بأناس  
كثيرين يشيرون الى جثة طافية على سطح الماء ويحاول أن يلقوا بنفسه لئلا ينفذها  
فاشفق الناس عليه وأسكوه به ولكنه ألقى بنفسه وسط الماء وتبعه البستاني ومازالا  
يرسبان مرة ويظفوان أخرى ويصارعان في هبوطهما وصعودهما جياورة الأمواج  
صراعاً عنيفاً ، ثم انفج الماء عنهما وهما حاملان الفريضة لا يعلمان أحية هي  
أم فارقت الحياة ؟

علم الناس بموتها بينما جثا ( استيفن ) يصرخ بصلاتهم ويدعو بدعائهم مما أبكى  
الناس جميعاً . ثم سكوت فجأة ، فهاهم بسكوتهم وجموده أكثر من هولهم بجزعهم  
وبكائه .

أخذ ( استيفن ) الجثة بين يديه وصعد الى الفُرقة التي كان قد أعدّها  
لعرسهما وألقى بها على السرير - الذي حرّته الحياة عليها فأحله الموت لها ،  
والذي كان بالأمر سرير عرسها فصار اليوم لحدوها الأخير - وكشف غطاءها ثم  
قبلها ومالبت أن سقط مغشياً عليه ، وتولى البستاني دفن الجثة ، حتى إذا أفاف  
( استيفن ) من غلظه سأل عنها فعلم أنها لحقت بمشواها الأخير ، فهرع الوهبرها

وجثاً فوقه ساعات وساعات يضرب بفأسه الأرض حتى خيل إليه أنه هشم رأسها فعاد مسرعاً إلى المنزل وأخذ البستاني إلى هناك فأكد له أن كل شيء ، كما هو وأن ماتوهما لم يكن صحيحاً واستمرت حاله تلك أياماً طويلة تاركاً الناس وشهرته مختلفاً إلى القبر صباح مساءً غير متذوق طعماً للحياة بعد رحيل ماجدولين إلى الدار الآخرة ، بل تمنى لو يأخذه ملك الموت سريعاً إليها .

وهكذا انقطعت أخباره عن ( كويلانس ) المنطقة التي اشتهر فيها وكان غيرة جبينها المتلائية وشمس جمالها الساطعة ، وتساؤل عنه أصدقاؤه ومعلموه ومعارفه ومعجبوه حتى عرفوا قصته ، فعزموا أن يخرجوه من عزلته ويعثوا إليه خطاباً يعلموه فيه بحضورهم إليه في اليوم التالي .

رحل إليه كل أولئك في أصيل اليوم التالي مستصحبين مساهمهم وفتيانهم ، حتى وصلوا إلى القرية فاستقبلهم ( استيفن ) على باب داره باغماً منطلقاً ، كأنه لم يحبل بين جنبه ذرة من الأسى والحزن بينما كان قلبه يذوب بين أضلاعه ذوب السحابة في بوتقتها ، فأغراهم أمره وتبادلوا الأحاديث معه طو الأحاديث ، حتى إذا ذكروا ( بتهوفن ) تطوع هو بالحديث عنه لأنه كان صديقاً لأستاذه الذي علمه الموسيقى ، وما أن وصل ( استيفن ) إلى نهاية حديثه عنه حتى اهتقع لونه وتفضن جبينه وأطرق برأسه إلى الأرض ، فانتبه إليه القوم ، فإذا هو واضع يده على قلبه وإذا دموعه منهلة على خديه انهلالاً ثم نهض من مكانه فجأة ومشى يقدم هادئة مطمئنة إلى كرسي البيانو وجلس عليه وأخذ يسمعهم لحن بتهوفن الأخير ( ربِّ لم أشقيتني وما أشقيت أحداً من عبادك ، وأخذ يغني بصوت خافت ، بينما كانت عواطفه تشتعل شيئاً فشيئاً حتى دوى اللحن فأرجأ الفضاء ، فأطرقوا بروء وسهم لإجلالاً واعظاماً له وخيّل



اليهم أنهم لا يرون مغنياً يوقع على أوتاره بل ناكلاً متجعجاً يذرف دموعه ويصفق زفراته ، وكان كلما استمر في غناؤه اشتدت تأثره والتهبت عواطفه وتلوى صوته بصوت الأئين المحزن حتى فني عن نفسه وعما حوله ، واستولت عليه حالة غريبة من الذهول والاستغراب ، فما إن أتى إلى النعمة الأخيرة - وكانت أطول النعمات وأطولها - وأنهبها في أجواء الفضاء حتى نهض القوم جميعاً على أقدامهم وأخذوا يصفقون له تصفيقاً شديداً هاتفين ( يحيا استيفن )

وهنا وهم على تلك الحالة من الهتاف والتصفيق بنجاحه إذا به مائلاً برأسه على ظهر الكرسي وقد اقشعر وجهه وتغيرت سحنته ثم وضع كفه على أحشائه متألماً ، فحملوه إلى سريريه ودعا البستاني إليه ، فأوصاه أن يدفنه في قبر ( ماجدولين ) وأن يحسن تربيته لينتها ويزوجها بمن أرادت ثم أوصى له بكل ما يملك من مال أو غيره .

وهكذا لقي ( استيفن ) ربه بعد أن كابد ما كابد من عذاب وماهي إلا أيام قلائل حتى كبرت ( ماجدولين الصغيرة ) وأحببت ابن البستاني فتزوجا وعاشا هائنين في حياة تطلها السعادة والحبور .

التعليق :

تلك هي رواية ماجدولين التي عرضها المنفلوطي عرضاً ملخصاً في أسلوب بديع جميل لا يشعر القارئ نحوه بطل الأسلوب المترجم من لغة إلى أخرى وهذه هي عاداته في كل ما ترجمه من قصص أو روايات .

ولاشك أن الرواية تحتوي على مواقف إنسانية فاضلة إلى جانب تمثيلها  
 لصورة من صور الشقاء الذي كان يطرب له المنفلوطي وينكب أنكباً على  
 قراءته وهذا ما أخبرنا به نفسه في مقدمة النظرات ( ١ )

المواقف الإنسانية فيها :  
 \_\_\_\_\_ تزدحم الرواية ولا شك - بالمواقف الإنسانية التي استهوت  
 المنفلوطي وهش لها قلبه من ذلك مثلاً موقف ( استيفن ) من ذلك الفريق الذي  
 حكى عنه ( سوزان ) لـ ( ماجدولين ) في رسالتها فأخبرتها أن رجلاً نزل النهر  
 فتخبط في أمواجه ولم يستطع النجاة ، ولم يحاول أحد إنقاذه بينما أخذ رجل يدفع  
 الجميع بمنكبيه ، وينزل بين الناس انزلاق السهم إلى الرمية حتى ألقي بنفسه وسط  
 العباب وسبح وما زال يهبط وراء الفريق ويرتفع حتى انفجر الماء عنهما وإذا بهما  
 صاعدان ، وقد أمسك الرجل بزراع الفريق ولكنه ظن أن هذا الرجل سيدفعه إلى الماء  
 فما كان منه إلا أن خبطه خبطة قوية في صدره وانشب أصابعه في عنقه ثم لفه بساقه  
 لفة قوية كادت أن تنهشم لها عظامه فاستياسر الرجل وظن أنه هالك لا محالة ، ورفع  
 يديه إلى السماء ، ناطقاً باسم ( ماجدولين ) وماهي إلا لحظات حتى نجا هذا الرجل  
 بنفسه وطلب منه الناس أن ينجو بنفسه ولكن أبت عليه شهامة أن يترك الفريق ، فألقى  
 بنفسه في النهر مرة أخرى وما زال يصارع الأمواج حتى صرعاها وأخرج الفريق من الماء  
 وكان ذلك الرجل السهم هو ( استيفن ) بطل هذه الرواية . ( ٢ )

١ - فضلاً راجع قول المنفلوطي في النظرات ح ١ ص ١٦  
 ٢ - المنفلوطي . ماجدولين . ص ٢٥ بتصرف دار الثقافة - بيروت

وثمة موقف آخر نعتقد أنه أعجب المنفلوطي هو موقف العفة والمحافظة على الفضيلة في هذه الرواية ، فقد حاول ( استيفن ) مرة أن يقبل جبين ( ماجدولين ) فامتنعت ، ثم بعث اليها برسالة يعاتبها على ذلك فاجابته بكلمات ملؤها العفاف والشرف اذ قالت :-

( فوالله ما احتفظت بعرضي إلا لك ، ولا منعتك نفسي اليوم إلا لأبذلها لك غداً ، أنت اليوم حبيبي ، وغداً تكون زوجي ، وكل ما أصنعه أني توسلت السو حبيبي أن يزفني تقيّة طاهرة إلى زوجي ) ( ١ )

كذلك في الرواية حديث لماجدولين يدل على تصرف المنفلوطي ، في الترجمة لما يحمله ذلك الحديث من موقف إنساني نبيل أخذ معناه وأصوله من القرآن الكريم وهو قول ( ماجدولين ) لـ ( استيفن ) والذي تخفف به حدة صبر وقوته فتقول :-

( واعلم أن الله ما ألهمني الصبر عنك ، وألهمك مثل ذلك في مثل هذا الموقف الذي تطيش فيه العقول وتطير رواجع الأحلام ، إلا وقد أرأد بنا خيراً في جميع شئوننا وقد رلنا السعادة والهناء في مستقبل أيامنا ) ( ٢ )

فهذا موقف إنساني منها بلا ريب ولكنه في الوقت نفسه يدل كما قلنا على تصرف المنفلوطي بما تُلقيه عليه ثقافته الإسلامية ألا تراه متأثراً فيه بقول الله تعالى :-

( فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسُوهُنَّ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ) ( ٣ )

ثم ماذا ؟ ثم هناك موقف آخر لـ ( استيفن ) يلوح لي أنه أعجب المنفلوطي أيضاً - ذلك

١ - المنفلوطي - ماجدولين ص ٣٩

٢ - نفس المرجع ص ٤٧

٣ - القرآن الكريم - سورة النساء آية رقم ١٩

الموقف الذي صدر عن (استيفن) مرة أخرى يطل هذه الرواية - وهو بعد لم يحصل على العمل في القرية التي رحل إليها ولم يكن لديه سوى اليسير من المال ليقيم به أوكد حتى يلقى عملاً يعود عليه بما يقيم حياته ويصلح شأنه ، نقول أنه مع حاله تلك أناه شاب بالي الشباب رث الهيئة هزيل البدن وطلب معونته ، فأطرق ( استيفن ) برأسه حياء منه ، فأخبره الشاب أن زوجته وأولاده سيلقون حتفهم جوعاً إذا لم يعد إليهم بطعام يُسبك ريقهم فما كان من استيفن إلا أن سأله عن مدى حبه لزوجته وعندما تأكد من ذلك أعطاه كل ما يملك من مال قائلاً :-

( لقد أنقذتها من مخالب الجوع بضعة أيام ، وأسأل الله أن يغير لهما من يتولى شأنهما بعد ذلك ) ( ١ )

نعم تلك هي رواية ( ماجدولين ) الحاضرة بمواقفها الإنسانية السامية فلأي موقف هو أعظم من إيثار المرء لغيره في وقت هو أحوج ما يكون فيه الى هذا المال ... بل وأكثر من هذا نرى ( استيفن ) يدعوه في تلك اللحظة - يدعوه أن يسخر لهما من يتولى أمرهما بينما ينسى أن يدعو لنفسه معهم أن يهبوا الله له عملاً شريفاً ينقذه مما هو فيه . نعم هذا هو الإيثار بعينه الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز والذي تأثر به المنفلوطي فقال تعالى :-

.. ( وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ) ( ٢ )

ولا ننسى هنا موقف ( استيفن ) أيضاً من صديقه ( ادوار ) ذلك الصديق الغادر الذي طعنه طعنة نجلاء فتزوج حببته رغم إيوائه له لمدة شهرين عندما طرده

١ - المنفلوطي . ماجدولين ص ٦٩

٢ - القرآن الكريم - سورة الحشر آية رقم ٩

أهلوه وذوره فقد ذهب إلى منزل ( استيفن ) واركب أثناء إقامته عنده فعلة<sup>١</sup>  
 أوجبت عقابه ، وعندما جاء من يسأل عنه تصدر ( استيفن ) منتحلاً شخصية صديقه  
 فتحمل من الرجل لطمه أظلمت لها عيناه ثم دعاه إلى مبارزته على ضفاف النهر فلبس  
 ذلك ليحمي صديقه الذي لا يفقه من أمر المبارزة شيئاً وكتب لماجدولين رسالة<sup>٢</sup>  
 يخبرها فيها أنه مات في مبارزة شريفة إن قدر له الموت ، فكتب الله له الحياة ولكنه  
 جرح في ذراعه جرحاً بليفاً حتى أوقف الناس المبارزة وتصالح الخصمان ( ١ )

وهكذا تحمل استيفن كل ذلك في سبيل إنقاذ صديقه ولكن هيهات أن يحفظ  
 هذا الجميل ؛ بل كان جزاؤه - جزاء سنمار -

ولكن . . . هل ينبغي ( استيفن ) بعد كل ما لقيه من صديق عن تقديم خدماته  
 الإنسانية الفاضلة له أو لماجدولين ؟  
 وهل هناك إنسانية أرحب من أن يذهب استيفن إلى هذا الصديق - الذي خانه  
 في حبيته واختطفها منه - هل هناك إنسانية أعظم من أن يذهب إليه عندما علم  
 بعجزه ومرضه ؟ فأقام على راحته وتمريضه أياماً طويلة ثم اصطحبه وزوجته إلى داره ليقوم  
 على رعايتهما بنفسه وماله دون منة أو تردد ، حاملاً الأسى بين ضلوعه وحنائيا  
 قلبه ، لا يظهره لأحد ولا ينتقم من أحد ، حتى بعد وفاة ذلك الصديق قام على  
 رعاية ماجدولين وبعد وفاتها تولّى رعاية ابنتها ( ماجدولين الصغيرة )

كل هذا ليعطي للإنسانية حقها من الوفاء والشرف والفضيلة وقد أوصى قبل  
 وفاته بكل ما يملك لهذه الطفة واللبستاني الذي لازمه أيام شقائه ومحنته .

١ - المنفلوطي . ماجدولين ص ٨١ بتصرف

لا شك في أن هذه المواقف الإنسانية الفاضلة هي التي حركت مشاعر المنفلوطي  
فدفعته إلى ترجمة هذه الرواية ضمن ما ترجمه من روايات .

---

ب- في سبيل التَّاج : وهي خلاصة رواية تعشيلية بهذا الاسم للكاتب الفرنسي الشهير ( فرانسوا كوبيه ) ، ترجمها المنفلوطي مع بعض التصرف .

وخلاصة هذه الرواية أنها تحكي قصة قائد كبير في الجيش البلقاني أراد أن يخون وطنه ويخلي الحدود من الحرس ليدخل فيها الجيش التركي ، على أن يكون ثمن هذه الخيانة تتويجه على عرش البلقان ، وقد عزم على هذا الأمر بإيعاز من زوجته التي طالما حلمت بتاج العرش يتلأأ على رأس زوجها مما دفعه إلى توقيع عهد الخيانة مع الترك سرّاً .

وفي الليلة الموعودة ، علم ابنه بالأمر وكان مخلصاً وفياً لوطنه ، فذهب إلى والده ليُشّيه عن ذلك بشتى الوسائل ولكنه لم يستطع .  
وعندما شعر الابن بدنو جيش العدو ورفع السيف على والده ففطه وأشعل النار لتنبيه الجيش وإشعاره بالخطر فأنقذ بذلك وطنه من خطأ والده الفادح ، الأمر الذي جعل زوجة والده تسعى بالوشاية بينه وبين الجيش ، وادعت أنه متواطئ سرّاً مع الأعداء ، وأنه يتحين الفرصة لخيانة وطنه ، فرفع الجيش أمره إلى الملك الذي لم يصدق في هذا القائد مازعوه من الخيانة إلا بدليل قاطع بين يديه ، فقدّم له زوجة والده العهد الذي سبق أن وقعه الأب الراحل مع العدو والذي قُتل بسببه ، وكان ذلك العهد يحمل اسم ( آل براكومير ) - وهو اسم العائلة - فثبتت التهمة على الابن البريء الذي لم يحاول حتى إنقاذ نفسه من هذه التهمة رغم كثرة الظروف المتاحة لتبرئته ، لأنه يعتقد أن سداً فاعه عن نفسه يعني أنه قتل والده مرتين ، فأثر أن تلصق التهمة به على أن يعلم الناس أن والده مات مقتولاً لأنه نقض عهد الوطن ، فجعل سره دفين صدره حتى حكم مجلس القضاء فيه حكمه .

المواقف الانسانية فيها :-

لبيان هذه المواقف لابد لنا أن نورد نماذج من الحوار الذي دار بين الابن وابيه والذي يمثل قمة الروح الإنسانية في نغمة الرواية ، تلك المواقف التي هزت المنفلوطي ووافقت هوى في نفسه ، فدفعته إلى ترجمتها .  
يقول الابن (قسطنطين) لأبيه :-

( لا تتبع أمك يا أبي بمرض تافه من أعراض الحياة فالتاج الذي يتناوله صاحبه من يد عدوّه ليس بتاج الملك ، انما قلنسوة الإعدام .

كيف يهنئك ذلك الملك وأنت ترى أمك المسكينه راسفة في قيود الذل والاستعباد تبكي وتستصرخ ولا منجد لها ولا معين وتئن في يد عدوّها القاهر أنين المحتضر المشرف ولا من يسمع أنينها أو يصغي إلى شكاتها .

كيف يهنئك ذلك العيش وأنت ترى أبناء وطنك أسارى أذلاء في قبضة أعدائهم يسوقونهم بين أيديهم سوق الجزار ماشيته إلى الذبح ، فإن خفق قلبك خفقة الرحمة بهم أو العطف عليهم لا تستطيع أن تمدّ يدك لمعونتهم وإنقاذهم ، لأنك قد بعتهم ونقضت يدك منهم فلا سبيل إليهم بعد ذلك ) ( ١ )

( أنكر الدموع التي كانت تذرفها الأمهات على أطفالهن المذبوحين فوق حجورهن ، والمصيحيات التي كانت تصيحها الزوجات والأخوات الواقفات بأبواب السجون طمس أزواجهن وأخوتهن ، والزفرات التي كان يصعدّها اليتامى التاكون على حافات القبور حزينًا إلى آبائهم وأمّهاتهم الهالكين ) ( ٢ )

١ - ترجمة المنفلوطي - في سبيل التاج ص ٧١ دار الثقافة بيروت



( إِيَّايَ أَيَّتْهَا الْفَضَائِلُ الْإِنْسَانِيَّةُ وَالْكَلِمَاتُ الْعَالِيَةُ مِنْ شَرَفٍ وَعِزَّةٍ وَتَرْفَعٍ وَإِسَاءَةٍ ،  
وَأَمَانَةٍ ، وَإِخْلَاصٍ تَعَالَيْنَ إِيَّايَ جَمِيعًا ، إِجْتَنِبْ عَيْنِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَاضْرَعْ عَيْنِي إِلَيْهِ  
أَنْ يَنْصَرِّفَكَ ، وَيَعْدِلَ فِي أَمْرِكَ ، وَلَا يَقْضِي لِرِذِيلَةٍ عَلَيْكَ وَقُلْ لَهُ : إِنَّكَ خَذَلْتَنَا  
وَنَفَضْتَ يَدَكَ مِنَّا ظَنَّا تَجِدُ لَنَا مِنْ بَعْدِكَ نَاصِرًا وَلَا مَعِينًا ) ( ١ )

( يَا أَطْفَالَ الْبُلْقَانِ وَصَفَارَهَا النَّاشِئِينَ مِنْ فَتِيَّةٍ وَفَتِيَّاتٍ أَقْبِلُوا إِلَيْهِ جَمِيعًا  
وَاجْتَمِعُوا مِنْ حَوْلِهِ وَتَعَلَّقُوا بِأَهْدَابِ ثَوْبِهِ وَاسْكَبُوا مَا اسْتَطِيعُونَ أَنْ تَسْكَبُوا مِنْ دُمُوعِكُمْ  
وَشَتَائِكُمْ وَقُولُوا لَهُ : رَحْمَةً بِنَا أَيُّهَا الْأَبُ الرَّحِيمُ وَالسَّيِّدُ الْكَرِيمُ وَحَنَانًا طِينًا ،  
لَا تَكُنْ بِنَا إِلَى أَعْدَائِنَا وَأَعْدَاءِ وَطَنِنَا ، وَلَا تَجْعَلْ مَسْتَقْبَلَنَا وَمُسْتَقْبَلَ بِلَادِنَا فِي  
أَيْدِيهِمْ يَسُومُونَنَا الْخَسْفَ وَيَذَيِّقُونَا أَلْوَانَ الْعَذَابِ ، فَإِنْ أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلَ فَجَرِّدْ  
سَيْفَكَ مِنْ غَمْدِهِ واقطع به أعناقنا فذلك خير لنا من هذا العيشِ المَوْءَمِ الْمَرِيزِ ) ( ٢ )

ظَكَ هِيَ كَلِمَاتُ الْإِبْنِ الَّتِي تَفِيضُ عِزَّةً وَكَرَامَةً وَتَتَدَيُّ بِهَا تَحْمَلُهُ مِنْ مَعَانِ إِنْسَانِيَّةٍ  
فَاضِلَةٍ عَمَرَتْ نَفْسَهُ فَوَجَّهَهَا لِوَالِدِهِ الَّذِي عَزَمَ الْخِيَانَةَ حَتَّى يَرَقُّ قَلْبُهُ وَيَهْزُ مَشَاعِرُهُ .  
وَلِتَسْمَعْ إِلَيْهِ أَيْضًا فِي كَلِمَاتِهِ الْوُطْنِيَّةِ الَّتِي وَجَّهَهَا أَيْضًا لِوَالِدِهِ فِي حِوَارِهِ مَعَهُ فَيَقُولُ : -  
( تَنَحَّ عَنْ طَرِيقِي فَإِنَّ نَفْسِي تُحَدِّثُنِي بِأَفْطَحَ مَا تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسُ صَاحِبِهَا فَبِي  
هَذَا الْعَالَمِ .

قال : إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقْتُلَ أَبَاكَ .

قال : أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَ كُلَّ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ وَطَنِي

١ - ترجمة المنظوم في سبيل التاج ص ٢٤

٢ - ترجمة المنظوم في سبيل التاج ص ٢٥

وَأَنْتِ وَقَفْتَ سِيفِي طَوْلَ حَيَاتِي عَلَى خِدْمَتِكَ وَحِمَايَتِكَ وَالذُّودَ عَنْكَ أَيَّامَ كُنْتَ لوطُنِكَ  
وَقَوْمِكَ ، أَمَّا الْآنَ فَإِنِّي أَعْمِدُ ذَلِكَ السَّيْفَ نَفْسِهِ فِي صَدْرِكَ طَيِّبَ النَّفْسِ مَطْلُوحِ  
الْفُؤَادِ لَأَنْتِ أَعْتَقِدُ أَنَّي لَا أَعْمِدُهُ فِي صَدْرِ أَبِي بَلْ فِي صَدْرِ خَائِنِ وَطَنِي .

قال : لَا تَنْسُو أَنْ لِي يَدًا أَقْوَى مِنْ يَدِكَ وَسِيفًا أَمْضَى مِنْ سِيفِكَ

قال : إِنِّي لَا أَجْهَلُ ذَلِكَ . وَلَكِنَّكَ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ الدَّنَاءَةِ وَالْخِيَانَةِ وَأَقَاتِلُ  
فِي سَبِيلِ الْوَاجِبِ وَالشَّرَفِ وَاللَّهِ مُطْلِعُ عَلَيْنَا مِنْ عِلْيَاءِ سَمَاءِهِ وَهُوَ الْحَكَمُ الْعَدْلُ بَيْنَنَا ) ( ١ )

وهكذا يجد المتبع لهذه الرواية مواقف الشرف والمروعة والفضائل الإنسانية  
الماجدة تزيّن صفحاتها من بدايتها إلى نهايتها ، ولكننا اكتفينا بما ذكرناه من  
نماذج لنؤيد قولنا : أن المنفلوطي لا يترجم إلا الروايات التي تصادف هوى فـ  
نفسه لأن الرجل داعٍ إلى الفضيلة والمعاني الإنسانية بما تحمله من إخلاص ومروعة  
وفاء نادر مع المحافظة على الشرف والكرامة وكل ما يمت إلى الفضيلة بصله ، والرواية  
كما رأينا حافلة بتلك المواقف السامية التي والتي عرضنا نماذج منها .

## ج-الفضيلة :- ( بول وفرجينى )

وهي رواية للكاتب الفرنسي (برنادين دي سان بيير) قام بترجمتها أيضاً  
المنظوطي مع بعض التصرف

وهو تحكى قصة امرأتين لكل منهما ظروف قاسية ومحن شداد ، رمتهم  
إلى جزيرة نائية عن الناس على مقربة من جزيرة مدغشقر ، وهى جزيرة قفراء .  
ليس بها إلا قليل من السكان السود المتفرقين فى جبالها وغاباتها ، يستعبدونهم  
بضعة أفراد من المهاجرين الأوربيين النازلين بينهم ويسخرونهم فى حراثة الأرض  
واستنباتها والعمل على استخراج معادنها وخيراتها .

وكانت لاهدى هاتين المرأتين طفلة أسمها ( فرجينى ) ولأخرى طفل أسمه  
( بول ) ولأولس منهما خادم زنجي يقوم بمساعدتها فى حراثة أرضها وفلاحتها ،  
بينما للأخرى خادمه يقوم بنفس المهمة ، وكانت أرضيهما تعود عليهما بأكلهما وقوت  
يومهما .

أما سكن هذه الأسرة فكان فى كوخ صغير تظله الأشجار وتكتفه السعادة  
والهناء ، فعاش الجميع فى رغد منقطع النظير ورضي كل منهم بطك الحياة البسيطة  
المنعزلة عن الناس بعد أن وجدوا فى الاختلاط بهم ألوان العذاب وأصناف المشقة  
والنصب .

وترعرع الطفلان وسط طبيعة خضراء وماء عذب وتحت سماء صافية ، فشرب  
كلاهما من كأسها الندى العذب وامتزجت دماؤهما بسداجة الطبيعة وصفائهما ،  
فانطبعن على ملامحهما ابتسامة دائمة لاتكاد تفارقهما حتى فى منامهما .

وكبر الطفلان حتى أصبحا شابين يافعين لا يملأ فراغهما إلا طهارة الحديث فى  
أحضان تلك الطبيعة الغناء ولا يكدر صفوهما مكدر واكتسب كل منهما من تلك الطبيعة

ما يلاحظه من خصائص ومميزات فكانت ( فرجينى ) مثالا فى الأدب والحياة والجمال وكان ( بول ) قمة فى الشجاعة والإقدام والنشاط .

أما حقيقة علاقتهما ، فقد ربط الود والإخاء بينهما رباطاً قوياً طاهراً لا يدنسهُ مدسّس ، وكثيراً ما كانا يتعاونان على فعل الخير ومساعدة الآخرين ، حتى أن مجارية زنجية قد استجودت بفرجينى من ظلم سيدها وتفقيره عليها فأطعمتها ثم رافقتها و ( بول ) لتتوسط لها عند ذلك السيد ليحسن معاملتها .

وهكذا رضى الجميع بهذه الحياة ، قانعين بما وهبت الطبيعة من سعادة الأيام ، ونشوة الحياة وراحة البال .

ولكن . . أين تذهب تلك الأسرة من فعل القدر وقضائه ؟

نعم . . لقد أبت الأقدار إلا أن ترمي بنبالها تلك الأسرة السعيدة ، فبينما هم فى غمرة الهناء وظلاله الوارفة ، إذا برسالة تصل الى والدة ( فرجينى ) وكانت هذه الرسالة من عمّتها التى تعتبر من أكبر وأعظم العائلات ثراوى فى ( باريس ) ، تطلب منها هذه العمّة أن تبعث ( فرجينى ) - ابنة أخيها - اليها لتقوم على خدمتها ورعايتها فى آخر سنوات حياتها ، على أن تكتب لها جميع ثروتها بعد وفاتها ، بينما رفضت هذه العمّة مساعدتها والنفقة عليها قبل رحيلها إلى هذه الجزيرة النائية .

اقتنعت والدة ( فرجينى ) بسفر ابنتها إلى باريس ورحبت بذلك لما ينتظر حياتها المقبلة من ثراوى وسعادة ، غير أن ( فرجينى ) رفضت أول الأمر ولم توافق إلا بعد ضغط من الكاهن الذى تعود أن يزورهم من حين لآخر والذي جاء فى هذه المرة مبعوثاً من حاكم الجزيرة الذى كان على صلة قوية بعمّتها الثرية .

رحلت ( فرجينى ) سرّاً في ظلمة ليل ذلك حتى لا تعلم ( بول ) بساعة سفرها ، وهناك فى باريس لقيت مالمقته من ألوان الترف والمتعة ولكنها المتعة الزائفة ومن ثم كرهت باريس وانقطعت حملتها بأسرتها الطيبة ولم يشأ القدر أن يقف بأحكامه عند هذا الحد ، فقد رغبتم ( فرجينى ) أن تزوجهما من أحد الأثرياء فى باريس ، ولكنها رفضته وأمرت على ذلك حفاظاً منها على عهدها الوثيق مع حبيبها الأول مما أشار غضب عمتها وغير قلبها عليها ومعاملتها لها ، فلما شعرت المسكينة بذلك لم تجد بداً من العودة إلى أسرتها .

خرج ( بول ) لاستقبال ( فرجينى ) بمرافقة رجل عجوز - كان صديقاً للأسرة وداعم الزيارة لها - خرجا سوياً للقائه ( فرجينى ) بعد طول غياب ، وكانت الفرحة تملأ قلب حبيبها لما يتوقعه من لقاء سسار وسعادة منتظرة ولكن القدر أبى ذلك وحدث ما لم يكن فى الحسبان ، فقد عصفت بالسفينة عاصفة هوجاء ألقت بركابها جميعاً فى البحر ، فنجوا من نجاة وغرق من غرق ، وحاول بحار إنقاذ ( فرجينى ) ولكن حياؤها وعفتها منعها من الإمساك به والاستجابة لأوامره ، فكانت من المغرقين .

وما هي إلا أيام قلائل حتى لحق بها ( بول ) ثم فى الإثر والدتها فوالدته . وهكذا عاش الحبيبان فى الوفاء والطهر والعفاف كما عاشت الأسرة بعيدة عن الرذائل والآثام حتى لقي كل منهم ربه .

المواقف الإنسانية فيها : اذا تصفّحنا هذه الرواية ، وجدناها حافلةً بالمواقف الإنسانية الفاضلة ، كذلك نجد أبطالها مثلاً حبا في الأخلاق ومحبة الناس أضف إلى ذلك حبّ أفرادها لبذل المعروف ومساعدة الفقراء والمحتاجين ، كما نجد فيهم الوفاء النادر والبساطة الواضحة .

فمن المواقف الإنسانية التي احتوت عليها الرواية :

أن جارية زنجية هربت فارة من قسوة سيدها وتقتيره عليها حتى أصبحت جلداءً على عظم وما أن رحلت إلى ( فرجينى ) حتى جثثها ~~أمامها~~ وكشفت عن جسمها لتريها أثر العذاب ثم أخذت تقول :-

( ولقد حدّثت نفسي كثيراً بالانتحار فما كان يمنعني منه إلا الخوف والجوع ، ثم سمعت الناس يتحدثون عنكم حديثاً حسناً ويقولون ، إنكم وإن كنتم من هذا الجنس الأبيض المخيف ، ولكم قوم محسنون راضون ، فأخرج اليك ياسيدتي أن ترحمني وتعودي عليّ بلقمة أبلغ بها وأن تحولي بيني وبين الشقاء ) ( ١ ) وهنا اشتد بكاءها ونحيبها .

فرقت لها ( فرجينى ) رقة شديدة ونهضت إلى الطعام الذي أعدّته لاسرتها فأنتها به والتهمته الجارية في لحظات وتهلّل وجهها بشيراً وسعادة .

ولم تكف ( فرجينى ) بذلك ، بل بادرت إلى الذهاب معها مصطحبة ( بول ) برقتها لتتوسط لها بنفسها عند سيدها .

( ١ ) المنفلوطي . الفضيلة ص ٥٠

ومما يزيد موقفها السابق فضلاً أن الطريق إليه كان وعراً المسالك بعيد المدى فإذا أضفنا إلى ذلك شراسة السيد وسوء أخلاقه علمنا أن ( فرجيني ) و ( بول ) كانا مثلاً في المروءة وإغاثة الملهوف ، وهذا دليل - من غير شك - على ماتحمه نفسها من قيم إنسانية نبيلة .

وثمة موقف شريف آخر صدر عن ( فرجيني ) أيضاً بمذك أن ( بول ) اقترح عليها أن يعودا إلى سيد تلك الجارية - بعد أن غلّا طريقهما في العودة إلى كوخهما ولم يجدا طعاماً ولا ماءً يسد جوعهما ويمسك رمقهما - ذلك الموقف هو رفضها العودة إلى ذلك السيد الذي أحست في نظراته المكر والخبث وأقنعت ( بول ) بعدم العودة إليه لأن الله سبحانه وتعالى لمن يتخلى عنهما لأنها حافظت على نفسها وصانتها من نظرات ذلك الرجل . ( ١ )

ولنستمع أيضاً إلى الشيخ الذي روى قصة هذه الأسرة وهو يقول :-  
 ( أستطيع أن أقول لك يا بني أن السعادة ينبوع ينفجر من القلب ، لا يث يهطل من السماء ، وأن النفس الكريمة الراهية البريعة من أدران الرذائل وفذارهما ، ومطامع الحياة وشهواتها ، سعيدة حيثما حلت ، وأنى وجدت ، في القصر وفي الكوخ في المدينة وفي القرية ، في الأنس وفي الوحشة ، في المجتمع وفي العزلة ، بين القصور والدور ، وبين الآكام والصخور فمن أراد السعادة ، فلا يسأل عنها المال والنسب وبين الفضة والذهب ، والقصور والبساتين ، والأرواح والرياحين ، بل يسأل عنها نفسه التي بين جنبيه ،

( ١ ) المنفلوطي . الفضيلة ص ٥٢ بتصرف

فهى ينبوع سعادته وهنائه ان شاء ، وصدر شقائه وبلائه ان اراد ، وما هذه  
الابتسامات التى نراها تتلألأ فى أفواه الفقراء والمساكين والمحزونين  
والمتألمين لأنهم سعداء فى عيشهم بل لأنهم سعداء فى أنفسهم ، وما  
هذه الزفرات التى تسمعها تتصاعد من صدور الأغنياء والأثرياء وأصحاب  
العظمة والجباة . لأنهم أشقياء فى عيشهم بل لأنهم أشقياء فى أنفسهم  
وما كدّ رصفاء هذه النفوس ، وأزعج سكونها وقرارها وسلبها راحتها وهناؤها  
مثل عاطفة البغض ، ولا أنار صفحتها وجلّى ظلمتها مثل عاطفة الحب ، فأشقى  
الناس جميعاً المبغضون الذين يضررون الشرّ للعالم فيجزبهم العالم شراً  
بشر ، وأسعدهم أولئك الذين يحبون الناس ويمنحونهم ودّاً هم وصفاءهم  
فيمنحهم الناس من بنات قلوبهم مثل ما منحوهم .

وكذلك استطاعت تلك الأسرة الفقيرة المسكينة أن تكون سعيدة هانئة  
على فقرها وإقلالها وجعجعة المصائب بها ، فقد كانت تحمل بين جنوبها  
نفوساً طاهرة شريفة لا تضر حقدّاً ولا تعرف غلاً ، فأحبت القريب والبعيد ،  
والمحسن والمسيء ، وعطفت على الناس جميعاً ، من تمت إليه بصلة ومن  
لا تمت إليه بصله . . . . . ( ١ )

وهكذا يتجلّى فى الحديث السابق - المنقول على لسان الشيخ -  
فيجلي مدى سمو المنفلوطى أعظم جلاء ، حيث نجد الدعوة إلى تلك المعاني  
الإنسانية الفاضلة فى كل ما كتبه من مقالات فى (النظرات) لأنه رجل أحبّ النفوس  
النقية الطاهرة بل أراد للناس جميعاً نفوساً طاهرة ، وأرواحاً سامية تتطلّع



إلى الفضائل كما كانت أفراد الأسرة السابقة ولعلّ هذا هو السرفى اعجاب المنفلوطي بهذه الرواية الفرنسية فدفعه ذلك الإعجاب إلى ترجمتها لقربها من نفسه وموافقتها هواه وهل هنالك أقرب إليه من هذا القول عن تلك الأسرة :- ( إنهم ما كانوا يظنون بأنفسهم أن يقفوا الوَقَّات الطوال مع من يعترض طريقهم من النَّاس ، فيسألهم حاجة من الحاج أو يستعين بهم على كارثة من كوارث الدَّهر ويدعوهم إلى زيارة مريض أو مساعدة منكوب ، ولا يابون أن يدخلوا الأكواخ القذرة الوبيئة لزيارة المرضى وحواستهم وتفقد حالة المنكوبين والبائسين ) ( ١ )

نعم إن تلك الأسرة كانت نموذجاً للمثل الإنسانية التي يدعو إليها المنفلوطي من عطف على المحتاجين ومُساعدة الفقراء والمساكين فلا غرابة إذاً في قيامه بترجمة هذه الرواية .

وهذا موقف آخر تتجلى فيه المحافظة على الشرف والكرامه أعظم جلاء . هذا الموقف يبذو في نصيحة الأم لابنتها عند رحيلها إلى باريس فلنستمع إليها وهي تقول :-

( . . . ) وان تجعلى الفضيلة والطَّهارة والشرف والعفة رائدك فى كل ماتقولين وماتفعلين ، وأن تأخذى نفسك بالاناة والرقق فى جميع خطواتك وتصرفاتك اتقاء العثرة والزلة ، وأن تجعلى نصب عينيك دائماً أن الرَّجُل لا يحترم إلا المرأة التى ترضى بنفسها عليه ، ولا يحتقر مثل المرأة التى تبذل نفسها له أى أنه يحب المرأة الفاضلة أكثر ممَّا يحبُّ المرأة الجميلة ، بل لا يعرف

للمرأة جمالاً غير جمال الأدب والعفة وأن زعم في نفسه غير ذلك ( ١ )

فلا شك أن هذه نصيحة فاضلة من امرأة أحببت الفضيلة وشجعت عليها بل وأنشأت ابنها على حبها فماتت في سبيلها نقيّة طاهرة .

وستورد هنا حديثاً آخر أصدر أيضاً على لسان الشيخ الرأوي والذي تتجلى فيه روح المنفلوطي المحبة للفضائل والقيم الإنسانية الراقية وكرهه للردّ يلوسة بشتى صورها وأشكالها .

يقول الشيخ في حديثه عن حياته في ذلك الكوخ النائي عن المدينة والحضارة والمتمرغ في بساطة الطبيعة وجمالها بغيداً عن الناس :-

( فأحمد الله على نجاتي منهم وخلاصي من أيديهم ، وعلى أنني استطعت أن أعيش على حساب نفسي لا على حساب الضعفاء والمساكين أو أن أتساول لقمتي مغموسة بدمي لا بد ماء الضحايا والهلكي ، وأن أعود بما فضل عن حاجتي على البائسين والمساكين والساقطين في هوى اليأس . المنقطعين عن قافلة الحياة ولو أن جميع لذائذ الدنيا مأكلاً ومشرباً وملبساً ومسكناً ، وضعت لي في كفة ، ثم وضعت لي في الكفة الأخرى لذتي في هداية تافهه ضل به طريقه ، أو معونة بائس انقطع به أمه لرجحت عليها ) ( ٢ )

وهكذا يبدو لنا أن قارئ ( الفضيلة ) لا يكاد يرى بطلا من أبطالها الا والقيم الانسانية تعمر قلبه بما في تلك القيم من شرف وحياء وكرامة واغاثة ملهوف أو مواساة حزين .

١ - ترجمة المنفلوطي للفضيلة ص ١٠٩

٢ - الصدر السابق ص ١٤٥

وهذه كلها قيم إنسانية فاضلة كرس المنفلوطي جهودَه للدعوة إليها

وسوف نرى صدق ذلك بجلاؤه في الباب الخاص به من هذا البحث ( ١ )

ولعل أكبر دليل على انفعال المنفلوطي بهذه الرواية ( الفضيلة )

هو مبادرته إلى نظمها جاعلاً عنوانها ( بول وفرجينى ) وقد عبر فيها عن القصة

أجمل تعبير وأغنى عليها من ذات نفسه ما أغنى فطمعت إليه في قوله :-

بول وفرجينى ( ١ )

يا بني القنبر سلام عاظم	من بني الدنيا عليكم وتناؤ
وسقى العارض من أكواخكم	معهد الصدق ومهد الأتقياء
كفتم خير بني الدنيا ومن	سعدوا فيها وماتوا سعداء
عشتم من فقركم غيطة	ومن القلة في عيش رخاء
لا خصام لا مرأى بينكم	لا خداع لا انفاق لا ريا
خلق بر وقلب طاهر	مثل كأس الحر معنى وصفاء
ووفاء ثبت الحب به	وثبات الحب في النار الوفاء
أصبحت قصتكم معتبراً	في البرايا وعزاء البؤساء
يجتلي الناظر فيها حكمة	لم يسطرها براع الحكماء
حكم لم تقرأ في كتبها	غير أن طالعتم حُفّ القضاء
وكتاب الكون فيه مُحِف	يقرأ الحكمة فيها العقلاء
ان عيش المرء في وحدته	خير عيش كافل خير هناء
فالورى شر وهم دائم	وشقاء ليس يحكم شقاء

١ - القصيدة مشبوته في نهاية كتاب الفضيلة كذلك في الكواكب والمواكب والدور

وَفَقِيرٌ لِّغَنِيِّ حَاسِدٍ      وَغَنِيٌّ يَسْتَذِلُّ الْفَقِيرَ  
وَقَوِيٌّ لِّضَعِيفٍ ظَالِمٍ      وَضَعِيفٌ مِنْ قَوِيٍّ فِي عُنَاوٍ  
فِي فِضَاءِ الْأَرْضِ خَائٍ عَنْهُمْ      وَنَجَاءٌ مِنْهُمْ أَيْ نَجَاءٌ  
إِنْ عَاشَ الْمَرْءُ فِيهِمْ ذِلَّةٌ      وَحَيَاةُ الذِّلِّ وَالْمَوْتِ سَوَاءٌ

.....

كَيْتَ ( فرجيني ) أَطَاعَتَبُولُ      وَأَنَالَتَهُ مُنَاهُ فِي الْبُقَا  
وَرُثْتُ لِلْأَدَمِ اللَّاتِي جَرَّتْ      مِنْ عَيْنٍ مَا دَرَّتْ كَيْفَ الْبُكَاءِ  
كَمْ يَكُنْ مِنْ رَأْيِهَا فَرَقْتَهُ      سَاعَةً لَكِنَّهُ رَأَى الْقَضَاءِ  
فَا رَقْتَهُ لَمْ تَكُنْ . عَالِمَةٌ      أَنْ يَوْمَ الْمُتَقَى يَوْمَ الْكَلَامِ  
مَا ( لفرجيني ) و ( باري ) أَمَا      كَانَ فِي الْفَقْرِ عَنِ الدُّنْيَا غِنَاءُ  
وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ كَأْسٌ مَزْجَتْ      قَطْرَةُ الصَّبَا فِيهِ بِدَمَاءِ  
لَا يَنَالُ الْمَرْءُ مِنْهُ جِرْعَةً      كَمْ يَكُنْ فِي طَيْبِهَا دَائِمُ عِيَا  
عَرَضُوا الْمَجْدَ عَلَيْهَا بِأَهْرًا      يَدُ حَشِ الْأَلْبَابِ حُسْنًا وَرُؤَا  
وَأَرَوْهَا زَخْرَفَ الدُّنْيَا وَمَا      رَاقَ فِيهَا مِنْ نَعِيمٍ وَشَرَا  
فَأَبَتْهُ وَأَبَى الْحَبْلُ لَهَا      نَقْفُ مَا أْبْرَمَهُ عَهْدُ الْإِخْوَانِ  
وَدَعَاها الشَّوْقُ لِلْفَقْرِ وَمَا      ضَمَّ مِنْ خَيْرٍ إِلَيْهِ وَهَنَاءِ  
فَعَدَّتْ أَهْوَاؤُهَا طَائِرَةً      بِجَنَاحِ الشَّوْقِ يُزْجِيهَا الرَّجَاءِ  
يَأْمُلُ الْإِنْسَانُ مَا يَأْمُلُهُ      وَقَضَاءُ اللَّحْرِ فِي الْكُونِ وَرَامِ

.....

ما لهذا الجوّ أَمْسى قائماً  
ما لهذا البحر أضْحى مائجاً  
وكانَ الفُلكُ في أمواجهم  
و ( لفرجيني ) يدٌ مبسوطة  
يُنذِرُ النَّاسَ بويلٍ وبِلاءٍ  
كبناءٍ بِشامخٍ فوقَ بناءٍ  
ريشةٌ تحمِلُها كَفُ الهَوامِ  
بدعائٍ حينَ لا يجدِي دُعائاً

.....

كَهَفِي والماءُ يطفو فوقه  
زهرَةٌ في الويضِ كانت غُضَّةً  
من يراها لا يراها خُلِقَتْ  
ظنَّت البحرُ ماءً فهُوَ  
هكذا الدنيا وهذا مُنتَهَى  
هَيْكَلُ الحُسْنِ وتمثالُ الضياءِ  
تلاءُ الدنيا جمالاً وبهاءً  
مثلُ خلقِ النَّاسِ مِنْ طِينٍ وماءٍ  
لِتَبَارِي فِيهِ أَفلاكُ السَّماءِ  
كل حيٍّ مالحٍ ، مِنْ بَقَائِ

تحليل القصيدة : موضوع القصيدة انساني عبر فيه الشاعر عن إحساسه تجاه

بطليّ القصة التي ترجمها ، وهي قصة ( الفضيلة ) - أو ( بول وفرجيني )

وقد بدأ الشاعر قصيدته بمقدمة طليّة أهدى فيها السلام لأهل القفر والدُعاء لذي يارهم بالسّقي ثم أخذ يبين فضائل ساكنيها الذين كانوا أسعد الناس بفقرهم ، لبراءة أنفسهم من الخداع والتّفاق والرياء بل كل ما يمكن أن يُصيب المرء من رذائل النفوس المريضة ، فضماؤهم كانت نقيّة ظاهرة بما تحمله من حبّ يكلّه الإخلاص ويشدّ من أفراره الوفاء .

هذان الحبيبان اللذان أصبحت قصتهما عبرة البرية وعزاء بوئسائها لما فيها من حكمة سطرتهما بالقدر تلك الحكمة التي ستبقى عبرة للعقلاء بعدهما ،

ثم يعود الشاعر إلى تأمله ليأخذ العبرة لنفسه من تلك القصة التي رواها  
فيرى أن الوحدة هي الطريق الوحيد للسلامة من الشرور والآثام التي تفيض  
بها نفوس البشر .

فالفقير حاسد للغني ، والغني مُستذل للفقير ، والقوي مُسلط جائر على  
من هو أضعف منه ، والضعيف مُتألم من ذلك الجور ، والحياة في صراع مُستمر  
لا يرى الشاعر لنفسه نجاة منه إلا في الفرار إلى الوحدة ، إذ لا قيمة للحياة  
مع الذل .

ثم يبدأ الشاعر في الإفصاح عن شعوره اتجاه موقف البطلين من بعضهما وبيان  
حسرتة الواغدة لعدم تلبية (فرجينى) لرغبة (بول) صديق طفولتها عند ما طلب منها  
- والد مع ينهمر من عينيه - ألا ترحل إلى عمتها في باريس .

كَيْتَ فَرَجِينِي أَطَاعَتْ (بول) وَأَنَالَتَهُ مُنَاهُ فِي الْبَقَاءِ  
ثم يستدرك الشاعر بتأمله ويرى أن ذلك لم يكن بد أقع من نفسها وإنما دفعها  
إليه قضاءؤها المحتوم .

ثم يبين الشاعر ندمه على رحيل ( فرجينى ) وتساءل تساؤلاً قسراً  
فيه أن بقاءها في ذلك الفقر النَّائِي أفضل من متاع الدنيا في باريس .  
ويعود الشاعر إلى تأمله ونظرته الفاحصة إلى حقائق الأشياء ، فيؤكد  
أن هذا المال ما هو إلا كأس التي امتزجت فيها الخمر بدماء شاربها فتجلى له  
ذلك الكأس داء عضال ليس له دواء .

وذكر المال هنا يذكر الشاعر مرة أخرى (بفرجينى) التي عرض عليها المجد  
والشهرة والجاه والمال فما أغناها ذلك الزخرف الزائل عن عهد الوفاء  
الذي أبرمته مع ( بول ) في قعرها الموحش ، الذي طالما شدها الشقوق

وأرقها الحنين إليه وإلى حياة البساطة الودعة الهانئة فيه . وَرَجَتْ سُرْعَةُ  
الوصول إليه .

ولكن أين المفرُّ من قضاء الله النَّافِذ ؟

ثم أخذ الشاعر في وصف الجوِّ الَّذِي أَظْلَمَتْ فِيهِ السَّمَاءُ ، وارتعدت معه  
أمواج البحر فأضحى كالبناء الشامخ الَّذِي يعلوه آخر مثله لا يقلُّ عنه ضخامة  
وهيبة ، حتى أصبحت السفينة بين أمواجه كالريشة في كفِّ الهواء أما (فرجيني)  
فكانت مبسوطة اليدين مبتهلة إلى الله بدعاء كان قضاء الله أقوى منه وأنفذ .  
ثم يستدُّ حزن الشاعر ولهفه على تلك الغداة الحسناء التي تشعُّ غياءً  
وسبهاً وهي تطفو على الماء ، تلك الغداة التي كانت تملأ الدنيا بجمالها  
وحسنها الأخاذ ، حتى ليظنَّ الناظر إليها أنها ليست كباقي البشر  
من طين وماء بل هي نجم ظنَّ البحر سماءً فهو يهرب إلى ذلك السطح ليباري  
أفلاكه غياءً وساءً فكانت نهايتها المحتومة وذلك هو قدر الأحياء جميعاً  
فما لأحدٍ بقاء .

تلك هي الخواطر والأفكار التي جاشت بها نفس المنفلوطي ، والملاحظ  
أن موضوع القصيدة بصفة عامة إنسانيٌّ تأثر فيه المنفلوطي بالقصة التي ترجمها ،  
تلك القصة الحزينة التي عاشها بروحه وكيانه فعبَّر عن مشاعره بهـذه  
القصيدة التي افتتحها بالمطلع التقليدي وهو الوقوف على الأطلال والدعاء  
لها بالسُّقيا بعد السلام على أهلها الراحلين ، وهذا ما اعتاده شعراء  
الجاهلية .

أما عاطفته في القصيدة فهي عاطفة مشبوبة صادقة حركها إحساس  
العميق بأحداث القصة التي ترجمها .

أما خيال الشاعر فيشتمل على الصور البلاغية الآتية :-

التشبيه البليغ في قوله ( إنَّ عيش المرء ... ذلَّة )

و ( إنَّ هذا المال كآس )

والتشبيه ( كأنَّ الفلك في أمواجه ريشة )

والتشبيه البليغ في قوله ( زهرة فى الأرض )

وفى قوله ( ظنَّت البحر سماء )

والاستعارة المكنية فى قوله ( رأى القضاء ، عرضوا المجد )

وفى قوله ( رأى الحب لها ... )

وفى قوله ( نقض ما أبرمه عهد الإخاء )

( دعاهما الشوق )

وفى قوله ( كف الهوا )

وفى قوله ( هيكَل الحُسن )

والكناية فى قوله ( ان هذا المال كأس مُرِجت قطرة الصَّهباء فيه بد ماء )

فهى كناية عن زوال المتعة فى الحياة وتلك هى سنة الحياة

والملاحظ أنَّ صور الشاعر جميلة فيها جدة وابتكار .

وأسلوب الشاعر يشتمل على ألفاظ سهلة رقيقة ليس فيها غموض ولا تعقيد

لأنها ذوق عاطفته الرقيقة ونفسه الطيبة كما فى قوله :

( السلام ) ، ( عاطر ) ، ( ماء )

كذلك كانت ألفاظه موحية كقوله فى وصف البحر عند ثورته :-

( مال هذا البحر أمحى هائجاً كبناءٍ شامخ فوق بناء )

ف نجد الشاعر قد استعمل ألفاظاً عالية الصوت للإيحاء بجلال ذلك الموقف وعظمت



وتراكيب سلسلة سهلة ليس فيها ركة ولا ضعف ولا معاناه .  
أما موسيقا القصيدة ؛ فهي متماوجة تسير وفقاً لعاطفته فهي تبدأ قوية  
ويظهر ذلك في افتتاح القصيدة بالأسلوب الإنشائي بقوله :

يا بني القفر سلام عاطر  
من بني الدنيا عليكم وثناء  
وسقى العارض من اكواخكم  
معه الصدق ومهد الأتقياء

ثم تهدأ هذه الموسيقا مع هدوء عاطفته وذلك عند ما يذكر غبطة سكاف ذلك  
القفر ومجد هم الفاخل وتعود موسيقا شعره في العلو مرة أخرى ويظهر ذلك  
في قوله :-

( ليت فرجيني أطاعت ( بول ) وأنا لته مءاء في البقاء )

( ... أما كان في القفر عن الدنيا غناء ؟ )

كذلك تبدأ موسيقا هذه القصيدة قوية رنانة في ألفاظها ( ان هذا الجمال  
كأس مزجت قطرة الصهباء فيه بد ماء  
ما لهذا الجوأس قائماً  
يُنذر الناس بويلٍ وسلاء  
وكان الفلك في أمواجه  
ريشة تحملها كف المروء

الاتجاه الإنشائي في القصيدة : الملاحظ أن موضوع القصيدة موضوع إنشائي

بصفة عامة ؛ فقد كتب الشاعر هذه القصيدة اثر ترجمته لقصة ( بول وفرجيني )  
السابقة وهي قصة مليئة بالمواقف الإنسانية كما رأينا ( ١ )

وقد عبر الشاعر عن هذه المعاني الإنسانية بقوله :-

عِشْتُمْ مِنْهُ فَقَرُّكُمْ فِي غِيْطَةٍ	وَمِنَ الْقَلَّةِ فِي عَيْشِ رَحَاءٍ
لَا خَصَامَ لَا مِرَاءَ بَيْتِكُمْ	لَا خِدَاعَ لَا نِفَاقَ لَا رِبَاءَ
خُلِقَ بِرٍّ وَقَلْبٌ طَاهِرٌ	مِثْلَ كَأْسِ الْحَبِّ مَهْنِي وَصَفَاءٍ
وَوَفَاءٌ ثَبَتَ الْحُبَّ بَسْمًا	وَثَبَاتُ الْحَبِّ فِي النَّاسِ الْوَفَاءُ

وهكذا بدا لنا في الأبيات السابقة المعاني الإنسانية السامية التي

دعا إليها المنفلوطي في مؤلفاته وكرس لها جهوده ( ١ )

كذلك نجد هذه المعاني السامية في قوله :-

إِنْ عَيْشَ الْمَرْءِ فِي وَحْدَتِهِ	خَيْرُ عَيْشٍ كَافِلٍ خَيْرُ هُنَاءٍ
فَالْأُورَى شَرٌّ وَهُمْ دَائِمٌ	وَشَقَاءٌ مُنْ لَيْسَ يُحْكِمُ شَقَاءُ
وَفَقِيرٌ لَغْنِي حَاسِدٌ	وَنَسِيٌّ يَسْتَذِلُّ الْفُقَرَاءُ
وَقَوِيٌّ لَضَعِيفٍ ظَالِمٌ	وَضَعِيفٌ مِنْ قَوِيٍّ فِي عَنَاءٍ
فِي فِضَاءِ الْأَرْضِ مَتَايَ عَنْهُمْ	وَنَجَاءٌ مِنْهُمْ أَيْ نَجَاءُ
إِنْ عَيْشَ الْمَرْءِ فِيهِمْ ذَلَّةٌ	وَحَيَاةُ الذُّلِّ وَالْمَوْتِ سُوءُ

فترى في الأبيات السابقة تأملاً يدل على تجربة إنسانية عاشها الشاعر مع الناس

حوله على اختلاف طبقاتهم وطبائعهم ثم انطباق ذلك على ما قرأه في قصيدة

( بول وفرجينى ) ، الأمر الذي أدى إلى تحرك مشاعره واستجابتها لتلك

المواقف ، وهذه عن غير شك مشاعر إنسانية صادقة .

١ - فضلاً راجع الباب الثالث من هذه الرسالة ص ٢٣٨ إلى ص ٢٤٥ .

ثم نلمح كثرة على أصحاب الجاه والمال في قوله :-

إِنَّ هَذَا الْمَالَ كَأْسٌ مُزْجِجَةٌ      قطرة الصَّهْبَاءِ فِيهِ جَدُّ مَاءٍ

لا ينال المرء فيه جرعة      لم يكن في طيِّها داء عيان

أيضاً بيد و تأمل الشاعر في صُرُوف الدَّهْرِ وقضاء الله فيما حوله في قوله :-

يَأْمَلُ الْإِنْسَانُ مَا يَأْمُلُهُ      وَقَضَاءُ اللَّهِ فِي الْكَوْنِ وَرَاءُ

هكذا الدنيا وهذا مُنتهى      كل حيٍّ فما حيٍّ بقاء

د. الشاعر :- ( سيرانودي برجراك )  
وهي رواية للشاعر الفرنسي العظيم اد مـون  
روستان ، قام بترجمتها ترجمة حرفية الدكتور : محمد عبد السلام الجندي ،  
ثم عهد إلى المنفلوطي تهذيب أسلوبها ، ليقدّمها إلى فرقة تمثيلية تقـوم  
بتمثيلها ، فترجمها المنفلوطي ثم رأى أن يحولها من قالب التمثيل إلى قالب  
القصة ، حتى يتمكن القاري من أن يراها على صفحات القُرطاس ويستمتع بها ،  
كما يستمتع بها المشاهد لها على خشبة المسرح ، وفي ذلك يقول :-

( وقد حافظتُ على روح الأمل بتمامه وقيدت نفسي بدقيقاً شديداً ، فلم  
أتجاوز إلا في حذف جمل لا أهمية لها وزيادة بعض عبارات اضطررتني إليها ضرورة  
النقل والتحويل ، واتساق الأغراض والمقاصد ، بدون إخلال بالأصل والخروج  
عن دائرته . ) ( ١ )

وهذه الرواية تحكي قصة شاعر فرنسي من شعراء القرن السابع عشر يدعى  
( سيرانودي برجراك ) نشأ غريباً في أطواره وأخلاقه مُفرداً بصفات قـل أن  
تجتمع لأحد من معاصريه فكان جامعاً بين الشجاعة إلى درجة الشهور ، والخجل  
إلى درجة الضعف ، كما كان قاسياً إلى درجة معاقبة أعدائه لأتفه الأسباب ،  
ورقيقاً إلى حدّ البكاء على بؤس البائسين من أصدقائه وأبناء حرفته ، وكان  
كريمًا متلاًفاً لا يبقى على شيء مما في يده ، وعفيفاً لا يبدد يده إلى مخلوق كائنًا  
من كان ، ومريحاً لا يتردد لحظة واحدة في مجابهة صاحب العيب بعيبه مهما  
كانت النتيجة المترتبة على تلك المصارحة .

أما الخلق الغالب عليه ، فهو عزة النفس والأنفة والحفاظ على الكرامة ، أضف

إلى ذلك بلاغته النادرة وثقافته الواسعة .

وقد كانت بليته العظمى في حياته ومصدر شقائه فيها ، هي دامة وجهه  
وكبر أنفه إلى الحد الذي يلفت فيه أنظار من يراه ويشير دهشته ، وكثيراً ما كان  
يتألم لذلك ألماً شديداً ، لأنه كان محباً لابنة عمه ( روكسان ) حباً كبيراً في الوقت  
الذي اشتهرت فيه بجمالها النادر وذكائها الخارق ، لذا لم يجروء على مصارحتها بحبه  
لاعتقاده أن المرأة مهما سمّت أخلاقها وجلّت صفاتها لا يمكن أن تقع في أهولة غرامية  
غير أهولة الجمال ولا تهتم بشيءٍ قدر اهتمامها بحسن الوجوه والصور .

ورغم ذلك الحب الكبير الذي حبسه في صدره كان شديد الإخلاص لها عظيم  
التضحية من أجل راحتها وسعادتها ، فقد عشقت تلك المحبوبة رجلاً غيره وكاشفت  
بالأمر كما طلبت منه الدفاع عن ذلك الحبيب والمحافظة عليه ، فلم تحمله تلك المكاشفة  
على الحقد أو الفدريل لبس أمرها مطيماً مخلصاً .

لقد اتخذ هذا الشاعر حبيب ابنة عمه - الذي آثره عليه - صديقاً حميماً له  
وأخذ من في مودته إخلاصاً نادراً وأعانه على استمرار صلتها بها وبقاء حبه في قلبها ،  
وذلك لأن حبيبها كان على حظ غير قليل من البلاهة وليبرله علم بالبلاغة وفنونها ،  
في الوقت الذي كانت فيه ( روكسان ) حبيته لا تتقرب إلا من الأذكيا ولا تحب  
إلا البلفاء ، فما كان من شاعرنا إلا بذل التضحية من أجلها لأنه أخذ يلقن  
ذلك الحبيب ما يجب أن يقوله لحبيته ويجبره على حفظه وبهذه الطريقة كان الشاعر  
- بطل الرواية - ينفث شعوره المتأجج في صدره بلهب الشوق ولوعة الحب -

كان ينفثه في كلمات تصل إلى محبوبته عن طريق حبيبها الآخر ، فتعجب بها

( روكان ) أَيْمًا إعجاب ؟ الأمر الذي يدعو إلى الفِطْطة والسَّعادة لسعادتها وفرحتها ؛ فلا أَحَبَّ إلى نفسه من ذلك .

ولم يزل هذا شأن ( سيرانو ) حتى خرج من دُنياه ولم تعلم ابنة عمه بحقيقة أمره وسريرة نفسه إلا في السَّاعة الأخيرة التي لا يُغْنِي فيها عند العلم شيء .

المواقف الانسانية فيها : الرواية - كما رأينا في خلاصتها الماضية - تحتوي على تَضحية من بطلها وهو ( الشَّاعر ) تلك التَضحية الانسانية التي لا تُظِيرُ لها ، فبطلها يدوس على قلبه ويتنازل عن حبه العميق لابنة عمه في سبيل سعادتها مع غيره السَّذي أثره لجماله ، وهو لا يكتفي بإخلاء سبيلها لذلك الحبيب بل يربط حبل الصداقة بينه وبينه ليكون على صلة دائمة به حتى يلقَّنه ما يجب أن يقوله لمحبوته حتَّى لا تُدَمِّمَ فوحبها له ببلاهيته وجهله وتظل سعيدة هانئة في حبها معه .

ولاشك أن هذه التَضحية العظيمة قد قدَّرها المنظوطي فراح يُترجم الرواية بعين قريره ونفس سعيدة فيها هوذا يقول :-

( فأعجبنى منها الشيء الكثير وأفضل ما أعجبنى منها أنها صورت التَضحية تصويراً بديعاً ، وهو الفضيلة التي أعتقد أنها مصدر جميع الفضائل الإنسانية ونقطة دائرتها ) ( ١ )

ذلك موقف يشمل الرواية بصفة عامة ، ولكننا سنورد هنا مواقف أخرى متفرقة نلمحها من خلال قراءة صفحاتها :

يقول بطل الرواية ( سيرانو ) عن نفسه :-  
( إنني لا أحفل ياسيدي بالصُّور والرَّسوم والأُزياء والألوان ولا يعنيني جمال

الصُّورَةُ وَحُسْنُهَا ، وَلَا بَرْقَشَةُ الثِّيَابِ وَخَفَّتْهَا ، وَحَسْبُ مِنَ الْجَمَالِ أَنْتَنِي رَجُلٌ  
شَرِيفٌ سَتَقِيمٌ ، وَلَا أَكْذِبُ وَلَا أَتَوَنَّ وَلَا أُوَاهِنُ ، وَلَا أَتَلَقَّ ، وَأَنْ نَفْسِي نَقِيَّةٌ  
بَيْضَاءٌ غَيْرُ مَلُونَةٍ بِأَدْوَاتِ الرِّذَالِ وَالْمَفَاسِدِ ، ظَنَنْ فَاتَنِي الْوَجْهَ الْجَمِيلَ وَالشَّوَبَ  
الْمَدْفُوفَ وَالْوَسَامَ اللَّامِعَ وَالْجَوْهَرَ السَّاطِعَ ظَمُّ يَفْتَنِي شَرَفُ الْعَبْدِ وَلَا عِزَّةُ النَّفْسِ  
وَلَا إِهَابُ الضَّمِيمِ وَلَا نَقَاءُ الضَّمِيرِ ( ١ )

نعم تلك هي صفات بطل الرواية التي شددت المنظوظ إلى إليه ، ولم لا وكلها  
قيم إنسانية عالية ومثل فاضلة طالما نادى المنظوظ إلى التمسك بها والتحلل  
بمثلها ( ٢ )

وثمة حديث آخر جاء أيضاً على لسان البطل في الرواية ، ذلك الحديث  
الذي يوحى بمقالات المنظوظ في " نظراته " والتي تذكرنا بالفضيلة وقيمها وطريق  
الوصول إليها .  
فيقول :-

( إِنْ الْجُبْهَةُ الْعَالِيَةُ يَاسِيدِي لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَاجٍ يُزَيِّنُهَا . وَإِنْ الصَّدْرُ  
الْمَلُوءُ بِالشَّرَفِ وَالْفَضِيلَةِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى وَسَامٍ يَتَلَاوَهُ فَوْقَهُ ، فَلْيَخِرِ الْفَاخِرُونَ  
بِمَا شَاءُوا مِنْ قَضَتِهِمْ وَذَهَبِهِمْ وَأَلْقَابِهِمْ وَمَنَاصِبِهِمْ أَمَّا أَنَا فَحَسْبِيَ مِنَ الْفَخْرِ أَنْتَنِي  
أَسْتَطِيعُ أَنْ أَمْشِيَ بَيْنَ النَّاسِ بِرَأْسِ عَالٍ ، وَجِبْهَةٌ مُرْتَفَعَةٌ ، وَنَفْسٌ مُطْمَئِنَّةٌ ، وَشُكُوبٌ  
نَقَى أَبْيَضٌ لَمْ تَعْلَقْ بِهِ ذَرَّةٌ مِنْ غُبَارٍ ، وَلَمْ تَلَوِّثْهُ شَائِبَةٌ مِنْ شَوَائِبِ السَّفَالَةِ وَالْدَّنَاءَةِ  
لَا أَهَابُ شَيْئًا وَلَا أَغْضِبُ لَشَيْءٍ وَلَا أَخْجَلُ مِنْ شَيْءٍ ) ( ٣ )

١ - المنظوظ . الشاعر ص ٤٠

٢ - فضلاً - راجع الباب الأخير من هذا البحث ص ٢٣٨ - ٤٠٥ .

٣ - المنظوظ . الشاعر ص ٤٠

نقول إنَّ كلامَ البطل السابق يوحى لنا بموقف المنظوظ من الجاه والسلطان

ومحاربتة للأغنياء وذوي المناصب ( ١ )

فما أجمل حقاً من وسام الشرف والفضيلة ولا أسمى من أن يسير المرء في حياته

شامخاً بأنفه رافعاً رأسه لأنَّه حافظ على سلامة سلوكه ونقاء سريرته

وما أسوأ من أولئك الذين يركضون وراء الجاه والمنصب ركضاً جشيشاً رغبةً في

السُّمعة والشُّهرة الزائفة .

نعم ما العال والجاه والسلطان إلا أمور سطحيَّة زائفة لا قيمة لها إذا خلَّت

من الفضيلة والمثل العليا التي يجب أن تكونا رافدين للمرء إلى أرقى درجات

المجد والسُّوءد .

وبطل الرواية - كما ظننا - من أولئك الذين يكرهون أن يلحقوا بأنفسهم فـ

هلاك الدُّل للوصول إلى المجد المزيف المبني على جدار الرذيلة وأساسها الواهي ،

ونراه يُدافع عن هذا المبدأ أيما دفاع حتى ولو كلفه ذلك فقد حياته فالحياة فـ

نظيره لا تستمر مع ذلِّ النفس وخضوعها وسنورد هنا جزءاً من الحوار الذي دار بين

( الشاعر ) وصديقه ذلك الحوار الذي يكشف عن عزة نفسه وسموها :

- وهو معنى إنسانيّ نبيل يقول البطل لصديقه ( ليريه ) : ( إننى لا أنكر يا ليريه

إننى فعال متطرف كما تقول ، ولكن في سبيل المبدأ أو الفكرة والتطرف قبيح

في كلِّ شيء إلا في هذا السبيل .

قال : ولكنك في حاجة إلى شيء من حسن السياسة وسعة الصدر ولين الحانب

لستطيع أن تصل إلى المجد الذي تحبه وتتعلَّقه .

١ - فضلاً راجع ٣٤٥ - ٣٦٠ من الباب الأخير من هذا البحث .



فاستوى ( سيرانو ) فو مكانه جالساً وقد ظللت جبينه سحابة سوداء من

الهم واستحالت صورته إلى صورة مُريعة مخيفة وقال : —

ماذا تريد منى ياليرييه ؟ وماهى الخطة التى تحب أن ترسمها لأنفذ من

طريقها إلى المجد الذى تتحدث عنه وتزعم أننى أتعشقه وأصوبوا إليه ؟

أتريد أن أعتمد فو حياتي على غيري وأن أضع زمام نفسي فو يد عظيم من العظماء

أو نبيل من النبلاء يصطنعني ويحببني مؤونة عيشي ويحمل عني هموم الحياة

وأثقالها ، فيكون مثلي مثل شجرة " اللبلاب " لا عمل لها فو حياتها سوى أن

تلتف بأحد الجذوع لتعلق بقشرته وتمتص مادة حياته بدلاً من أن تعتمد فو حياتها

على نفسها ؟ ذلك مالا يكون .

أتريد أن أحمل نفسي على عاتقي كما يحمل الدلال سلطته وأدور بها فـ

الأسواق منادياً عليها : من منكم أيها الأغنياء والأثرياء والوزراء والعظماء وأصحاب

الجاه والسلطان يبتاع نفساً بذهبا وضميرها وعواطفها ومشاعرها بلقمة عيش وجرعة

ماء ؟

أتريد أن أنصب نفسي سُخرية فو الأندية الخاصة والمجتمعات العامة ألقب

كما يلعب القرد وأنطق كما تنطق الببغاء ، وأطون كما تطون الحرياء ، رجاء

أن أجد التخلد من عيني أمير أو أرى ابتسامة على شفطي وزير ؟

أتريد أن تستحيل قامتي إلى قوس من كثرة الإلحشاء وأن تتهدل أجفاني من

كثرة الإطراق والإغضاء وأن تجتمع فوق ركمتي طبقة سمكة من كثرة السجود

أو الجبشي بين يدي العظماء ؟

أتريد أن يكون لى لسانان : لسان كاذب أمدح به ذلك الذى اصطنعني  
واحبناني ، ولسان أعدد به عيوبه وسبائته ، وأن يكون لى وجهان وجه راضٍ  
عنه لأنه يزود عني ويحميني ، ووجه ساخط عليه لأنه يستعبدني ويسترقني ؟ ( ١ )

وهكذا أكدت لنا فى حديث البطل ( الشاعر ) السابق روح المنظوم الكارهة  
للنفاق . والخضوع لأولي الجاه والسُّلطان والمحبة للصراحة والحق أينما كانوا  
وحيثما حلوا ومهما كلفا صاحبها من مشقة وعناء .

ولنستمع أخيراً إلى حديث ( الشاعر ) مع حبيب ابنة عمه - ذلك الحديث  
الذى تدور فيه قمة التضحية التي سبق الإشارة إليها ( ٢ ) فيقول :-

( إنَّ روكمًا ابنة عني وصديقتي ورفيقة صباي وطفولتي ليرلها في العالم  
من صديق ولا معين سواي ويهتو حدًّا أن أراها سعيدة في حياتها هادئة فسي  
عينها لا يكدر عليها مكدر من عوادي الدهر ونكبات الأيام ، ولا أكتك أني أخاف  
عليها الخوف لَّه أن تحلَّ بها في هذا الحبِّ الذى اختارته لنفسها ، نكبة من  
النكبات العظام ، أو فاجعة من الفواجع الجسام تقضي عليها وطرا آمالها ،  
وما أحسبك تتنو لها إلا ما أتمناه أو تُضمرلما في نفسك إلا العطف الذى أضمره لها ،  
خصوصاً وأنَّ الصلة التو بينكما ستطول طبعاً إلى عشرة زوجة طويلة ، لا يقطع حبها  
إلا الموت لذلك أردت أن نتعاقد يداً واحدة على إسعادها وترفيه عيشها وحماية ذلك  
الحبِّ في قلبها وحراسته من أن تغشاه غاشية من وساوس اليأس أو خيبة الأمل ،  
أنت بحسبك وجمالك وأنا بنصاحتي وبياني ، تسمع صوتي ولكن من فمك ، وتحس روجي<sup>س</sup>

١ - المنظوم . الشاعر . ص ٨٢

٢ - فضلاً راجع ص ٨٦ من هذا البحث

ولكن في جسمك وتشرب عواطف في ولكن من كَأْسِكَ ، وتطرب لنغماتي ولكن من قيثارتك ،  
 أَيْ أَنَّنِي أَتَقَصَّرُ فِي جِسْمِكَ وَأَتَسَرَّبُ بَيْنَ حَنَائِيَا خَدْعِكَ ، وَأَكْمُنُ فِي قَرَارَةِ نَفْسِكَ فَتَسْتَحِيلُ  
 نَحْنُ الْإِثْنَيْنِ إِلَى شَخْصٍ وَاحِدٍ أَوْ تُصْبِحُ أَنْتِ كُلُّ شَيْءٍ وَأَصْبَحُ أَنَا لاشَيْءٍ ، وَمَادَامَتِ  
 سَعَادَتُهَا فِي الْحَيَاةِ تَتَوَقَّفُ طَوِيلاً أَنْ تَرَى بِجَانِبِهَا إِنْسَانًا يَجْمَعُ فِي نَفْسِهِ بَيْنَ مَوْهَبَتَيْهِ  
 الْفَصَاحَةِ وَالْجَمَالِ ظِلْيَتَا لَفِ مَنِّي وَمِنْكَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ الَّذِي تَتَمَنَّى . . . وَتُرِيدُهُ ، وَلَا تَقْلُ  
 إِنَّا نَخْدَعُهَا بِذَلِكَ أَوْ نَفْتَرُهَا ، فَإِنَّا لَا نُرِيدُهَا نَفْعًا إِلَّا سَعَادَتَهَا وَهَنَاءَهَا  
 هَذَا هُوَ الْغَرَضُ الَّذِي أُرْمِي إِلَيْهِ وَلَا أُرْمِي لْغَرَضٍ سِوَاهُ ( ١ )

أَيُّ قِيَمَةٍ إِنْسَانِيَّةٍ وَأَيُّ مَعْنَى فَاضِلٍ أَسْعَى وَأَفْضَلُ مِنْ فَنَاءِ الْإِنْسَانِ فِي سَبِيلِ تَضْحِيَةٍ  
 فَاضِلَةٍ ذَاتِ غَرَضٍ شَرِيفٍ كَالْتَضْحِيَةِ الَّتِي بِذَلِكَ ( الشَّاعِرُ ) ؟ !

لَا شَكَّ فِي أَنَّنَا لَنْ نَجِدَ أَهْلًا وَلَا أَكْرَمَ مِنْ نَفَرٍ كَنَفْسِهِ الَّتِي أُحِبَّتْ وَأُخْلِصَتْ وَوَفَّتْ  
 ثُمَّ ضَحَّتْ حَتَّى كُنِيَتْ فِي سَبِيلِ تِلْكَ التَضْحِيَةِ .

وَمِمَّا حَدِيثُ آخَرٍ صَدَرَ عَنْ شَخْصِيَّةٍ أُخْرَى فِي الرَّوَايَةِ ، يَتَجَلَّى فِي هَذَا الْحَدِيثِ  
 كَيْفَ أَنَّ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ لَا بَدَّ لَهَا مِنْ لَحْظَةٍ يَقْطَعُ الضَّمِيرُ وَانْتِبَاهَتَهُ بَعْدَ غَلْطَةٍ  
 طَوِيلَةٍ وَقَدْ صَدَرَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ رَجُلٍ عَظِيمٍ مِنْ رِجَالِ الْجَيْشِ النَّبَلَاءِ ، تَمَنَّى أَنْ  
 يَكُونَ مِثْلَ ( سِيرَانُو ) فَقَالَتْ لَهُ رُوكْسَانُ ابْنَةُ عَمِّ الْبَطْلِ :  
 وَلَكِنَّكَ عَظِيمٌ يَا سَيِّدِي

فَقَالَ لَهَا :-  
 ( إِنَّ الْمَرْءَ حِينَمَا يَصِلُ إِلَى ذُرْوَةِ الْعِظَمَةِ فِي الْحَيَاةِ لَا يَدَّ أَنْ تَمْرُبَهُ  
 سَاعَاتٌ مِمَّا كَانَ طَاهِرًا وَرِيئًا - يَشْعُرُ فِيهَا بِبَعْضِ الْآلَمِ خَفِيَّةٍ تَذْغُ نَفْسَهُ وَتَوَلِّمُهَا ،

وَرَبَّمَا لَا تَبْلُغُ فِي قُوَّتِهَا وَتَأْثِيرِهَا مَبْلَغَ تَبَكُّيَتِ الضَّعِيرِ ، وَلَكِنَّهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ تُزَعِّجُهُ  
وَتُقَلِّقُهُ وَتَسْتَوْلِي عَلَى شَيْءٍ مِنْ رَاحَتِهِ وَسُكُونِهِ ، وَهَلْ اسْتَطَاعَ الْعُظَمَاءُ أَنْ يَكُونُوا  
عُظَمَاءَ إِلَّا لَا نَهْمَ أَرْمَقُوا سُلَّمًا بُنِيَتْ دَرَجَاتُهَا مِنْ جَمَاجِمِ الْمَوْتِ وَأَسْلَافِهِمْ ، أَوْ أَنْ  
يَنَامُوا مَلْءَ جَفُونِهِمْ إِلَّا لَا نَهْمَ أَسْهَرُوا كَثِيرًا مِنْ عَيُونِ الْبَاعِثِينَ وَالْمُعَدِّمِينَ  
فِي سَبِيلِ رَاحَتِهِمْ وَهَنَائِهِمْ ، أَوْ أَنْ يَمْشُوا فِي طَرِيقِهِمْ رَافِعِي الرُّؤُوسِ شَامِخِي  
الْأُنُوفِ إِلَّا لَأَنَّ وَرَاءَهُمْ كَثِيرًا مِنَ الْمُطْرِقِينَ الصَّامِتِينَ الَّذِينَ لَا تُفَارِقُ أَنْظَارُهُمُ الْأَرْضَ  
هَمًّا بَوْ كَمَدًا . . . وَرَبَّمَا لَا يَشْعُرُونَ بِشَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْجَرَائِمِ الَّتِي يَقْتَرِفُونَهَا  
وَهُمْ فِي نَشْوَةِ عَزَمِهِمْ وَضَوْضَاءِ عَظَمَتِهِمْ وَلَكِنَّهُمْ مَتَى خَلَوْا إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَوَّاءُوا إِلَى مُضَاجِعِهِمْ  
سَاوَرَتْهُمْ تِلْكَ الْأَلَامُ الْخَفِيَّةُ اللَّاذِعَةُ الَّتِي لَا يَشْعُرُ بِمِثْلِهَا الْجَائِعُونَ وَالظَّامِسُونَ  
وَالْمَرْضَى وَالْمَعْوَمُونَ ، لَا تَصْدَقُ بِإِسْتِدْبَاقٍ أَنَّ فِي الدُّنْيَا سَعِيدًا وَاحِدًا  
قَدْ خَلَتْ كَأْسُهُ الَّتِي يَشْرِبُهَا مِنْ قَدَى يُنْفِضُهَا عَلَيْهِ وَلَا يَدَّ لِلْعَظِيمِ وَهُوَ صَاعِدٌ إِلَى  
قِمَّةِ عَظَمَتِهِ أَنْ يَشْمُرَ أَنْ ذِيلَ مَعْطَفِهِ الْمُسْبِلِ وَرَاءَهُ يُجْرُ سُلَّمًا كَثِيرًا مِنْ أُنَاتِ الْبَاكِينَ  
وَصَرَخَاتِ الْمُتَأَلِّمِينَ الَّذِينَ بَنَى عَظَمَتَهُ عَلَى أَنْقَاضِ شَقَائِهِمْ فَيُسْمَعُ لَهَا خَشْخَشَةٌ كَخَشْخَشَةِ  
الْأُورَاقِ الْجَافَةِ الَّتِي يَجْرُّهَا وَرَاءَهُ ذِيلُ مَعْطَفِكَ الْآنَ ( ١ )

ذلك هو الحديث الذي صدر من أحد شخصيات الرواية وهو يذكّرنا بموقف  
المنظوط من طبقة الأغنياء وذوي الجاه والسلطان ذلك الموقف الذي وقفه  
ضدّهم في ( النظرات ) ( ٢١٠ )

١ - المنظوط . الشاعر ص ١٧٧ - ١٧٨ .  
٢ - فضلًا راجع ص ٣٤٥ - ٣٦٠ من البحث .

والحقيقة أنَّ مثل هذه الأحاديث بما تحمله من معاني إنسانية فاضلة  
تستميل المنفلوطي وتروق لنفسه لذا نراه تتوافاً إلى ترجمتها وإهداءها  
إلى قراء العربية .

ومما يدلُّ على أنه ذو نفس تتواءم إلى الخير داعية إلى المثل العليا والفضائل  
الإنسانية السامية التي يجب أن يتحلَّى بها كلُّ من يحلُّ لقب "إنسان" .

---

## مترجماته في العبرات

الشَّهَادَةُ :- ( ١ )

وهي قصة قصيرة ترجمها المنفلوطي ضمن ما ترجمه

من قصص في كتابه " العبرات " وهو تحكى :-

قصة أرملة فقدت أبويها الى جانب فقدتها لزوجها كما غاب عنها أخوها  
في بعض أسفاره إلى أمريكا وانقطعت أخباره وأثاره ( ولم يبق لها الدهر إلا ولداً  
صغيراً يونسها وأخاً شقيقاً يحنو عليها ، وصباة من المال تترشّف الرزق منها  
ترشفاً صانعاً للدهر فيها .

أما الصباة فقد نضبت ، وأما الأخ فقد ضمه الدهر ضمة ذهبت بماله وجميع  
ما تملك يده فهاجر هجرة بعيدة لا تعرف مصيره فيها ، فأصبحت من بعده لا تملك  
مالاً ولا عضداً ) ( ١ )

ولقد لقيت هذه المرأة من ألوان العذاب ما لقيت وغسلت الثياب حتى ييسكت  
أطرافها وذلك كرامتها إلا أن الله أبقى لها ما يهون عليها مصابها ، وهو أنسها  
بولدها ورجاؤها في عودة أخيها .

مرت الأيام والسّنين سراعاً فاكتهلت الأم وشبّ الابن وشاركها حُزنها ولوعتها ،  
وما كان له من عمل إلا أنه كان يهوى فنّ الرسم فأخذ يمارسه ، ليحسن إلى هذه  
الشقية التي أحسنت إليه ، واستطاع وهو في مهنته تلك التي ما كانت تدرّ عليه

إلاَّ عائدًا ضئيلاً أن يسدَّ حاجته وحاجتها ، فقنعت الأمُّ بذلك ورأت في وجوده إلى  
جوارها أنسها وسعادتها ، غير أن الشيطان يأبى إلاَّ أن يكدر ذلك الصفاء  
فيذكرها بأخيها الغائب فلا تلبث أن تدرف على فراقه عبرات سخية تحاول أن تخفيها  
عن ابنها قدر استطاعتها ، لا حتى اكتشف يوماً هذا السرَّ الدفين في صدرها ، فعاهدها  
على أن يفتش عن خاله أثناء رحلته ، إلى ( واشنطن ) ليعرَّض لوحاته في المعرض  
الذي سيقام بها ، والذي خصَّصت له جوائز عظمى قد ينال واحدة منها فتساعدها على  
عيشها وتزيل شقاءها .

أشفقت الأمُّ المسكينة على نفسها وطفه من هذه الرحلة لخوفها أن تفقده كما  
فقدت أخاها من قبل فيكون خطبها عتيلاً وتكلها أليماً .

وهكذا رحل الشاب إلى " واشنطن " وعرض لوحاته ففازت إحداها ، وهو الترو  
عبر فيها عن لحظة فراقه لوالدته وساعة وداع إياها ، وطرب لهذا الفوز طرباً أنساه  
شقاءه وبؤسه السابقين فأرسل إلى أمه بعض المال واستبق لنفسه الباقي لببسر  
بوعده معها ويفتش عن خاله ، ثم كتب إليها أنه لن يبرح هذه الأرض حتى يفو بما  
عاهدها عليه قبل سفره ، ثم أخذ يضرب الآفاق بحثاً عن ذلك الخال المفقود ،  
حتى أخبره بعض من سألهم أن آخر عهدهم به تلك الرحلة التي رحلها عنهم منذ  
سنوات إلى بعض الجزر الجنوبية فشقَّ الشاب طريقه إليها حتى أوقفته ظروفه السيئة في  
جزيرة موحشة مغطاة تسكنها قبيلة من قبايل الزنج المتوحشين الذين ما أن رأوه حتى  
هاجت في صدورهم أحقاد تلك العداوة اللونية ، فأخذوه أسيراً ثم أودعوه في نفق  
تحت الأرض سموه ( سجن الانتقام ) .

وفى هذا السجن فقد الشاب كل ما فى نفسه من أمل وعلم أنه مفارق هذه الحياة بين لحظة وأخرى ، وما زاد فى ألمه وحزنه أن شخصاً آخر فى فرنسا أضعف منه قوة وأكثر منه حبا له يشاركه هذه الآلام على غير علم بها وهى تلك الأم المسكينة .

مرت على الشاب أيام وأعوام وهو على هذه الحال ، ومازال فى سجنه حتى أخذ بيده ذات يوم رجل أسود ثم ساقه إلى صخرة كبيرة فى أرض قفر وربطه فى جزع شجرة هالكة ثم تركه وحيداً وذهب إلى حاله .

هنا التفت الشاب حوله ، فعاد إليه صوابه وعلم أنه فى مكان غير مكانه الأول وأرضاً غير الأرض . . ( وتذكر السعادة والشقاء والقرية والوطن والسجن وظلمته والقيد ووطأته ) ( ١ ) وتذكر أمه وشقاءها من بعده فذرف عبرة كادت تحترق لها وجنتاه ، ثم أسلم رأسه إلى ركبتيه وذهب بخياله إلى حيث شاء لئلا يذهب حتى أخذت جفنيه سِنَّةً من النوم وبينما هو كذلك ( إذ شعر بيد تلمس كفيه فرفع رأسه فخيّل إليه أن ملكاً نورانياً نزل إليه من طياء السماء لينقذه من شقائه ، فتبينه فإذا فتاة جميلة بيضاء ما التفت الأزرطى مثلها حسناً وبهاءً ) ( ٢ ) وهنا سألتها من تكون ؟ وما سبب مجيئها إليه ؟

فأظمت أنها إحدى فتيات الحيّ وأنها طمت بحاله فأنت لتخلصه من محنته لأنسه محكوم عليه بالإعدام فى صبيحة اليوم التالى . ولكن الشاب الذى تعلق بها وخفق قلبه بحبها رفض الفرار إذا لم ترافقه فى رحلته لأنه أضحو ولا يستطيع أن يعيش حياته الباقية بدونها ، ومن ثم فالموت أهون عليه من حياة ملوؤها العذاب والحربان .



هنا أذعنت الفتاة لطلبه مع خوفها الشديد من الوقوع في هواء وهي من قبل قد وهبت نفسها للعذاراء ، ثم رحلا معاً في ظلمة ليلٍ حالِكٍ يقطعانِ القُلُوبَ والقِفَارَ حتَّى وصلا بعد مسيرة ثلاثين يوماً إلى منطقة عامرة بأهلها وسكانها ، فاستبشرا وطما أنهما طوا مقربةً من ساعات هنائهما .

وبعد أن طاب جلوسهما معاً طلب منها الزَّواج حتَّى لا يحول بينهما بعد ذلك حائل ، فأصيبت برعشة قوية لم تستطع أثناءها إلا جابة على طلبه حتَّى هدأ حالها ولم تجد بُدّاً من مكاشفته بسرّها ، إذ أخبرته أنّها فتاة غريبة عن هذه الدِّيَارِ وأنَّ والدها كان رجلاً أبيفر يدعى ( روفائيل ) ثم تعلّق بأُمِّها وتزوَّجها ، فدانت بدينه ثُمَّ أنجبها وعاشا عيشة هانئة طيّبة حتَّى هجَمَ عليهم رجال قبيلتهم فاقتادوهم جميعاً غضباً ثم قتلوا والدها على مشهدٍ منها ووالدتها وكانت إذ ذاك لم تتجاوز العاشرة من عمرها فمرضت أمُّها المسكينة على إثر ذلك .

وكان يحضرها ساعة احتضارها رجل مسيحيّ من رجال الدِّين فطلبت من ابنتها أن تنذرَ نفسها للعذاراء حتَّى لا تتزوَّج ويصيها من الشَّقَاء ما أصاب والدتها فاذعنَتْ لأمرها وأشهدت الرجل على ذلك .

وهكذا قصّت الشَّابةُ عليه قصتها لتكون عذراً لها في امتناعها عن الزَّواج منه ومن هذه القصة ظم الفتى أنّها ابنة خاله الذي فقدوه من سنوات عديدة ، وخافت الفتاة على دينها أن يغلبَ الحبُّ وتزوَّج الشَّاب فتناولت جرعة من زجاجةٍ ملئت بالسُّمِّ كانت لا تفارقها أبداً لتكون في متناول يديها في مثل هذا الموقف ، فشربت منها وغابت عن الوجود .

حزن عليها الشابُّ حزناً شديداً وثار على رجال الدين المسيحيين وعلى تعاليمهم  
التي وضعوها وفقاً لأهوائهم فحرموا ما كرهوه وأحلوا ما أحبوه ، وظلَّ على ثورته تلك  
حتى ثقل لسانه ووهنت عزيمته وارتعدت مفاصله وسقط في مكانه يزفر زفيراً شديداً .

ما قرب منه شيخ مسيحي وأخذ يخوفه وطأه مابه فطلب الشابُّ منه أن يقبل الفتاة  
قبل أن يودع فكان له ما أراد ثم لقي ربه ساعتها ، فكان دفنهما في مكان واحد تحسب  
شجرة مورقة على شاطئ النهر .

مرت بوالدته امرأة عجوز من حاراتها فوجدتها قد فارقت حياتها إلى البراري .  
وهكذا كان هؤلاء الثلاثة ضحية الحزن واليأس القاطنين .

المواقف الانسانية فى القصة : لقد بينا قبل ذلك أن المنفلوطي أعجب بكل موقف

انسانى فى الروايات التى ترجمها بل إن هذه المواقف - على ما نعتقد - هى التى دفعت المنفلوطي الى ترجمتها ودليلنا على هذا أن جميع مقالاته التى نبعت من ذات نفسه إنما هى ذات وجهة انسانية واضحة السمات بينه المعالم ولا أدل على

ذلك من دراستنا لهذا الإتجاه فى أدبه فى الباب الخاص به ( ١ )

ونبين هنا بعض المواقف الانسانية فى قصة الشهداء التى عرضنا تلخيصها فيما

سبق ( ٢ ) ، تلك المواقف التى مزّت عاطفة الأديب فدفعته الى ترجمتها .

ولعلّ أول ما حرك مشاعره فى هذه القصة هى كونها قصة حزينه مؤلّفة تحكى آلام أرملّة ذاقّت ألوان العذاب والبؤس ، وقصة شاب نال مآله من التّكيل والشّقاء ، وشابّة فقيرة نذرت نفسها للعذراء لكثرة ملاقاته من يأس وألم فى حياتها ممّا جعلها فى حِمراع عنيف بين نذرهما هذا وبين حبّها الذى يعتلج فى صدرها ، فلم تجد بداً من الانتحار فراراً من واقعها الأليم .

ونعود هنا الى الأم فى فرنسا ، تلك الأم التى ظلّت تنتظر ابنها ووحيدهما يقتلها اليأس ويرحمها الرّجاء وموت الأيّام والأعوام ، لا يفارقها الأمل فيهنّ ساعة ، حتى جاء يوم استسلمت فيه ليأسها وأيقنت بموته وبين الزّفرات والعبرات أنشأت تقول :-  
( فى أي بطن من بطون الأرض مضجعت يا بنى وتحت أي نجم من نجوم السّماء صرعت وفى أي قاع من قيعان البحر مثواك ، وفى أي جوف من أجواف الوحوش الضّارية مأواك ؟

لويعلم الطّير الذى مرّق جثتك ، أو الوحش الذى ولغ دمك أو القبر الذى ضمك إلى أجشائه ، أو البحر الذى طواك فى جوفه أن وراءك أمّاً مسكينة تبكي عليك من بعددك لرحموك من أجلى .

عَنْ الْوَلَدِ يَابُنِي فَقِيرًا أَوْ مُقْعَدًا أَوْ كُفِينًا فَحُسْنِي مِنْكَ أَنْ أَرَاكَ بِجَانِبِي  
فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَفَارِقُ فِيهَا هَذِهِ الْحَيَاةَ لِأَقْبَلُكَ قُبْلَةَ الْوَدَاعِ وَأَعْهَدُ إِلَيْكَ بِزِيَارَةِ  
مَضْجَعِي مَطْلَعِ كُلِّ شَمْسٍ وَمَغْرِبِهَا لِتُخَفِّ بِزُورَتِكَ عَنِّي ضَمَّةَ الْقَبْرِ وَتُسْتَنِيرَ بِوَجْهِكَ  
الْوَضَاءَ ظُلُمَاتِ الْحَالِكَةِ .

مَا أَسْعَدَ الْأُمَمَاتِ اللَّوَاتِي يَسْبِقُنَ أَوْلَادَهُنَّ إِلَى الْقُبُورِ ، وَمَا أَشَقَى الْأُمَمَاتِ  
اللَّوَاتِي يَسْبِقُهُنَّ أَوْلَادُهُنَّ إِلَيْهَا ، وَأَشَقَى مِنْهُنَّ تِلْكَ الْأُمُّ الْمُسْكِينَةُ الَّتِي تَدْبُّ إِلَى  
الْمَوْتِ رُبِيًّا وَهِيَ لَا تَعْلَمُ هَلْ تَرَكْتَ وَلَدَهَا وَرَاءَهَا أَوْ أَنَّهَا مُتَجَدِّدَةٌ أَمَامَهَا ؟ ( ١ )

هَذَا هُوَ حَدِيثُ الْأُمِّ الَّتِي لَا تَعْلَمُ عَنْ ابْنِهَا شَيْئًا بَعْدَ رَحِيلِهِ . . . وَهُوَ حَدِيثُ  
مَوْثُورٍ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ، بَلْ لَا تَشْكُّ بَعْدَ قِرَاءَتِهِ فِي أَنَّ هُنَاكَ قَلْبًا - مِمَّا بَلَفَتْ دَرَجَةَ  
قَسْوَتِهِ - لَا يَذُوبُ أَمَامَ هَذَا الْمَوْقِفِ الَّذِي أَذَابَ مِنْ قَبْلِ قَلْبِ الْمَنْظُوطِيِّ فَدُونَ مَا دُونَ .  
وَالْمَنْظُوطِيُّ عِنْدَمَا يَرْكُزُ عَلَى هَذِهِ الْمَوَاقِفِ فِي قِصَصِهِ إِنَّمَا يَهْدَفُ إِلَى تَحْرِيكِ الْمَشَاعِرِ  
الْإِنْسَانِيَّةِ تَحْرِيكًا صَادِقًا لِإِغَاثَةِ الْمُنْكَوْبِينَ وَالْبَائِسِينَ وَمَحَاوَلَةِ تَخْفِيفِ آلامِهِمْ وَتَضْمِيدِ  
جَرَاحِهِمْ بِمَا يَعْنِيهِمْ عَلَى مَصَائِبِ الدَّهْرِ وَارْزَائِهِ .

كَذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاقِفِ ، مِثَادَةُ الْفَتَاةِ الشَّابَّةِ لِإِغَاثَةِ الْفَتَى الْمُقَيَّدِ إِلَى جِوَارِ  
الصَّخْرَةِ وَالَّتِي طَمَتَ بِرَغْبَةِ الزَّوْجِ فِي قَطْعِهِ صَبِيحَةَ الْيَوْمِ التَّالِيِ ، فَهَا هِيَ تَقُولُ لَهُ :-  
( أَنَا فَتَاةٌ مِنْ فَتَيَاتِ هَذَا الْحَيِّ وَقَدْ أَلْمَمْتُ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِكَ فَعَلِمْتُ أَنَّكَ شَقِيٌّ فَرَحِمْتُكَ  
مَّا أَنْتَ فِيهِ فَجِئْتُكَ أَطْلُقُ وَثَاقَكَ لِتَذْهَبَ حَيْثُ تَشَاءُ ، فَلَا مَثْوَةَ يَقْدُمُهَا الْمَرْءُ بَيْنَ

يَدِّي رَبِّهِ يَوْمَ جَزَائِهِ أَفْضَلُ مِنْ مَوَاسَاةِ الْبَائِسِ وَتَفْرِيجِ كَرْبَةِ الْمَكْرُوبِ ( ١ )

ولعلَّ أجملَ من هذا الموقف موافقة الفتاة نفسها أن تُرحل معه لأنَّ كاشفها بحبِّة لها وأنَّه لن يستطيع العيش بدونها ، وأنَّ الموت على حبل المشنقة أهـُـونٌ عليه من فراقها ، ظمَّ تجدُّ بداً من موافقته لأنقاذه من مصيره المحتوم رغم تأكدها أنها لن تتزوَّجه أبداً لأنها نذرت نفسها للعداء .

وثمة حديث آخر يجري على لسان الشاب نفسه ذلك الحديث الذي يدلُّ على الاعتراف الحقيقي بالمشاعر والعواطف الإنسانية المسيطرة على حياة الإنسان فتوجَّه سيرة فيها .

يقول الشاب موجهاً خطابه لرجال الدين الذين يُحرِّمون ما شاءوا من الأمور ويحلِّلون ما أحبوا :-

( إِنْ كُنْتُمْ تَريدُونَ أَنْ نَعِيشَ على وَجْهِ الأَرْضِ بِلا حُبٍّ فانتزعوا من بين جنوبينا هذه القلوب الخافقة ثم اطلبوا منا بعد ذلك ما شاءون ، فإننا لا نستطيع أن نعيش بلا حُبٍّ ما دامنا لنا أفئدة خافقة ) ( ٢ )

نعم إنَّ الحبَّ عاطفة إنسانية سامية لا يمكن أن يتكرَّرها إنسان تنبض فيه الروح الإنسانية .

وما نرى أنه أثر فو نغفر المنظوطي - فو هذه القصة - ماقاله البطل لرجال الدين المسيحيين الذين يستغلون مواقفهم لإفساد عقول الناس :-

١ - المنظوطي . العبرات ص ٣٠

٢ - المنظوطي . العبرات ص ٣٦

( إِنَّا لَا نَعْرِفُكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ وَلَا نَدِينُ بِدِينِكُمْ ، وَلَا نَعْتَرِفُ لَكُمْ بِسُلْطَانٍ عَلَى أَجْسَامِنَا وَأَرْوَاحِنَا ، وَلَا نُرِيدُ أَنْ نَرَىٰ وُجُوهَكُمْ أَوْ نَسْمَعَ أَصْوَاتَكُمْ ، فَتَوَارَوْا غَاً وَهَبُوا وَحَدِّثُوا مَعَكُمْ إِلَىٰ مَعَابِدِكُمْ أَوْ مَعَاوِرِكُمْ ، فَإِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَّبِعَكُمْ إِلَيْهَا وَلَا أَنْ نَعِيشَ مَعَكُمْ فِيهَا .

إِنَّ وَرَاءَنَا نِسَاءً ضِعَافُ الْقُلُوبِ وَرَجَالًا ضِعَافُ الْعُقُولِ ، وَنَحْنُ نَخَافُكُمْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَمْتَدَّ شُرُكُكُمْ إِلَيْهِمْ ، فَلَا يَدَّ لَنَا أَنْ نَقِفَ فِي وُجُوهِكُمْ وَنَعْتَرِضَ سَبِيلَكُمْ لِنَذُوكَ مِنْهُمْ حَتَّى لَا تَصْلُوا إِلَيْهِمْ فَتُفْسِدُوا عَلَيْهِمُ الْبَقِيَّةَ الْبَاقِيَةَ مِنْ قُلُوبِهِمْ وَعُقُولِهِمْ ) ( ١ )

وهذا القول يشير إلى مشكلة اجتماعية سائدة في الوسط المسيحي وهو محاولة رجال الدين المسيحي إفساد عقول الناس بطريق غير مباشر ، متشبثين بما يدعونه من قيم دينية غير مناسبة ، ويشير كذلك إلى تمسك بعض المسيحيين بها دون تمحيص في صحتها أو عدمه .

ثمة حديث آخر أيضاً على لسان الشاب بطل هذه القصة ، هذا الحديث نرجس أنه من وضع المنقوطين أو بعض تصرفه في الترجمة وهو قول البطل : -  
( إِنَّا لَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ ، وَلَا نُشْرِكُ بِهِ غَيْرَهُ ، وَفِي اسْتَطَاعَتِنَا أَنْ نَعْرِفَ الطَّرِيقَ إِلَيْهِ وَحَدِّثْنَا بِدُونِ دَلِيلٍ يَدُلُّنَا عَلَيْهِ ، فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِكُمْ وَلَا بِوَسَاطَتِكُمْ .

كتاب الكون يُغْنِينَا عَنْ كِتَابِكُمْ ، وَآيَاتُ اللَّهِ تُغْنِينَا عَنْ آيَاتِكُمْ ، وَأُنَاشِيدُ الطَّبِيعَةِ وَنَغْمَاتُهَا تُغْنِينَا عَنْ أُنَاشِيدِكُمْ وَنَغْمَاتِكُمْ ، هَذَا الْجَمَالُ الْمَتَرَقِّقُ فِي سَمَاءِ الْكَوْنِ وَأَرْضِهِ ، وَنَاطِقُهُ وَصَامَتُهُ وَمَتَحَرِّكُهُ وَسَاكِنُهُ ، إِنَّمَا هُوَ مِرْآةُ نَظِيفَةٍ صَافِيَةٍ تَنْظُرُ فِيهَا فَتَرَىٰ وَجْهَ اللَّهِ الْكَرِيمِ مُشْرِقًا مَلَأَ لَنَا فُخْرَيْنِ يَدَيْهِ سَاجِدِينَ ، ثُمَّ نُصْغِي إِلَيْهِ لِنَسْتَمِعَ وَجِبُّهُمْ

فنسمعه يقول لنا :-

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا خَلَقَ الْحَمَالُ مَتْعَةً لَكُمْ فَتَمَتَّعُوا بِهِ ، وَإِنَّمَا خَلَقْتُمْ

حَيَاةً لِلْجَمَالِ فَأَجِبُّوهُ

ذلك أمر الله الذي نسمعه ولا نسمع أمراً سواه (

ففي هذا الحديث نرى المنظوطي متأثراً فيه بالقرآن الكريم في قوله تعالى :-

"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ" ( ١ )

وكأنني هنا ألمر في حديثه تريد قول الشاعر :-

وفي كل شيء له آية  
تدل على أنه الواحد

الذكرى : ( ٢ )

وهي قصة قصيرة ترجمها المنظوطي ضمن ما ترجمه من قصص في العبرات ،

وهو تحكي قصة ملك عربي يدعى أبا عبد الله من بني الأحمم ، وهو آخر ملوك غرناطة ،

وهذه القصة ترسم لنا ساعة رحيله عن تلك الأرض بعد هزيمته أمام الملك (غرويناند )

والملك (إيزابلا) على شاطئ الخليج الرومي تحت ويل جبل طارق - ترسم لنا تلك

الساعة التي وقف فيها يطل على ملكه الضائع وحوله نساؤه وأولاده وعظماء قومه فألقوا

نظرة على ما حوله لم يسترجعها إلا للهله بالدمع ثم أنشأ ينشج نشيجاً مُحزناً حَسْبُ

بكي معه كل من حوله وأصبح شاطئ البحر مناحة تتردد فيها الزفرات والأحزان وماهري

إلا دقائق حتى سمع هاتفاً يهتف باسمه بصوت كأنما يُحذر إليه من طيأ السماء ، كان

ذلك الصوت صادر عن شيخ متكئ على عصاه واقف على باب مغارة من مغارات الجبل

١ - القرآن الكريم ، سورة آل عمران : آية رقم ١٩٠

٢ - المنظوطي . العبرات ص ٥٥

المُشْرِفُ عَلَيْهِ يَقُولُ :-

لَا يَظْلِمُ اللَّهُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ ، وَلَا يُرِيدُ بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ فِي شَأْنٍ مِنَ الشُّيُوءِ  
شَرًّا وَلَا خَيْرًا ، وَلَكِنَّ النَّاسَ يَأْبُونَ إِلَّا أَنْ يَقْفُوا عَلَى حَافَةِ الْهَوَى الضَّعِيفَةِ فَتَسْزِلَ  
بِهِمْ أَقْدَامُهُمْ ، وَيَمْشُوا تَحْتَ الصَّخْرَةِ الْبَارِزَةِ الْمُشْرِفَةِ فَتَسْقُطَ عَلَى رُءُوسِهِمْ .

لَمْ تَقْنَعْ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ مِنَ الرِّزْقِ فَأَبَيْتَ إِلَّا الْمُلْكَ وَالسُّلْطَانَ فَتَارَعْتَ عَمَكَ الْأَمْرَ  
وَاسْتَعْنَتْ عَلَيْهِ بَعْدَ وَكَ وَعَدَوَهُ فَتَنَاولَ رَأْسَيْكُمَا مَعًا وَمَا زَالَ يُضْرَبُ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ  
حَتَّى سَالَ تَحْتَ قَدَمَيْكُمَا قُلَيْبٌ مِنَ الدَّمِ فَغَرِقْتُمَا فِيهِ مَعًا .

لِي فَوْقَ هَذِهِ الصَّخْرَةِ يَا بَنِي الْأَحْمَرِ سَبْعَةُ أَعْوَامٍ أَنْتَظِرُ فِيهَا هَذَا الْمَصِيرَ الَّذِي  
صِرْتُمْ إِلَيْهِ وَأَتَرَقَّبُ السَّاعَةَ الَّتِي أَرَى فِيهَا آخِرَ مَلِكٍ مَلَكًا يَرْحَلُ مِنْ هَذِهِ الدِّيَارِ رَحْلَةً لَا رَجْعَةَ  
مِنْ بَعْدِهَا ، لِأَنْتُمْ أَطْلَمُ أَنَّ الْمُلْكَ الَّذِي يَتَوَلَّى أَمْرَهُ الْجَاهِلُونَ الْأَغْيَاءُ لَا دَوَامَ لِسُلْطَانِهِ  
( وَلَا بَقَاءً ) ( ١٠ )

وَهَكَذَا مَضَى الرَّجُلُ فِي حَدِيثِهِ مُؤْتَبَرًا هَذَا الْمَلِكُ الظَّالِمُ عَلَى سَوْءِ تَصَرُّفِهِ وَفِدَائِيهِ  
فِي حُكْمِهِ مُشَارِكًا فِي ذَلِكَ غَيْرُهُ مِنْ مُلُوكِ بَنِي الْأَحْمَرِ الَّذِينَ أَخَذُوا الْأَبْنَاءَ وَفَنَوْا الشَّبَابَ  
فِي حُرُوبٍ لَا شَرَفَ فِيهَا وَلَا فَضِيلَةَ حَتَّى مَاتُوا جَمِيعًا أَذْلَاءَ أُرْدُنِيَاءَ ، فَلَا هُمْ تَرَكُوا لِيَقُومُوا  
عَلَى رَاحَةِ ذَوِيهِمْ وَأَبَائِهِمْ وَلَا نَالُوا الشَّهَادَةَ الْكَرِيمَةَ ( ٢ )

ثُمَّ وَصَلَتِ السَّفِينَةُ الْمَطْلُوفَةُ بِتَرْحِيلِ هَذَا الْمَلِكِ فَرَكِبَهَا وَخَرَجَ عَنْ الدِّيَارِ كَمَا نَتَّ  
نَهَايَةَ مَلِكِ بَنِي الْأَحْمَرِ فِي الْأَنْدَلُسِ بَعْدَ مَا عَمَرُوهَا ثَمَانِيَةَ عَامٍ .

١ - المنظوظو . العبرات ص ٥٦

٢ - المنظوظو . العبرات ص ٥٨ بتصرف



لم يبقَ أحد من بني الأحمر على قيد الحياة في إفريقيا إلا شابٌ يدعى ( سعيد )  
 يبلغ من العمر عشرين عاماً ، لم يكن هذا الشاب يعلم بطك آبائه في غرناطة ولا عن  
 ما خيهم شيئاً بل لم يكن يعلم أسرته إلا ما حفظه في ذاكرته من عهد الطفولة من أناشيد  
 أندلسية بدعية كان يترنم بها نساء قومه حول مهد يرددن فيها ذكر آبائه وأجداده  
 وآثار أيد يهيم وعزة سلطانهم في تلك البقاع ، وطك الهجرات المحزنة التي يكي فيها  
 شعراء الأندلس محد هم الساقط وملكهم الضائع ، فكان كلما خلا إلى نفسه ردد ما كان  
 يسمعه بنغم شجيٍّ محزنٍ يستثير عجزه ويهيج أحزانه فلا يزال يكي وينتحب حتى يشرف  
 على الهلاك ( ١ )

وكانت أمنيته التي تراود نفسه أن يرى غرناطة ولو لحظة واحدة فيشفي بهذه  
 النظرة غليل نفسه وطمأ روحه ، ثم ليفعل الله به ما يشاء بعد ذلك .  
 وكان لا يمنعه عن تحقيق ذلك إلا عجزاً كان يقوم على رعايتها حتى وافاها الأجل  
 المحتوم فسافر بحراً إلى غرناطة في صورة طبيب عربي يتنقل في جبال الأندلس وسهولها  
 حتى بلغ ضاحيتها ساعة الأصيل ، فوقف على هضبة من هضاب جبل الثلج يتأمل جمال  
 الطبيعة ورونقها ثم رأى على البعد أبراج المدينة العتيقة الحمراء وقبابها العالية  
 الشماء ومازنها الداهية في السماء .

وقف على هذا المنظر الجميل المهيب موقف الخاشع وضم يديه إلى بعضها بعضاً  
 ثم وضعها على صدره وكأنه واقف يصلي أمام المحراب وليث على حاله تلك ساعة ثم  
 جَلَجَلَ بصوتٍ رددته كل ماحولة فقال : -

( هذا ميراث آبائي وأجدادي لم يبق لي منه إلا وقف بين يديه كوقفه الثاقل المغموع بين أيدي الأطلال البوالي والآثار الدوارس .

هذه مضاجعهم ينام فيها أعداؤهم وهم لا مضاجع لهم إلا رمال الصحراء وكثبان

القلوات ( ١ )

وهكذا مضى الأمير الشاب يندب مجد آبائه الزاهب ويكي ملكهم الضائع حتى توسد ذراعه واستغرق في نوم عميق لم يفيق منه إلا بعد أن دالت دولة الليل .  
وعندما أفاق من سباته سار إلى شاطئ النهر فصلوا صلاة الفجر وظل على حاله تلك من الحيرة والضياء حتى استيقظ الناس من هجعتهم ، فانفتح بين يديه باب قصر عظيم تشرق منه فتاة أسبانية حسناء فأسبلت - عند رؤيته - خماراً على وجهها الوضاء ، وكانت ترسل على صدرها صلياً ذهبياً صغيراً ، ويمشى خلفها غلام صغير حاملاً الكتاب المقدس .

وهنا سألت الفتاة بلسان عربي تخالطه عجمة قليلة - سألتها عما إذا كان من

هذه الديار أم غريب عنها ؟

فأخبرها الشاب بحاله ثم دلت بعد ذلك على الحان الذي يمكن أن يأوي إليه أخذت هذه الفتاة مكاناً راسخاً من قلب الشاب ونفسه وأصبح ينظر إلى غرناطة نظيرة تفرحها السعادة ويكللها الأنس والفرح ولم يعد يشغله سوى وجه تلك الغادة الحسنة التي مازال طيفها يراوده في كل شيء ، أمامه وحوله في تلك المدينة .

حتى إذا أعياه البحث عنها ونال اليأس من نفسه مناله ، عاد إلى مقبرة آبائه

يذرف دموعاً غزيراً لا يعلم أهى دموع الحسرة على الماضي الأليم أم على حاضره اليائس  
الحزين ؟

أما محبوبته الحسناء ، فهي الأخرى فتاة أسبانية نكبتها الدهر منذ عامين نكبة  
ذهبت بوالدها الذي دسّ له الحكومة فقطته لأنه كان رئيساً لجمعية ( العصابة  
المقدسة ) تلك العصابة التي كثيراً ما وقفت في وجهها أعواماً تطالبها بالحريّة  
الدينيّة والشخصيّة ، كما فقدت والدتها على أثر تلك الحادثة فأصبحت وهو لم  
تبلغ الثامنة من عمرها تعيش وحيدة في قصرها عيش الزاهدات المتبتلات ، وكان لا يراها  
الرائي إلا زاهية إلى الكنيسة أو عائدة منها لا يصحبها إلا غلامها ، أو واقفة على  
أطلال الدولة الدارسة ورسومها ، تقبّ فيها نظرة العبرة والعظة أو هائسة  
في مروج غرناطة الفناء . ( ١ )

وبينما هي سائرة يوماً بجوار مقبرة بني الأحمر إنه لمحت على البعد فتى غريباً  
منكباً على أحد القبور يقبل صفائح ويبلل تربته بدموعه الغزار ، فاقتربت منه فإذا  
به الفتى الغريب الذي رآته قبل أيام وعرفها هو أيضاً ثم سألته أيتم إلى أصحاب هذه  
القبور بصلّة ؟

ظلم يصارحها بحقيقة أمره وإنما أعظمها أنه كان مولوداً لهم وهو ما زال محتفظاً  
بعهد الولاء في نفسه ويتمنى لو يزور قصورهم لأنه منع من ذلك ، فوعده الفتاة  
بتنفيذ هذه الأمنية في اليوم التالي .

ومرت الأيام تلو الأخرى وهما يتجولان في قصور آباء وأجداده ، وهي لا تعلم  
أنه منهم إلا في لحظة انفعاله عندما رأى اسم أبيه منقوشاً على جدار إحدى غرف

القَصْر ، فعلم أنها عرفتَه وطمعت هي كذلك بعد أن فقد أصحابه لِمَا رأى .  
مرت طيهما الأيام وكبر الحب في قلبيهما واكتفيا بهذا الحب الذي ربط بينهما  
رباطاً قوياً وإن حال الدين بين زواجهما .

ومِنما هما يجلسان جلساتهما الهانئة ذات يوم على ضفة أحد الجداول  
بينما هما كذلك إذ مرَّ بهما ابن حاكم مدينة غرناطة ، ورأى مجلسهما الهانئ ودون أن  
يعلمَا بذلك ، وكان هذا الأمير قد رأى الفتاة الحسناء قبل ذلك اليوم وأحبَّها  
واختطف إلى منزلها وحاول التودُّد إليها ودعاها إلى الزواج منه ولكنها رفضته  
لأنَّها لا تقبل أن تتزوج ابن قاتل أبيها ، فانصرف عنها بلوعة لا تزال كاشنة في نفسه  
حتى هذا اليوم الذي رآها مع غيره ، فظن أنها لم ترفضه إلا لأن هذا الشاب كان  
قد احتلَّ قلبها قبله وأخذها عنه ، فأضمر في نفسه له ما أضمره .

طلب هذا الشاب أن يقابلها في اليوم التالي ولكنها رفضت ذلك اللقاء ، فخرج  
من قصرها والفضب يملأ نفسه فيحدثها بأفطع جرائم الانتقام .  
وماهي إلا أيام قلائل حتى سيق الأمير ( سعيد بن يوسف بن أبي عبد الله )  
سليد بني الأحمر ذليلاً مهاناً إلى محكمة التفتيش بحجة إغراء فتاة مسيحية بترك دينها  
وكانت هذه عندهم أفطع الجرائم وأبشعها .

وعندما وقف للمحاكمة سأله رئيس المحكمة عن تهمته فأنكرها ولكن الرئيس طلب منه  
الدليل على براءته ، ذلك الدليل الذي يطلب منه أن يترك دينه إلى دين المسيح ،  
فرفض الشاب وانطلق يهاجم أمثال هؤلاء الناس الذين يرغبون غيرهم على التديُّن  
بدينهم فقال :-

( في أي كتاب من كتبكم ، وفي أي عهد من عهود أنبيائكم ورسلكم ، أن سفك

الدِّمَّ عَقَابَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِإِيمَانِكُمْ وَلَا يَدِينُونَ دِينَكُمْ. ؟ ( ١ )  
وهكذا مضى الشابُّ الأمير يستكر في حديثه الطريقة والأسلوب الذي يُدعى فيه  
إلى الدِّين المسيحيِّ وحاول الاستمرار في حديثه ، لكن الرئيس قاطعه وأمر بسكوته  
إلى ساحة الموت ، وماهي إلا لحظات ثم هوى السيف على رقبته فسقط رأسه .

بنت له (ظورند) قبراً جميلاً بجوار مقبرة بني الأحمر ثم كتبت عليه :-  
( هذا قبر آخر بني الأحمر من صديقه الوفية بعهدته حتى الموت / ظورند افيليب ) ( ٢ )

المواقف الإنسانية فيها : تتجلى هذه المواقف في بعض الأحاديث التي وردت على  
لسان بعض شخصيات القصة كقول الشيخ الذي تصدر للطلد النظام عند رحيله عن  
البلاد والذي يقول فيه :-

( لا يظلم الله عبداً من عباده ، ولا يُريد بأحدٍ من الناس في شأن من الشئون  
شراً ولا ضيراً ولكن الناس يأبون إلا أن يقفوا على حافة الهوة الضعيفة فتزل بهم  
أقدامهم ، ويمشوا تحت الصخرة البارزة المشرفة فتسقط على رؤوسهم ) ( ٣ )

فهذا موقف إنساني نرى أنه من تصرف المنظوط في الترجمة ، لأنه مأخوذ من

معنى الآيات الكريمة القائلة :-

( ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ) ( ٤ )

- ١ - المنظوطي . العبرات ص ٦٩
- ٢ - المنظوطي . العبرات ص ٧٠
- ٣ - المنظوطي . العبرات ص ٥٦
- ٤ - سورة آل عمران ، آية رقم ١٨٢ -
- ٥ - سورة الرنقال ، آية رقم ٥١

وَقَوْلُهُ تَعَالَى :-

( فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ) ( ١ )

وَقَوْلُهُ تَعَالَى :-

( مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ) ( ٢ )

وفي القصة أيضاً موقف إنساني آخر ترى أيضاً أنه من تصرف المنظوطي في الترجمة وهو موقف الفيرة الدينية طرأ مُطكَات الإسلام وطلو المسلمين أنفسهم هذا الموقف هو قول الشيخ :-

( ستقفون غداً بين يدي الله ياملوك الإسلام ، وسيسألكم عن الإسلام الذي أضعفتموه وهبطتم به من طيار مجده حتى ألصقتم أنفه بالرغام ، وعن المسلمين الذين أسلمتموهم بأيديكم إلى أعدائهم ليعيشوا بينهم عير البائسين المستضعفين عن مدن الإسلام وأمصاره التي اشتراها آباؤكم بماءهم وأرواحهم ثم تركوها فلو أيديكم لتذودوا عنها ، وتحملوا زمارها ، فلم تحركوا في شأنها ساكناً حتى غلبكم أعداؤكم عليها ، فأصبحتم تعيشون فيها عير الأذلاء ، وتطردون منها كما يطرد الغرباء ، فماذا يكون جوابكم إن سئلتكم عن هذا كله غداً ؟ ) ( ٣ )

نقول إننا نرجح أن يكون الحديث السابق من وضع المنظوطي وتصرفه في الترجمة ، لأنه مفعم بالحماص الديني الواضح والفيرة طو مواطن المسلمين وديارهم ، ولا نظن أن حديثاً كهذا يصدر إلا عن رجل قد ملا إيمان قلبه ووجهت قيم الدين سلوكه ، فنطق بما انطوت عليه نفسه من معاني إنسانية سامية هي قمة الشعور

١ - القرآن الكريم - سورة التوبة آية رقم ٢٠

٢ - القرآن الكريم سورة النساء آية رقم ٧٩

٣ - المنظوطي . العبرات . ص - ٥٧

الدينى الصادق .

ومن المواقف الإنسانية في القصة والتي ترى أنها آثار<sup>١</sup> أريحية المنظوطي وحازت رضاه قول الشيخ :-

( يسألكم الله يا بني الأحمر عني وعن أولادي الذين انتزعتهم من يدي انتزاعاً أحوج ما كنت إليهم وسقطهم إلى أيادي القتال ليقاوتوا إخوانهم المسلمين قتالاً لا شرف فيه ولا فخر حتى ماتوا جميعاً موت الأذلاء الأذنياء ، فلا أنتم تركتموهم بجانب ولا أنسربهم في وحشتي وألجأهم إلى معونتهم في شيخوختي ، ولا أنتم ذهبتم بهم إلى ميدان قتال شريف فأعزى عنهم من بعدهم بأنهم ماتوا فداءً عن دينهم ووطنهم ) ( ١ )

وهذا الموقف لا شك أنه يعجب المنظوطي لأنه يلفت الانتباه إلى أخطاء المسلمين الشيعة فيما بينهم كحادثة بعضهم بعضاً في مجال بعيد عن الشرف والكرامة والمنظوطي عندما يترجم أمثال هذه القصص ، إنما يريد أن يلفت الأنظار إلى مشكل هذه الأخطاء بطريق غير مباشر ولعل هذا هو السر في نجاح مهمته وحلول نصائحه مكانها من النفس .

وثمة موقف آخر يوثق في المنظوطي وينقله إلينا بصدق لما فيه من إنسانية صادقة ، وهو ذلك الموقف الذي وقفه الشاب أمام ميراث آبائه وأجداده الذي يبدل على بره بآبائه وذكرى أجداده . وهذا ما يحبذه المنظوطي ويدعو إليه يقول الشاب :-  
( هذا ميراث آبائي وأجدادي لم يبق لي منه إلا وقفه بين يديه كوقفه التاكل المفجوع بين أيدي الأطلال البوالي والآثار الدوارس .

هذه مضاجعهم ينام فيها أعداؤهم ، وهم لا مضاجع لهم إلا رمال الصحراء ،  
وكثبان الطوأت . .

في هذه البساتين كانوا ينعمون ، وتحت هذه الظلال كانوا يَـقِلُّون ، وعلى  
ضفاف هذه الأنهار كانوا يَغْدُونَ ويروحون . . ( ١ )  
ثم يستمر الشاب في حسرتة على الماضي إلى أن دالت دولة النهار وانحدرت الشمس  
إلى مغربها فقال :-

( هكذا تدول الدُّوَل وتسقط التيجان ، وهكذا تحل الظلمات محل الأنوار ،  
وهكذا تنتشر رُسُحُ الموت على وجه الأرض ) ( ٢ )

نعم إن الحنين إلى الوطن الأول مهد الآباء والأجداد والشعور بالغيبة  
على ضياع ملكهم ، والتأمل في آيات الله المتمثلة في كونه البديع ومخلوقاته العظيمة ،  
كل هذه مواقف إنسانية خالدة لا يخلو منها آدمي تنبض في شرايينه وماء الإنسانية  
الحقة ،

ومثل هذه المواقف تأثر منها المنظوطي فترجم القصة التي تحتوي عليها .  
كذلك من المواقف الإنسانية في القصة موقف الشاب من أولئك الذين أرغموه على إثبات  
براءته عن طريق تخلّيه عن دينه حيث رفض ذلك بإصرار حتى ولو كان رفضه ثمناً لحياته ،  
نعم لقد رفض الشاب ذلك ثم قال لهم :-

( أنتم أقوياء ونحن ضعفاء فأنتم أصحاب الحقّ الأبلج والحجة القائمة فأصنعوا ماشئتكم  
فهذا حقكم الذي خولته إياه قوتكم .

١ - المنظوطي . العبرات ص ٦١

٢ - المنظوطي . العبرات ص ٦١



إسفكوا من دماننا ماشئتم واسلبوا من حقوقنا ما أردتم واملكوا علينا مشاعرنا  
وعقولنا حتى لا ندين إلا بصائدِينون ولا نذهب إلا حيث تذهبون ، فقد عجزنا عن  
أن نكون أقوياء ، فلا بد أن ينالنا ما ينال الضعفاء . ( ١ )

فحديث الشاب هذا يذكرنا بموقف المنظوطي من الأقوياء . وذوى الجاه  
والسلطان - في النظرات - ويذكرنا أيضاً بحمته عليهم لسوء تصرفهم واستبدادهم  
في معاملتهم لمن حولهم . ( ٢ )

ومن المواقف التي أعجبت المنظوطي - في نظرنا - موقف الشابة من الأمير  
بعد أن قيل ظلماً ، ذلك الموقف الذي يتم عن إخلاصها ووفائها وبرها لحيته حتى بعد  
وفاته إذ بنت له قبراً جميلاً وكتبت عليه هذه العبارة :-

( هذا قبر آخر بني الأحمر )

من صديقه الوفية بعهدته حتى الموت ظوريدا فيليب ( ٣ )

فهذا وفاء نادر يدل على إنسانية فاضلة .

ذلك هو الموقف الانسانية في القصة وهي تدل على مدى تأثر المنظوطي بها  
ورغبته في نشرها بين الناس جميعاً .

١ - المنظوطي . العبرات ص ٧٠

٢ - فضلاً راجع الحديث الخاص بحمته على الأغنياء ، وطبقة الحكام من الباب الثالث  
في هذا البحث ص

٣ - المنظوطي . العبرات ص ٧٠

## الجزء :- ( ١ )

قصة قصيرة ترجمها المنظوطي عن كتابة (الغبرات ) وهو  
 تحكى قصة فتاة قروية تدعى ( سوزان ) قد نشأت وابن عمها ( جلبرت ) فى بيت  
 واحد كما تنشأ الزهرتان المتعانقتان فى مفرس واحد ، لعبت معه طفلة وأحبته شابة  
 ومّرت بهما فى جميع أحوار حياتهما التى كانا فيها سوياً سعادة لم يستعدّاها من  
 القصور والدور والأرائك والأسرة والجياد والمركبات ، وإنما اكتسبها من سحر  
 الطبيعة وجمالها الأخاذ حولهما ، فمن شمس ساطعة وأرض يانعة إلى نجوم زاهية  
 وكواكب منشورة ، ذلك الجمال الذى لا يضاويه جمال ، فهما مايزلان ينتقلان بين  
 هنا وهناك ماشاء الله لهما أن ينتقلا لا يكدر عليهما صفوهما مكدّر ، حتى كان يوم  
 البحيرة الذى التقت فيه ( سوزان ) بالمركيز (جوستاف بروستان) فأعجب بها ومسا زالا  
 يلتقيا فى كل يوم حتى راودها عن نفسها بكلمات عذاب قلما كانت تسمعها من خطيبها  
 القروى الساذج ، فغزا حبه قلبها ، وتناست حبها الأول حتى نسيت وتابعت حبها  
 الجديد إلى قصره الفخم تاركة ابن عمها فى حيرة ولوعة وألم ، هائماً على وجهه بين  
 الأحرار والغابات يأنسر إلى صوت الوحوش ومعاشرتهم أكثر من أنسه إلى البشر  
 ومخالطتهم ، وكثيراً ما كانت والدته المسكينة تبحث عنه حاملة فى يديها الطعام  
 فتضعه أمامه وهو فى غيوبة لا يعلم أثناء ما يدور حوله - ثم تتركه المسكينة على حاله  
 تلك وتنصرف .

نعمت ( سوزان ) بقصرها الفخم وحياتها الجديدة ، وأنجبت طفلة دعتها  
 ( ماري ) وفى نفس الوقت كان المركيز الذى تزوجها - قد سافر وتركها فى القصر

وحيدة تنتظر عودته في كل ليلة مُناجية طيفه كل نساء ، سائلة النجوم عنه  
وتخاطب القمر باسمه حتى يقلبها النوم وهي على تلك الحالة من الحيرة والحرمان .

وفي إحدى الليالي رأتها في حلم سعيد ، وهو مقبل عليها بشأاً فرحاً يضمها  
وابنته بكلتا يديه . وعندما أشرقت شمس الصباح أيقظتها الخادم من نومها وهو  
تحمل إليها بشئى وصول سيدها المركيز فاستطارت ( سوزان ) فرحاً وعظمت  
أن حلمها قد تحقق ولكن تأبى الكارثة إلا أن تحل بالسعداء ، لقد نزلت ( سوزان )  
تستقبله بنفسها ، فرأت رجلاً غير الرجل ووجهها غير الوجه الذى أحبته وعهدته ، لأنها  
رأت منه سوء المعاملة ، فأنكر عليها بقاءها إلى ذلك الوقت في قصره وتكرراً لابنته  
وأخبرها بمقدم زوجته الأخرى إلى القصر ، فلا يجب أن يكدر عليها بوجود الأولى  
أمامها ثم أشار إلى كيس من المال كان قد أعد لها لتستعين به على حاجتها ، فعلمت  
أنه ممن عرضها فتركته وحملت ابنتها وملابسها القروية التى كثيراً ما أخفتها وخجلت من  
لبسها في قصره ، ثم خرجت هائمة على وجهها لا تدري أين مصيرها وما الذى  
ينتظرها بعد ذلك وفي ساعة خروجها رأت العربة التى تقل الزوجة المنتظرة ، فتوالت  
عن الأنظار ثم اندفعت إلى خارج القصر لا تعلم أين تذهب أو ماذا تفعل بنفسها  
وابنتها المسكينة . ؟

سارت ( سوزان ) هائمة على وجهها حائرة بين الأحرار والغابات ، فنامت  
ابنتها فوضعتها على صخرة من الصخور وخلعت بعض ملابسها لتبقى بها ابنتها شرراً  
البرد وبينما هو كذلك ، سمعت أنيناً على مقربة منها فالتفت إلى مصدر الصوت ، فإذا  
بشباب مسكين لم يبق منه الأيام إلا هيكلاً عظيماً يوشك أن يتحطم هو الآخر ، وكان

هذا الشاب يهتف في مرضه باسم ( سوزان ) فاستبابت ملامحه فإذا هو بين عَمَّها  
 ( جلبرت ) . أقبلت ( سوزان ) على ابن عَمَّها وأخذت تخاطبه ولَكَّة ألقى عليها  
 نظرة طويلة كانت نظرت الأخيرة ، كحزنت المسكينة عليه حزناً شديداً وبكى من  
 أجله بكاءً مرّاً تذكرت خلاله أنها تركت ابنتها نائمة بين الصخور في مكان آخر فأسرعت  
 إليها وأضمرت في نفسها أمراً لم تجد حلاً لمشكلتها سواء ، لأنها خافت أن تظلل  
 عاراً لا يحسوا أثره من حياة ابنتها .

لم تجد ( سوزان ) بداً من ترك ابنتها إلى الأبد آملّة أن تجد هذه الابنة  
 من يتولى أمرها ويحنو عليها ، فودّعتها الوداع الأخير ثم ألقى بنفسها في النهر ،  
 كانت المركيزة في تلك اللحظة تطل من شرفة قصرها فوجدت طظة وحيدة على  
 شاطئ النهر تتشدد أمها العودة دون جدوى ، فأخبرت المركيز بأمرها فأسرع  
 إليها وكان خائفاً أن تكون هذه الطظة ابنته والغريقة أمها ، فإذا به يرى أن ماتوقعه  
 قد أصبح حقيقة ماثلة أمام عينيه وواقعاً أليماً بين يديه فحاول إنقاذ الأم ولكنه لم  
 يستطع ، فأمر بإعادة الطظة إلى قصره ، أما هو فقد خلّ عقله ، إذ كان منظر  
 ( سوزان ) وهو غريقة لا يفارق عينيه لحظة وصوت ابنته المجلجل لا يرح أن يسيه  
 لمدة بصر ، وماهى إلا ثلاثة أيام حتى لحقت الطظة بأمها واستحال حب زوجته  
 الجديدة له إلى كره واحتقار ثم هجرته وسافرت إلى ( نيسر ) .

ظلّ المركيز على حاله تلك حتى وجدت جثته طافية على صفحة النهر الذي غرقت  
 فيه ( سوزان ) قبله ، فكانت نهايته نهاية الجزاء . وظلت هذه الحكاية يتداولها  
 عجائز تلك القرية لتكون عبرة لكل فتاة عندما يطوف بها طائف من أشرار الرجال .

التعليق والمواقف الإنسانية فيها :-

من الملاحظ أنَّ القصة - على قصرها - تحمل العبرة والفظة لكل فتاة تراودها نفسها بالزلل ، إذ تعيد لها هذه العبرة صوابها وتهديها إلى الصراط المستقيم وهذا من غير شك موقف إنساني نبيل وقفه المنغلوطي بأسلوب غير مباشر ، لأنه يريد بترجمته لهذه القصة - من الفتاة العربية المسلمة أن تكون عفيفة نقية طاهرة بعيدة عن المآثم والشبهات ، وهكذا يستطيع الأديب بطريقة هذه أن يغزو الأسماع إلى القلوب فتستقر نصائحه فيها .

والقصة كلها حكاية بوأس وشقاء وألم لا يرح أبطالها ولا يفارقهم ، سواء كان ذلك الأم يكابده ( جلبرت ) الشاب القروي الفقير الذي تركته ابنة عمه وتناست حبه ، أو كانت صاحبة الأم ذات ابنة عمه ( سوزان ) الذي تركها المركيز وتناسى حبها وتكفر لابنته معها ، فكانت نهايته سيئة كما رأينا .

نقول إن مثل هذه القصص المؤثرة الحزينة تؤثر في نغم المنغلوطي بل ويتهاقنه

عليها وقد صرح بهذا هو بنفسه ( ١ )

كذلك اشتملت القصة على موقف إنساني فاضل بذلت الأم من أجل وحيدتها وهو قتلها لنفسها حتى لا تعيش عاراً على ابنتها وسبباً في تعاستها في مستقبل حياتها ولنسمع إلى قولها لحظة وداعها :-

( لا أحب أن تكون حياتي يابنتي شؤماً على حياتك ولا أن يأخذك الناس

١ - قد نقلنا نص تصريحه هذا كاملاً من النظرات فضلاً راجع ص ١٧ من هذا البحث

بِسْذَنِي كَمَا رَأَوْكَ بِجَانِبِي فَأَنَا أَتْرَكَكَ وَحْدَكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ لَعَلَّ رَاحِمًا مِنَ النَّاسِ  
يَمْرُؤُكَ ، فَيُعْطِفُ عَلَيْكَ وَيَضُمَّكَ إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِكَ ، فَتَعِيشُ فِي  
فِي بَيْتِكَ سَعِيدَةً هَانئةً لَا تَعْرِفِينَ أَبَاكَ فَيُخْجِلُكَ مَرَّاهُ ، وَلَا أُمَّكَ فَتَوَلَّىكَ  
ذَكَرَاهَا ( ١ )

تلك هي قصة الجزاء ، وهذه هي المواقف الإنسانية التي نرى أنها أثرت  
في المنفلوطي فدفعته إلى ترجمتها .

الضحية :- (١)

وهي آخر قصة ترجمها المنظوطي ضمن كتابه " العبرات " وهي تحكي قصة امرأة معوزة فقيرة ، فقدت نعمة السعادة الزوجية ، فقدت على إثرها من يقوم على رعايتها وطبيرة حاجتها ، ولم تجد بداً من الاتجار بسلعة جمالها الذي كلته نعمة طيها ، فقد أبى ذو الجاه والسلطان إعانتها إلا إذا ساووها طورا هذا الجمال ، فلا مانع عندهم إذا أنفقوا في سبيل ذلك كل ماله فيهم ، وكان الجدير بهم أن يمدوا لها يداً طاهرة شريفة لتحافظ بها على شرفها وكرامتها .

وهكذا حدثت هذه المرأة على جنس الرجال وأقسمت أن تسخر جمالها للذل أمثال هذه الأغناق ولتحقير تلك الحياة التي تدعى الشرف وماهى كذلك . وماهى إلا أيام حتى كان لها ما أرادت ، فجمعت أموالاً طائلة وأصبح لها رصيد عظيم وشأن كبير فى ( باريس ) ولكنها مع كل ذلك كانت تحمل ألماً دفيناً بين أضلعها لعدم رضاها عن الحياة الآتية التي تحياها .

يقول المنظوطي عنها :-

( أما ما تعلمه عن أمر نفسها فهي ترى أن جميع ما يذله لها الناس من فضة وذهب ، وأثاث ورياش ، وقصور ودور أو حياض ومركبات ، لا يساوى دعة واحدة من تلك الدموع التي سكبتها على نفسها يوم باعت عرضها ) ( ٢ )

وكانت هذه المرأة إذا خلت إلى نفسها تذكرت أن جميع هذه القلوب التي تلتف حولها الآن لن يكون واحداً منها أماها إذا هى فقدت جمالها يوماً واحداً ، وعندها لن تجد أحداً منهم يخفف عنها شقاءها وبؤسها في وحدتها فكثيراً ما كانت تتمنى

١- المنظوطي . العبرات - ص ١١٧

٢- نفس المرجع - ص ١١٩

أَنْ يَكُونَ لَهَا شَأْنًا فِي أُسْرَةٍ مُتَوَاضِعَةٍ كَأُسْرَةِ حَارِسٍ قَصْرَهَا مَعَ زَوْجَتِهِ - مُشَلًّا -  
فَظَنَّ أَنَّ السَّعَادَةَ الْحَقِيقِيَّةَ الَّتِي كَانَتْ تَتَمَنَّاها . وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ الَّذِينَ أَلْمَنُوا  
بِشَوْوْنِهَا الْخَاصَّةَ ، أَنَّهَا كَثِيرًا مَا كَانَتْ تَدْفَعُ مَالًا لِبَعْضِ الْفَقِيرَاتِ لِيَسْتَعْنَّ بِهِ عَلَى  
الزَّوْجِ مِمَّنْ يَسِرْدَنَ .

هَذَا هُوَ قَلْبُ ( مَرْغَرِيْتِ ) وَهَذِهِ هِيَ سَرِيرَةُ نَفْسِهَا فَهِيَ فَتَاةٌ سَاقِطَةٌ وَلَكِنَّهَا  
غَيْرُ رَاضِيَةٍ عَنِ ذَلِكَ وَفَاسِدَةٌ وَلَا تُحِبُّ أَنْ يَفْسُدَ غَيْرُهَا مِنَ الْفَتَاتِ ، وَلَوْ كَانَتْ تَسْتَطِيعُ  
الْمَرْأَةُ الْفَاسِدَةُ - فِي نَظَرِهَا - أَنْ تَسْتَرْجِعَ نَظْرَةَ النَّاسِ إِلَيْهَا وَأَنْ تَحْمِلَ مَاسَلَفَ  
مَنْ فَسَادَهَا فِي نَظَرِهِمْ لَكَانَتْ هِيَ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ .

وَلَمْ يَمْضِ عَلَى ( مَرْغَرِيْتِ ) بَضْعَةُ أَيَّامٍ فِي حَيَاتِهَا ظَنَّ أَنَّهَا حَتَّى نَزَلَ بِهَا مَرَضٌ  
حَبَّهَا عَنِ النَّاسِ عِدَّةَ أَيَّامٍ ثُمَّ اشْتَدَّ طَيْبُهَا ، فَأُشَارَ طَيْبُهَا الْأَطْبَاءُ أَنَّ تَذَهَبَ إِلَى  
حَمَامَاتِ " الْبَانِيِيرِ " لِلإِسْتِشْفَاءِ بِمَاعِهَا وَهَوَائِهَا فَسَافَرَتْ بِصُحْبَةِ خَادِمَتِهَا إِلَيْهَا ،  
وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْمَصْطَافِ فِي نَعْرِ الْعَامِ شَيْخٌ ثَرِيٌّ اسْمُهُ ( الدُّوقُ مُوَهَّان ) حَضَرَ  
إِلَى هَذِهِ الْحَمَامَاتِ وَابْنَتُهُ الْوَحِيدَةُ مَرِيضَةٌ بِدَاءِ الصَّدْرِ لَيْسَتْ تُشْفَى لَهَا مِنْ دَائِهَا  
فَلَمْ يَجِدْهَا الْعِلَاجَ وَمَاتَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَدَفَنَهَا هُنَا ، وَلَبِثَتْ عِدَّةَ أَيَّامٍ بَعْدَ مَوْتِهَا  
يَخْطِفُ إِلَى قَبْرِهَا وَيَبْكِيهَا بَكَاءً شَدِيدًا .

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ أَثْنَاءَ دَعْوَتِهِ مِنَ الْمَقْبَرَةِ لِمَحْ فِي طَرِيقِهِ ( مَرْغَرِيْتِ ) فَدُهِشَ لِمَنْظَرِهَا  
دَهْشَةً عَظِيمًا وَخَيَّلَ إِلَيْهِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَهُ ابْنَتَهُ مِنْ قَبْرِهَا أَوْ أَرْسَلَ إِلَيْهَا خِيَالَهَا  
لِيَعْرِضَ عَنْهَا لَشِدَّةَ الشُّبْهِ بَيْنَ صُورَةِ هَذِهِ الْفَتَاةِ وَصُورَةِ ابْنَتِ الرَّاحِلَةِ ، فَتَقَدَّمَ نَحْوَهَا  
كَشَدَّوْهَا زَاهِلًا وَأَمْسَكَ بِطَرَفِ رِدَائِهَا وَظَلَّ يُحَدِّثُ فِي وَجْهِهَا تَحْدِيقًا طَوِيلًا ،



فَعَجِبَتْ لِشَأْنِهِ وَسَأَلَتْ مَا بِهِ ؟ فَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تَأْذِنَهُ لَتَقْبِيلِ يَدَيْهَا فَأَذِنَتْ  
لَهُ بِذَلِكَ وَهِيَ لَا تَعْلَمُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ .

رَافَقَ الشَّيْخَ " مَرْغَرِيْت " فِي سِيرِهَا وَاعْتَذَرَ لَهَا عَنْ طَلْبِهِ فِي تَقْبِيلِ يَدَيْهَا ثُمَّ  
قَصَّ عَلَيْهَا مَصَابِيهِ فِي ابْنَتِهِ الَّتِي تُشَبِّهُهَا ، فَوَثَّتْ الْفَتَاةُ لِحَالِهِ ، وَذَرَفَتْ مِنْ عَيْنَيْهَا  
عَبْرَةً مُشَارِكَةً لَهُ فِي أَحْزَانِهِ ، فَشَكَرَ لَهَا هَذَا الشُّعُورَ الْإِنْسَانِيَّ النَّبِيلَ ، وَلَمْ يَزَلْ سَائِرًا  
مَعَهَا حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْمَنْزِلِ فَوَدَّعَهَا وَلَمْ يَنْسُْ قَبْلَ وَدَاعِهَا أَنْ يَسْتَأْذِنَهَا فِي الْإِخْتِلَافِ  
إِلَيْهَا مِنْ حِينٍ لآخر فَأَذِنَتْهُ وَصَعِدَتْ إِلَى غُرْفَتِهَا وَهِيَ تَتَفَكَّرُ فِي شَأْنِ تِلْكَ الْفَتَاةِ  
الْمُسْكِينَةِ الَّتِي اخْتَطَفَهَا الْقَدَرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا وَوَالِدِهَا اخْتِطَافًا وَهِيَ مَازَالَتْ فِي زَهْرَةٍ  
شَبَابِهَا ، ثُمَّ خَظَرَ فِي بَالِهَا أَنَّهَا مَصَابِيَةٌ بِنَفْسِ الْمَرْضِ وَأَنَّهَا سَتَفَارِقُ الْحَيَاةَ عَمَّا قَرِيبَ  
وَلَنْ تَجِدَ لَحْظَةً فَرَاقَهَا لَهَا أَبًا رَحِيمًا يَحْنُو عَلَيْهَا وَلَا أُمًّا تُكَلِّمُ تَدْبِيهَا ، فَأَثَرُ نَفْسِ  
نَفْسِهَا هَذَا الشُّعُورَ وَلَزِمَتْ غُرْفَتِهَا فِي يَوْمِهَا ذَلِكَ .

ظَلَّ الدَّوْقُ يَخْطِفُ إِلَى مَنْزِلِ ( مَرْغَرِيْت ) مِنْ حِينٍ إِلَى آخِرٍ ، يَأْتِي إِلَى مُحَادَثَتِهَا  
وَلِقَائِهَا ، وَكَانَتْ هِيَ تَشْعُرُ بِأَنْسِهِ مَعَهَا ، فَمُنَحَتْهُ مِنْ عَطْفِهَا وَحُبِّهَا مَا لَمْ تَمْنَحْهُ  
أَحَدًا مِنْ قَبْلِهِ ، وَأَنْسَرَتْ بِهِ أَنْسًا لَمْ تَأْنَسْهُ بِإِنْسَانٍ سِوَاهِهَا وَمَا هِيَ إِلَّا أَيَّامٌ قَلِيلٌ حَتَّى  
أَبْلَكَتْ مِنْ مَرَضِهَا وَعَادَ إِلَى وَجْهِهَا رَوْقُهُ وَنَضَارَتِهَا وَالْجُودُ مَلَاحَمَهَا بِهَاوِئِهَا وَحُسْنِهَا  
فَأَزْمَعَتْ الْعُودَةَ إِلَى بَارِيْسَ ، وَلَكِنَّ الدَّوْقَ عَرَضَ عَلَيْهَا أَنْ تَتْرِكَ حَيَاتِهَا الْمَاضِيَةَ  
وَتَعِيشَ بَعِيدَةً عَنِ الْأَسْأَامِ وَالْخَطَايَا فِي مَنْزِلٍ يَعِدُّهُ لَهَا ، وَأَنْ يَقُومَ هُوَ عَلَى تَوْفِيرِ كُلِّ  
مَاتِحَاتِجَةٍ فِي حَيَاتِهَا عَلَى أَنْ تَسْمَحَ لَهُ بِزِيَارَتِهَا دَائِمًا .

نزلت ( مرغريت ) عند رغبة الشيخ ، ومنذ ذلك الحين تغيرت صورة حياتها الأولى وأصبحت تعيش في قصرها الذي أعدّه لها عيشاً بين العزلة والاختلاط ، فلا تستقبل الناس فيه إلا قليلاً ، ولا تخطط مع الذين تستقبلهم إلا اختلاط كهُ ، وربما مرت بها أيام لا يراها الناس خارج قصرها إلا قليلاً .

هكذا استقرت ( مرغريت ) وعلم الناس جميعاً أنها هجرت حياتها الائمة ، وأنها قنعت بحياتها الجديدة فوقفت قناعتها هذه أمام أغراضهم الدنيئة منها ؛ فلم يعد أحد منهم يطمع بها أى مطمع ، وكثيراً ما كانت تخلو إلى نفسها فتذكر تلك الحياة التي كانت تحياها فتدفعها هذه الذكرى المومعة إلى كره الرجال جميعاً لأنهم كانوا سبباً في سقوطها الذي استنكره استنكاراً شديداً لأنه كان سبباً في مرضها ، ولا تأسف على شيء قد فاتها من مال الناس لأنها تعيش في نعمة من مال الدوق لا يطمع في أكثر منها طامع لأن هذا الاستقرار الذي تحياه طالما حلّمت به وتمنته وهي الآن تتقلب بين أعطافه .

إنقضت أيام الخريف وأقبلت أيام الشتاء ، وسألت الأجواء برداً وقرّاً ، فثار ما كان كامناً من داء ( مرغريت ) وعاد إليها سعالها العنيف ، فظلت تكابد من مرضها ألا ما جساماً ، لا تفارقها يوماً حتى تعاودها أياماً ، فإذا ألمت بها لزمت سريرها أياماً لا تبرحه وإذا خفتها خرجت إلى الخلاء باكراً كل يوم وأصيله طلباً للهواء الطلق ، وربما قضت بعض الليالي في ملعب التمثيل لتروح عن نفسها بما تشاهده من مقصورتها فيه حتى إذا مرت عليها ساعة أو ساعتين عادت إلى منزلها .

كانت ( مرغريت ) لا تزال ترى وهي في مقصورتها تلك ، شاباً في زي الأشراف  
يُخالسها النظر حتى إذا ما التفت عيناها بعينيهِ احمرَّ وجهه خجلاً وأرفض جبينه  
عرقاً ، كأنما جنى جناية لا مفرَّ له منها ، فكانت لا تحفل بأمره كثيراً ، إلا أنها كانت  
تعجب لسكونه وجموده وطول انغماسه وأطرافه ولطك العبارة الحزينة المنتشرة على  
وجهه .

وكان أكثر ما يدهشها فيه أو يعجبها منه تأثيره لمشاهد الحزن والشقاء التي  
كان يراها على مسرح التمثيل ، لعلمها أن الشاب المستهتر لا يهتم بمثل هذه المواقف  
المؤثِّرة إذا كانت حقيقة واقعة فكيف به لو كان مشهداً مثلاً أمامه ؟

وبينما كانت ( مرغريت ) خالية بنفسها في مقصورتها بالطعب ، وكان الجو فو  
تلك الليلة بارداً ، بينما هي كذلك إذ فجأتها نوبة السعال التي كادت أن تسقطها  
أرضاً لضعفها ووهنها ، فشمرت على الفور بيد تمسك يدها فاعتمدت عليها ولم تستطع  
الالتفات لترى صاحبها حتى بلغت عريتها فركبتها ثم شعرت بالراحة قليلاً ، والتفتت  
لتشكر صاحب اليد الرحيمة ، فلم تر أحداً أمامها ولمحت على البعد إنساناً مُنصرفاً عنها  
ولم تتمكن من رؤيته ولكنها تخيلت صورته تخيلاً فعجبت لأمره ومضت في طريقها ، وما  
أن وصلت إلى قصرها حتى شعرت برعشة الحُمو تتعشش في أعضائها  
فلزمت سريرها بضعة أيام لا تفارقه .

برئت ( مرغريت ) من مرضها بعد البرء ، وكانت خادمتها تقدم لها في كل  
يوم بطاقات الزائرين والزائرات لها فلم تقرأ واحدة منها ، ثم أخبرتها الخادم أن فتى  
كان يسأل عنها في اليوم مرة أو مرتين ولم يخبرها باسمه ولا يترك بطاقة أبداً ،

وكان يتألم كثيراً عندما يعلم أنها مازالت مريضة . .

طلبت السيِّدة من خادمتها أَنْ تصِفَ لها ظَبَّت طلبها وعندها عرفت ( مرغريت )  
ذلك الشابَّ المخلص وعجبت لأمره كلّ العجب وتمنّت رؤياه لتشكره على حسن صنيعه  
معه ، فأمرت الخادم أن تخبرها فور وصوله للسَّوَال عنها .

جاء الفتى و ( مرغريت ) في شُرفتها فعرفته وطلبت من الخادم إدخاله ففعلت ، وهنا  
اضطرب الفتى لطلب السيِّدة ولكنه لم يجد بداً من الاستجابة ، فتبع الخادم حتّى  
دخل على ( مرغريت ) التي مدت يدها له لتصافحه وأذنت بالجلوس فجلس وأخذ  
يتبادلان النظرات والأحاديث ، فسألت عن نفسه وعن قومه وكلِّ شؤونه .

علمت ( مرغريت ) أنه غريب عن باريس وأنه وفد إليها منذ عشرين يوماً فقط  
قادمًا من بلدته ( نير ) ليقضى في رحلته هذه ثلاثة أشهر بعد أن أذن له والده  
بذلك للترويج عن النّفوس ثم يعود في نهايتها إلى وطنه ، وتدرج بهما الحديث  
حتى كشف حبّه لها ، فاعترفت له بأنها امرأة مريضة وليس في استطاعتها أن تحتل  
الحياة خالصة لا مؤونة فيها ، فأحرى بها ألا تحتلها وهي مُثقلة بالحسب  
والفرام .

إصفر وجه الشاب وحزن حزناً شديداً ، وأعلمها أنه أحبها لأول مرة  
رآها فيها وقد علم من أمرها ما علم ، لذا لا يتمنى على الله أكثر من أن يراها بارئة  
ناعمة بالصحة والعافية ثم لا يطمع بعد ذلك في شيء مما يطمع فيه المحبون المغرمون ،  
ثم سألها بعد ذلك أن تأذن له بالوقوف على بابها كلما جاء ليسأل الخادم عنها  
ويعض بعدها لسبيله دون أن ترى وجهه ، فأذنت له بذلك ، بل وأذنت له

بزيارتها كما أراد على أن يكون صديقاً حميماً ، لأنها إلى الأصدقاء المخلصين أحوج منها إلى المحبين المقربين .

وهكذا انصرف عنها وهو سعيد بيومه ذلك .

خافت ( مرغريت ) أن تقع في حب هذا الشاب المخلص لها ، ولا شك أن خوفها هذا يعنى أنها أحبت فعلاً واستمر الشاب في زيارته لها يأنس برواها وتأنس لحدثه ، فأخبرته بماضيها وحاضرها لم تكذب عليه في شيء ، ولا أخفت عنه شيئاً واستمر على ذلك حتى انقطع عن زيارتها ثلاثة أيام لأمر عارض مر به فذهبت بنفسها الظنون كل مذهب وأدركت أنها في قلق لا عهد لها بمثلها فأضمرت في نفسها أمراً لا يعلمه إلا الله .

جاء ( أرمان ) في اليوم التالي ، فوجد في عينيها أثر السهر والبكاء ، فسألها عن حالها ، فطلبت منه أن يجلس إلى جوارها لأنها تريد محادثته ، فأذن عن لرغبتها ثم أخبرته بما كان من أمرها مدة غيابه عنها ، وطلبت منه أن لا يعود لزيارتها مرة أخرى وأن يعود إلى أهله لأنها لا تريد أن تكون عاشقة والهة ، وستحمل نفسها على الصبر عنه حتى يمن الله عليها براحة اليأس منه ، ثم نظرت إليه لترى إجابته في ملامح وجهه فرأته مصفراً الوجه جامداً في مكانه ، لم يستطع أن يحرك شففيه إلا بعد عناء طويل ، فسألها عن سبب خوفها من حبه ؟

فأظمت أنها تخاف انتقام الله منها لأنها طالما لعبت بقلوب محبيها وتخاف الآن أن يستبد بها حبه خاصة وأنه سيرحل عما قريب إلى باريس ويتركها وحيدة لأن أهله لن يسمحوا له بالزواج أو العيش مع امرأة كان لها ماضٍ أثم مثلها وليس

أمامه إلا النزول عند رغبتهم ، وعندها ستقف موقف الحيرة واللوعة ، إذ تطلب السبيل إليه فلا تجد ، والسلوَّعه فيلا تستطيعه ، وربما حاولت بعد ذلك العودة إلى كنف الشيخ كما كانت فيطردها عقاباً لها على خيانتها لعهدا معه وكفرانها لنعمته عليها وإحسانه لها ، فلا تجد بعد ذلك إلا العودة إلى حيات الأمل التي فرَّت منها هاربة .

وهكذا أقنعت ( مرغريت ) حبيبها ( أرمان ) بالابتعاد عنها بعد إلحاح شديد حتى أذعن لرغبتها وخرج من قصرها يجر أقدامه جرّاً إلى باب القاعة حتى بلغه وخطوا بلغه ، وقف عنده ونظر إليها نظرة المحتضر ساعده وداع أحبائه وذويه ثم خرج ، فما أن غاب شخصه عنها حتى نهضت من فراشها هائمة مختبلة تريد اللحاق به ولكنها تماسكت ، ثم عادت تصرخ ليعيده إليها ، وبينما هو كذلك سمعت صرخة مقلبة عليها من الحديقة فهزعت إلى حيث الصوت فوجدت حبيبها مفشياً عليه ، وعندها استسلمت لقضاء الله قائلة ليكن ما أراه الله وألقت بنفسها عليه فشعر بها ثم اصطحبته إلى داخل القصر .

وهذه الحادثة كانت بداية حياتها الجديدة مع ( أرمان ) إذ اتفقت معه أن يقضيا بقية حياتهما سوياً لا يفرق بينهما إلا ربّ المنون .

تركت ( مرغريت ) حياتها مع ذلك الشيخ الذي أحسن إليها واستأجرت مع ( أرمان ) بيتاً صغيراً في ضاحية من ضواحي باريس يقع على هضبة عالية في سفح جبل أخضر تجري من تحته بحيرة صافية بديعة كأنما بنى صاحبه لهما .

ونقلت " مرغريت " إليه من منزلها السابق في باريس ما تحتاج إليه من أثاث ومتاع ، وعاشا فيه سوياً في رغدٍ من العيش وهناء منقطع المشيل .

ثم انتبه لهما الدهر من غفوته - وويل للسعداء من انتباهته هذه -  
 إن سعد ما عند حبيبها من مال كثير ، فكتب إلى والده يستزيده منه زاعماً أنه  
 مازال مريضاً متألماً لا يستطيع السفر إليه .

وهكذا استمر ( أرماني ) على حاله تلك من حين إلى آخر ولكن . . لم يأتيه  
 رد فأطلقه الأمر وظل يخطف إلى المدينة من حين إلى حين يسأل في فندق  
 ( تورين ) الذي كان ينزل به قبل اتصاله بهذه المرأة - ظل يسأل عن رسالة ينتظرها  
 من والده ولكن دون جدوى فعاد حزينا منقبضاً .

خفت ( مرغريت ) من جيبها ماله إذا أخرجت بعض المال وأخبرته أنها ستنفق  
 منه لأنها استطاعت أن تعرف أمره بنفسها ، ولكن للأسف كان مالها قليلاً لأن الدوق  
 قطع عنها ما قرره لها كذلك كان عليها ديناً فسدته ولم يبق لها إلا النذر اليسير  
 منه ومع ذلك لم تبخل عليه به ، مما جعل ( أرماني ) يكبر فيها هذه التضحية  
 الصادقة ، ولكنه أنف منه أنفاً شديداً ورفض أن يعيش على مال امرأة وعزم على السفر  
 إلى والده طمأنينة يستطيع أن يحضر منه ما أراد .

أزعج ( مرغريت ) ما عزم عليه حبيبها فجثت بين يديه تستعطفه ألا يرحل ،  
 وبينما هو كذلك وصلت رسالة من والده تخبره أنه وصل إلى ذلك الفندق بنفسه وأنه  
 يريد مقابلته .

ذهب الشاب للقاء والده ، فكانت لهجة الوالد قاسية شديدة لأنه علم بحياته  
 مع هذه المرأة فطلب منه تركها والعودة معه إلى ( نيس ) وإلا سيقطع عنه كل مدد  
 بعد ذلك ، فأطم الشاب والده أنه لا يعيش معها إلا لأنه يشفق عليها من مرضها

ووجدتها في ذلك المرض حيث لا تجد مُعيناً ولا أنيساً كما أخبره بحب هذه المرأة وإخلاصها له ، وهي تعيش معه عيشة شريفة مخلصة ، ويخاف إن تركها أن تعود إلى حياتها الأولى قبل جلوسها في قصر الدوق .

ولكن هذه الأعذار لم تُجدِّ مع الوالد الذي يخاف على سمعة العائلة وشرفها شيئاً ، لذا ترك لابنه فرصة يسترجع فيها عقله في منأى عن عاطفته بعد أن أوضح له كل ماغاب عنه بسبب تلك العاطفة .

انصرف الأب لقضاء بعض أموره الخاصة ثم عاد لابنه يسأله عن قراره الأخير .  
حبساً الابن بين يدي والده يستعطفه ويسترحمه وكاشفه بحقيقة حبه لها وأنه لا يستطيع فراقها فقال : -

( ..... ) وقد نزلت هذه الفتاة من نفس منزلة هي منزلة الحياة من الجسم والفيث من التربة القاحلة ، فإن كنت لا بدَّ أخذى فخذ معك جسماً هامداً لا حراك به أو بته زاوية لا حياة فيها ..... ) ( ١ )

وهنا تركه والده إلى اليوم التالي طه يعود إليه بحال أحسن من التو هو طيها الآن ، وعاد ( أرمان ) إلى ( مرغريت ) ظم يجدها في استقباله بالشـرفـة كما دتها فدخل طيها في غرفتها فإذا هي منكبة على منضدة بين يديها كأنما هي نائمة أو ذاهلة ، فشعرت به عند دخوله ثم نهضت مذعورة خائفة ، فخيـل إليه أنه لمعنى يدها رسالة تخفيها بين أصابعها فظن أنها من تلك الرسائل التي كان



يرسلها إليها المركيز " جان فيليب " من حين لآخر ، لستعطفها العودة إلى سيرتها الأولى ، ويعرض عليها ماشاءت من مالٍ وجاء لشدة حبه لها .  
ولكنها كانت تمزق هذه الرسالة فور قراءتها أو اطلاعها على عنوانها ، وكان " ارمان " لا يحصل ما يراه ، فسأله " مرغريت " عن والده وماتم بينهما فقص عليها كل ما حدث وهو مطرقة برأسها صامتة تسمع ما يقول وجهها أصفراً كأنما تُفرض عليه الموت غباره .

سأل ( ارمان ) حبيبته عن حالها فأخبرته أنها مُتعبة تريد الراحة ولزمت سريرها في ليلة ليلاً مشردة الفكر والفؤاد بين أحلام مزعجة وأوهام سوداء حتى كان الصباح ، فطلبت من ( ارمان ) العودة إلى والده ليسترحمه ويستعطفه مرة أخرى طه يجد ذلك الاسترحام إلى قلبه سبيلًا .

ذهب الشاب إلى والده ظم يجده ولكنه وجد رسالة منه يطلب منه فيها انتظاراً حتى عودته ، فانتظره إلى آخر النهار ، إن عاد باسم الوجه على غير ما تركه عليه في اليوم السابق ، وأخبره أنه فكر في أمره مع هذه المرأة فقرّر أن يتنازل عن إصراره على عودته إليهم شريطة أن يعود فور انقطاع صلتها به ثم أخذ عليه وعداً بذلك .

وهنا استطار ( ارمان ) فرحاً واستأذن والده في العودة إليها لبشّرها بموافقته فطلب منه الوالد الانتظار معه حتى الليل لأنه سيرحل ويتركه معها ، فنزل الابن عند رغبته وبقي معه حتى آخر اليوم ثم ودعه .

انطلق الشاب إلى حبيبته حاملاً بين جنبيه آماله وآمال ( مرغريت ) وسعادتهما التي يرحوانها في مستقبل حياتهما وطار بها إليها بتقاسماها فما دنا من منزلهما حتى أدهشته رؤية البيت مظلماً ساكناً ليس به أحد ، فظن أنها ذهبت إلى بيتها في

باريس لبعض شأنها واصطحبت معها خادمتها ولا بدَّ لها أن تعود .

وهكذا مضى من الليل ساعات لم يذُق فيها " أرمان " طعم النوم حتى فكر فـسـ<sup>س</sup>  
الذَّهاب إلى " باريس " ولكنه أحجم عن ذلك مخافة ألا يتقابلا ، فمكث ينتظرها حتى  
اليوم التالي وحدثته نفسه في ليلة انتظاره تلك بكل حديث إلا حديث خيانتها وغدورها .

رحل أخيرا " أرمان " إلى باريس حتى بلغ منزلها وهو خائر القوى والأعصاب  
فرأى حارس المنزل ، ثم سأله عن " مرغريت " فأجابه أنها أتت إلى المنزل وبقيت به  
ساعة ثم ركبت العربة وطلبت من الحوذي أن يسير بها إلى منزل المركيز ( جان فيليب )  
جعد الشاب في مكان وامتنع لونه ومربخاطره رُويته لتلك الرسالة التي أخفتها عنه  
يوم عودته بعد مقابلة والده . وهنا أتى له الحارس بخطاب تركته ( مرغريت ) عنده  
لحييها فإذا هو يقرأ قولها :-

( هذا آخر ما بيني وبينك يا أرمان ، فلا تحدث نفسك بمعاودة الإِصال بـسـ<sup>س</sup>  
ولا تسألني عن السَّبب في ذلك فلا سبب عندي إلا أنني هكذا أردت لنفسي والسلام ( ١ )  
قرأ أرمان ( الرسالة ) وجعد بعدها جموداً لا يعلم ماذا يقول ؟ حتى سقط مفشياً  
عليه في حديقة المنزل .

وعندما أفاق من غلظته توجّه من توه إلى منزل والده ودخل عليه مذهولاً مختبلاً فسأله  
الوالد عن حاله فأطمه بما حدث من خيانتها فقال له والده :-

( ذلك ما أنذرتك به يا بنى من قبل ) ( ٢ )

١ - المنظوميّ . العبرات ص ١٤٢

٢ - المنظوميّ . العبرات ص ١٤٣

طَوَيْتَ صَفْحَةَ النَّهَارِ وَجَاءَ اللَّيْلُ سَابِلًا أُسْتَارَ وَسَاوَسَهُ وَأَوْهَامَهُ طَوَى الشَّابُّ الْحَزِينُ  
 فَاسْتَعَادَ خِلَالَهُ شَرِيْطَ ذِكْرِيَّاتِهِ مَعَ ( مَرْغَرِيْتِ ) وَأَخَذَ يَسْتَعْرِضُ فِي نَفْسِهِ جَمِيعَ أَطْوَارِهَا  
 وَشَتَوْنَهَا ظَمَّ تَبَقَ حَرْكِهِ مِنْ حَرَكَاتِهَا وَلَا كَلِمَةَ مِنْ كَلِمَاتِهَا كَانَ بِالْأَمْسِ يَرَاهَا حَسَنَةً مِنْ  
 حَسَنَاتِ إِخْلَاصِ وَالْوَفَاءِ ، إِلَّا وَالْيَوْمَ سَيِّئَةٌ مِنْ سَيِّئَاتِ الْخَدِيعَةِ وَالْمَكْرِ ، حَتَّى ذَكَرَ  
 الْيَوْمَ الَّذِي لَمْ تَسْتَقْبَلْهُ فِي الشَّرْفَةِ كَعَادَتِهَا وَإِخْفَانِهَا لِلرَّسَالَةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهَا  
 وَضَنَّتْهَا عَلَيْهِ ضَنْأً شَدِيدًا ، فَزَادَ حَقْدَهُ عَلَيْهَا وَازْدَرَاءَهُ لَهَا ، وَعَزَمَ فِي نَفْسِهِ أَمْرًا  
 وَلَكِنْ . . غَلِبَهُ النَّوْمُ إِلَى صَبِيحَةِ الْيَوْمِ التَّالِي ، فَدَخَلَ إِلَى وَالِدِهِ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُعْطِيَهُ  
 مِبلغًا كَبِيرًا مِنَ الْمَالِ . وَحَاوَلَ وَالِدُهُ أَنْ يَعْرِفَ السَّرَّ فِي ذَلِكَ وَلَكِنَّ الشَّابَّ احْتَفَظَ بِهِ  
 لِنَفْسِهِ ، فَأَدْرَكَ وَالِدُهُ مَا يَدُورُ فِي خِلْدِهِ وَأَعْطَاهُ مَا أَرَادَ .

أَرْسَلَ " أَرْمَانُ " الْمَالِ إِلَى " مَرْغَرِيْتِ " فِي رِسَالَةٍ مَسْجَلَةٍ وَأَرْفَقَهَا بِخَطَابِ جَارِ  
 خَرَجَ الشَّابُّ لِيَعِدَّ نَفْسَهُ لِلسَّفَرِ وَقَضَى يَوْمَهُ خَارِجَ الْفُنْدُقِ ثُمَّ عَادَ فَوَجَدَ رِسَالَةَ تَحْمِلُ اسْمَهُ  
 هُنَاكَ فَفَضَّهَا فَإِذَا بِالْأَوْرَاقِ الَّتِي بَعَثَهَا إِلَى ( مَرْغَرِيْتِ ) بِدَاخِلِهَا لَمْ تَعَسَّ مِنْهَا  
 شَيْئًا وَلَيْسَ مَعَهَا أَى كَلِمَةٍ أُخْرَى ثُمَّ حَاوَلَ أَنْ يَعِيدَهَا إِلَيْهَا فَمَنَعَهُ وَالِدُهُ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ  
 رَحَلَ إِلَى بَلَدِهَا سَوِيًّا .

وَهَكَذَا قَضَى اللَّهُ أَنْ يَفْتَرِقَ الْحَبِيبَانِ ، فَعَادَ الشَّابُّ إِلَى أَحْضَانِ أَبِيهِ وَعَادَتِ  
 ( مَرْغَرِيْتِ ) إِلَى حَيَاتِهَا الْأُولَى الَّتِي أَبْتَهَتْ كُلَّ الْإِبَاءِ ، وَحَمَلَ كُلُّهُمَا حَسْرَةً  
 فِي نَفْسِهِ لَا تَخَفُّهَا الْأَيَّامُ وَلَا تَنْهِيهَا الْأَعْوَامُ .

أما من شأن ( مرغريت ) بعد عودتها إلى حياتها الأولى ، فقد أصبحت تعيش مع الناس بصورة غير التي تعيشها مع نفسها ، إذ كانت ترى لاهية ضاحكة مستهترة وقلبها يعتصر ألماً وحزناً ، وأصبحت تعيش بين أقوام لا تعرفهم ولا تجد في نفسها لذة الأُنس بهم وهي مع ذلك لا تجد بداً من محادثتهم والتحدث إليهم بما يعيشون .

ولم تزل تكابد من الشقاء في تلك الحياة الساقطة مالا طاقة لها بمثلها ، حتى عاودتها نوبتها القديمة ، فهزل جسمها وشحّب لونها وفاض ماء ابتسامتها وانطفأ شعاع نظراتها وشفت بنفسيها عن المركز ، فالبث أن ملها وفارقها واستبدلها بغيرها ، ثم اختطف طليها غيره ، ومالبثوا أن علموا عنها ما طعمه المركز فهجروها . . وهكذا كسّمت سلعتها في سوق الجمال .

نضب مال ( مرغريت ) فمدّت يدها إلى جواهرها فباعتها لتسد حاجتها ودَيْنها ثم طلبت المعونة من أصدقائها فلم تجد لديهم إلا القليل . وحجز الدائنون طموح جميع مقتنياتهما ودخا سرهما وأثاث بيتها وأسأوا معاملتها إساءة زادت من حزنهما وألمها ، وفقدت بصير الأمل الذي كان يطل على نفسها أحياناً فيسعدّها ، ونسيت العالم خيره وشده ولم تتن إلا أمنية واحدة ترجو تحقيقها قبل فوات الأوان وهي أن ترى حبيبها ( أرمان ) قبل وفاتها ، فنهضت من مكانها وهي تتحامل على نفسها وأخذت تكتب إليه رسالة لم تسبقها برسالة قبلها .

طلبت ( مرغريت ) من ( أرمان ) أن يأتيها لتقضي إليه بسرّ الذنب الذي اقترفته في حقّه رغماً عنها وأخذت تسترحمه وتستعطفه بكل ما أوتيت من ألفاظ الاسترحام والاستعطاف فقالت له : —

( واذكري أرمأن أن أول عاطفة جمعت بيني وبينك وألفت بين قلبي وقلبك

هي كانت عاطفة الرحمة والشفقة ، فيها هي الفتاة المريضة المسكينة التي رحمتها بالأمس وعطفت عليها قبل أن تحبها تدعوك اليوم أن ترحمها وتعطف عليها وإن تكن

قد سلوتها ( ١ )

بقيت ( مرغريت ) تنتظر حضور ( أرمأن ) أياماً طويلاً فلم يأت وظنت أنه

سلاها فحزنت حزناً شديداً لأنها أدركت أنه لم يعد يهيم أمر سعادتها أو حتى

حياتها وموتها ، والحقيقة أنها أخطأت في ذلك لأن أرمأن لم ير رسالتها تلك لعدم

وجوده في مكان وصولها فقد سافر إلى الإسكندرية ترويحاً عن نفسه من كُرْبَتها ثم تركها

وأخذ ينتقل في أنحاء البلاد ، لم ينزل بلدة حتى يدفعه ضجره بها إلى غيرها حتى

انقطعت أخباره عن والده الذي احتفظ بالرسالة عنده ، وسيطر اليأس على المسكينة

فلزمت الصمت حتى مع طبيعتها لأنها لم تعد تنتظر إلا ساعة موتها ، وكانت إذا شعرت

بشوء من الراحة والسكون ركبت عربتها إلى البيت الذي كانت تسكنه مع حبيبها أيام

سعادتهما الراحلة ، وكان ذلك المنزل مازال على هيئته الماضية فلا تزال تتجول

في غرفه وقاعاته مستعيدة ذكرى الماضي السعيد في حاضرها التعيس ، ولا تزال

تتربها هذه الذكريات التي تسعدها لحظات ثم لا تلبث أن تنتهي من غفلتها فتكسى

ماشاء الله لها من ساعات وساعات ، تعود بعدها إلى بيتها في باريس فتجلس إلى

كرسيها أمام منضدتها لتكتب مذكراتها التي تناجي فيها حبيبها وكأنه ماثل أمامها

يراهها ويسمعها .

مذكرات مرغريت : أما مذكراتها ، فقد حادثت فيها " ارمان " بكل شيء ، وأفضت إليه بسر خيانتها له - كما يظن - فأظمت أن والده عندما أعياه أمر السيطرة عليه كتب إليها رسالة يقول فيها :-

( سيدتى :-

أريد أن أقابلك غداً في منزلك في الساعة العاشرة صباحاً في شأن خاص بى وبك ، وأريد ألا يكون " ارمان " حاضراً لك المقابلة ولا عالمياً بها ، ولا يأنسى أرسلت هذه الرسالة إليك ، ولى من حسن رأى فيك ما يطمئنى في أن يكون ما سألتك رأيك سراً بينى وبينك حتى نلتقى . . والسلام

( دوفال ) ( ١ )

وكانت هذه الرسالة هى التى ضمنت عليه بها أن يراها وأخفتها بين أصابعها عندما دخل عليها ولم يجدوها في استقباله ولمحها في يدها فظن أنها من المركيز " جان فيليب " كذلك أخبرته أن والده أتى لمقابلتها وطلب منها بل واسترحمها أن تباعد عنه لأن ابنته الوحيدة على فراش الموت بسبب فراق خطيبها لها والذي كان من أسرة شريفة ويأبى أن يتزوج من فتاة مازال أخوها على ارتباط بامرأة مومس مثل " مرغريت " .

كما طلب منها ألا تخبر ( ارمان ) بكل ذلك بل أن تكتب له رسالة تخبره فيها أنها خانت عادات لحياتها الأولى لأن هذا هو الأمر الوحيد الذى سيبعده عنها ويعيده إلى كنفه ، ويعيد إلى ابنته صحتها وسعادتها بخطيبها فقال :-

( ارحمىنى يا مرغريت وأشفق على ضعفى وشيخوختى وتصدق على بمستقبل

ولدىّ وحياة ابنتى ) ( ١ )

وهكذا كانت مذكرات " مرغريت " مكاشفةً منها له بالحقيقة التى لم يطالع عليها إلا بعد وفاتها حيث أطلعت خادمتها عليها ، لأنه لم يحضر إلا بعد أن لقيت " مرغريت " وهما لازم بعدها ( ارمان ) فراشه طريحاً عاكفاً على قراءة مذكراتها باكيّاً عليها بكاءً الشاغل المفجوع ثم اشتدّ به المرض بعد ذلك ، ظم تر الخادم بداً بعد ذلك من أن تكتب إلى أبيه لتشرح له سوء حاله ، فحضر وحضرت معه ابنته وزوجها ، ولبثوا بجانبه شهراً يقومون برعايته وتطيه حتى أبل ونجا من عنته ، ثم ذهبوا جميعاً إلى قبر " مرغريت " فبكوا عليها وكانت ( سوسان ) أخت ( ارمان ) أكثر بكاءً ، عليها وهو لا تعلم أنها ضحية سعادتها الوحيدة ثم تقدم الأب من ابنه طالباً منه الغفران فغفر له .

ومضت الأيام ولقى الوالد ربه وسعد الابن كما أراى له والده ( ولكن بقيت بيوت جنبه لوعة أسى وغلالة حزن لا يخففها عنه إلا قراءة مذكرات " مرغريت " ومحادثة خادمتها عنها وزيارة قبرها من حين لآخر .

المواقف الإنسانية فيها : إن قصة التضحية حائلة من - غير شك - بالمواقف الإنسانية النبيلة ، وهل هناك إنسانية أفضل من أن يهذل الإنسان نفسه ضحية موقف نبيل ينقذ فيه غيره ؟

لقد وقفت ( مرغريت ) - بطلّة القصة - تلك المرأة التي اقتضت الظروف أن تفسد سلوكها مع ما في نفسها من طيبة غامرة تدفعها إلى أفضل الأعمال وأنبهها ، قل أو ندر أن تصدر من غيرها من السيّدات وحتى من عرفن منهن بالطهر والعفاف - لقد وقفت هذه المرأة مواقف إنسانية تستحق التسجيل والإعتبار من هذه المواقف ، إنها كثيراً ما كانت تمنح بعض الفتيات الفقيرات مهوراً يستعين بها على الزواج بمن يرون صيانة لهن من إلّا نزلاق في مهاوي الرذيلة . ( ١ )

ثم مشاركتها للشيخ في حزنه لفقد ابنته الوحيدة بسبب مرضها وذرفها الدموع أمامه رثاءً لحاله السيئة ، ثم انفردا بنفسيهما في غرفتهما بعد أن تركت الرجل وتفكيرها في أمر نفسيهما ، فربما تموت في مرضها هذا ولا تجد أباً رحيماً يكيها ولا أسرة تنسب فراقها وتأثرها لذلك تأثراً شديداً مما دفعها إلى ذرف الدموع الغزاز . ( ٢ )

نقول إن هذا شعور إنساني واضح منها لأن رغبة الإنسان في الانتماء الأسري إحساساً طبيعياً وفطرة موجودة في كل إنسان سواء كان ذلك الإنسان ساقطاً أو نبيلاً بل ربما كان سقوط المرء في مهاوي الرذيلة سبباً من الأسباب التي تُضاعف هذا الشعور عنده .

١ - المنظوظي . العبرات ص ١٢٠ بتصرف

٢ - المنظوظي . العبرات ص ١٢٢



عنده .

ثُمَّ مِنْ مَوَاقِفِهَا الْإِنْسَانِيَّةِ أَيْضاً مَوَاقِفَتَهَا عَلَى لِقَاءِ هَذَا الرَّجُلِ الْمَحْزُونِ وَمَجَالِسَتِهِ  
كَلَّمَا أَحَبَّ مِنْهَا ذَلِكَ ، رَغْبَةً مِنْهَا فِي تَخْفِيفِ أَلَمِهِ وَحُزْنِهِ بِمَا تَمْنَحُهُ لَهُ مِنْ عَطْفٍ وَحُبٍّ  
لَمْ تَمْنَحْهُمَا لِأَحَدٍ قَبْلَهُ ( ١ )

وَلَعَلَّ أَمْزَجَ الْمَوَاقِفِ الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي وَقَفَتْهَا " مَرْغَرِيْت " مَوَاقِفَهَا الَّذِي ضَمَّتْ فِيهِ  
بَحْبِثَهَا وَحُبِّيَّهَا وَنَفْسَهَا مِنْ أَجْلِ إِنْقَازِ أُخْتِ هَذَا الْحَبِيبِ ، طَكَ الْأُخْتِ الَّتِي  
كَانَتْ مَخْطُوبَةً لِأَحَدِ أَبْنَاءِ الْأَشْرَافِ وَالَّذِي ابْتَعَدَ عَنْهَا بِسَبَبِ عَمَلِهِ بِعِلَاقَةِ أَخِيهِمَا  
بِهَذِهِ الْمَرْأَةِ السَّاقِطَةِ ، لِأَنَّهُ لَا يَرِيدُ أَنْ يُصَاحِرَ رَجُلًا مِنْ هَذَا النَّوعِ فَمَرَضَتْ مَرْضَاً  
شَدِيداً لَإِذَا رَجَلَ وَالِدُهَا إِلَى ( مَرْغَرِيْت ) كَيْسَعُطِفَهَا أَنْ تَتْرَكَ ابْنَهُ - بَعْدَ أَنْ أُعْيَاهُ  
إِقْنَاعَ هَذَا الْإِبْنِ - وَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تَدْعُو أَمَامَ حَبِيبِهَا عَوْدَتَهَا لِحَيَاتِهَا السَّاخِرَةِ وَأَنَّهَا  
لَا تَرِيدُ أَنْ تَسْتَعْرِفَ فِي حَيَاتِهَا مَعَهُ ، شَرِيطَةً أَلَّا تُعَلِّمَ هَذَا الْإِبْنَ بِمَا دَارَ بَيْنَهُمَا  
مِنْ حَدِيثٍ وَلِنَسْتَمَعَ إِلَى قَوْلِهِ لَهَا :-

( مَرْغَرِيْتُ إِنَّ حَيَاةَ ابْنَتِي بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَاْمْنَحِينِي إِيَّاهَا تَتَّخِذِي عِنْدِي يَدَاً  
لَا أَنْسَاهَا لَكَ حَتَّى الْمَوْتِ ) ( ٢ )  
( إِرْحَمِينِي يَا مَرْغَرِيْتُ وَأَشْفِقِي عَلَى ضَعْفِي وَشَيْخُوخَتِي وَتَصَدَّقِي عَلَى بَهْمَتِي بِمَنْ تَقْبَلِ  
وَلَدِي ، وَحَيَاةَ ابْنَتِي ) ( ٣ )

فَرَّثَتْ لَهُ وَلِحَالِهِ وَوَعْدَتِهِ بِكُتْمَانِ السَّرِّ وَتَفْغِيزِ مَا أَرَادَ وَتَرْكَتِ لِأَرْمَانِ الرِّسَالَةِ

١ - المنظوماني . العبريات ص ١٢٢ بتصرف  
٢ - نفس المرجع ص ١٦٩  
٣ - المنظوماني . العبريات ص ١٦١

التي طلبت منه فيها قطع صلته بها لأنها أرادت ذلك ( ١ )

ثم كتبت " مرغريت " سرّها رغم ما أصيبت به من مرض شديد ولم تبحّ به إلا فسى  
مذكراتها التي لم يرها " أرمان " إلا بعد وفاتها فقالت :-

( لقد كان شديداً طويلاً جداً أن أفارقك يا أرمان ، ولكن .. كان أشدّ منه أى أرى  
أباك يبكي بين يديّ وأن أكون سبباً فى موت أختك أو شقائقها .  
..... إننى أحبّ وهى تحبّ ولا بدّ لواحدة منا أن تموت فداءً عن الأخرى ،  
فلأمت أنا فداءً عنها لأنها أختك ، ولأنها لم تقترب فى حياتها ذنباً تستحقّ بسببه  
الشقاء ، وكنت كلما ذكرت أنها ستصبح سعيدة هانئة من بعدى وتراعى لى شبحها ،  
وهى لابسة ثوب عرسها الأبيض الجميل ، وسائرة إلى الكنيسة بجانب خطيبها طار  
قلبي فرحاً وسروراً وهان طويلاً كل شيء ، فى سبيل غيبتها وهنائها ) ( ٢ )

وهكذا استجلى فى قولها هذا قمة تضحياتها التي لا مثيل لها مطلقاً لأنها ماتت  
فعلاً لتبقيّ الراحة والعيش والسعادة لغيرها .

كذلك من المواقف الانسانية فى القصة موقف هذا الشاب الشريّ " أرمان " من  
" مرغريت " - قبل أن يحبّها - وذلك عندما أصيبت بالنبوة الصدرية وهى فى إحدى  
سهراتها إذ أخذ بيدها حتى أوصلها إلى عريتها ، ثم سؤاها عنها خادمتها  
وترددها عليها دون علم منها بل حتى لم يعلم الخادم باسمه او يترك بطاقة تفصح عن  
شخصيته أو تعلم المريضة بزيارته وما يزيد موقفه فضلاً وجمالاً أن تطوّر علاقته بهذه

١ - المنظوم . العبرات ص ١٤٢ بتصرف

٢ - المنظوم . العبرات ص ١٦٤

الإنسانة المريضة إلى حُبِّ قوَى ، ورغبته الأكيدة في استمرار حياتها إلى جوارها ، ليقوم  
على مواساتها وتخفيف آلامها بنفسه وعدم تفكيره في العيش مع أسرته من أجلها .  
لأنَّها أصبحت لا تستطيع إلا استغناء عنه بل ربما زاد مرضها لو تركها وعاد إلى هذه  
الأسرة .

نقول ما أجمل أن يحبَّ الشابُّ هذه الفتاة رغم طمعه بدائها المضال إن كنا  
ننتظر من مثله الإبتعاد عنها لأنَّه لا رجاء في حبِّها ، فقد أحبَّها لنفسها ولتقديم  
يد العون لها أكثر مما أحبَّها لنفسه ورغباته وهذه من غير شك قمة التضحية الإنسانية  
ولنستمع لتأكيد ذلك لهوالده عندما طلب منه أن يتركها ويعود معه :-

( لا يا أبتاه إنها ليست بعبادة ولا خادعة ، ولكنها تُجني حبا لم يحبَّه  
أحد قلبها أحداً وأحسب أنني إن فارقتها قتلتها وجنيتُ عليها جناية لا يفاقتي الندم  
عليها حتى الموت ) ( ١ )

كما تظهر قمة تضحيته الإنسانية خوفه عليها إن تركها أن تعود إلى حياتها  
الأولى من السقوط والضياع فقال :-

( فإنَّ الأشراف في هذا العصر يفخرون بأفساد النساء الصالحات واستدراجهن  
إلى مواطن الفسق والفجور ، وإصلاح المرأة الفاسدة أدنى إلى الشرف من إفساد المرأة  
الصالحة ) ( ٢ )

( لم لا أرحم فتاة مريضة مسكينة ليسرلها في الناس من يعولها من ذى قرابة  
أو أرحم ؟ وقد نزل داؤها من صدرها منزلة لا يبرحها ولا يتحلل عنها ، إلا أن

١ - المنظوطي . العبرات ص ١٣٥

٢ - المنظوطي . العبرات ص ١٣٦

يهدأ حيناً ويستقيظ أحياناً ، فهي تُكابد الألم مرةً والخوف من الألم أخرى ، ولا عزاء لها في حالتها إلا هذه السعادة التي تتوهمها في الحب وتري أنها ناعمة بها ، فإن فقدتها فقدت كل شيء في الحياة وعظم حزنها وبؤسها وثقلت وطأة الداء عليها حتى كادت تأتى على البقية الباقية من حياتها ( ١ )

ويمضي الشاب في استرحام والده واستدرار عطفه حتى طلب منه أن يبقيه معها عاماً أو عامين حتى يتولاه الله برحمته وتلقوا ربها فيسكنوها بدموع الحزن لا بدموع الندم . وهكذا بدأت لنا في صفحات هذه القصة ( الضحية ) مواقف إنسانية فاضلة سواء كانت من " مرغريت " بطلة القصة التي ما سميت بـ ( الضحية ) إلا لأنها كانت هي ضحية موقف إنساني نبيل بذلته لإنقاذ امرأة غيرها . أو كانت هذه المواقف صادرة عن حبيبها " أرمان " بطل القصة .

ولاشك أن مثل هذه المواقف تهز مشاعر المنظوقي لأنه هو نفسه يدعو إليها في معظم ما كتبه من مقالات أدبية أو قصص - إن لم يكن كلها - وماذا لك إلا دليل اتجاهه إلى إنسانى الفاضل في كتاباته .

## شَخِصِيَّةُ الْأَدَبِيَّةِ وَأَسْلُوبِهِ

### الشَّخْصِيَّةُ لَفَةً :

الشَّخْصِيَّةُ فِي اللُّغَةِ تُطْلَقُ عَلَى مَعَانِي كَثِيرَةٍ - وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا تَدُورُ فِي فَلَكٍ وَاحِدٍ ، فَقَدْ يُرَادُ بِهَا الْحُضُورُ وَالظُّهُورُ وَالْإِرْتِفَاعُ قَالَ تَعَالَى :

” فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ”

أَيْ مَرْتَفَعَةٌ ، كَمَا يُقَالُ لِلسَّمِينِ الْبَدَنِ شَخِصٌ وَهِيَ شَخِصَةٌ ، وَيَقُولُ ابْنُ الْأَثِيرِ : الشَّخْصُ كُلُّ جَسَمٍ لَهُ ارْتِفَاعٌ وَظُهُورٌ وَالْمُرَادُ بِهِ إِثْبَاتُ الذَّاتِ ، كَمَا يُطْلَقُ عَلَى الْإِنْسَانِ وَالذَّاتِ وَالنَّفْسِ تَقُولُ :

شَخْصَ إِلَيْهِمْ : أَيْ ذَهَبَ إِلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ وَذَاتِهِ . ( ١ )

### وَفِي الْإِصْطِلَاحِ :

مَجْمُوعُ صِفَاتِ الشَّخْصِ الَّتِي تُمَيِّزُهُ عَنْ غَيْرِهِ وَيُقَالُ فُلَانٌ ذُو شَخْصِيَّةٍ قَوِيَّةٍ أَيْ ذُو صِفَاتٍ

مُتَمَيِّزَةٍ وَإِرَادَةٌ وَكِيَانٌ مُسْتَقِلٌّ ( ٢ )

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَدَبَ مَعْرُضٌ لظُهُورِ الشَّخْصِيَّةِ فِيهِ وَاضِحَةٌ لِأَنَّ عَاطِفَةَ الْأَدَبِ فِيهِ هِيَ الَّتِي تُمَيِّزُهُ عَنِ الْعِلْمِ وَهِيَ الَّتِي تَبْعَثُ فِيهِ الْخُلُودَ وَتَشْبَعُهُ بِشَخْصِيَّةِ الْأَدِيبِ ، فَفِي مَوْلاَفَاتِ الْأَدِيبِ - شَاعِرًا كَانَ أَوْ كَاتِبًا - تَطْمَسُ طَبْعُهُ وَخُلُقُهُ وَطَرِيقَةُ تَفْكِيرِهِ وَمَزَاجُهُ فِي الْحَيَاةِ وَمَسْتَوَى ثِقَافَتِهِ ، وَنَظَرَتُهُ إِلَى الْحَيَاةِ ، وَطَرِيقَةُ تَفْسِيرِهِ لِلأَشْيَاءِ ، كَذَلِكَ تَبْدُو فِي الْأَدَبِ طَرِيقَةُ تَنَاوُلِ الْأَدِيبِ لِلأَلْفَاظِ لِإَخْرَاجِ الْجُمْلِ وَالْعِبَارَاتِ الْمُخْتَلَفَةِ ( ٣ )

- ١ - مُحَمَّدُ مَرْصُوقِي (الرَّسِيدُ) تَاجُ الْعُرُوسِ . مَادَّةُ شَخْصٍ .
- ٢ - مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ . الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ . مَادَّةُ شَخْصٍ .
- ٣ - أَحْمَدُ الشَّائِبِ . الْأُسْلُوبُ : ص ١٢٧ ط ٧ بِتَصَرُّفٍ .

فالشَّخصية الأدبية في نظرنا هي تلك السمات الخاصة التي تميز بها الأديب على غيره  
 ودَّت في أدبه معبِّرة عن شخصيته تعبيراً صادقاً يصف تجاربها ونزعاتها ومزاجها  
 وطريقة اتصالها بما حولها مما يجعل أسلوبه الأدبي مشتقاً من نفسه وعقله وعواطفه  
 وخياله ، ولفت الخاصة به ، وتلك العناصر التي تميّزه عن غيره من الأدباء وتطبع  
 أسلوبه بطابعه الخاص الذي لا يشا ركه فيه غيره وإن شابهه في بعضه .  
 وهذا الأمر هو الذي يفسّر تعدّد الأساليب بتعدّد الأدباء أو منشئي الأدب .

عناصر الشخصية الأدبية : إن عناصر الشخصية الأدبية لا تظهر إلا بدراسة آثار  
 الأديب كلّها أو أكثرها دراسة واعية فاحصة ثم يوازن بينه وبين غيره ، وخاصة في  
 الفنون التي شارك فيها سواء ، فيعرف بهذه الدراسة كيف يخطف الأدباء في تفسير  
 الأشياء والتعبير عما يتصورون ومن هذا الاختلاف يفرق بين الشخصيات .

مجالات الشخصية الأدبية : وتتجلى شخصية الأديب في نواحٍ ثلاثٍ من نواحي الكلام :-

- ١ - طريقة النظم
  - ٢ - ناحية الطبع أو الصفة
  - ٣ - إيثار اللفظ أو المعنى
- (١١)

أما طريقة النظم : فقد عرفها الأستاذ الدكتور محمد نبيه حجاب بقوله :  
 ( ونعنى بها الأسلوب اللفظي الذي يُسلك الألفاظ في جملها والجملة  
 في فقرتها ، والفقرة في عبارتها ) ( ١ )

ولكل أدب طريقته الخاصة في التأليف بين الألفاظ لتكوين الجمل وفنى  
 تأليفه الجمل لإخراج العبارات والأساليب التي تميز طريقته في الكتابة عن  
 غيره من الأدباء . ( ٢ )

أما من ناحية الطبع أو الصنع \_\_\_\_\_ إن من الأدباء من يغلب عليه سعادة طبعه فيتصل  
 بأسباب البلاغة لفظه ثم يرسل القول على سجيته السعة فيأتي الكلام سهلاً  
 بعيداً عن الوشوي والحلو اللفظية والسجع الممل الذي يزيد المعنى غموضاً  
 والعبارة تعقيداً . ( ٣ )

وسنرى أن المنظوطي بعيد كل البعد عن هذا التعقيد وتلك الحلي اللفظية .

أما ناحية اللفظ والمعنى : \_\_\_\_\_ فهو قضية نقدية قديمة وما يزال الحديث حولها قائماً  
 فمن الأدباء من يؤثر جانب اللفظ على المعنى فيأتي أدبه رثاً مجوفاً ، ومنهم من  
 يؤثر المعنى على اللفظ فيأتي أسلوبه مفككاً أو سقي ، التأليف والنظم .

أما المنظوطي فقد كان بعيداً عن ذلك كل البعد فقد جاء أدبه جميل اللفظ  
 سلس العبارة عذب الموسيقى مع سمو المعنى وفضله مما جعله أكثر الأدباء تأثيراً

١ - د . محمد نبيه حجاب . بلاغة الكتاب في العصر العباسي ص ٢٩ ط ١ ١٩٦٥ م .

٢ - فضلاً راجع طريقة المنظوطي ص ١٨٦ من هذا البحث .

٣ - د . محمد نبيه حجاب - بلاغة الكتاب - ص ٣٠ بتصرف .

فيمن حوله من أهل عصره ومن لحقهم فى العصور التالية .

( فى هذه الميادين الثلاثة تتجلى . . شخصية الأديب .

تطالعك بروحه وخلقهِ ودَوَقِهِ ومَذْهَبِهِ ، وثقافته . . ومن هنا اختلفت الأساليب باختلاف الشخصية . وليس من العسير معرفة أعلام الكتابة أو مدارسهم من أساليبهم الخاصة ، فأسلوب الجاحظ غير أسلوب ابن المقفع أو عبد الحميد وهما غير أسلوب ابن العميد .

وفى عصرنا الحاضر تجلت الشخصية البارزة فى أسلوب المازني والعقاد ، والرافعى والزيات ، والبشري وطه حسين ، ومن قبل تجلت شخصية المنفلوطي فى عباراته ، ونظراته فى أسلوبه الدامع الحزين ( ١ )

ومن المعروف أن الأدب يشمل فنين عظيمين هما :-

الشعر ( ٢ ) . والنثر ( ٣ )

١ - د . محمد نبيه حجاب . بلاغة الكتاب فى العصر العباسي ص ٣٩ ، ٤٠ ط ١

٢ - اختلف فى تعريف الشعر اختلافات كثيرة ولا نرى هنا داعياً لتعريفه أو ذكر فنونه وأغراضه .

٣ - أما النثر فأهم فنونه :-

أ - الرسائل الاخوانية ، وهى ما يدور بين الافراد فى تهنئة أو تعزية أو توصية أو عتاب ونحو ذلك مما يصور العواطف والصلات الخاصة بين الافراد .

ب - الرسائل الديوانية : وهى ما تصدر عن الدواوين أو ترد اليها خاصة

بشئون الدولة ومعالجتها تيسيراً للعمل وتثبيتاً للنظام العام . . .



ونخصُّ هنا بالتَّعريف من المقالة وكل ما يمتُّ إليها بصلة - ولو كان ذلك بطريقة موجزة - لأن الأديب الذي ندرس أدبه ما هو الا كاتب مقالة على التحقيق ، أمّا ما كتبه من قصص قصيرة في العبرات ، فليست فيها كل العناصر الفنيّة التي توجب أن نطلق عليه كاتب قصّة كما هو كاتب مقالة حقّاً .

---

= ج - الخطابة بأنواعها : وهو الكلام الذي يُلقى في جمهور الناس للاقتناع والتأثير ، وأنواعها : ديني وسياسي واجتماعي .

د - الرواية : وهي فنٌّ على حكاية الحوادث والأعمال بأسلوب ينتهي إلى غرض مقصود يفهم من السّياق وبطريق غير مباشر .

و - المسرحية : تشترك المسرحية مع القصة في اشتغالها على الحادثة والشخصيات والفكرة والتعبير ، ويميزها عنها تميزا وانحازا طريقتها ففيها في استخدام أسلوب الحوار بصفة أساسية وسواء في ذلك أكانت المسرحية مثله أو مقروءة .

ز - القصة : وأهم عناصرها ، الحادثة والشخصيات ، والحبكة والحل .

ح - الأقصوصة : وهي تمثل حدثا واحدا في وقت واحد ، وتتناول القصة القصيرة شخصية مفردة أو حادثة مفردة أو عاطفة أو مجموعة من العواطف التي أثارها موقف مفرد . وهي لا تتطلب أكثر من نصف ساعة أو ساعتين لقراءتها قراءة دقيقة .

ط - ترجمة الحياة : وهي الكتابة عن أحد الأشخاص البارزين لجلاء شخصيته والكشف عن عناصر العظمه فيها أو الانحطاط - ان وجدت - عن الشخصية .

ونخصّ هنا بالتعريف من المقالة وكل ما يمت إليها بصلة - ولو كان ذلك بطريقة موجزة - لأن الأديب الذي ندرس أدبه ما هو إلا كاتب مقالة على التحقيق ، أما ما كتبه من قصص قصيرة في العبرات ، ظيبت فيها كل العناصر الفنية التي توجب أن نطلق عليه كاتب قصة كما هو كاتب مقالة حقاً . //

### تعريف المقالة لغة :

أصلها : مقولة من مادة قول ومقاله وزنها الصرفي مفعله مصدر ميمي جاء فـ في لسان العرب :-

( يقال ما أحسن قيلك وقولك ومقالتك ومقالك خمسة أوجه ) ( ١ )

### أما تعريف المقالة الأدبي فهو :-

( المقالة باعتبارها فناً من فنون الأدب ، هي قطعة إنشائية ذات طول معتدل تكتب نشرًا وتتم بالمظاهر الخارجية للموضوع بطريقة سهلة سريعة ، ولا تعنو إلا بالناحية التي تهم الكاتب عن قرب ) ( ٢ )

أما موزي فقد عرفها في قاموسه بعد أن تنبه إلى التغيرات التي طرأت على المقالة الحديثة فعرفها بأنها :-

( قطعة إنشائية ذات طول معتدل تدور حول موضوع معين أو حول جزء من موضوع ثم مضى قائلًا :

١ - ابن منظور . لسان العرب . مادة قول

٢ - نقل هذا التعريف د . يوسف نجم في كتاب من مقاله ص ٩٤ ط ٤ وهو خاص

بإدوارد جويس

( وكانت فى الأصل تعنى موضوعا يحتاج الى مزيد تهذيب ، ولكنها أصبحت الآن تُطلق على أية قطعة إنشائية يختلف أسلوبها بين الإيجاز والإسهاب ضمن مجالها الموضوعي المحدود ) ( ١ )

هذا وقد استنتج الدكتور يوسف نجم تعريفاً خاصاً به للمقالة بعد اطلاعه على التعريفات المختلفة فعرفها بقوله :

( ان المقالة الأدبية قطعة نثرية محدودة فى الطول والموضوع وتكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق . وشرطها الأول أن تكون تعبيراً صادقاً عن شخصية الكاتب ) ( ٢ )

ويقدم لنا الأستاذ أحمد أمين تعريفاً مشابهاً للمقالة ورد فيه أن المقالة عبارة عن قطعة نثرية قصيرة لا تخضع لنظام معين فى كتابتها بل تكتب حسب هوى الكاتب فتسمح لشخصيته بالظهور وهى ليست الا تعبيراً عن النفس وتنفيذا لمشاعرها فهى تشبه النوع الغنائى فى الشعر ، ويرى الأستاذ أحمد أمين أن كثيراً ما يطلق اسم مقالة على نوع من الكتابة له مميزات المقالة الا قصره كبعض رسائل الجاحظ فانها قطع قصيرة من التاريخ أو السيرة أو الدراسات . ( ٣ )

أما الأستاذ أحمد الشايب فقد عرف المقالة بقوله :

( ولا تطلق فى الحديث على الموضوع المكتوب الذى يوضح رأياً خاصاً وفكرة عامة أو مسألة علمية أو اقتصادية أو اجتماعية يشرحه الكاتب ويؤكد ها بالبراهين ، والمقالة من

١ - يوسف نجم . فن المقالة ص ٩٤

٢ - نفس المرجع ص ٩٥ .

٣ - أحمد أمين . النقد الأدبى ص ٩٧ ط ١ . ١٩٧٢ م دار النهضة المصرية ( بتصرف )

الأدب بمعناه العام أو العلم بمعناه العام تقوم على عنصرين رئيسيين : المادة والأسلوب ( العبارة ) ولها بعد ذلك خطة " أو أسلوب عقلي " ( ١ )

ومما سبق يمكن أن استخلص تعريفاً أخيراً جامعاً لكل ما قرأته من تعريفات للمقالة فأقول : —

المقالة قطعة نثرية يخضع طولها لطبيعة الموضوع الذي أنفعل به الأديب وعبر عنه بطريقة خاصة تتم عن شخصيته الأدبية وإحساسه تجاه ذلك الموضوع الذي يعالجه وهي تشتمل على اختلاف موضوعاتها على مقدمة وعرض وخاتمة ، ويجب أن يكون أسلوبها مشوقاً سهلاً ومقنعاً ، ومناسباً للطبيعة الموجهة لها .

وإذا طبقنا ذلك التعريف على مقالات المنظوطي وجدنا أن المنظوطي كاتب مقالة بمعناها الأدبي الصحيح فضلاً عن محاولاته القصصية المتواضعة .

ويرى د . عنبر الدين إسماعيل أن كلمة مقالة ليست غريبة على اللغة العربية ولكنها من حيث دلالتها الفنية تعدّ محدثة في أدبنا العربي ، ويرتبط تاريخها بتاريخ الصحافة وهو تاريخ لا يرجع بنا إلى الوراء أكثر من قرن ونصف قرن بكثير ، ويرى كذلك كما يرى غيره من الباحثين أن كلمة " مقال " كانت أقرب في الحقيقة إلى ما عرفه الأدب العربي القديم في ( الرسالة ) لا الرسالة الشخصية أو الديوانية ولكن الرسالة الرسالية التي تتناول موضوعاً بالبحث كرسائل إخوان الصفا مثلاً ولذلك كانت تطول

إلى الحدّ الذي تبلغ فيه عشرات الصفحات . ( ١ )

أما المقالة في مفهومها الحديث فهي تتناول موضوعاً أكثر تحديداً وتعرضه بطريقة أكثر تركيزاً بحيث تجذب القارئ وتشده إليها أما موضوعها فيتصل بقضية حيّة ، ويتجه فيه الحديث إلى الجماعة ويخضع آخر الأمر في أسلوبه لمتطلبات الصحافة التي نشأ معها هذا الفن . ( ٢ )

وهكذا جاء فن المقالة في الأدب المصري - إستجابة لضرورات سياسية واجتماعية ثم تطور نتيجة لهذا الوعي الذي كان ينمو وينضج في تلك السنين من النصف الثاني من القرن الماضي .

فقد وعى المصريون واقفهم بكل ما فيه من حاجات إلى إصلاح السّياسة والإجتماع والدين ، واتجه فريق من مثقفيهم إلى الكتابة في تلك الجوانب الإصلاحية الجديدة متخذين من الصحافة أداة لتوصيل آرائهم وأفكارهم إلى الجمهور ، وبدأوا يكتبون بأسلوب قريب من الأسلوب التقليدي المزركش ، ثم أخذوا تدريجياً يتخلّصون

---

١ - د . عز الدين إسماعيل - الأدب وفنونه ص ٢٨٨ بتصرف - أيضا راجع الأدب

وفنونه د . محمد مندور ص ١٧٤ ط (بدون) وارهضة مصر

كذلك كتاب بين الأدب والصحافة للأستاذ فاروق خورشيد ص ١٢٠ - ١٢١

كذلك كتاب النشر العربي في نماذجه وتطوره لعصر النهضة والحديث د . على شلق ص ٣١٨ ط ٢

كذلك كتاب فن المقالة الأدبية د . محمد عوض محمد ص ٩ وما بعدها بنظر ط ١٩٥٩ م

٢ - د . عبد اللطيف حمزة . أدب المقالة الصحفية ص ٢١٤-٧ : وما بعدها ط ١ بتصرف

من ذلك إلى الترسُّل الطبيعيِّ لأنَّه لم يكن من الممكن إلاَّ تَجاء إلى الجمهور بذلك الأسلوب وبك اللغة المتكفِّة وعن طريق الصَّحف - لأنَّ هذه الطَّريقة المتكفِّة عاجزة عن علاج المشكلات أولاً ، ثمَّ لأنها لن تفهم من جمهور القُرَّاء ثانياً ، وكان الوعي قد لفت الأنظار إلى التراث العربيِّ النَّشْرِي المشرق وأدرك الرواد من الكتاب ما في هذا النَّشر من ترسُّل وبساطة وحرية وقوَّة ، وكان قد أُذيع - ضمن ما أُذيع - من تراث - آثار نشرية جيِّدة ، يمكن أن تكون أنماطاً للكتابة التي يجب أن تُوجَّه إلى الجماهير عن طريق الصَّحف كبعض كتب ابن المقفع وبعض آثار ابن خلدون فأخذ الرواد من المثقفين المصريين يكتبون موضوعات في السِّياسة والاجتماع والدين ، بهذه اللغة الجانحة إلى الموضوعية والوضوح والترسُّل ، وهم في ذلك مراعون لمقتضيات الصحافة . وتحديد أنهرها ، وسمتوى قرائها ووسائل تأتيتها فكانت من هـذه الكتابات المقالات الحقيقية الأولى في الأدب الحديث . ( ١ )

وقد كان يوازر المصريين ويشاركهم تلك الحركة إخوانهم من مُهاجري الشَّام المسيحيين الذين كانوا شديديَّ الاتصال بالأدب الأجنبية وترجمتها ، كما كان يرودهم ويوجَّههم المصلح الفيور السَّيد جمال الدين الأفغانى ، ومن كلاً تلك الظروف ولدت المقالة في ألوانها السِّياسية والاجتماعية والدينية ، حيث وجَّدت موضوعات عامة تدعو إلى الكتابة ، ووُجد جمهور كبير يتجه إلى الكتاب ، كما

---

١ - سبق رفاة الطهطاوى ببعض كتابات رائدة في الوقائع ، ولكنها لم تتخلص تماماً من المقومات التي جعلها مقالات مكتلة . أنظر فضلاً د . عبد اللطيف حمزة . أدب المقالة الصحفية في مصر ج ١ ص ١٢٢ وما بعدها بتصرف .

وجدت الصُّوف التي تنقل هذه الكتابات إلى أكبر عدد من الشُّقَّيْن ، وفيهم العاديُّون من المتعلِّمين ، بل وفيهم المستمعون للقراء من الأمِّيِّين كذلك وُجِدَ في التراث العربي القديم الذي يُدْرِي الإهتمام به نمط أسلوب يمكن أن يحتذى في الجانب التعبيري على الأقل .

( وكان لهذا التحول من الموضوعات التقليدية الضيقة فيما يُكتب أولاً ، ثم من الفرد إلى الجماعة فيمن يُكتب إليه ثانياً ، أكبر الآثار في أن اتخذت المقالة لغة تنأى عن فردية الموضوع وعن أرستقراطية التعبير ، وتميل إلى الموضوعية في الأغراض ، والديموقراطية في الأسلوب ) . ( ١ )

ولاشك في أن حركة الترجمة وانتشار الصحافة وإسهام المهاجرين الشَّوام ، وتوجيهات الأفغاني قد ساعدت الرواد الأول من كتاب المقالة في الأدب الحديث على أن يرسوا دعائم هذا الفن الشَّري .

وكان من أوائل هؤلاء الرواد الشيخ محمد عبده ( ٢ ) لما له من أثر في تخليص لغة النثر من التَّفاهة وأثقال المحسنات ، وذلك بعد أن تطوَّر هذا الشيخ وآمن بوجوب التخلص من آفات النثر المعقَّبة ، وعندما أسند إليه تحرير " الوقائع المصرية " في عهد الخديوي توفيق عمل على تخليص كتاباتها من التقليد والتَّكلف ، وكان يكتب كتابة موضوعية حية مُرسلة ، تعد نماذج رائدة إلى حد كبير .

.. هذا إلى جانب حثِّ الآخرين من كتاب الوقائع وغيرها على الأخذ بهذا الأسلوب الحيِّ المرسل فيما يكتبون .

- 
- ١ - د. أحمد هيكل . تطور الأدب الحديث في مصر ص ٢٢
  - ٢ - فضلاً راجع كتاب تاريخ الشيخ محمد عبده لمحمد رشيد رضا ، وأدب المقالة الصحفية لعبد اللطيف حمزة ج ٢ وكتاب محمد عبده للدكتور عثمان أمين ، وكتاب إمام محمد عبده لعبد الحليم الجندی . فيما يختصُّ بهذا الموضوع

ومن هذه الناحية يُعْتَبَرُ الشيخ محمد عبده ذل دور في إحياء النثر يشبهه

- إلى حد ما - دور البارودي في إحياء الشعر . ( ١ )

### أنواع المقالة :-

تقسم المقالة إلى قسمين يضمن كل فروعها ، وأنواعها وهذا القسمان هما :-

أ - المقالة الذاتية

ب - المقالة الموضوعية ( ٢ )

أ - المقالة الذاتية : أهم ما يميزها ما يبرز فيها الكاتب من عناصر شخصية حيث

تبدو فيها شخصيته الأدبية جلية جذابة تستهوي القارئ وتستأثر بلبه ووسيلته في

ذلك الأسلوب الأدبي الذي يشعُّ بالعاطفة ، ويشير إلى انفعال ، ويستند إلى ركائز قوية

من الصور الخيالية ، والصفة البيانية ، والعبارات الموسيقية ، والألفاظ

القوية الجزلة ( ٣ )

والمقالة الذاتية حرة في أسلوبها وطريقة عرضها . ولا يضبطها ضابط ( ٤ )

وأهم الألوان المقالة التي تشملها المقالة الذاتية هي :-

١ - الصورة الشخصية

٢ - النقد الاجتماعي

١ - فضلاً راجع أدب المقالة الصحفية ح ٢ ، ص ٦٢ وما بعدها ، والأدب العربي المعاصر

د . شوقي ضيف ، وفق الأدب الحديث لعمر الدسوقي - في حديثهم عن دور

الشيخ محمد عبده في تطور النثر .

٢ - د . يوسف نجم . فن المقالة . ص ٦٩ . كذلك كتاب العقاد : يسألونك ص ٢٥١

٣ - د . يوسف نجم . فن المقالة ص ٩٦

٤ - " " " " " " ص ٩٧



٣ - المقالة الوصفية

٤ - وصف الرحلات

٥ - مقالة السيرة

٦ - المقالة التأملية

وسوف نوضح إن شاء الله صلة المنظوم بما ذكرنا من هذه الأنواع المقالة . ( ١ )

ب - المقالة الموضوعية :-

إن أهم ما نحرص عليه المقالة الموضوعية هو التقيد بما يطلبه الموضوع من منطوق

في العرض والجدل ، وتقديم المقدمات واستخراج النتائج . ( ٢ )

وهي تمر بمراحل ثلاث : المقدمة ، والعرض ، والخاتمة . ( ٣ )

وأهم ألوان هذه المقالة :-

١ - المقالة النقدية في حقول الأدب والفن

٢ - المقالة الفلسفية

٣ - المقالة التاريخية

٤ - المقالة العلمية

٥ - مقالة العلوم الاجتماعية

١ - فضلاً راجع ص ١٦٠ من هذا البحث .

٢ - د . نجم . فن المقالة . ص ٩٧ .

٣ - د . نجم . فن المقالة . ص ١٣١ كذلك فن المقالة الأدبية د . محمد عوض ص ٦١

تعقيب :-

يجب ملاحظة أنَّ هذا التقسيم لا يعنى حدّاً فاصلاً بين النوعين السابقين ( المقالة الذاتية ، والموضوعية ) لأنّه ليس من السّهل وضع حدود فاصلة بينهما وإنّما محكّ التمييز الصادق بينهما هو مقدار ما يثّقه الكاتب من عناصر شخصية في كل منهما ففي المقالة الذاتية تبدو شخصية الكاتب جليّة جذابة ، بينما يستقطب الموضوع عناية الكاتب والقارىء في المقالة الموضوعية ، ولكنّهما أولاً وأخيراً تنبعان من نية واحد هو رغبة الكاتب الملمحة في التعبير عن شىء ما قد يكون هذا الشىء تأملاته الشخصية في الحياة والناس فيكتب المقالة الذاتية ، وقد يكون موضوعاً من الموضوعات ، فيعمد إلى المقالة الموضوعية . ( ١ )

كما ينبغي ملاحظة أنَّ الصّفات الفنّية التي نتعرّف بها على هذا الفن ليست قيوداً أو حدوداً فاصلة تضيقه وتغلّ من حركته الذاتية بل لكلّ مقالة - وخاصّة الذاتية منها - القدرة على الترجمة والتعبير عن فطرته الملاحظة في الإنسان المتيقظ الحسّ ، المعنّ النظر في الحركة الدائبة المخططة للحياة من حوله ، وهى كذلك تعبير عن إنفعالاته وتأثراته المعقّدة الكثيرة التي لا حصر لها ، ثمّ أليست المقالة كما يقول النّقّاد :-

" نزوة عقلية لا ينبغي أن يكون لها ضابط من نظام " ( ٢ )

والأليست المقالة قصيدة ذاتية خالية من قواعد الشّعور وضوابطه على أنّنا في إعفائها من كل القيود ندرك أنّها ليست بالمطلّب السّهل ، وهذا الإعفاء يخالف . زكو نجيب

---

١ - د . نجم . من المقال ص ٩٦ - ٩٧ بتصرف

٢ - د . زكو نجيب محمود . جفة العبيط ص ٦ ط ١٩٤٢ م

محمود في قوله " ولكن الأديب المصري يكتب المقالة التي لو قيس بمعيار النقد الأديب لطارت هبائه ولا غلقت دوة الأدب من دونها الأبواب ، وإنما قصدت بمعيار النقد ما يكاد يجمع عليه أديباء الإنجليز . ( ١ )

ووجه المخالفة في الرأي السابق هو أن فن المقالة كما سبقت الإشارة فن طليق ليبرله ضابط أو حدود يجب التقيد بها والوقوف عندها ولكن ليس معنى ذلك أنه فن ليبرله أنماط ومراتب بل لكل كاتب لونه ومقدرته ، أما أن تُرفَضَ المقالات المصرية المكتأبها لم يسيروا على سمات معينة توفرت لدى الكتاب الإنجليز أو غيرهم فهذا لا يُسلم به ولا يُقبل لدينا لأن كل أديب خاضع لظروفه الاجتماعية والبيئية التي تخطف عن غيره من الأديباء ، ولا بد من تأثير هذه الظروف على ما ينتجه من أدب .

فمثلاً التعبير عن السخط الذي يشترطه ، زكي نجيب محمود ( أن يجبر سخطاً في نفمة هادئة خفيفة ، هو أقرب إلى الأنيب الخافت منها إلى العويل الصارخ . ( ٢ )

إن هذا الشرط مثلاً . . لا يمكن أن نعقله عند رجل مصري كالمنظومي هو بحكم فطرته جياش العاطفة ، وبحكم ظروفه التاريخية والاجتماعية ثائمر ، حيث عاش فترة إحتلال ، وإختلال القيم والمثل ، وإلحاق ، وفساد الحكم ، وحيث الحرب العظمى تحرق قومه ظلماً وعدواناً بشعارها ، وحيث تتفجر الأمة

١ - زكي نجيب محمود جنة العبيط . ص ٤

٢ - د . زكي نجيب محمود . جنة العبيط . ص ٤ .

في شكل بركان في ثورة ١٩١٩ م ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن المنظوظ كان يعيش  
هذه الظروف في أمة حظها ضئيل في ميدان التقدم والرقى الاجتماعي والثقافي  
فهل نطلب منه بعد كل ذلك أن يتأنق في مقالاته وأن يهدأ في سخطه وثورته ؟ .

إننا لو طالبناه بذلك أو لو كان هو كذلك لكان ذلك الرجل البليد الحسّ الضائع  
الصوت بين شعب وأمة أراد أن يُعيد إليها الحياة ويحفّزهم إلى استرداد ماضع من  
حقوقهم وسلب من وطنهم ومزق من قوميتهم ، فيصلهم بتاريخهم المجيد في عزة  
وشم ، وإذا تذكرنا أن للبيئة الجغرافية أثرها في طويع الفن الأدبي بلوغها !  
ألا يكون في كل هذه الأسباب ما يسوغ خروج كتاب المقالة المصريين على مقاييس  
الإنجليز ؟ ، وأنه لا داعي لإغلاق أبواب الأدب دون كتاب المقالة المصريين  
كما قال د . زكي نجيب محمود في حديثه السابق ؟

---

## أنواع مقالات المنظوطي

بالرجوع إلى مقالاته ذاتها ، نجد أنها لا تخرج في مجموعها عن النوعين السابقين وهما :

- ١ - المقالة الذاتية وهي تشمل معظم ما كتبه من مقالات .
  - ٢ - المقالة الموضوعية ، وهي قليلة لا تكاد تتركز إلا في الناحية السياسية والثورة على نظام الحكم ، ومقالاته المترجمة .
- وستكشف الدراسة التالية عن طريقة المنظوطي في مقالاته ثم خصائص أسلوبه ومكانته بالنسبة إلى عصره ومعاصريه .

### المقالة الذاتية في أدبه :-

قد سبقت الإشارة إلى أن المقالة الذاتية حظها من الجانب الشخصي واضح ومفهوم وبالطبع أن المقالات لا تقف في ذلك عند حدود موسومة ، وخلاصة القول أن هذا العنصر الشخصي كبير الخطر في هذا النوع من هذا الفن . ( ١ )

وأهم تلك المقالات لديه : ( الفد ) ، ( مناجاة القمر ) ، ( أيها المحزون ) ( الحرية ) ، ( الشعرة البيضاء ) ، ( السريرة ) ، ( دورة الفلك ) ، ( العام الجديد ) ، ( الأربعون ) ( ٢ )

وأول ما يلاحظ على هذه المقالات أنها تعالج موضوعات تنبعث من نفس

١ - د . محمد عوض محمد . من المقالة الأدبية ص ٦

٢ - المقالات على التوالي - النظرات ج ١ ص ٤٣ ، ٥٧ ، ٧٦ ، ١٢٣ ، ١٤٤ ، ح ٢ ص ١٢ ، ٢٤ ، ١٢٧ ، ح ٣ ص ٢٥٤ طه ، بيروت . دار الثقافة .

الكاتب مُعبّرة عن إحساسه ومشاعره ، وهو في نفس الوقت تعكس تجاربه في الحياة ورأيه فيها ، فهو صدى التأمل والإحساس معاً في موضوعات يقلب على الشّـعراء طرقها ، وقد يتعرّض المفكّرون لبعضها .

وكان من الممكن أن يُطلق عليها المقالات التأملية حيث ينطبق عليها ما ذكره د . نجم من أنّها ( تعرض لمشكلات الحياة والكون والنفس الإنسانية ، وتحاول أن تدرّسها درساً لا يتيقّد بمنهج الفلسفة ونظامها بل تكتفي بوجهة نظر الكاتب وتفسيره الخاص للظواهر التي تحيط به ) ( ١ )

ولكن الذي دعانا إلى الإغراض عن هذه التسمية هو أنّ التأمل قاسم مشترك في مقالات المنظّوطي ، بل هو من مميزات الفنّ المقالّي عامة ( ٢ ) ، كما نلاحظ أيضاً أنّ المنظّوطي كان في مقالاته هذه ينفذ أحياناً إلى النقد الاجتماعي كما في مقاله " العام الجديد " ولعلّ حظ النقد الاجتماعي في هذه المقالة أكثر من أخواتها فهي صاحبة النصيب الأكبر إذا قيست بالبواقبي ، والعظمة والإعتراف والأسى هو العامل المشترك في هذه المقالات كلّها ، ومرجع ذلك إلى نزعة الحزينة دائماً التي اصطيفت بها مشاعر المنظّوطي ونفسيته .

### نموذج :

لنأخذ مقالة ( دورة الظك ) ( ٣ ) للتحليل والتطبيق كمثال للمقالة الذاتية

عند المنظّوطي :-

- ١ - د . نجم . في المقالة ص ١١٨
- ٢ - ذهب إلى هذا الرأي غ . أبو الأنوار في رسالته المنظّوطي الكاتب ص ٢٥١
- ٣ - المنظّوطي . " النظرات " ج ٢ ص ٢٤ ، والذي كُتِبَ بمناسبة سقوط السلطان عبد الحميد ملك تركيا .

## دورة الفلك (١)

أيها القصر :

أين الكوكب الزاهر الذي كان يتنقل في أبراجك ؟ أين النسر  
 الطائر الذي كان يخلق في أجواءك ؟ أين الملك القادر الذي كان يطلع شمساً  
 في صباحك ويدراً في مساءك ؟ أين الأعلام والبنود تخفق في شرفاتك ؟ والقواد  
 والجنود تخطرون في عرصاتك ؟ أين الشفاه التي كانت تلم تراك ؟ والأفواه  
 التي كانت تقبل أعتابك ؟ والروءوس التي كانت تطرف لهيبك ؟ والقلوب التي  
 كانت تخفق لرؤعتك ؟

أين الصوت الذي كان يجلجل فيقزع أذن الجوزاء ؟ ويهدر فتلقت عيون  
 السماء ؟ أين الذك الذي كان يدور بالسعد والنحر ، والتعيم والبوم ،  
 والرفع والخفر ، والإبرام والنقصر ؟

كيف استطاع الدهر أن يمد يده إلى شمالك فيبدده ؟ وجمعك فيفرقه ؟  
 وسماك فيكور شمسها ؟ وأرضك فيزعج أنيسها ؟

أين كانت أسوارك وأبوابك ، وحراسك وحجابك ؟ وكيف عجزت أن تمتنع  
 على القضاء ؟ وتصد عن نفسك عادية البلاء ؟

ولم أرمثل القصران ريع سريه      وان نذعت اطلالو وجانزه  
 تحمل عنه ساكنون وهتككت      على عجل أستاره وستائره

أيها السّجن :

حلّ بأرجائك اليوم لك تضيق به الدّنيا ، فكيف وسّعت ؟ وتعجز عن  
إحتوائه قلّ الجبال الرّواس فكيف احتلّته ؟ رفقا به ولا تُزعجه ، ولا تُحرج  
صدره ، وضمّ جانحتيك عليه كما تضمّ على القلب حنايا الضلوع ، واعطف عليه  
عطف المرضعات على الرضيع ، وارحم هذا الجلال الذّاهب ، والعزّ الزائل ،  
والرأس الذّي بيضته حوادث الدّهور ، والظهر الذّي قوسته أيدي المقدور .

أيها الدّهر :-

ألا تستطيع أن تنام عن إنسان لحظة واحدة ؟ ألا تستطيع أن تسقيه كأس  
السّرور خالصة ، لا يمازجها كدر ، ولا يشوبها غناء ؟  
إن كنت تريد أن تسلبه ظمّ أعطيت ؟ وإن كنت تريد أن تعطيه ظمّ سلبت ؟  
كان خيرا له ألا تعطيه حتّى لا تفجعه في تلك العطية ، وألا تسقيه كأس السّرور  
حتّى لا يتجرّع ذلك السمّ الذّي أودعته تلك الكأس .

أيها الرّحل المودع :

كان إرتفاعك عظيما ، فوجب أن يكون سقوطك عظيما إنك ذقت حلاوة الحياة  
خالصة ، ظلما ذقت مرارتها جزعت وقطبت كما يجزع ويقطب كل من ذاق من الشّراب  
ملا عهد له به ولا قبل له باحتماله .  
لا تأسر على ما فاتك ، فإنما كان وديعة من ودائع الدّهر ، أغاركها برهة من الزّمان  
ثم استردّها .

إنك لا تدري ، لعلّ الله أراد بك خيرا فمنحك قبل حلول أجلك فرصة من



الزَّمان تَخْلُو فِيهَا بِنَفْسِكَ ، وَتُرَاجِعُ فِيهَا فَهْرَسَ أَعْمَالِكَ ، فَإِنْ رَأَيْتَ خَيْرًا أَغْتَبَطْتَ  
أَوْ شَرًّا اسْتَغْفَرْتَ .

قَضَى اللَّهُ أَنْ يَقِيمَ فِي كُلِّ حِينٍ لِهَذَا الْعَالَمِ الْغَافِلِ عِبْرَةً مِنَ الْعِبَرِ تَزْجَعُهُ  
مِنْ رَقْدَتِهِ ، وَتَوْقِظُهُ مِنْ غَفْلَتِهِ ، فَكُنْتَ أَنْتَ عِبْرَةٌ هَذَا الدَّهْرِ وَمَوْعِظَتُهُ .  
مِنْ بَاتَ بَعْدَكَ فِي مُلْكٍ يُسَرُّ بِهِ فَإِنَّمَا بَاتَ بِالْأَحْلَامِ مَغْرُورٌ

### التعليق :

إِنْ أَهَمَّ مَا يُمَيِّزُ هَذِهِ الْمَقَالَةَ هُوَ انْطِبَاعُهَا بِالطَّبَائِعِ الشَّخْصِيَّةِ لِلأَدِيبِ حَيْثُ تَبْدُو  
شَخْصِيَّةُ الأَدِيبِ جَلِيَّةً وَاضِحَةً تَسْتَهْوِي الْقَارِئَ وَتَسْتَأْثِرُ بِلَبِّهِ فِي ذَلِكَ الأسْطُلُوبِ  
الأَدَبِيِّ الَّذِي يَشَعُّ بِالْعَاطِفَةِ وَيُثِيرُ الْإِنْفِعَالَ بِمَا يَحْتَوِيهِ مِنْ أُسْلُوبِ إِنْشَائِيٍّ يَدُلُّ  
عَلَى إِنْفِعَالِ الْمُنْفِلُوطِي وَإِحْسَاسِهِ بِمَا يَتَحَدَّثُ عَنْهُ . . . ذَلِكَ الْإِنْفِعَالُ الَّذِي يُوَثِّرُ  
فِي الْقَارِئِ وَيَهْزِ مَشَاعِرَهُ فَيَبْدُو وَكَأَنَّهُ يَعِيشُ التَّجَرُّبَةَ الَّتِي يَتَحَدَّثُ عَنْهَا الأَدِيبُ . . .  
لَكَ التَّجَرُّبَةُ الَّتِي تَحْكِي دَوْرَةَ الْفَلَكَ ، وَيَقْصِدُ بِدَوْرَةِ الظُّكِّ هُنَا تَقْلِبُ الْأَزْمَانَ وَتَبْدُلُ  
أَحْوَالَهَا عَلَى الْإِنْسَانِ ، فَمَنْ كَانَ فِيهَا مُعْزِزًا مُكْرَمًا حَاكِمًا يُصْبِحُ - مَعَ دَوْرَةِ الْأَيَّامِ  
وَتَقْلِبُ أَحْوَالَ الزَّمَانِ - خِلَالَهَا - وَلَيْلًا مُهِينًا مُجْكُومًا ، وَقَدْ نَقَلَ لَنَا الأَدِيبُ ذَلِكَ فِي  
حُلَّةٍ أَدَبِيَّةٍ قَشِيَّةٍ تَحْلُقُ فِي سَمَاءِ الْخَيَالِ بِمَا تَرْسُمُهُ مِنْ صُورٍ جَمِيلَةٍ مُمْتَعَةٍ طَيِّبَةٍ لِلْقَارِئِ  
وَتُطَرِّبُهُ ، فَهَا هُوَ يَخَاطِبُ الْقَصْرَ بِقَوْلِهِ : -  
( أَيُّهَا الْقَصْرُ :

أَيْنَ الْكَوْكَبُ الزَّاهِرُ الَّذِي كَانَ يَتَنَقَّلُ فِي أَبْرَاجِكَ ، أَيْنَ

النَّسْر الطَّائِرَ الَّذِي كَانَ يَحْلَقُ فِي أَجْوَاك ؟ أَيْنَ الْمَلِكُ الْقَادِرُ الَّذِي كَانَ يَطْلُعُ  
شَمْسًا فِي صَبَاحِكَ وَدِرَّاءً فِي مَسَاءِكَ ؟ . . . الخ ( ١ )

فالمنفلوطين في عبارته السابقة يجمع بين صور بيانية ، وأساليب بدعية تزيد المعنى  
جمالاً وتُكسِّبه رونقاً وجلالاً ، فهو يعتمد إلى التشبيه البليغ في تساوئه عن السلطان  
عبد الحميد فيرى أنه كان كوكباً متقللاً في أبراج القصر ، ونسراً محلّقاً في أجوائه ،  
ويعمد إلى التشبيه البليغ عندما تسأل عن الملك الذي كان شمساً في الصباح  
ودرّاءً في المساء .

أما أسلوبه البديعي الجميل فيتجلّى في تلك الموازنة بين الجمل والسجع غير  
المتكلف الذي يجذب القارئ إليه ، وقد يدفعه ذلك إلى إعجاب والجمال إلى حفظها  
وترديدها .

أضِفْ إلى ذلك تلك الموسيقى المتدفقة التي تتجلّى في تكرار الأسلوب الإنشائي ،  
والإستكثار من أدوات الإستفهام كقوله : ( أيّها القمطر ) . . . ( أين الكوكب  
الزاهر ) . . . ( أين النسر الطائر ) . . . ( أين الأعلام والبنود تخفق ) . .  
( أين الصوت الذي كان يجلجل ) . . . ( كيف إستطاع الدهر ) . . ( أين  
كانت أسوارك ) . . ( وكيف عجزت أن تمتنع على القضاء ) . . ( أيّها الدهر ) . .  
( ألا تستطيع أن تنام عن الإنسان لحظة ) . . ( ألا تستطيع أن تسقيه كأس السرور  
خالصة ) . . ( لا تأسؤك ما فاتك ) ( ٢ )

١ - المنقوطين . النظرات . ج ٢ ص ٢٤ . ( المقال بكامله ص ١٦١ من هذا البحث )

٢ - النظرات ١ للمنقوطين . ج ٢ ص ٢٥ ، ٢٦

أما أجزاء المقال أو خطته وفكرته وطابعه فهو خطة مُحَكَّمة ناجحة لأنها في الوقت الذي يَصْدُقُ عليها فيه أنها خطرات نفسه ، فهو أيضاً مرتبة متسلسلة تروق شعور القارئ في وحدتها وترابطها ونحوها في الحقيقة طبيعياً لأنَّ القارئ يتحرك خلالها في دائرة واحدة من الشعور ، وهذا يذكرنا بشبهها الكبير بالقصيدة الغنائية التي تعالج إحساساً واحداً مُعَيَّناً .

على أنَّ الأفكار التي يحويها المقال ليست عميقة الغور أو مما يدق عن الأفهام لكنه مع ذلك يُرضى القارئ ويحمله على المتابعة بفضل ما يشه فيه من مشاعر صادقة وإنفعال مؤثر ، وكثيراً ما ترضى النفس عن التركيز خاصة إذا كانت إثارة وسيلته ، والإنفعال هو الطريق إليه .

وهنا تبرز لنا حقيقة فنية في المقال الأدبي وهو أنَّ قيمته ليست في أفكاره التي يحويها لأنَّ الأفكار ليست كلَّ شيء في المقالة ، فالعمل الأدبي لا يعتمد على صحتها من الناحية العقلية والعلمية ، بقدر ما يعتمد على طريقة أدائها وعرضها في حلَّة أدبية جميلة ، وهذه في الحقيقة - مبرز النص الأدبي دائماً - حيث يُقرأ للمتعة والطرب لا للتثقيف والتعليم . ( ١ )

وهنا يدخل دور الصياغة ، فالذي لا شك فيه أنَّ المقالة الأدبية تعتمد إلى حد كبير ككل الفنون الأدبية على صياغتها ذلك لأنَّ البراعة في الصياغة سبب قوي من أسباب المتعة التي يجدها القارئ ويَطْرِبُ لها أثناء تذوقه للعمل الأدبي . ( ٢ )

---

١ - د . محمد عوض محمد . فن المقالة الأدبية ص ٢٦٣ د . يوسف نجم . فن المقالة ص ١٢٨ ، ١٢٩ بتصرف .

٢ - أحمد أمين . فيض الخاطر ، ص ١٧٨ ط ١٩٧٣ م ، د . يوسف نجم . فن المقالة ص ١٢٩ بتصرف .

وهذا القدر من الأسلوب متوفر كل التوفر للمنفلوطي لأنه أحد زعماء الأسلوب الأدبي العذب الرقيق في أدبنا الحديث فإذا أردنا أن نقف عند أسلوبه في صياغة هذا المقال بالذات أمكن أن نشير إلى أنه يمتاز بالسهولة والرقّة على ترسل عذب ، وموسيقية جميلة تبدو في هبوط السجّة القصيرة غير المتكلفة عليه أثناء كتابته ، وحتى في الجزء الذي يمكن أن يلح فيه المرء صنعة خفية فإنّ القارئ العادي لا يلتفت إلى شيء من ذلك ، لأنّ المنظوظي يعرف بمقدرته الفنية أن يستر تلك الصنعة الخفية فيبدو في أسلوبه ذلك السجع غير المقصود منه ، والموازنة العفوية بين الجمل فتشبع فيها الموسيقى العذبة المطرية .

هذا عن شأن الفكرة وصياغتها وما يتصل بها من طريقة العرض ، فإذا إنتقلنا إلى الجانب الشخصيّ وكيف أنّ المقال يدلّ على صاحبه ، فإن ذلك يتّضح كلّ الوضوح ، حيث نلمح في المقال مزاج الأديب وطابعه النفسي وطريقته في فهم الحياة ، ومضى إدراكه لها وإحساسه بها . إنه يلزم الجانب الحزين الباكي فجاء أسلوبه سهلاً متدفقاً موسيقياً مصوراً تغلفه سحابة تشاؤم ووطنه قطرات دمع ، لا يعتمد إلى فكرة صعبة فيشيرها أو جديدة فيقدّمها ، بل تكفيه اللفتة الذكية ، والإشارة الحسنة مع تقديم المألوف في صورة محبّة حيث يشدك إليه صدق الشعور وحرارة العاطفة وقسوة الإنفعال .

## أشهر كتاب المقالة العربية المُحدثين :

ليبر من بحثنا أن نتعرّض لأدباء عصره اللهم إلا بقدر ما يسمح للموازنة بين أسلوب المنظوط وأساليهم :

ولعلّ أشهرُ كتاب المقالة المُحدثين الذين تميّزت أساليهم عن غيرهم هم :-  
أحمد لطفى السيد ، محمد حسين هيكل ، ويعقوب صرّوف ، والمنفلوطي  
والبشرى ، وطه حسين ، أحمد أمين ، والمازني ، والعقاد ، ونكري مبارك  
والرافعي ، والزيات وغيرهم ( ١ )

## أولاً : مكانته بين أدباء عصره :

يُعتبر المنظوط ظاهرة جديدة بالانتباه أولاً ، وبالإعزاز والإكبار ثانياً ، ذلك لأنه جاء على فترة لم تكن الأساليب فيها قد تخلصت من مخلفات العصر العثماني الذي انحدرت فيه الأساليب وظل طيها التقليد والصنعة ، وكانت بداية الصحوة ، لهذا الاتجاه تتمثل في " صهاريج اللؤلؤ " للبكري و " حديث عيسى بن هشام " للمويلحي ، و " أسواق الذهب " لشوقي ( ٢ ) ، فضلاً عن الأسلوب المقامي الذي تجلّى في كتاب " مجمع البحرين " لناصر اليازجي .

أما أسلوب المنظوطي ، فكما وصفه بحق الأستاذ : صلاح عبدالصبور في قوله :-  
( كان في حدّ ذاته خطوة بعيدة في التطور ما يدلّ على خصب نفس المنظوط وطواعيته للتجديد ، فإنّ هذا الأسلوب يختلف اختلافاً هائلاً عن أسلوب المقامات الذي

١ - فضلاً راجع د . يوسف نجم . فن المقالة ص ٧٨ وما بعدها حيث وضح المؤلف

خصائص أساليهم بما لا مجال هنا لذكره .

٢ - فضلاً راجع " طريقة المنظوط " ص ٨٦ | من هذا البحث .

قدَّ محمد المويلحي في " حديث عيسى بن هشام " بل وحافظ في " ليالي سطيج "

كذلك لا ننسى أنَّ المنظوظي يُعْتَبَر في أدبنا الحديث قمة الإتجاه لظهور النشر  
الفني مُتَحَرِّراً من قيود الصنعة والضعف والركاكة التي كانت سائدة في عصره ( ١ )  
وهو في ذلك يُخْتَرِف من البيان العربي زاده من ذوق صاحبه موسيقاه ، ومن وجدانه  
وعاطفته الإنسانية صدقه وقوة تأثيره .

نعم لقد إنظت المنظوظي بطريقته في الكتابة عن كل قيد كان يمكن أن يشده إلى  
طريقة السابقين وبعض المعاصرين له ، فهو كما حدث عن نفسه كان مُعْجَباً بالأساليب  
العربية في عهدها الذهبي ضائقاً بالأساليب المعاصرة والسابقة التي امتلأت بأعراض  
الصنعة وتكبّلت بالزخارف اللفظية والتي إعتبرها كلها أحاديث لسان ومن ثمَّ  
فهر عنده زيف وباطل لأنها تعتمد على العبارة المنمقة ، والجمل المزخرفة ، والكلمات  
الجامدة الجافة . ( ٢ ) وهو يهتم بنوع من الأسلوب أطلق عليه ( حديث القلب )  
ويعني به :-

القول ( المنثور أو المنظوم الذي تسمعه فتشعر أنَّ صاحبه قد جلس إلى  
حانبك ليتحدث إليك كما يتحدث الجليس إلى جليسه أو ليصور لك مالا تعرف من  
مشاهد الكون ، أو سرائر القلوب ، أو ليخفي إليك بفرض من أغراض نفسه ، أو لينفِّس  
عك كربة من كربة نفسك . . . إلى أن يقول :-

( حتى ترى حجاب اللفظ قد رقَّ بين يدك دون المعنوي ) ( ٣ )

١ - صلاح عبد الصبور . ماذا بقى منهم للتاريخ ص ١٥٩ ط ١ سنة ١٩٦١ م

٢ - فضلاً راجع الحياة الأدبية في عصره ص ٣٠ - ص ٤٦ من هذا البحث .

٣ - المنظوظي . النظرات ج ١ ص ٣١ بتصرف .

٤ - المنظوظي . النظرات ج ١ ص ٣٩ .

وهذا الحديث عنده هو ( أرقى الأحاديث وأشرفها نيل هو الذى يريد المريدون

مهما اختلفت عباراتهم وتنوعت أساليبهم عن كلمة البيان ) ( ١ )

وكانت طبيعته فى الكتابة كما وصفها هو نفسه فى قوله :-

( ما كنت أحفل من بين تلك الأحاديث بحديث اللسان ولا حديث العقل أى أنسى

ماكدت أتكلف لفظاً غير اللفظ الذى يقتاده المعنى ويتطلبه . . ) ( ٢ )

والحقيقة أنه إذا كانت ثمة جهود سبقت المنظوطى منذ جمال الدين والإمام

محمد عبده فى محاولة التخلص من عناصر الضعف والقيود اللغوية ، إذا كانت هنالك

جهود قبله فإن هذه الجهود قد قفز بها المنظوطى إلى الواقع العملي ، ولم يكن

الرجل حلقة من حلقات هذا الجهد وتلك المحاولات فحسب لأن الباقي من الطريق

فى هذا التعديل لم يكن بالسَّهل أو الميسر - بل يُعتبر المنظوطى ظاهرة فريدة

فى عصره حديرة بالأعزاز والإكبار وقد بين الأستاذ العقاد مكانة المنظوطى بالنسبة

إلى أدباء عصره فقال :-

( لقد كان المنظوطى أحد أولئك الأدياء القلائل الذين أدخلوا المعنى

والقصد فى الإنشاء العربى بعد أن ذهب عنه كل معنى وصل به الكاتبون عن كل

قصد . . وليس يظهر فضل هذه الخطوة المباركة إلا للذين وقفوا على بقية من

أساليب الإنشاء فى الجيل الذى عُبر قبل ظهور المنظوطى . . ) ( ٣ )

ثم بين العقاد تلك الطريقة المملة التى سار عليها الكتاب قبله من صيغ وقوال السب

١ - المرجع السابق ص ٣٩

٢ - المرجع السابق ص ٤٠

٣ - العقاد . مراجعات فى الآداب والفنون ص ١٧٢ الطبعة العصرية - الفجالة

لا يُعْتَوِرُهَا التَّصَرُّفُ وَالتَّبْدِيلُ ، وَأَسْجَاعٌ مُبْتَدَلَةٌ وَأَمْثَالٌ مُرَدَّةٌ وَشَوَاهِدٌ مَطْرُوقَةٌ  
وآيَاتٌ مُقْتَبَسَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا .

أَمَّا أَغْرَاضُ تِلْكَ الْكِتَابَةِ فَكَانَتْ كَخُطَبِ الْمُنَابِرِ تُعَادُ كُلٌّ مِنْهَا بِنَصِّهَا وَلِهَاجَةِ الْقَائِمِهَا  
وَوَحْدَةِ مَوْضُوعَاتِهَا ( وَكَأَنَّهَا تُدَارُ مِنْ آلَةٍ حَاكِيَةٍ لَا تَفْقَهُ مَا تَقُولُ عَلَى آلَةٍ مِثْلِهَا لَا تَفْقَهُ  
مَا تَسْمَعُ ) ( ١ ) ثُمَّ ذَكَرَ الْأُسْتَاذُ الْعَقَّادُ أَنَّ هَذِهِ الْأَسَالِيبَ قَدْ اضْطَرَّتْهَا  
الصَّحَافَةُ وَالتَّرْجُمَةُ إِلَى التَّغْيِيرِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَكِنَّهُ كَانَ تَغْيِيرًا مَتَعَثِّرًا بِطَيْشٍ يَظْهَرُ  
عَلَيْهِ أَثَرُ الْجُمُودِ وَالتَّفَاهَةِ السَّابِقَةِ ، وَفَقَّرَ الْكِتَابَ وَعَجَزَهُمْ عَنِ التَّصَرُّفِ فِيمَا بَيْنَ  
أَيْدِيهِمْ مِنْ ثَرْوَةٍ وَتَعْبِيرٍ .

أَمَّا مَزِيَّةُ الْمَنْفُلُوطِ فِي هَذَا الدَّوْرِ - عَلَى حَسَبِ رَأْيِ الْعَقَّادِ - ( أَنَّهُ يَرَى  
مِنْ آثَارِ تِلْكَ التَّفَاهَةِ الْمَهْزُولَةِ وَمَضَى بِقَدَمَيْنِ عَلَى النَّهْجِ الْجَدِيدِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ  
الْمَعْنَى وَالْقَصْدُ إِلَى الْإِنْشَاءِ الْعَرَبِيِّ وَقَدْ مَاشَتْ فَوْقَ لَيْسَانِ الْقَدَمَيْنِ وَفِي ذَرْعِ خَطَوَهُمَا  
وِاسْتِقَامَةُ سِيرَتِهِمَا عَلَى النَّهْجِ الْجَدِيدِ ، فَلَيْكِنْ فِيهِمَا مَا فَتَهُمَا مِنَ الضَّعْفِ وَالْعَيْشِ  
أَوْ لَيْكِنْ عِنْدَهُمَا مَا عِنْدَهُمَا مِنَ الرِّخَاوَةِ وَالْكَسَلِ ، فَإِنَّهَا بَعْدَ كُلِّ مَا يُقَالُ فِيهِمَا  
قَدْ مَانَ آخِئَتَانِ وَلَيْسَا بِعُضْوَيْنِ مِنَ الْخَشَبِ الْمَنْجُورِ ) ( ٢ )

وَنُضِيفُ هُنَا رَأْيَ الْأُسْتَاذِ مُحَمَّدٍ ابْنِ الْأَنْوَارِ الَّذِي نَضَمَ صَوْتَنَا إِلَى صَوْتِهِ فِي قَوْلِهِ  
مَعْلَقًا لَهُ عَلَى كَلَامِ الْعَقَّادِ السَّابِقِ :

( وَسَوَاءٌ اتَّفَقْنَا بَعْدَ ذَلِكَ أَوْ اخْتَلَفْنَا مَعَ الْأُسْتَاذِ الْعَقَّادِ فِي أَنَّ مِيزَةَ الْمَنْفُلُوطِ  
- كَمَا ذَكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ - أُخْرَى بِهَا أَنَّ تَحَسُّبَ لَأْيَامِهِ لَا لِحُرَاتِهِ وَحُسْنَ اخْتِيَارِهِ ، فَإِنَّ

١ - الْعَقَّادُ . مَرَاجِعَاتُ فِي الْأَدَبِ وَالْفَنُونِ ص ١٧٢

٢ - الْعَقَّادُ . مَرَاجِعَاتُ فِي الْأَدَبِ وَالْفَنُونِ ص ١٧٢



المنظوظ بحق قد برىء الأسلوب على يديه من آثار التفاهة التي تدل على مرض ملحف قد طال مداه ، ويخشى من آثاره الباقية نغس الخشية التي يتطلبها العذر من صلب الداء وخطورته ، خاصة وأن ثمة ترصاً باللغة العربية كان يحاول الاستعمار إقناع الأمة به ، ومن هنا كان ظهور المنظوظ حديثاً يمكن أن يرتبط في ذهن عشاق هذه اللغة بأحدى معجزاتها ( ١ )

ويقول الأستاذ عمر الدسوقي في هذا الصدد :-

( استطاع المنظوظ أن يتسدد طريقة جديدة في الكتابة الأدبية ، طريقة تخالف تلك التي اشتهرت بين الكتاب والأدباء في القرن التاسع عشر أولئك الذين كانوا يحفظون - كما ذكرنا - بالسجع وألوان البديع ، ويفلبهم على أساليبهم محفوظهم من الأدب القديم فيرددون تشابيهه ومجازاته وكتابات ، وإن كانت لا تناسب الموضوع والبيئة والعصر ، وهو طريقة تخالف كذلك النشر الصحفي الذي يكتب لساعته ، ويخوض غمار المعارك السياسية ، فلا يتأتى صاحبها انتقاء الألفاظ وصياغة الجمل ) ( ٢ )

ولقد أنصفه الدكتور أحمد هيكل عندما اعتبره العلم البارز في أول مدرسة فنية للنشر الحديث التي يمكن أن تحمل اسمه فيقال مدرسة المنظوظ ( ٣ ) وفي الحق فإن أثر المنظوظ في النشر لا يقل عن أثر شوقي في الشعر ، مع

إحتفاظ بسعة الفرق بين الرجلين لأن شوقي أغنى فناً وأرسخ قدماً وأقدر على العطاء في مجال الشعر من المنظوظ في مجال النشر ولكن كليهما رافداً تطوراً فالمنظوظي

١ - محمد أبو الأنوار . مصطفى لطفي المنظوظي الكاتب ص ٦١٤ ( رسالة مخطوطة )

٢ - عمر الدسوقي - بحث خاص مرسلاً إلى جامعة هارفرد بأمريكا عن ( تطور الجمال في

النشر الحديث ) نقلاً عن رسالة د . محمد أبو الأنوار . المنظوظي الكاتب ص ٦١٤

٣ - د . أحمد هيكل - تطور الأدب الحديث في مصر ص ١٦٦ بتصرف

من ناحية الأسلوب كان إستجابة قوية لحاجة عصره ولذلك قُوبِلَت مقالاته بالإعجاب  
المنقطع النظير وجذبت إليها بشدة طلاب الأدب والمتجولين في حقله ، ومن  
ثم كانوا يتجمعون حولها يقرأونها ويتتقنون وهم في صحن الأزهر أن يربطوا إعجابهم  
بأسباب هذا الرجل الذي كان قد حاد عن الطريق ولم يعد يتردد على حلقات  
الدرس فيه : ( ١ )

ومن هنا كان تأثير هذا الأديب واضحاً في المدرسة الأدبية التي طلت ظهوره  
وأعني بها مدرسة الأسلوب الموسيقي المحتفى بصياغته والتي تتمثل في الزيات وطه  
حسين ( ٢ )

وكما يقول الأستاذ صلاح عبدالصبور :-

( كان في أسلوب المنظوظي إشراق ولمعان لا تكاد تجد ما يماثلها في أسلوب  
طه حسين من بعد ) ( ٣ )

ويرى الأستاذ أنور الجندى أن فجر النهضة الأدبية بزغ نوره بظهور أسلوب  
المنظوظي الذي أثر في كتابات الرافعي والزيات وغيرهما فيقول :-  
( وبدأ فجر النهضة الأدبية بهذا اللون الذي لم يسبق إليه أحد ومما يكن  
من رأي في أسلوب المنظوظي فإنه قد أثر في كتابات الرافعي والزيات وعبد العزيز البشري  
وطه حسين ) ( ٤ )

ونرى أنه ليس هناك شك في أن كل الأجيال التي طلت ظهور المنظوظي لابد وأن تكون

١ - أحمد حسن الزيات - وحى الرسالة ص ٣٨٦ بتصرف

٢ - محمد أبو الأنوار - المنظوظي الكاتب - رسالة مخطوطة ص ٦١٥

٣ - صلاح عبدالصبور - ماذا بقي منهم للتاريخ ص ١٥٩

٤ - أنور الجندى - النشر العربي المعاصر ط ١٩٦١ م ص ١٩٣

قد تأثرت به وتلمذت عليه سواه\* اعترف أفرادها بذلك أم جحدوه وتكروا له وهو صاحب الفضل عليهم بعد الله سبحانه وتعالى - فهذا هو ذا د . محمد مندور يعترف بأنه واحد ممن تأثروا بأسلوب المنظوطي ( ١ )

كذلك استاذى الدكتور محمد نبيه حجاب المشرف على هذه الرسالة والأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي ( ٣ ) وغيرهم من أساتذة الأدب البارزين .

أما عن رأينا في مكانة المنظوطي الأدبية في عصره فنضعه - من غير تردد - في مقام القيادة والريادة في عصره بل لانتقد أن أدبياً يعتد بأدبه لم يرقى أدب مصطنع المنظوطي أولم يتأثر به ويسير على نهجه في الكتابة - مع فوارق الشخصية الأدبية بين كل منهما - بل لابد ممن أراد أن يكون أدبياً حقاً أن يقرأ أدب المنظوطي ويتأثر بإشراق ديباجته ومثاقه أسلوبه وسهولته مع براعة التصوير فيه .

ومن ناحية أخرى فإن هناك مسألة هامة غير الأهلوب ترفع من مكانة المنظوطي وتعلو من شأنه هي ، موضوعاته الإنسانية والقضايا الاجتماعية التي تعرض لها بالشرح تارة وإلذود عنها تارة أخرى وهي كلها تؤكد أنه معلم أخلاق وداعية فضيلة وصاحب نغمة إنسانية قائمة إلى الصلاح والخير وما ذاك إلا استجابة أكيدة من نفسه الإنسانية لحاجات عصره الملحة إلى أمثاله من الأدباء .

١ - الجمهورية ١٢ / ٨ / ١٩٢٢

٢ - فضلاً راجع كتابه ( نظرات أدبية ) ج ١ ص ٦٩ - ط ١٩٧٠ - مطبعة زهران

موازنته بغيره من أدباء عصره :

لبيان الفرق بين أسلوب المنظوطى وغيره من الكتاب فى عصره أثرت الموازنة بينه وبين اثنين من أدباء العصرهما :-

البشرى فى مرآته ( ١ ) وأحمد أمين فى فيض خاطره ( ٢ )

الموازنة بينه وبين البشرى :-

أما أسلوب البشرى فكما وصفه الدكتور نجم أنه بصفة عامة وسط بين الترسل والسجع ، أما ألفاظه ، فهو مجلجلة رنانة بجرسها القوى وعباراتها الضخمة ليستأثر بانبياؤه القارىء ، وليوحى إليه أن الكتابة أمر صعب يحتاج إلى ذخيرة لغوية ضخمة . ولكن يلاحظ أن هذا الأسلوب عنده يتفاوت بتفاوت الغرض ، فهو يميل إلى تقصير

الفواصل وإيراد العبارات الرشيقية عندما يقصد الفكاهة ( ٣ )

وهذا مانلاحظه فى ( المرأة )

١ - ولد عبد العزيز البشرى عام ١٨٧٠م ، وتوفى عام ١٩٤٣م وله مؤلفات أخرى هى "المختار"

وبعد وفاته نشر الدكتور طه حسين بعض مقالاته وقدم لها فى كتاب سماه " قطوف "

فى جزأين عالج فيه الشؤون الاجتماعية المصرية الأدبية المخططة

٢ - ولد أحمد أمين سنة ١٨٨٦م وتوفى عام ١٩٥٤ وله مؤلفات أخرى هى : " فجر

الإسلام " " وضوح الإسلام " و " ظهر الإسلام " ثم " النقد الأدبى " ،

" قصة الأدب فى العالم " بالإشتراك مع غيره و ( قصة الفلسفة اليونانية )

و ( قصة الفلسفة الحديثة ) و ( يوم الإسلام )

٣ - د . يوسف نجم . فى المقالة . ص ٨٠ بتصرف

ويرى آخر : إنَّ البشريَّ <sup>من</sup> أجودنا في أساليبهم الرصينة أشدَّ التجويد . ولكنه  
كان يخرج على القوالب العربيَّة أحياناً ؛ فيورد كثيراً من العبارات المصريَّة العاميَّة  
ويعتذر لذلك بحجَّة أنَّها هي وحدها التي تستطيع أن تصوِّر ما يريد من أفكار  
وأحاسيس .

ويعلق الدكتور الدواخلي على هذا الاعتذار بقوله :-

( وهو اعتذار نلمح فيه مدى الحساسية الفنيَّة عند البشريِّ ومقدار إستجابته لروح الفكاهة  
التي سيطرت عليه طوال حياته ) ( ١ )

هذا وقد قدَّم لنا البشريُّ فناً قد وُجِدَ في العربيَّة القديمة وإن لم يكن عميقاً  
ووجد في الأدب العربيِّ الحديث بشيئٍ كثير من العمق والتحليل النفسي وهو فن  
التراجم الذي قدَّم فيه دراسات حافلة لكبار الشخصيات المعاصرة له في كتابه ( فو  
المرأة ) وقد مثل لنا البشريُّ عمله بعمل المصوِّر ( الكاريكاتوري ) الذي يعتمد إلى  
الوضع البارز في الشخص فيزيدي في وصفه ويبالغ في تصويره ( ٢ )

كما ويعلق الأستاذ الدكتور محمد نبيه حجاب على وضوح شخصية الأديب في  
كتابات بقوله :-

( وإذا كان أسلوب الرَّجل هو الرَّجل نفسه كما يقولون أو من الرَّجل كما يقول  
( بيغون . Baifon ) فإنَّ أسلوب البشريِّ بجُرسه ونبراته هو البشريُّ بذاته وصفاته  
ضاحك إذا داعب . لاذع إذا تهكم أو تندّر ، صارم إذا جدَّ أو احتدَّ . . . حتَّى  
لتحسِّبه مصوراً كاريكاتورياً \* يُجسِّم المعالم ويُبرز القسَمات ( ٣ )

- ١ - د . عبد الحميد الدواخلي - نصوص مختارة من الأدب العربي . كتاب النثر في دار الكتاب  
الحديث - الكويت - ( بتصرف )
- ٢ - د . الدواخلي - نصوص مختارة من الأدب العربي كتاب النثر ١٩٧٠ بتصرف
- ٣ - د . محمد نبيه حجاب - بلاغة الكتاب في العصر العباسي ص ١٥٦ ط ١٩٦٥ م .

وهو قد جَمَعَ بين جزالة القديم ورشاقة المُحدثين وقيل أن تُدلي بالرأي  
الشخصي في ذلك رأينا ضرورة إجراء الموازنة بين أنطولوجيه وأسلوب المنظومي ...  
وهنا لابد لنا من وضع النماذج التي توضح القول وتجلو الغامض منه . وحتى تكون  
الموازنة أقرب إلى الحقيقة الواضحة منها إلى الحكم النظري البحت .

ولیکن هذا النموذج ما كتبه البشرى في مرآته عن حافظ إبراهيم فيقول :-  
( حافظ إبراهيم شاعر . فهو يُحبّ الجمال ويجتمع له ( ١ ) ، ويكره القبح وينعش  
على أهله<sup>(٢)</sup> بحياة بذلك مجابهة لا يتقنى في القول ولا ينحرف ( ٣ ) ، وما إن طلع  
عليه فتى ذميم الخلق غير مستوى معارف الوجه ( ٤ ) ، إلا قال له : يا فتى  
ليكن الوزر عليك ، بل طى أبيضك لأنه لم يؤدّ مهراً !  
وإذا اضطربت نظرية حافظ فلا شك أن المرحوم والده تزوج على الطريقة الإفرنجية  
فلم يدفع مهراً ، بل هو الذي أخذ ( الدوطة ) ( ٥ )  
جهم الصوت ( ٦ ) ، جهم الخلق ، جهم الجسم ، كأنما قد من صخرة فـ  
فلاة موحشة ، ثم فكر في آخر ساعة أن يكون إنساناً ( ٧ ) فكان والسلام .

- 
- ١ - أي يحتفل به ويحشد له كل ذات نفسه ، فلا يشغله غيره
  - ٢ - يعنيه به ويظهره ويشهره
  - ٣ - لا يملّ عن صريح القول إلى الكناية
  - ٤ - قسماته وملامحه
  - ٥ - المهر الذي تدفعه الفتاة الإفرنجية اليهودية لمن يتزوجها
  - ٦ - غليظ أجش
  - ٧ - يؤخذ على أديب مسلم كالبشرى أن تأخذه السخرية إلى هذا الحد

أَمَّا مَا يَدْعُو فَمَهْ فَكَأَنَّمَا شَقَّ بَعْدَ الْخَلْقِ شَقًّا ، وَأَمَّا عَيْنَاهُ ، فَكَأَنَّمَا رُقَّتَا  
بِمَسَارَيْنِ دَقًّا ، وَأَمَّا لَوْنُ بَشَرَتِهِ وَالْعِيَانُ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا عُدَّ بِهِ إِلَى "نَقَاشٍ" مُبْتَدِئٍ  
تَشَابَهَتْ عَلَيْهِ الْأَصْبَاغُ وَالْأَلْوَانُ ، فَذَاكَ أَصْغَرُهَا فِي أَخْضَرِهَا فِي أَيْضِهَا فَمِنْ  
بِنَفْسِهَا فَخَرَجَ مُزْجًا مِنْ هَذَا كُلِّهِ لَا يَرْتَبِطُ مِنْ وَاحِدٍ بِسَبَبٍ وَلَا يَنْفُضُ بِنَسَبٍ ( الخ ( ١ )

### التعليق :-

من المعروف أَنَّ الْبَشْرِيَّ كَانَ عَذْبُ الْحَدِيثِ بَارِعَ النِّكَةِ وَالنَّمُودَجِ الدَّابِقِ  
دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى سَخَرِيَّةِ الْبَشْرِيِّ اللَّاذِعَةِ وَتَصْوِيرَةِ ( الْكَارِيكَاتُورِي ) الدَّقِيقِ وَهُوَ يَخْطِفُ  
تَعَامًا عَنْ طَرِيقَةِ الْمَنْظُوطِ فِي الْكِتَابَةِ ، أَضْفَ إِلَى ذَلِكَ الْفَرْقَ الْكَبِيرَيْنِ سَلَاسَةً  
الْأَسْلُوبِ عِنْدَ الْمَنْظُوطِ وَعَذَرِيَّةَ مُوسِيقَاهُ وَجَرَسَ أَلْفَاظِهِ الرَّقِيقِ الْحَانِي ، وَيَبِينُ  
ضَخَامَةَ أَلْفَاظِ الْبَشْرِيِّ وَصَعُوبَتَهَا إِلَى جِدِّ مَا .

وَلَا نَقْصِدُ هُنَا مَوَازِينَ الْبَشْرِيِّ عَلَى أَسْلُوبِهِ وَتَفْضِيلِ الْمَنْظُوطِ ، فَكَلَاهُمَا  
شَائِقَ الْأَسْلُوبِ جَذَابِ الْبَشْرِيِّ فِي سَخَرِيَّتِهِ وَالْمَنْظُوطِ فِي بَيَانِهِ السَّاحِرِ ، وَإِنَّمَا  
قَصَدْنَا مَجَرَّدَ الْمَوَازَنَةِ بَيْنَ الْأَسْلُوبَيْنِ .

وَبَعْدُ فَإِنَّمَا نَعْمِلُ إِلَى طَرِيقَةِ الْمَنْظُوطِ الْبَيَانِيَّةِ الْمُرْسَلَةِ أَكْثَرَ مِنْ مَهْلِكِنَا إِلَى  
طَرِيقَةِ الْبَشْرِيِّ السَّاخِرَةِ ، لِمَا فِي الْأَوَّلِ مِنْ سَلَاسَةٍ وَعَذَرِيَّةٍ وَقُدْرَةٍ عَلَى جَذَابِ الْقَارِئِ  
وَإِثَارَةِ مَشَاغِرِهِ بِأَسْلُوبِهِ الْقَصَصِيِّ وَقُوَّةِ أَسْرِهِ لَهُ حَتَّى تَصْطَلِعَ عَوَاطِفُ ذَلِكَ الْقَارِئِ بِنَفْسِهِ

اللون الذى اصطبغ به شعور الأديب أثناء آدائه لتجربته الأدبية .

وفى الوقت ذاته لا تضيق ذرعاً بأسلوب البشرى ولا نعيب عليه طريقته  
فقد كانت كتاباته كلها نطاً من البيان الرائع والبلاغة العالية والتحليل الدقيق  
والتهكم اللاذع والسخرية البارة ، ولكن شعورنا هنا هو نفس شعور الفنان الذى  
يطرب للوحة وتعجبه أخرى فكلاهما إعجاب ولكنه هو ذلك الفرق بين الطرب  
والانسجام .

" وللناس فيما يعشقون مذاهبٌ "

المنفلوطى وأحمد أمين :-

ان معظم من وصفوا أسلوب أحمد أمين وصفوه

باهتمامه بمعانيه أكثر من اهتمامه بألفاظه . ( ١ )

وقد ذكر هو نفسه ما يشير إلى ذلك فى مقدمة كتابه ( فيض الخاطر ) حيث قال :-  
( أصدق كاتب فى نظرى من احتفظ بشخصيته وجعل أفكاره وعواطفه تمتزج  
امتزاجاً تاماً بأسلوبه ، وخير أسلوب عندى ما أرى أكثر ما يمكن من أفكار وعواطف فى  
أقل ما يمكن من عُسْر وغموض وإلتواء ، وراعى بجمال معانيه أكثر مما شغل بك بزينة  
لفظه وكان كالفافية تستغنى لطبيعة جمالها عن كثرة حليها . ) ( ٢ )

وقد نقد الدكتور طه حسين أسلوب أحمد أمين فى ( فيض الخاطر ) فبين فى  
ذلك النقد ، أنه رغم تقرير أحمد أمين نفسه فى أنه من أصحاب المعانى لا الألفاظ  
- برغم تقريره هذا - فإنه يرى فصلاً تعجبه بحلاوة لفظها أكثر من معانيها وفصلاً

١ - د . يوسف نجم . فى المقالة ص ٨٢ ، د . الدواخلى . نصوص مختارة من الأدب

العرب . كتاب النشر ص ٢٠٥ بتصرف .

٢ - أحمد أمين . فيض الخاطر ( المقدمة ) ط ٦ سنة ١٩٧٣ مكتبة النهضة المصرية



تطريه بإطنابها أكثر من إيجازها ، وفصولاً تروق بزيئتها أكثر مما تروق بإيثارها —  
 للقصد وهو صادق في كل ما كتب ولا هُيْئَ عليه في ذلك لأنَّ شعور الأديب يختطف من  
 تجربة لأخرى فكل تجربة أدبية ظروفها وطبيعتها في الأسلوب .

ويأخذ عليه وقوفه عند الأوليات فيسقطها بسطاً ويفصلها تفصيلاً ( ١ )

ويرى الدكتور عبد العزيز عتيق أن أسلوب أحمد أمين يتميز بالبساطة وعدم تكلف  
 الزينة والزخرف فيه وحفاوته بتجويد المعنى أكثر من تجويد اللفظ ، وتولييد  
 المعاني أكثر من تزويق اللفاظ ، وقد يدعوه تقديره للمعنى إلى الإسراف في  
 إيضاحه لشغفه بوصوله إلى القارئ صافياً وافيّاً حتى وإن ضحى في سبيل ذلك  
 ببلاغة الكلام وقد يستعمل أحياناً اللفظ العامي إذا تأكد أنه أدق في توصيل  
 معناه عن اللفظ الفصيح . ( ٢ )

هذا وقد ظل الأستاذ أحمد أمين تصرفه ذلك بقوله :-  
 ( ولم أرَ في ذلك بأساً بل لقد همتُ أحياناً أن أحدث بالعاقبة لأنسى  
 أرحم الأميين وأشباههم ألا يكون لهم غذاء عقلي يستمتعون به ) ( ٣ ) . . . إلى  
 أن يؤكد في حديثه هذا أن واجب الأدباء هو توصيل غذاءهم إلى كل عقل وأن يقرع  
 نتاجهم كل أذن وإلا كانوا مقصّرين ( ٤ )

١ - د . طه حسين . فصول في الأدب والنقد ص ٦٧ ، ١٨ ، ٢١ ، ط ٤ عام ١٩٦٩

دار المعارف ( بتصرف )

٢ - أحمد أمين . حياتي . المقدمة ص ٢٩ - ٣١ ط ١٩٧١ دار الكتاب العربي بتصرف  
 ٣ - أحمد أمين . حياتي . المقدمة ص ٣٠  
 ٤ - المرجع السابق بتصرف

وَيُقَرَّرُ الزَّيَاتُ أَنَّ هَدَفَ أَحْمَدَ أَمِينٍ مِنْ كِتَابَتِهِ أَنْ يَقَرَّرَ وَيَقْنَعَ لَا أَنْ يُؤَثِّرَ  
وَيُمَتِّعَ ، مِمَّا جَعَلَهُ يُؤَثِّرُ إِرْسَالُ النَّفْسِ عَلَى سَجِيَّتِهَا وَعَدَمُ الْإِلْتِمَامِ بِأَسْلُوبِ مُوسَّسِ  
بِالْحَلِّى اللَّفْظِيَّةِ أَوْ الصُّورِ الْبَيَانِيَّةِ وَالْمَوْسِيقَا الْخَلَّابَةِ وَإِنَّمَا الَّذِي يَرُوقُ لِلْقَارِي  
مِنْ أَسْلُوبِهِ إِبْتِكَارُهُ لِلْمَعَانِي وَالْآرَاءِ الصَّحِيحَةِ الْجَرِيئَةِ وَالشَّخْصِيَّةِ الْقَوِيَّةِ الْمَهِيْمَةِ  
فَالْقَارِي مِنْهُ يَرِزُّ عَالَمَ بَيْعٍ وَبَيْعٍ ، أَوْ مُصْلِحٍ يَصِفُ لِيَعَالِجَ ، لَا بِإِزَاءٍ مُصَوِّرٍ  
يَلَوْنُ فَيُعْجِبُ وَمَوْسِيقَارٍ يَلْحَنُ لِيُطْرِبَ ( ١ )

وَلِإِيضَاحِ رَأْيِنَا الشَّخْصِي فِي ذَلِكَ وَجَدْنَا ضَرُورَةَ النَّظَرِ فِي أَدَبِ أَحْمَدَ أَمِينٍ  
ذَاتِهِ وَطَرَحَ نَمُودَجٍ مِنْهُ أَمَامَ الْقَارِي ، ثُمَّ مَقَارَنَةً ذَلِكَ بِنَمُودَجٍ مِنْ أَسْلُوبِ الْمَنْظُوطِ  
حَتَّى نَرَى سَرِيعَةَ الْفَرْقِ بَيْنَ الْأَدَبِيِّينَ .

وَلِيَكُنْ هَذَا الْمِثَالُ مِنْ كِتَابِ (فِيضُ الْخَاطِرِ) لِأَحْمَدَ أَمِينٍ الَّذِي يُمَثِّلُ مَقَالَاتِهِ  
إِلَاجْتِمَاعِيَّةً وَالْأَدَبِيَّةَ ( ٢ )

يَقُولُ الْأُسْتَاذُ أَحْمَدُ أَمِينٌ فِي مَقَالٍ بِعَنْوَانِ ( الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ ) ( ٣ )  
( لَعَلَّ الطَّبِيعَةَ شَاءَتْ أَلَّا تَجْعَلَ مِنَ الرَّجُلِ إِنْسَانًا كَامِلًا وَلَا مِنَ الْمَرْأَةِ إِنْسَانًا كَامِلًا  
بَلْ جَعَلَتْ مِنْهُمَا إِنْسَانًا كَامِلًا نَقَّصَتْ فِي الرَّجُلِ مَا أَكْمَلَتْهُ فِي الْمَرْأَةِ ، وَنَقَّصَتْ فِي الْمَرْأَةِ  
مَا أَكْمَلَتْهُ فِي الرَّجُلِ ، وَقَوَّتْ فِي الرَّجُلِ مَا أضعَفَتْهُ فِي الْمَرْأَةِ وَقَوَّتْ فِي الْمَرْأَةِ مَا أضعَفَتْهُ  
فِي الرَّجُلِ .

١ - أَحْمَدُ أَمِينٌ بِقَلَمِهِ وَقَلَمُ أَهْدَقَائِهِ . لَجْنَةُ التَّأْلِيفِ وَالتَّرْجُمَةِ وَالنَّشْرِ ص ١٦ - ١٧  
سَنَةِ ١٩٥٥ م ( بِتَصَرُّفٍ )

٢ - د . مُحَمَّدٌ رَحِبُ الْبَيْوَمِيِّ . النُّهْضَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي سِيرِ أَعْلَامِهَا الْمَعَاصِرِينَ ر  
ح ١ ص ١٩٢ ط ١٩٨٠ م مطابعُ الْأَزْهَرِ بِتَصَرُّفٍ

٣ - أَحْمَدُ أَمِينٌ فِيضُ الْخَاطِرِ ح ١ ص ٢٦٢ ط ٦

فحيثما وجدت نقصاً في المرأة فاطلب كماله في الرجل وحيثما وجدت نقصاً في الرجل فاطلب كماله في المرأة . فالمرأة والرجل كدفني الثوب تزيد في أحدهما ما تنقصه في الآخر وتحريف في أحدهما إنحرافاً ما يهيئ مكاناً للآخر ، وكلّ شيء فيه عاشق ومُعشوق ، يمدّ كلّ منهما إعداداً يجعله صالحاً للآخر أو كطاقة الزّهر لا تجعل الموسيقى إلا حيث تتعدّد الألوان وتتناسق أو كفرقة الطبل لا تجعل المِزمار ويُكَمِّل المِزمار ما نقصه الطبل ولا تجعل الموسيقى إلا بهما معاً .

فإذا رأيت في الرجل حبّاً في التّعميم رأيت في المرأة حبّاً في التّخصيص ، هو حبّ في العلم المثل الجزئي ، وهو يحبّ القاعدة الكلية ، وهو إذا تكلمت عن المنزل تكلمت عن منزلها وقارنته بمنازل صديقاتها ، وأما هو سرعان ما يطفر إلى ذكر قاعدة عامة ، وهو إذا تكلمت عن الحبّ تكلمت في حبّها أو حبّ مثيلاتها ، وهو إذا تكلم في ذلك انتقل سريعاً إلى وضع قوانين للحبّ ، فنظرتها - على العموم - نظرة جزئية نافذة ونظرتها على العموم نظرة شاملة وقد لا تكون دقيقة .

وإذا تكلم هو عن الجمال كفكرة مجردة تكلمت هي عن فلانة الجميلة وفلان الجميل ، وإذا قال هو ما أحسن السّماء قالت هي ما أجمل القمر ومن أحل هذا كانت المرأة فليس العمليّات خير من الرّجل وكان الرّجل في النظريات خير من المرأة .

فلست ترى فلاسفة من النّساء في الطّيقة الأولى لأنّ الفلسفة أساسها التّعميم وهي لا تحسنه وأساسها النظريات وهي لا تجيدها وأهم أبوابها ما وراء المادّة والنظر الجزئي يتطلّب المادّة ، وقد تجد طالبات فلسفة ، وقد تجد حائزات لشهادات فلسفية ولكن قلّ أن تجد فيلسوفة خالقة لنظريات فلسفية ، فذلك ليس من طبيعتها عادة ( ١ ) إلخ ( ١ )

وهكذا يمضي الأستاذ أحمد أمين في تفصيل الفوارق الموضوعية الدقيقة التي تدلّ على فكر العالم أكثر من دلالتها على مشاعر الأديب التي تصبغ أسلوبه بصبغة مشوّقة لما يحمله ذلك الأسلوب من جمال الصّورة وعذوبة الموسيقى .

نقول إننا لانجد ذلك عند أحمد أمين لأنه كما بينّا - ( ١ ) من أولئك الذين يهتمون بالمعاني أكثر من إهتمامهم باختيار اللفظ وتجميله وقد صرح هو نفسه بذلك في مقدّمة ( فيض الخاطر ) و ( حياتي ) ( ٢ ) ، كذلك لا يبدو على أسلوبه حرارة العاطفة التي لها الدور الفعّال في إثارة مشاعر القارئ ، واستجابة عاطفته لقول الأديب ، بينما نجد ذلك كله في أسلوب المنظّوطي العذب ، فهو في تناوله لموضوع

الرجل والمرأة ( ٣ ) في " النظرات " يتناول بطريقته الخاصة والتي تختلف اختلافاً واضحاً عن تناول أحمد أمين فبينما نجد الموضوعية تطوّراً على أسلوب أحمد أمين نجد حرارة العاطفة وقوّة الانفعال طاغيين على أسلوب المنظّوطي فهو يقول فيه مثلاً :-

( يعتقد كثير من الناس أنّ الرجل والمرأة سواء في الذكاء والعقل وعنديّ أنّهم أصابوا في الأولى وأخطأوا في الأخرى .

تستطيع المرأة أن تجاري الرجل في سرعة الفهم وحضور البديهة ولا تستطيع أن تجاريه في الأناة والرفق وإمتلاك هدى النفس والأخذ بفضيلة الصبر على ما تكبّرهُ وما تحبّ .

١ - فضلاً راجع ص ١٨٠ من هذا البحث

٢ - سبق أن أوردنا قوله في هذا المجال ص ١٧٩ من هذا البحث

٣ - المنظّوطي . النظرات ج ٢ ص ٤٤

تستطيع المرأة أن تدرك ما يدركه الرجل من الشؤن والأطوار وأن تستخرج  
كما يستخرج المجهولات من المعلومات ، ولكنها لا تستطيع أن تنتفع بمعلوماتها كما  
ينتفع ، لأن بين جنبها نفساً غير نفسه ، وهوى غير هواه ولأن لها قلباً صغيراً لا يقوى  
على احتمال ما يحتله عقله الكبير .

يمشى الرجل وراء عقله فيبهديه ، وتتشى المرأة وراء قلبها فيضلها ، فما وقفت  
معه في موقف إلا سقطت بين يديه عجزاً وضعفاً لأنه يعرف السبيل إلى قلبها ولا تعرف  
السبيل إلى عقله . ( ١ )

لولا أن الرجل أعقل من المرأة ما كان له عليها هذا السلطان وذلك القلب ،  
ولا استطاع أن يقودها وراءه كما يقاد الجنيب ولا أن يملك عليها أمر فقرها  
وغناها وحبها وإطلاقها وهجابه وسفورها ويستأثر من دونها بوضع القوانين والشرائع  
الخاصة من حيث لا يرى قوة لدفعها والخروج عليها .

القوى يملك على الضعيف بحكم الطبيعة كل شيء تحت نفسه وهواه وكذلك كان  
شأن الإنسان مع الحيوان وشأن الرجل مع المرأة ( ٢ )

( يخدع الرجل المرأة عن شرفها فيسلبها آياها ، فإذا سقطت هاج المحتمم  
الإنسانى عليها رجاله ونساؤه . . . وملاء قلبها هولاً ورعباً وأوسع نفسها تقرعاً وتأنيباً  
من حيث لا تصبر على شرارة واحدة من هذه النار المتأججة . . . لأنه هو الذي وضع هذا  
القانون وشرع تلك الشريعة . . . وما كان له أن يقصر في مهالة نفسه ومحاباتها ، لأنه

١ - المنظوطي . النظرات ج ٢ ص ٥٥

٢ - المنظوطي . النظرات ج ٢ ص ٤٦

شتره طماعٌ مُحِبٌّ لذاته ، ولا أن يُعَدَّلَ في القضاء في قضية هو الخصم فيها والحكم ،  
لأنه ظالم جبار ) .

وهكذا نلمح في أسلوب المنظوطي شعاع العاطفة المتوهجة وحرارة الإنفعال  
الصادق مع جمال اللفظ وعذوبته ورقّة الموسيقى وانسياب العبارة وقوة أسرها ،  
كل ذلك يأخذ من غير شك بلبّ القارئ وعاطفته إلى عالم الأدب الحق لا الفكسر  
المؤثر الذي رأيناه في أسلوب أحمد أمين .

---

## طريقة المنظوطي

لقد أثمرت تلك الجهود التي بذلها الشيخ محمد عبده وأنصاره والتي سبقت الإشارة إليها ، حتى تبلور الاتجاه الذي راده في طريقة فنية للمقالة ، تُعتبر الطريقة الفنية الأولى - من حيث الزمن - في الأدب الحديث ، وقد كان مصطفى لطفى المنظوطى هو العلم البارز في تلك الطريقة التي يمكن أن تحمل اسمه فيقال " طريقة المنظوطى " ( ١ )

وطريقة المنظوطى هذه لها سمات وخصائص أسلوبية منها ما انفردت به ومنها ما شاركت فيه غيرها من الطرق (٢) وهذا ما سيتم تفصيله في الصفحات القادمة إن شاء الله ( ٣ )

أما المثل الأعلى لهذه الطريقة ، فهو ذلك النثر المرسل الجيد الذي خلفته عصور الإزدهار العربية ، ولكن أخذ المنظوطى منها لم يكن ذلك الأخذ الذى يمحو الشخصية الأدبية عنده ( وإنما كانت كتابا بغيرم محافظتها - فيها كثير من الإبداع والأصالة - وعليها طابع الكاتب وملاح شخصيته . ) ( ٤ )

وهذه الطريقة التي أوضح معالمها المنظوطى ، إنما هي طريقة محافظة بيانية تشبه إلى حد كبير طريقة شوقي في الشعر وقد قيل إن المنظوطى قمة من كتبوا بها بعد ريادة محمد عبده لها . كما كان شوقي قمة من اتجهوا إلى الأسلوب المحافظ

١ - فضلاً راجع ص ١٩٢ من هذا البحث .

٢ - أحمد هيكى تطور الأدب الحديث في مصر . ص ١٦٦ بتصرف .

٣ - فضلاً راجع ص ١٩٣ إلى ٢١٢ . خصائص أسلوبه .

٤ - د . أحمد هيكى . تطور الأدب الحديث في مصر ص ١٦٦ .

البيانى بعد ريادة البارودى لها فى الشَّعر ( ١ ) .

وقد ساهمت تلك الطريقة فى النَّضال بكل ميادين السياسة والاجتماعية والإصلاحية تماماً كما كان الشَّعر البيانى المحافظ ، وأبرز ما يُظهِر هذه الطريقة هو أسلوبه فى " النظرات " و ( العبرات ) الذى جذب القراءَ بطريقة تشويقية الفذة للعامة منهم والناشئين من طلاب المدارس أو غيرهم من متذوقي الأدب ، ولذلك بقيت مؤلفاته - إلى وقتنا الحاضر - حيةً مقروءة تعاد طبعاتها إلى اليوم وفداً على حين اختفت معظم الكتابات التى كانت تهاجم صاحبها وذلك لأنها كانت أكثر تمثيلاً لروح العصر .

ورغم ما أُخِذَ على هذه الطَّريقة من مأخذ حاقدة ( ٢ ) ، فقد كانت المقالات التى خَلَفَهَا هذا الأديب ، تُعدُّ أول نماذج فنية للمقالة ، لما تعاربه من إمتاع النَّفْسِ والأدبى وليست مجرد كتابات أخلاقية أو إجتماعية فحسب ، ككتابات غيره من الكُتَّاب - ( ٣ )

ويرى د . هيك أن طريقة المنظوطى هذه جاءت وَسْطاً بين إتجاهين آخرين فى كتابة المقالة فى تلك الفترة ، ولكن لم يكونا من الوضوح والدقة حينذاك .

أولهما : الإِتِّجَاهُ التَّقْلِيدِيّ

والآخر : هو الإِتِّجَاهُ التَّجْدِيدِيّ .

أما الإِتِّجَاهُ التَّقْلِيدِيّ ، فقد كان أكثر تشبهاً بالتراث والتمسك بمخلفاته من حيث إصطناع السَّجع والمحسنات البديعية كما هو فى أسلوب المقامات ( ٤ )

١ - د . أحمد هيك . تطوُّر الأدب الحديث فى مصر من ١٦٦ بتصرف

٢ - فضلاً راجع هذه المأخذ فى ص ٢٣١ إلى ص ٢٣٤ من هذا البحث

٣ - د . أحمد هيك . تطوُّر الأدب الحديث فى مصر من ١٦٧ - ١٦٨ بتصرف

٤ - فضلاً راجع تعريف المقامة فى هامش ص ٣١ من هذا البحث .



أما موضوعاته فكانت كموضوعات المنظومى ، منها ما هو فى الأدب ومنها ما هو فى الأخلاق ومنها ما هو فى إصلاح المجتمع ،

ويرى د . هيكى أن امتداد تأثيره هو " السجاعين الشكليين من جانب والتشبيث الشديد بالتراث ورفق المقامات من جانب آخر ، بالإضافة إلى محاولة بعض الشعراء كتابة نشر فيه بعض خصائص الشعر من جانب ثالث ، يرى أن كل هذه العوامل قد أوجدت هذا الاتجاه فى كتابة المقالة المسجوعة ، رغم انطلاق لغة المقالة وتحررها أو ميلها إلى طريقة الفن النثري الحق ( ١ )

ويمثل هذا الاتجاه التقليدى كتاب " صهاريج اللؤلؤ " ( ٢ ) للسيد توفيق البكرى وكذلك كتاب " أسواق الذهب " ( ٣ ) للشاعر أحمد شوقى ، فكل من الكتابين يحوي مقالات فى موضوعات مختلفة وإن غلب عليها طابع التأملات والإنباعات والوصف كما تعتمد كل مقالة أساساً فى أسلوبها على السجع ، وحشد المترادفات وإيراد الإشارات التاريخية ، وبث الحكم والأمثال .

أما " صهاريج اللؤلؤ " فيزيد على ذلك تضمن بعض المقالات ما يناسب المقام من الشعر ، سواء كان ذلك الشعر من وضع المؤلف نفسه ، أو مأخوذاً من التراث ، كذلك يزيد هذا الكتاب عن غيره اشتعاله على بعض القصائد المستقلة التى هى من وضع المؤلف ولا تتخلل النشر المكتوب ويذكر د . هيكى فى هذا إلا تجلله التقليدى :-

١ - أحمد هيكى . تطور الأدب الحديث فى مصر ص ١٦٩ بتصرف

٢ - ظهر عام ١٩١٢ م

٣ - ظهر عام ١٩١٦ . فضلاً راجع كتاب المحافظة والتجديد فى النشر العربى المعاصر لأنور الجندى ، ص ٢٤٣ ، وكتاب نشأة النشر الحديث لعمرالدسوقى ص ١٢٧

( وليبر من شك في أن هذا الاتجاه - رغم جودة بعض نماذجه - كان  
 صحوة الموت بالنسبة للنشر البديعي المتكلف الذي لفظ آخر أنفاسه بعد سيطرة  
 الاتجاه المرسل ، وتطور طريقه وتنوعها ، منذ الفترة التالية ) ( ١ )

ويطيب لنا هنا أن نورد نموذجا من كتاب " أسواق الذهب " لشوقي ليظهر  
 مدى التباين الكبير بين أسلوبه المسجوع ، وطريقته في عرض الموضوع وبين أسلوب  
 المنظومي بطريقته البيانية المرسله .  
 يقول شوقي تحت عنوان ( المال )

( يامال الدنيا أنت ، والناس رحيت كنت ، سحرت القرون ، وسخرت من  
 قارون ، وسعرت النار يانيرون ، تعود الحق أن يحالفك ، وكنت على الشر أن  
 يخالفك ويؤلفك ، الفتنه إن حركتها اتقدت ، وإن تركتها رقدت . . ) ( ٢ )

ونورد هنا أمثالا من كتاب " صهاريج اللؤلؤ " لنبين أيضا الفرق بين أسلوبه  
 وطريقة المنظومي في الكتابة :-

يقول البكري تحت عنوان ( العزلة ) متحدّثا عن عوامل هجرة الحياة الاجتماعية  
 الحضرية وما فيها من مفاسد . . . ( ٣ )

( . . . وأما الأخلاء والصحب والشجراء ( ٤ ) ، فحسبك من رجل يموت  
 في كل أمر لم ترده ، ونصير في كل مطلب لم تقصده فإن عرّضك بعض الحجاج ،

- 
- ١ - د . أحمد هيكل ، تطور الأدب الحديث في مصر ص ١٧ ط .
  - ٢ - أحمد شوقي . أسواق الذهب ص ٦٧ ، دار الهلال القاهرة ١٩٣٢ ط .
  - ٣ - السيد توفيق البكري " صهاريج اللؤلؤ " ص ٤٢ ( مر وما بعدها ط ٢ )
  - ٤ - ج . شحير وهو الخليل الوفي

فالعُلوى يسترقِدُ الحجاج . . الخ ) ( ١ )

وهكذا بدا لنا المثلين السابقين كيف كان السجع غالباً على هذا الإتجاه غلبة واضحة مخالفة كل اختلاف لأسلوب المنظومى المرسل فى " النظرات " أو " العبرات " فيقول مثلاً فى مقال بعنوان " أيها المحزون " -

( إن كنت تعلم أنه أخذت على الدهر عهداً أن يكون لك كما تريد فى جميع شؤءوك وأطوارك ، وألا يعطيك ولا يمنعك إلا كما تحب وتشتهي لجديريك أن تطلق لنفسك فى سبيل الحزن عنانها كلما فاتك مأرب أو استعصى عليك مطلب ، وإن كنت تعلم أن أخلاق الأيام فى أخذها وردّها ، وعطائها ومنعها وأنها لا تنام عن منحة تمنحها ، حتى تكرر عليها راجعة فتستردّها ، وأن هذه سذتها وتك خلقها فـ  
جميع أبناء آدم سواء فى ذلك ساكن القصر وساكن الكوخ . . ) ( ٢ )

وهكذا يبدو للقارىء مدى الفرق بين طريقة الإتجاه التقليدى فى المثلين السابقين وبين أسلوب المنظومى فى الكتابة .

أما الإتجاه التجديدى ، فقد كان كرد فعل للإتجاهين السابقين لأنه لم يكن شديداً الكلف بالصياغة وتحسينها أو رعاية جانب البيان والتألى لم يكن متكلفاً للسجع أو مصطنعاً لأسلوب المقامات لأن الساعرين فى هذا الإتجاه كانوا غير متعلّقين بالتسرات

١ - السيد توفيق البكرى ، " صهاريج اللؤلؤ " ص ١٤٢ ط ٢ ( بدون تاريخ )

٢ - المنظومى . النظرات ج ١ ص ٧٦

ولا من المؤمنين بفكرة الجامعة الإسلامية التي تشدُّ إلى ، وإنما يجهوا وجوههم  
 شطر المغرب مؤمنين بالحضارة الغربية أشدَّ إيمان ، فلم يهتموا بالبيان كما  
 فعل المنظوطي ولا بأنواع البديع والسجع كما فعل البكري ، وإنما وجهوا اهتمامهم  
 إلى الجانب الفكري ، فمالت كتاباتهم إلى الموضوعية واصطناع المنطق . . كما  
 جنحوا إلى الوضوح والدقَّة والترسل الكامل مع تجميل ما يكتبونه بالفكر والشفافية  
 الغربية .

وخير من يمثل هذا الاتجاه في تلك الفترة أحمد لطفى السيد ( ١ ) ونور  
 هنا مثالا لما كتبه تحت عنوان غرض الأمة هو الاستقلال فقال :-

( استقلال الأمة في الحياة الاجتماعية ، كالخير في الفردية ، لاغنى عنه ، لأنه  
 لا وجود إلا به وكل وجود غير الاستقلال مَرَضٌ يجب التداوى منه ، وضعف يجب إزالته ،  
 بل عار يجب نفيه ، استقلال الأمة عن من عذاها ، أوحريتها السياسية حق لها  
 بالفطرة ، لا ينبغي أن تتسامح فيه أو أن تنسى في العمل للحصول عليه ، بل ليس  
 لها التنازل عنه لغيرها . . . إلخ ) ( ٢ )

وهكذا سارت هذه الاتجاهات الثلاثة في كتابة النثر في تلك الفترة ، ولكن مع  
 غلبة الأسلوب البياني المرسل الجانح إلى حسن الصياغة وجمالها حتى في غير  
 المقالة من الفنون النثرية يمكن أن يقال :-

١ - د . أحمد هيكل . تطور الأدب الحديث في مصر ص ١٧٣ بتصرف

٢ - عن كتاب شوقي ضيف - الأدب العربي المعاصر في مصر ص ٢٥٧ ، ٢٥٨

( إن تلك الفترة قد شهدت - بظهور أول طريقة فنيّة للمقالة - ظهور أول طريقة  
فنيّة للنشر الحديث ، وهو "طريقة المنظومى" ( ١ )

---

---

١ - د . أحمد هيكل . تطور الأدب الحديث في مصر ص ١٧٤

## خصائص أسلوب المنظوم

لقد بينّا فيما مضى من الصفحات أنّ للمنظوم طريقة خاصة في كتاباته ( ١ )  
والذى لا شك فيه أنّ لهذه الطريقة سمات وخصائص أسلوبية تميزت بها عن غيرها  
من الأساليب فاستحققت لذلك أن تضاف لإسم صاحبها فسميت بـ ( طريقة  
المنظوم ) .

ولإبراز هذه السمات لابدّ من ذكرها مقرونة بنماذج من أدبه سواء في ذلك  
ماكتبه في ( النظرات ) أو ما جاء في ( العبرات ) والقصص المترجمة بأسلوبه . وقد ذكرت  
آراء كثيرة في أسلوب المنظوم نذكر مثلاً قول الدكتور أحمد هيكل في ذلك فيقول :-  
( طريقة المنظوم لها سمات أسلوبية واضحة أهمّها :-

البعد عن التكلف ، والنأي عن التقليد ، والقصد إلى الصدق ، والإهتمام بحسن  
الصياغة ، وجمال الإيقاع ، ورعاية الجانب العاطفي ثم الميل إلى السهولة والترسل  
وترك التعقيد والمحسنات ، فيما عدا بعض السجع المطبوع ، الذى يأتي بين الحين  
والحين لإسهام في موسيقا الصياغة . ) ( ٢ )

وللدكتور شوقي ضيف رأى قريب من الرأى السابق في أسلوب المنظوم وهو  
أنّ المنظوم لا يعنى باختيار مواضيعه فحسب بل يعتمد إلى العناية باختيار اللفظ  
وجرسه الموسيقي تقليداً للقدماء فولى عنايتهم به .

١ - فضلاً راجع طريقة المنظوم ص ١٨٩ من هذا البحث

٢ - د . أحمد هيكل . تطور الأدب الحديث في مصر ص ١٦٦

( والمنظوظ لا يسجع ، ولكنه يعنى عناية شديدة بموسيقا ألفاظه ، وكأنَّ الناس لا يقرأون بأبصارهم فى الصَّحَف بل هم يقرأونه أو يسمعون به إذا نهم على طريقة القدماء قبل أن تتحوَّل القراءة من السمع إلى البصر ) ( ١ )

كما يرى أنَّ المنظوظ يكرَّر فى معانيه على نفس طريقة الخطباء . ونرى أنَّ هذا التكرار راجع إلى أهمية المعنى الذى يتحدث عنه الأديب ورغبته فى تثبيت ذلك فى ذهن السامع وإثارة مشاعره ليهبَّ إلى تنفيذ ما أراد من مقاله ، كحديثه عن الرحمة والشفقة مثلاً والذى تكرر فى النظرات بعناوين مختلفة وقصص متقاربة كلها تنتهى إلى هدف واحد وهو أن يكون جميع الناس رُحماً فيما بينهم حتى لا يشعر أحدهم بالشقاء والتعاسة .

ومما لاحظته الدكتور شوقي هيف أيضاً على أسلوب المنظوظ التكرار فى الألفاظ - وهذا ما لاحظناه أيضاً - كتكراره لفظ (إرحم . إرحم ) وهذا فيما نرى راجع إلى حرارة العاطفة وشدتها أثناء كتابته ورغبته الأكيدة فى نقل هذه المشاعر كاملة إلى السامع للاستجابة السريعة .

ولاحظ أيضاً د . شوقي ضيف كثرة الفواصل فى عباراته فقال فى ذلك :-  
( كما نرى عنده كثرة الفواصل بين العبارات إذ كثيراً ما يقطع المعاني ويستأنفها ، وقد يكون ذلك بسبب إنفعالاته العاطفية ، ولكن نظنَّ ظناً أنه يتأثر بأسلوب الخطابة فى عصره ، عند مصطفى كامل وأضرابه ) ( ٢ )

١ - د . شوقي ضيف . الأدب العربى المعاصر فى مصر ص ٢٣٢

٢ - د . شوقي ضيف . الأدب العربى المعاصر فى مصر ص ٢٣٢

ذلك مُجمل ما قيل عن أسلوب المنظوطى دون تأييده بنماذج من أدبه لتجلى  
غير المفهوم أو الفاضل منها . هذا وقد طاب لنا ما وجدناه فى رسالة ( المنظوطى  
الكاتب ) ( ١ ) طاب لنا ما وجدناه عن أسلوب المنظوطى من أقوال يمكن أن نأتى  
بها فى موضعها من هذا البحث .

ولعلَّ أهم ما تمكَّنَّا من ملاحظته على أسلوب المنظوطى هذه الخصائص :-

أولها :-

—— الأسلوب المُرسَل السَّهل ، فمن المعلوم أنَّ أسلوب المنظوطى فى عصره  
كأسلوب ابن خلدون فى عصره ، فكما أنَّ ابن خلدون ثار على الأسلوب المقامى  
وحرر أسلوبه - الذى كتب به مقدِّمته - من السَّجع والمحسنات وانطلق به فى سلاسة  
وسهولة كذلك كان صنيع المنظوطى فى عصره ، وإن كان رائد هذه النهضة والبعث  
فى كتابة النثر الشيخ رفاعه الطَّهطاوى والشيخ محمد عبده فى أسلوبهما ( ٢ )  
- إلَّا أنَّ المنظوطى قد سار فى اتجاههما سيراً حثيثاً رفعه إلى المكانة اللائقة  
بين أدباء عصره ، ولا شكَّ أنَّ خير دليل على أسلوب المنظوطى السَّهل المُرسَل  
الخالى من السَّجع المتكلف والمحسنات المحقونة ، هو كل ما كتبه فى ( النظرات ) أو ( العبرات )  
أو القصص التى ترجمها بأسلوبه والتى لا تحسَّ أثناء قراءة شيئاً منها ذلك التعقيد اللفظي  
أو السَّجع المتعمد الذى يُضيق المعنى ويشوِّه الأسلوب ، وإنَّما سهولة وعذوبة  
وسلاسة وجمال توحى بالشعر وهو ليس كذلك وترتقى بالأسلوب النثرى إلى القمة  
التي يسعى إليها كلُّ أدبى فى أيِّ عصر فما بالنَّا لو كان فى عصر المنظوطى ؟

١ - محمد أبو الأنوار . المنظوطى الكاتب . رسالة ماجستير مخطوطة بدار العلوم  
القاهرة سنة ١٩٦٦

٢ - عمر الدسوقي . نشأة النثر الحديث وتطوره من ص ٢٦ الى ص ٤٥



ولنأخذ على ذلك مثالا مما كتبه هذا الأديب في النظرات لنرى مدى هذه  
 العُدوة وإلى أي حد استطاع المنظوطي الترسّل في كتابته ؟  
 فيقول المنظوطي في مقالة ( إحترام المرأة )

( نعم إن الرجال قوامون على النساء كما يقول الله تعالى في كتابه العزيز ،  
 ولكن المرأة عا د الرجل وملاك أمره ، وسرّحياته من صرخة الوضع إلى أنّة النزع .  
 لا يستطيع الأب أن يحمل بين جانحيه لطفه الصغير عواطف الأم ، فهي  
 التي تحوطه بعنايتها ورعايتها وتبسط عليه جناح رحمتها ورأفتها ، وتسكب  
 قلبها في قلبه حتى يستحيل إلى قلب واحد ، يخفق خفوقاً واحداً ويشعر بشعور  
 واحد ، وهي التي تسهر عليه ليلها وتكأه بنهارها وتحمل جميع آلام الحياة وأرزائها  
 في سبيله ، غير شاكية ولا متبرّمة ، بل تزداد شغفاً به ، وإيثاراً له ، وضناً بحياته  
 بمقدار ما تبدله من الجهود في سبيل تربيته ، ولو شئت أن أقول لقدت إن سمو الحياة  
 الإنسانية وينبوع وجودها وكوكبها الأعلى الذي تنبعث منه جميع أشعتها ينحصر في  
 كلمة واحدة هي ( قلب الأم . . ) ( ١ )

كذلك لأرب المنظوطي سيمه ثانية ، وإن كانت تبدو للقارىء في مقابل السّمة الأولى ،  
 وتبنى هذه السّمة هو السّجع والإزدواج ( ٢ ) ذلك السّجع الذي لا يؤدى المعنى  
 ولا يشوّه الأسلوب وإنما هو السّجع الذي يقول فيه الدكتور أبو الأنوار :-  
 ( يمكن القول بأن السّجع والإزدواج لدى المنظوطي ليس تقليداً لسابقه فهو

١ - المنظوطي . النظرات . ح ٣ ص ١٠٢

٢ - فضلاً راجع في معنى السّجع والإزدواج . . كتابي ( الصناعتين ) للمسكرى ص ١٩٩  
 وما بعدها كذلك كتاب سرّ الفصاحة للخفاجي ص ١٦٣ - ١٦٩ ط سنة ١٩٣٢

فهو أساساً كان يحتمّ عليهم اللجوء إلى الصّنع في الأسلوب بل إن أدبه قضى نهائياً على بقايا مدرسة الصّنع ( ١ )

ويضيف الباحث أن سجع المنظوظ وازدواجه يمثلان مزاجه بل مزاج اللغة العربية في الميل إلى الموسيقى اللفظية التي تجلّ الأسلوب وتُعَوّي المعنى ( ١ )

ولتأييد هذا القول نُورد شاهداً من النظرات وردّ تحت عنوان ( عَجْرَةُ الدَّهْر ) يقول فيه الأديب :-

( بنى فلان في روضة من بساتينه الزّاهرة قصراً فخماً يَبْلُغُ في تلك البُقعة الخضراء تَلَالُوءَ الكوكب المنير في البُقعة الزرقاء ، ويطاول بِشُرْفَاتِهِ السَّمَاءَ أَفْلاكَ السَّمَاءِ لَكَأَنَّهُ نَسْرٌ مَحَلَّقٌ في الفضاء ، أَوْ قِرْطٌ مَعَلَّقٌ فِي أُذُنِ الجوزاء ، وَكَأَنَّ شُرْفَاتِهِ آذَانُ تَفْضِي إِلَيْهَا النجوم بالأسرار وطاقاته أبراج تنتقل فيها الشُّمُوسُ والأقمار ( ٢ ) ( ٣ )

وثالث سمة في أسلوب المنظوظي " موازنة الجمل " وهي أبرز ظاهرة

أسلوبية في كتاباته ( ٤ ) بل هي لديه أكبر من أن يشطبها الإحصاء ( ٥ )

---

١ - محمد أبو الأنوار . مصطفى لطفي المنظوظي الكاتب . رسالة ماجستير مخطوطة

ص ٥٣٢

٢ - محمد أبو الأنوار . المنظوظي الكاتب . ص ٥٣٢ بتصرف

٣ - المنظوظي . النظرات . ج ١ ص ١٠١

٤ - عرف صاحب " زهر الربيع " " الموازنة " بقوله : وهي تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقنية كقوله تعالى ( ونمارق مصفوفة وذرابي مبثوثة ) فضلاً راجع زهر الربيع

ص ٢٥٣ احمد الحهلوي ط ٤

٥ - محمد أبو الأنوار . مصطفى المنظوظي . الكاتب ص ٥٧٨



وهل الشعرو ، بالإنشابة من الدر ينظمها الناظم إن شاء شعراً ويثرها  
الكاتب إن شاء نثراً ، أو نغمات الموسيقى يسمعها السامع مرة من أفواه البلايل والحمائم  
وأخرى من أوتار العيدان والمزاحير ، أو عالم من عوالم الخيال يطير فيه الطائر  
بقادمتين من عروض وقافية ، أو خافيتين من فقر وإسجاع . ( ١ )

ومع وجود هذه الظاهرة البديعية في أسلوبه نستطيع أن نشاطر الأستاذ  
عمر الدسوقي رأيَه الذي أثبت فيه ، أننا لانعيب على المنظومي عدم تخلصه التمام  
من السجع والمحسنات البديعية لأن أسلوبه في جملة يُعدُّ أنجح خطوة في النهوض  
بالنثر في العصر الحديث بعد فترات الضعف والانحطاط التي مرت به وبعد محاولات  
التخلص من أسرها ، فيُعَدُّ المنظومي - من غير شك - رائد هذه النهضة إلى  
أسلوب جديد ( ٢ ) ذلك الأسلوب الذي مثل الدفعة القوية التي دارت طو  
أثرها عجالات اللغة العربية ولم تتوقف ، وإن الموجه العارم التي تشكلت في الإقبال  
على قراءته والتأثر به تمثل القنطرة العظيمة التي عبرَ عليها الأدب إلى عالمه اليوم ( ٣ )  
وقد بين الأستاذ على الجندی دور المنظومي في الأدب الحديث وتطور أسلوبه بقوله : -

( ثم كانت الضربة الثانية - فيما بعد - كتب المنظومي التي ملكت طو  
نشدء المدارس والمعاهد البابهم بدنياجتها الموثقة وأسلوبها السهل الممتنع  
فانكبوا عليها يقتبسون منها ويحتذونها إلى وقت قريب ) ( ٤ )

- 
- ١ - المنظومي . النظرات ج ٢ ص ١٦٠
  - ٢ - عمر الدسوقي . في الأدب الحديث ج ٢ ، ص ١٧ بتصرف
  - ٣ - محمد أبو الأنوار . المنظومي الكاتب - رسالة ماجستير مخطوطة ص ٥٢٩
  - ٤ - على الجندی - صور البديع في الإسجاع ج ١ ص ١٦٧

كذلك لا نعيب على المنظومى تزويقه لأسلوبه بطك الأسجاع العفوية أو المقابلات  
التي لا تخلّ بجمال الأسلوب أو صِحَّة المعنى ، لأن الأسلوب العربى بطبيعته ميّال  
إلى التّجمل بالنغمات الموسيقية ظاهرة وباطنة فى غير تكلف يجعل الصّحة مرضاً والزّينة  
قبحاً وسمة التّجمل - غير المتكلف - هذه لا يبرأ منها الأسلوب الرّفيع ، بل  
ربما زاد المعنى جمالاً وإعجاباً ، فالمعنى الجميل إذا وُضِعَ فى أسلوب جميل ، كالفتاة  
الحسّناء يزيدها التّجمل حسناً ومهارة ، ولا أدلّ على ذلك من القرآن الكريم ذا -  
المعاني الخالدة والمعارض النّسامية وقد أشار الأستان العقاد إلى أن اللغة العربية  
لغة شاعره بطبيعتها فقال :-

( اللغة الشّاعرة هو اللغة العربية وليس فى اللّغات التي نعرفها أو نعرف  
شيئاً كافياً عن أدبها لغة واحدة توصّف بأنها لغة شاعرة غير لغة العقاد أو لغة  
الاعراب أو اللغة العربية ) ( ١ )

وطى حسب القول السّابق يكون المنظومى فى تزويقه لأسلوبه ببعض السّجعات  
أو المقابلات غير المتكّفة خاضعاً لطبيعة عصر من جهة - وإن كان رائد النهضة النثرية  
فيه - وخاضعاً لطبيعة اللغة التي يكتب بها من جهة أخرى .

وسبب خامسة فى نشر المنظومى هو توفيقه فى إقتباس من القرآن الكريم ، أو مما حفظه  
من أشعار العرب بما يثاسب المقام الذي يتحدّث عنه كذلك تضمينه لبعض الآيات

والأحاديث النبوية ولعل هذا التوفيق منه في الاقتباس من القرآن أو الحديث إنما يدل على ذوق أدبي رفيع وعلى سعة ثقافة الدينية وإطلاعه الواسع على أشعار العرب وحفظه لما أحب منها .

كذلك نلمس في أسلوبه تمثله بالحكايات والنوادر والأمثال وما إلى ذلك من أخبار السابقين ، أما ما يدل على اقتباسه من القرآن الكريم قوله :-

( إِنَّ إِيْمَانٍ مَوَاقِفَ يَمْتَحِنُ اللّٰهُ فِيْهَا عِبَادَهُ لِيَعْلَمَ الَّذِيْنَ صَدَقُوا وَيَعْلَمَ الْكَاذِبِيْنَ ، فَإِنْ بَدَلَ الضَّئِيْنِ بِعَالِهِ فِي مَوَاقِفِ الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ وَالسَّخِيْخِيَّةِ نَفْسَهُ فِي سَبِيْلِ الذُّوْدِ عَنْ حَوْضِهِ . . . وَالذَّبَّ عَنْ عَشِيْرَتِهِ وَقَوْمِهِ . . . وَضَعِيْفِ الْعَزِيْمَةِ مَا يَمْلِكُ مِنْ قُوَّةٍ وَأَيْدٍ فِي مَغَالِبَةِ شَهْوَاتِ نَفْسِهِ وَمَقَاوِمِ نِّزَوَاتِهَا ، فَذَلِكَ الْمَوْءِنُ الَّذِي لَا يَشُوْبُ إِيْمَانُهُ رِيَاءٌ وَلَا دِهَانٌ ، وَلَا يَخَالِطُ يَقِيْنَهُ خِدَاعٌ وَلَا كَذِبٌ أَوَّلًا ، فَبِأُ هَوْنٍ بِمَهْمَتِهِ وَمُسْتَوَاكِهِ وَسَبِيْحَتِهِ ، وَهُوَ بِعَنْوَانِ الْمُنَافِقِ الْكَاذِبِ أَجْدَرُ مِنْهُ بِعَنْوَانِ التَّقِيِّ الصَّالِحِ .  
( أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ) ( ١ )

هكذا بدا لنا في المثال السابق كيف أتى المنطوطي بآية من القرآن الكريم ليؤيد حديثه عن الإيمان ، وهذا يدل على دالة واضحة على حفظه للقرآن الكريم كما ذكرنا ذلك في روافد ثقافته ( ٢ )

١ - المنطوطي . النظرات ج ٢ ص ٧٥

٢ - فضلاً راجع ص ١٣ من هذا البحث

وللمنطوطى مقالات أخرى إقتبس فيها نص الآية الصريح لتأييد حديثه (١١)

ونجد المنطوطى أحياناً لا يُصَحِّح بنص الآية الصريح وإنما يأخذ معناه فقط فيذكره في مقاله فيها هو ذا يقول في الخطبة التي ترجمها ( لفيكتور هيجو ) في تأييد ( فولتير ) ( مآلات فولتير حتى أهدودب ظهره تحت أثقال السنين الطوال وأثقال جلائل الأعمال ، وأثقال الأمانة العظمى التي عُرِضَتْ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَأَيَّيْنِ أَنْ يَحْمِلْنَهَا ، فَحَمَلَهَا وَحْدَهُ ، وَهِيَ تَهْدِي السَّرِيرَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ فَهَذَّبَهَا فَاسْتَبَارَتْ ، فَاسْتَقَامَ أَمْرُهَا ) ( ٢ )

فالأديب في النموذج السابق قد استفاد من معنى الآية القائلة :-  
( إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ) ( ٣ ) صدق الله العظيم

وتضمنه السابق لمعنى الآية الكريمة المذكورة دليل أكيد على تصرف المنطوطى في ترجمته التصرف اللائق بالمعنى الذي يترجمه لأنَّ عرض الأمانة على السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِبَائِهِنَّ لِحَمْلِهَا وَقَبُولِ الْإِنْسَانِ لَهَا معنى إسلامي خالص من غير شك .  
أما عن إقتباسه من الحديث النبوي الشريف ، فكثيراً ما كان يصوغ فكرته متضمنة لمعنى حديث نبوي كريم وخاصة أثناء دعوته إلى فضيلة من الفضائل مثال ذلك ما جاء في مقال :-  
( إحترام المرأة ) حيث تحدث عن الرجل ومسؤوليته اتجاه أسرته قائلاً :-

( لا يستطيع الرجل أن يكون رجلاً حتى يجد إلى جانبه زوجة تبعث في نفسه روح الشجاعة والهمة ، وتغرس في قلبه كبرياء التبعة وعظمتها وحسبُ المرء أنه يعلم أنه سيُؤدِّ

١- المنطوطى . - النظرات . ٤٢ ص ( ١٨ )

٣ - المنطوطى . - النظرات ج ٢ ص ٢٧

٣ - آية رقم ٧٢ سورة الأحزاب

وأن رعية كبيرة أو صغيرة تضع ثقتها فيه ، وتستظل بظل حمايته ورعايته ، وتعتمد في شؤون حياتها عليه ، حتى يشعر بحاجته إلى استكمال جميع صفات السيد ومزاياه في نفسه ، فلا يزال يعالج ذلك من نفسه ويأخذها به أخذاً حتى يتم له ما يريد ( ١ )

ففي النموذج السابق نلاحظ أن الأديب أخذ معناه من الحديث الشريف الذي حُرِّف فيه الرسول صلى الله عليه وسلم - على مسوءولية المرأة في بيتها ومسوءولية الرجل في أسرته حيث قال صلى الله عليه وسلم :-

( أَلَا كَلِمَ رَاعٍ وَكَلِمَ مَسْئُولٍ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَلَا مِيرَ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهُوَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ أَلَا فَلَكَمَ رَاعٍ وَكَلِمَ مَسْئُولٍ عَنْ رَعِيَّتِهِ ) ( ٢ )

كذلك يظهر إتيان المعاني السامية في أدبه من الحديث الشريف ، يظهر ذلك في دعوته إلى الفضيلة والتحلي بالآداب العامة قوله في مقال ( الآداب العامة ) داعياً فيه الشباب إلى عدم إفساد أخلاق الفتيات بمغازلتهم لأنهن سيصبحن أمهات المستقبل فقال :-

( أين تجدون الزوجات الصالحات في مستقبل حياتكم إن أنتم أفسدتم الفتيات اليوم ، وفي أي جو يعيش أولادكم ويستشققون نسمات الحياة الطاهرة إن أنتم لو شتم الأجواء جميعها وملأتموها سموماً وأكداراً ) ( ٣ )

١ - المنظوظى . النظرات ج ٣ ص ١٠٣

٢ - صحيح مسلم بشرح النووي المجلد ٦ ج ١٢ ص ٢١٣ ط ٢ سنة ١٩٧٢ دار الفكر بيروت

٣ - المنظوظى - النظرات ج ٣ ص ٢٣٩



فلاحظ أن هذا المعنى مأخوذ من الحديث الشريف الداعي إلى حسن اختيار  
 الزوجة من البيئة الصالحة والذي نذكر معناه هنا <sup>١</sup> في جاء فيه :  
 إياكم وخضراء الدمن قليل له وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء فـ  
 المنبت السوء ( ١ )

هذا عن أخذ المنظوظ لبعض معانيه وألفاظه من الكتاب والسنة ، فإذا بعد  
 عن أخذه من أشعار العرب بما حفظه في ذاكرته من تلك الأشعار ؟  
 لقد ساعده ذلك المحفوظ - من غير شك - على تجميل أسلوبه وتأييد معناه الذي  
 يتحدث عنه بالإستشهاد ببيت أو بيتين من الشعر كما أمكن ذلك فيها هو ذا مثلاً يقول  
 في مقال بعنوان ( مدرسة الغرام ) ( ٢ )

( أيها الزنجى إن كنت أسود اللون ، فالفضيلة أظنى قدراً من أن تتنزل لاعتبار  
 السواد ذنباً تنفر منه ، وحريصة لا تفتقرها ، وإن كنت جاهلاً فهل استفاد صاحبك  
 من طمعه إلا إمتاع نفسه بشهواتها ولذائذها ، والتفنن في فجور الحياة وقسوتها  
 تفناً لا أحسبك تحن إليه إذ تتقطع نفسك حصاراً عليه ؟ وإن كنت عارياً فربما  
 لبست من الفضيلة ثوباً يحسدك عليه - لو يعقل - ذلك الذي يفخر عليك بخبره  
 ودياجه ودمقه وحريره .

ولو يتما عندك قدركما ليت وأعلا كما ( الأسفل )

١ - أوردنا الحديث بالمعنى وليس بالنص

٢ - المنظوظ . النظرات ج ٣ ص ١٦٧

ومعنى البيت هو : لو أن صاحب الفضيلة وصاحب المال الكثير - لو أن كل منهما نزل المنزلة التي يستحقها لأخذ الأعلى في نظر نفسه وفي رأي الناس - وهو صاحب المال - مكان الأسفل - وهو صاحب الفضيلة - الذي ليعرله أى احترام في نظر كثير من المؤسرين .

كذلك نلاحظ أن المنظوطي قد يصوغ معنى بيت من الشعر في مقاله دون التصريح بنص البيت فيقول مثلاً في مقال له سماه ( دورة الظك )

( لا تأسي على ما فاتك ، فإنما كان وديعة من ودائع الدهر أعاركها برهة من الزمان ثم استردّها ) ( ١ )

فالقول السابق أخذ معناه من البيت الآتي :-

وما المال والأهلون إلا ودائع<sup>١</sup> ولا بد يوماً أن تردّ<sup>٢</sup> الودائع<sup>٣</sup>

ثم يتم المنظوطي حديثه في هذا المقال موجّهاً الخطاب للسلطان عبد الحميد - الذي زال عنه ملكه بقوله :-

( قضى الله أن يقيم في كل حين لهذا العالم الفافل<sup>٤</sup> عبرة من الدهر تزججه من رقدته ، وتوقظه من غظته ، فكنت أنت عبرة الدهر وموعظه .

من بات بعدك في ملكك يسرّبه

فإنما بات بالأحلام مفرور ( ٢ )

١ - المنظوطي - النظرات ج ٢ ص ٢٦

٢ - المنظوطي . النظرات ج ٢ ص ٢٦

أما عن تمثله لبعض أخبار التراث فنلاحظ ذلك مثلاً في مقاله ( عجائز بوشنج ) ( ١ )  
الذى انتقد فيه الأديب كل إنسان تناسى ماضيه الشقي إذا عاش في حاضر سعيد ،  
مما يدفعه إلى التكرار لأهله وذويه بل حتى زوجته التى شاطرت حياته الأولى  
وماضيه التّعيش ، ويرى الأديب أن من الحرىّ بشخص كهذا أن يضع ماضيه نصب عينيه  
حتى يشعر بلذة السعادة فى أيامه الحاضرة ، ويتمثل المنظوطى هنا بقصيدة  
( خالد بن برمك ) جد البرامكة فىقول :-

( ويعجبني كثيراً قصة خالد بن برمك جد البرامكة وكان رجلاً أعجيباً من قرية  
من قرى فارس اسمها ( بوشنج ) وفد إلى بغداد وحظى عند الخليفة فولاه الوزارة  
ظمّاً ركب فى العوكب الذى اعتاد أن يركب فيه الوزراء يوم العهد إليهم بذلك المنصب  
العظيم ، وقف الناس له صفوفاً على جانبي الطريق ، وأطل النساء من نوافذ الدّور  
والقصور ، وهو مطرق واجم ، فقال له أحد أصدقائه وكان يسير بجانبه الا ترى  
هؤلاء النساء الجميلات المشرفات عليك من نوافذ قصورهن ؟  
قال : نعم أراهن ولكننى أفضل أن أرى بدلاً منهن عجائز ( بوشنج )

أى أنه يتمنى أن العيون التى رأت بالأمر وهو وضع تراه اليوم وهو رفيع ( ٢ )  
كذلك يجرى الإشارة إلى سمة غالبية على أدب المنظوطى بل هى السمة التى وضحت فى  
أدبه وضوحاً شديداً فعرف بها وعرفت له تلك هى :-

١ - المرجع السابق ح ٣ ص ١٩٤

٢ - المنظوطى - النظرات ح ٣ ص ١٩٧

النِّفْمَةُ الحَزِينَةُ البَاكِيةُ فِي أدبِهِ ، تلكَ النِّفْمَةُ الْمُتَزَجَّةُ بِالْعَاطِفَةِ الْجَيَّاشَةِ التي يَطْلُهَا  
الْأَسَى وَيَفْمُرُهَا الْأَلَمُ لِحُزْنِ الْمُنْكَوِبِينَ أَوْ ظُلْمِ الْمَظْلُومِينَ ، والتي تَسْتَذْرِفُ عِصْرَاتِ  
الْقُرْأَةِ وَالسَّامِعِينَ لِأَدبِهِ ، وَلَا أَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ قِصَصِهِ الْبَاكِيةِ الْحَزِينَةِ التي أوردَها  
فِي " الْعِبْرَاتِ " ذلكَ الْكِتَابُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ عُنْوَانُهُ وَمَا الْعِبْرَاتُ إِلَّا دَلِيلٌ أَكِيدُ عَلَى  
بَالِغِ الْحُزْنِ وَالْأَسَى . .

وَأَبْرَزُ مِثَالٍ عَلَى مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ أَسْلُوبِ حَزِينٍ قِصَّةُ الْيَتِيمِ التي لَا يَقْرَأُهَا قَلْبِي  
إِلَّا وَاهْتَرَّتْ نَفْسُهُ أَلَمًا وَحُزْنًا . . فَمَا هُوَ ذَا يَقُولُ فِي الْقِصَّةِ : -

( فَأَحْزَنْتَنِي أَنْ أَرَى فِي ظِلْمَةِ ذَلِكَ اللَّيْلِ وَسُكُونِهِ هَذَا الْفَتَى الْبَائِسَ الْمَسْكِينَ  
مَنْفَرِدًا بِنَفْسِهِ فِي غُرْفَةٍ عَارِيَةٍ بَارِدَةٍ لَا يَتَّقِي فِيهَا عَادِيَةَ الْبَرْدِ ، بِدَرِّثَارٍ وَلَا نَارٍ ، يَشْكُو  
هَمًّا مِنْ هُمُومِ الْحَيَاةِ أَوْ رُزْأًا مِنْ أَرْزَائِهَا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ مِنَ الْهَمُومِ وَالْأَحْزَانِ مِنْ حَيْثُ  
لَا يَجِدُ بِجَانِبِهِ مَوَاسِيًا وَلَا مُعِينًا ، وَقَدْ لَبِثَ أَنْ يَكُونَ وَرَاءَ هَذَا الْمَنْظَرِ الضَّارِعِ الشَّاحِبِ  
نَفْسًا قَرِيحَةً مَعْدَبَةً تَذُوبُ بَيْنَ أَضْلَاعِهِ ذُوبًا فَيَتَهَاوَتْ لَهَا جِسْمَهُ تَهَاوَتْ الْبِنَاءُ الْمَفْوُضُ  
ظَمُّ أَرْلٍ وَاقِفًا مَكَانِي لَا أَبْرَحُهُ حَتَّى رَأَيْتُهُ قَدْ طَوَى كِتَابَهُ وَفَارَقَ مَجْلِسَهُ وَأَوَى إِلَى فِرَاشِهِ  
فَانصَرَفَتْ إِلَى مَخْدَعِي ، وَقَدْ مَضَى اللَّيْلُ إِلَّا أَقْلَهُ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ سَوَادِهِ فِي صَفْحَةِ هَذَا  
الْوُجُودِ إِلَّا بَقَايَا أُسْطَرِ يَوْشِكُ أَنْ يَمْتَدَّ إِلَيْهَا لِسَانُ الصَّبَاحِ فَيَأْتِي عَلَيْهَا .

ثُمَّ لَمْ أَزَلْ أَرَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي كَثِيرٍ مِنَ اللَّيَالِي إِمَّا بَاكِيًا ، أَوْ مَطْرَقًا أَوْ ضَارِبًا  
بِرَأْسِهِ عَلَى صَدْرِهِ أَوْ مَنْطُوبًا عَلَى نَفْسِهِ فِي فِرَاشِهِ يَحْنُ أَنْيْنَ الْوَالِهَةِ الْثَلَاثِي ، أَوْ  
هَائِمًا فِي غُرْفَتِهِ يَذَرُ أَرْضَهَا وَيَسْجُ جِدْرَانَهَا حَتَّى إِذَا نَالَ مِنْهُ الْجُحْدُ سَقَطَ عَلَى  
كَرْسِيهِ مُتَحَبِّبًا فَاتَّوَجَّعَ لَهُ وَأَبْكَى لِبَكَائِهِ . . إلخ ) . ( ١ )

ونلمس في هذه النعمة الحزينة أيضاً قصة "الشهداء" (١) فيقول المنظوطي  
على لسان الأم التي أرتحل عنها ابنها وقطعت أخباره :-  
( في أي بطنٍ من بطون الأرض مضجعتك يابني ، وتحت أي نجم من نجوم  
السَّماء مصرعتك ، وفي أي قاع من قيعان البحر مثواك ، وفي أي جوف من أجواف  
الوحوش الضاربة مأواك ؟

لو يعلم الطير الذي مزق جثتك أو الوحش الذي ولغ دمك ، أو القبر الذي  
ضَمَكَ إلى أحشائه ، أو البحر الذي طَواكَ تحت جوفه أن وراءك أما مسكينة تبكى عليك  
من بعدك لرحموك من أجلنى ؟

عُدْ إلى يابني فقيراً أو مقعداً أو كفيفاً فحسبي منك أن أراك بجانبى في  
الساعة التي أفارق فيها هذه الحياة لا قبلك قبلة الوداع وأعهد إليك بزيارة مضجعتي  
مطلع كل شمس ومغربها لتخف بزور ترك عني ضمة القبر ، وتستنير بوجهك الوضاء ظلماته  
الحالكة .

ما أسعد الأمهات اللواتي يسبقن أولادهن إلى القبور ، وما أشقى الأمهات  
اللواتي يسبقهن أولادهن إليها ، وأشقى منهن تلك الأم المسكينة التي تدبُّ إلى  
الموت ديبياً وهي لا تعلم هبل تركت ولدها وراءها ، أو أنها ستجده أمامها ( ٢ )

وعلى هذه النعمة الحزينة الدائمة يمضي المنظوطي في قصته ، تلك  
النعمة التي يفجّر بها الشّعور الصادق والإحساس العميق بمصاب الآخرين وأرزائهم  
والذي لا شك فيه أن معظم ما كتبه المنظوطي حافل بمثل هذه الشواهد المؤثرة

١ - فضلاً راجع تلخيص هذه القصة في ص ٩٧ من هذا البحث .

٢ - المنظوطي، العبرات، ص ٢٨ .

ولعل ذلك راجع إلى ميل نفسه إلى مواطن البؤس والشقاء أنى كانت وتتبعه لها  
حيثما حلت سواء كان ذلك في مجتمعه الذي يعيش فيه أو في القصص الحزينة التي  
يقرأها أو تحكى له ، فكل ذلك من غير شك ينعكس على أدب الأديب ويظهر تأثره  
به ، هذا بالإضافة إلى إعجاب الناس واستجابتهم لهذا الأسلوب الباكي كـ  
ذلك قد أدنى أخيراً إلى استمرار المنظوطي على هذا الأسلوب الحزين المحـرّك  
للمشاعر الإنسانية ، وماذا لك إلا دليل واضح على تمتع المنظوطي بكل العواطف  
الإنسانية الصادقة التي تدعو بحرارة وإصرار إلى الخير والفضيلة دائماً .

أما إذا أضفنا إلى ذلك أن ( كل عاطفة قوية مُعالة تحمِل صاحبها على العمل  
بمقتضاها ، وعلى السّرور عند رؤية من يخضع لأوامرها ، وعلى التألم إذا لم يجد  
الفرصة الكافية لتنفيذ رغباتها أو إذا رأى من يخرج طغيها ويتعمد إهمال شأنها ) ( ١ )  
إذا أضفنا ذلك إلى قولنا السابق - أمكن التنبيه إلى أن ظروف عصره التزم يكن راضياً  
عنها حيث لم يجد فيها المثال الذي ينشده لبنى قومه - قد ساعدت على نمو  
هذه الحساسية لديه والتي سال بها قلمه مُحرّكاً برقتها مشاعر الآخرين .

وثمة ظاهرة أسلوبية أخرى في أدبه هي :-

تمتّع ذلك الأسلوب بالحكمة الخالدة ، فلاحظ القارىء له اهتمام الأديب بتدعيم وجهات  
نظره - المبثوثة في مقالاته - بالحكمة من حين إلى آخر ، وكان يلتقط معناها حيناً  
من الشائع العام بين الناس ويلجأ حيناً آخر إلى حسّه وملاحظاته ، فيكتب فيها

١ - حامد عبد القادر دراسات في علم النفس الأدبي ص ٥٤ ، ٥٥ - ط ١٩٤٩م

مايلذ القارىء ويطربه كقوله :-

( لو وَفَّيتَ لزوجتكِ لوفَّيتَ لك ، لو أدَّبتَ ولدك لعناء أمرك ، لو أحسنْتَ

إختيار صديقك ما خانك ، لو رحمتَ نفسك ما خسرتَ حياتك ) ( ١ )

ويقول فى مقال آخر :-

( ... لا يمكن أن تجتمع رحمة الرحماء وشقوة الأشقياء فى مكان واحد ،

الا إذا أمكن أن يجتمع فى بقعة واحدة الملك الرحيم والشيطان الرجيم ) ( ٢ )

ويقول فى موضع آخر :-

( العرض أعظم من الحياة فان كان من يمنح الحياة فاقدَها شريفاً فأشرف

منه من يردَّ المال إلى صاحبه المفجوع فيه ) ( ٣ )

كذلك من خصائص أسلوبيه ، قوة الحجّة وبراعة الاستدلال ، وقد أورد صاحب

رسالة المنظوطى الكاتب إحصائية عن كثافة هذه الظاهرة فيما كتبه الأديب

مثال ذلك قوله للزوج الذى سأله فى شأن زوجته التى كفَّ بصرها ويريد طلاقها :-

( أعيذك أيها الإنسان بالله وزحمته والعهد وزمانه ألا تجعل لهذا الخاطر

السَّيِّئِ خاطر الطلاق والفراق - سبيلاً إلى نفسك ، فإنها لم تسبِ إلى نفسك

فتسبى إلى غيرها ، ولم تنقض عهدك فتتقض عهدها ، فإن كنت لا بدَّ ثائراً لنفسك

فائثاً لها من القدر إن استطعت إلى سبيل ، ان عجزاً من الرجل وضعفاً أن يفضب

١ - المنظوطى . النظرات ج ١ ص ١٠٨

٢ - المرجع السابق ص ٨٧

٣ - نفس المرجع ص ٢١٢

فيمد يده بالعقوبة إلى غير من أذنب إليه ويعتدي عليه ( ١ )

وقبل هذه السّمة وغيرها ، فإن أسلوب المنظوظ يمتاز بقوة الأسر مع جمال العبارة وبراعة التصوير ودقته نلاحظ ذلك مثلاً في أقواله الآتية :-

( فأنسّت بها أنس الأخ بأخته وأحببتها حباً شديداً ووجدت في عشرتها السّعادة والغبطة ما ذهب بطك الفضاضة التي كانت لا تزال تعاود نفسي بعد فقد أبوي من حين إلى حين . . . ) إلى أن يقول ( وقد عقد الود بين قلبي وقلبها عقداً لا يحلّ له إلا ربّ المنون . . ) ( ٢ )

وقوله :-

( الوجوه مرايا النفوس تضي ، بضيايحها وتظلم بظلامها ) ( ٣ )

وقوله :-

( والهم رسول من رسل الشر ينزل بأهداب العيون فلا يزال يسعى سعيه

حتى يوقظ الفتنة بين أشياعها ) ( ٤ )

وقوله :- ( صفقوا له تصفيقاً كاد يضم أضلاع المسرح بغضها إلى بعض ) ( ٥ )

وقوله من الملاعب الهزلية :-  
( إن هذه الأماكن التي تطوؤها أقدامكن إنما هي مقابر المجد والشرف ،

ومدافن الفضائل والأخلاق ومصارع الأعراض والحُرّمات ) ( ٦ )

١ - المنظوظى . النظرات ج ٢ ص ١١٩

٢ - المنظوظى . العبرات ص ١١

٣ - المرجع السابق ص ٧٦

٤ - المنظوظى . النظرات ج ٣ ص ٢٢٤

٥ - المرجع السابق ص ٢١٣

٦ - المرجع السابق ص ١٢٠



أضف إلى تلك الخصائص خاصة واضحة في أدبه دعت إليها حاجة العصر وأحواله الاجتماعية تلك الخاصة هي تميز أسلوبه باللهجة الخطابية المثيرة المشوقة كقوله مثلاً :-

( فيا طالب العلم كن عالي الهمة ، ولا يكن نظرك في تاريخ عظماء الرجال نظراً يبعث في قلبك الرهبة والهيبة فتضائل وتتصاغر كما يفعل الجبان المستبطار حينما يسمع قصة من قصص الحروب ، أو خرافة من خرافات الجان وحذار أن يملك اليأس طيك قوتك وشجاعتك فتستسلم إستسلام العاجز الضعيف وتقول : من لي بسلم أصعد فيها إلى السماء حتى أصل إلى قبة الفلك فأجالس فيها عظماء الرجال ؟

يا طالب العلم أنت لا تحتاج في بلوغ الغاية التي بلغها النابغون من قبلك إلى خلق غير خلقك وجو غير جوّك ، وسما وأرض غير سمائك وأرضك ، وعقل غير عقلك وأدائك ، ولكنك في حاجة إلى تفرغ عالية كنفسهم ، وهمة عالية كنهم ، وأمل وأوسع من رفعة الأرض وأرحب من صدر الحليم ، ولا يفقدن بك عن ذلك ما يهمس به حاسدوك في خلواتهم من وصفك بالوقاحة وبالسماجة ، فتعم الخلق هي إن كانت السبيل إلى بلوغ الغاية ، فامض <sup>على</sup> وجهك ودعهم في غيهم يغمهون ( ١ )

وهكذا... بدت لنا خصائص أسلوب المنظوظي السابقة في ثوب قشيب من تراكيب مشتلة على جمال الصورة وقوة العبارة مع سهولتها وسلاستها الواضحة .

ألفاظ المنظوظى :- أما إذا نظرنا إلى ألفاظ تلك العبارات الجميلة الصحيحة

لوجدنا أن المنظوظى لم يكن متعزراً فى ألفاظه ولا باحثاً عن الصَّعب منها بل هين  
ألفاظ سهلة التناول عذبة الموقع معبّرة عن الموقف ، حزينة مؤثّرة تدلّ على نفس  
قريحة معذّبة وتعاطف إنسانى بديع وما ذاك إلا دليل أكيد على صدق العاطفة  
عند الأديب وقدره واضحة على تخير اللفظ والتحكّم فى نظمه ما يؤكّد خبرة المنظوظى  
واطّلاع الواسع على علوم اللغة العربية الجميلة وقد صدق قول الأستاذ عمر فروخ عن  
المنظوظى القائل فيه :-

( والمنظوظى مقتدر فى فهم عبقرية اللغة عارف ببلالتها وبيانها ، أديب ،  
فهو من أجل ذلك كله يتخير كلماته تخيراً كبيراً لأنه فى الحقيقة لا يهتم بالآراء والأفكار  
بقدر ما يهتم بحسن التعبير عنها ) ( ١ )

ومثال ألفاظه الموحية بالموقف والمؤثّرة فى نفس السامع قوله :-

( حَشْرَجَ الموت ( ٢ ) ) ( يَنْشُجُ نَشِجاً ) ( ٣ ) - معبراً عن

شدّة البكاء المومئ - ( شعرت برأسه يلتهب التهاباً ) ( ٤ ) ( نفس قريحة

معذّبة تذوب بين أضلاعه ذوباً فيتهافت لها جسمه تهافت الخباء المقوّر ) ( ٥ )

( يئنّ أنين الوالهة التكلّس ) ( ٦ )

١ - عمر فروخ - أربعة أدباء معاصرين ص ٢٢ ط سنة ١٩٤٤ م

٢ - المنظوظى النظرات ج ٢ ص ٢٠١

٣ - المرجع السابق ص ٢٠٨

٤ - المنظوظى العبرات ص ٩

٥ ، ٦ - المرجع السابق ص ٨

وكلنا نأخذ على المنظوطي استعماله في تعبيرة لبعض الألفاظ غير الصحيحة كقوله :-  
( وطمّت أن الرجل فصيح بفطرته ، قادر على الإبانة عن أغراضه ومبرامية كأفضل  
ما يتقدر فتقدر على ذلك ( ١ ) )

يريد كأفضل ما يتقدر قادر او مقتدر ( ٢ )

وكقوله :-

( ٣ ) ولم أرسائلاً دخل إليه يشكو حاجة من الحاج صادقاً كان فيها أم كاذباً . . .  
فقد جمع حاجة على حاج والأضوب جمعها على حاجات وجمع المنظوطي أيضاً كلمة  
نظام على نظمات ( ٤ ) والأشهر جمعها على أنظمة .

ولكن . . . ينبغي ملاحظة أن تلك الأخطاء لا تتجاوز عدد أصابع اليدين  
والخطأ لا بد أن يقع فيه البشر وجلّ من لا يخطئ .

وجملة القول في أدب المنظوطي ، أنه أدب إمتاز بخصائص أسلوبية يستحقّ

بسببها أن تنتسب طريقته في الكتابة له فسميت بـ ( طريقة المنظوطي ) ( ٥ )  
تلك الطريقة التي جاءت وسطاً بين الأسلوب التقليدي والأسلوب التجديدي في الكتابة  
والتو امتازت بسهولة عباراتها مع صدق العاطفة وقوتها تلك العاطفة التي فجّرت  
أسلوبه حزناً وألماً وشفقة على الآخرين بالإضافة إلى انعكاس ثقافته الإسلامية عليه  
فدأ استشهاده بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ، ولا يفوته بعد ذلك الاستشهاد  
أيضاً بما أودع ذاكرته من أبيات شعرية تؤيّد المعنى وتقوّيه مع اهتمامه بالتمثّل بقصص

١ - المنظوطي . النظرات ج ٣ ص ٥

٢ . ونرجح أن يكون ذلك خطأ في الطبع

٣ - المنظوطي . النظرات ج ٣ ص ٥١

٤ - المرجع السابق ج ١ ص ١٤٨

٥ - فضلاً راجع ما قبل في هذه الطريقة ص ٢٨٦ من هذا البحث

السَّابِقِينَ ونوادرهم أضف إلى ذلك تجميلة لمعانيه بالحكمة الصائبة وقد نلاحظ أحياناً  
براعة الحجة والإستدلال فيما يكتب ، وكثرة الأسلوب الخطابي في أدبه نظراً  
لحاجة العصر إليه ورغبته في إثارة المشاعر لسُرعة الإستجابة لفكرته .

هذا وقد استطاع الأديب أن يجمع كل خصائصه الأسلوبية السابقة في تراكيب  
تمتاز بقوة الأسر وجمال العبارة مع براعة التصوير ودقته ، بألفاظ سهلة عذبة يفهمها  
العامة والخاصة ، بأكية حزينة تهز السامع وتقرع القلوب ، وما ذاك إلا لصدق عاطفة  
الأديب وتعاطفه الإنساني الفاضل .

---

## ثانياً: مكانته في تاريخ الأدب العربي

إنَّ حديثنا عن مكانة المنظوطي في تاريخ الأدب العربي ليس منقطع الصلة بحدِيثنا عن مكانته بالنسبة إلى عصره لأنَّ عصر المنظوطي هو جزءٌ من هذا التاريخ ومكانته في عصره هي تحديد لقيمته في هذا الجزء الزمني من تاريخ الأدب العربي .

ونحن لا نريد أن نقف عند هذا الحدِّ في تقييم أدبه ومكانته بل نريد أن تتَّسع نظرتنا فنقيسه بأدباء العرب الذين برزوا على مرِّ العصور - من حيث أثره وصيته ( وعندئذ سيقف في الصِّف في مكان لا يكون فيه فريداً بل يشغله مع كثيرين ويتقدّم عليه غيره من أمراء البيان العربي في عصوره الزاهرة ) ( ١ )

ومن المعروف أنَّ المنظوطي قد استمدَّ ثقافته من كتب وموعات عصور العريسة الزاهرة يحفظ منها ويأخذ منها ولكن هذا الأخذ قد حدّده بقوله :-

( إني ما استطعت أن أكتب لهم تلك الرسائل بهذا الأسلوب الذي يزعمون أنهم يعرفون لي الفضل فيه ، إلا لأنني استطعت أن أنظت من قيود التمثيل والإحتذاء ، وما نفعني في ذلك شيء ، ما نفعني ضعف ذاكرتي والتواؤمها علي وعجزها عن أن تسبك إلا قليلاً من المفردات التي كانت تمرُّ بي ، فلو كنت أقرأ من منشور القول ومنظومه ما شاء الله أن أقرأكم لا ألبث أن أنساه فلا يبق منه في ذاكرتي إلا جمال آثاره وروعة حسنه ورقة الطرب به وما أذكر أنني نظرت في شيء من ذلك لأحشوبه حافظتي أو أستعين به على تهذيب بياني ، أو تقديم لساني ، أو تكثير مادّة علمي باللغة والأدب . . ) ( ٢ )

١ - د . محمد أبو الأنوار . المنظوطي الكاتب . رسالة مخطوطة ص ٦٣١

٢ - المنظوطي . النظرات . المقدمة ص ٥ ، ٦

ومن هذا التصريح من المنظوطى نفسه وقراءتنا لأدبه نستطيع القول أن المنظوطى إمتداد للتراث العربى العملى ، ولكنه لم يكن مقدّماً لشخص يعينه أو لمدسة يعينها وإنما كان إمتداد للأسلوب البيانى المشهور الذى أوجبه .

وقد بدا لنا صدق ذلك فى طريقته الخاصة به والتي إمتازت بسمات خاصة قد سبق إيضاحها ( ١ ) وقد كتب الزيات فى مجلة الرسالة عن ذلك فقال :-  
 ( كان المنظوطى أدبياً موضوعياً حفظ الطبع فى أدبه أكثر من حفظ الصنعة والنثر الفنى كان على عهده لوناً حافلاً من أدب القاضى الفاضل أو أشرافاً مثلاً لفنّ ابن خلدون يتمثل الأول فى طبقة المولى حور ، وحفنى ناصف ، ويظهر الثانى ضعيفاً فى طبقة قاسم أمين ، ولطفى السيد ، ولا يستطيع ناقد أن يقول إن أسلوبه كسبان مضرراً على أحد القالبيين إنما كان أسلوب المنظوطى فى عصره كأسلوب ابن خلدون فى عصره ، بديعاً أنشأه الطبع القوي على غير مثال والفرق أن بلاغة النظرات ترجعها إلى القريحة وبلاغة المقدمة ترجعها إلى العبقرية . ( ٢ )

ومعنى ذلك أن المنظوطى له أثر شخصى فى تاريخ الأدب العربى عند مروره بهذه الفترة لأنه ردّ إلى الأسلوب العربى حيويته ونضارته وخلصه من داء عضال قد أصابه ردحاً من الزمن .

وهنا يحضرنا جهد البارودى فى ردّ الشعر العربى إلى قوته بفضل مختاراته التي وضعها بين يدي شعراء عصره . وإنما الفرق بينهما أن البارودى لم يصفّ جديداً

١ - فضلاً راجع طريقة المنظوطى ص ١٨٦ وخصائص أسلوبه ص ١٩٣ - ٢١٥

٢ - أحمد حسن الزيات . الرسالة ١٩ أغسطس سنة ١٩٣٧م

أما المنفلوطي فقد أسبغ على الأدب فيض شخصيته بالقدرة الواضح وإن سبقته محاولات أخرى وطرأت مؤثرات كجهود الشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغاني في تحرير النثر من قيوده إلى حد ما .

وقد ادعى صاحب رسالة المنفلوطي الكاتب أن المنفلوطي في موقفه من النثر كشوقي من موقفه من الشعر ، كلاهما تلقى عن القديم وتصرف على الحديث بقدر ما أتىح له وكلاهما ترك طابعه الشخصي على إنتاجه الفني ولكن يبقى فرق واسع بين الرجلين يتركز ذلك الفرق في أن شوقي في مكانه من الشعر أرسخ قدما وأعلى فناً وأخصب فكراً وأغزر طبعاً ووجه الشبه هو أن كلاهما صنع ذهاباً - كما يقول - ولكن بينما صنع المنفلوطي رطلاً صنع شوقي قنطاراً ( ١ )

هذا وإذا تقدنا خطوة في محاولة تقويم أدب المنفلوطي بالنسبة إلى أمراء البيان العربي في مجال النثر أمثال الجاحظ وأضرابه - إذا قارنا أدبه بأدبهم وجدنا الجاحظ وأضرابه في مقام الأستاذية الرفيعة على مرّ العصور بينما يتواضع المنفلوطي عن هذه المرتبة قليلاً ولكن ليس إلى الحد الذي يراه الأستاذ أبو الأنوار وهو أنه يقتصر في عطائه على مراحل التعليم الأولى ليزفّق أساليب التلاميذ وأدواقهم وليكن نموذجاً سهلاً مناسباً كالغذاء الذي يناسب سناً معينه في حياة الإنسان ( ٢ )

نقول إننا لانوافق الباحث على رؤية السابق وإنما نرى أن المنفلوطي يمكن أن يقف موقف الأستاذية الرفيعة لأدباء عصره وما بعد عصره. وليس لطلاب المراحل الأولى من التعليم . بل لا يكون الأديب أدبياً حقاً إذا لم يمر على أدب المنفلوطي الرائق

١ - محمد أبو الأنوار . المنفلوطي الكاتب ص ٦٣١ بتصرف

٢ - نفس المرجع والصفحة .

فيتأثر به وطريقته وصدق سلامة موسى في قوله :-

( إن أفضل ما يوضع بين أيدي الطلبة هذه الكتب القيّمة التي ألفها المنظّون وأنعم  
بجيل ينشأ وقد قرأها وتذوّق حلاوتها وتأثر بطريقتها واحتذى أسلوبها ) ( ١ )

ولا ننسى هنا قيمة المضمون الإنساني والأخلاق الرفيع الذي تناوله المنظّون  
في أدبه . ( ٢ ) ذلك المضمون الذي يحلّ جانباً هاماً من مشكلة الأخلاق  
الإنسانية التي نفتقد هماً اليوم بين الناشئة وبعض المثقفين .

هذا المضمون الذي يرفع من قيمه أدبه إلى مقام الاستاذية الحقّة فأدب المنظّون  
- في رأينا - أدب يجمع بين جمال المظهر وحسن المخبر ، وصفاء الجوهر ولا غـرو  
إن كان أدبياً أريباً وأستاذاً قديراً سواء في عصره أو فيما تلاه من عصور .

---

١ - سلامة موسى . مجلة الهلال السنة الثانية والثلاثين ص ١٥٦

فضلاً راجع الباب الثالث من هذه الرسالة



## موقف النقاد من أدبه

خلال الصفحات السابقة من البحث والدراسة ( ١ ) ، تبين لنا أثر المنظوظى الواضح فى تخلص النشر العربى بصفه خاصة من قيود الركاکة والانحطاط فكان نشره إستجابة ناجحة لحاجة عصره ، وقد تجلى ذلك فى كل كتاباته ، ولكنه بقدر ما أصاب من تقدير فى حياته على ذلك الجهد المشكور ، وامتد هذا التقدير بعد وفاته من جانب المنصفين له ، بالرغم من كل ذلك ، فقد صادف حملة شعواء ضده .

وإذا تأملنا الذين نقدوه نقداً لا ذعاً ، وجدنا نقدهم - فى الغالب - حاجة فى نفوسهم ، وسيتبين ذلك فى موضعه من هذا البحث ( ٢ ) إن شاء الله .

وقد اتجهت آراء النقاد حوله إلى اتجاهين :-

- أولاً : إتهام معارضه ولطريقته
- ثانياً : إتهام مؤيد لأسلوبه مقدّر لجهوده كل التقدير .

أما الاتجاه المعارض فيتمثل فى رأى كل من :-  
د . طه حسين ، العقاد ، والمازنى ، ومارون عبود  
وأما أنصار الإتجاه الآخر فكثيرون أمثال :-

١ - فضلاً راجع ص ١٠٧-١٨٤ من هذا البحث، ص ١٩٣

٢ - فضلاً راجع ص ٢٢٤ من هذا البحث

د . شوقي ضيف . د . أحمد هيك ، د . محمد رجب البيومي .

الأستاذ عمر الدسوقي ، والأستاذ طي الجندی ، الأستاذ صلاح عبد الصبور ،  
السيد أحمد شفيق ، والدكتور طه حسين ( قبل تحامله عليه ) كذلك رأى العقّاد  
( قبل تحامله ) .

وفيما يلي من الصفحات وجهة نظر كل من الفريقين ( ١ ) ، ولنا بعد ذلك  
تعقيب على هؤلاء كما أن لنا أيضاً رأينا الخاص في أسلوبه وبيان الأسباب التي أدت  
إلى تحامل بعض المتحاملين عليه .

### أولاً : الاتجاه المتحامل عليه :-

أ - بين د . طه حسين والمنطوي :- اعترف د . طه حسين في مقال له ، أنه  
كان يقبل على قراءة المؤيد يوم تنشر مقالاً للمنطوي ، وذكر أن مقالات ذلك الكاتب  
الكبير كانت تبلغ من قلبه مبلغاً عظيماً فقال فيه :-

( لقد كنا نقرأ النظرات والأسبوعيات فتبلغ من قلوبنا أضعاف ما تبلغه منها  
اللزوميات الآن ، ولقد كنت أمقت المؤيد كل المقت إلا يوم تُشرف فيه نظرة أسبوعية  
فقد علم الله أنني كنت أشغف به كل الشغف وأقبل عليه كل الإقبال ، ولا بدع فإن الذي  
كُلفني عرق القربى إلى مغنى البسفور ، والبيلفيدير ، ومهرجان النيل هو بعينه الذي  
يكلفني قراءة المؤيد يوم تنشر فيه مقالات هذا الكاتب الكبير . . . ) ( ٢ )

ولم يمض على هذا الإعراف عام واحد حتى بدأ يكتب سلسلة مقالات تحت عنوان . نظرات

١ - فضلاً راجع جص ٢٣٤ ص من هذا البحث

٢ - مصر الفتاة ٣١ / ٨ / ١٩٠٩ م

فى النظرات . وإتـهم فيها المنظوطى بالجهل والسـرقـة الأدبية والكذب والتـغـريـب—  
وتضليل القراء ، وحشا كتابه بالألقاب النابية والعبارات الجارحة ( ١ )  
فقال مثلاً فى النظرة الثانية :-

( أول عيب آخذُه على صاحب النظرات أنه مشغوف كل الشغف بذات غيره ،  
كما أن العيب الثانى فيه أنه مُنكر كل الإنكار لذات نفسه ، فإن السـرقـة فى كتابه شائعة  
شيوعاً فاحشاً ، ولست غالباً أن قلت إن اسم كتابه مُختلص من ديوان النظرات  
للرافعى ، ولقد أرى كما سيرى القارىء . أن فى الكتاب فصلاً سُلِبَت قسراً من  
أصحابها ونُسِبَت إلى صاحب النظرات مِيناً وزوراً بينما أبحث عن كثير من فصول الكاتب  
الخاصة التى كانت تذاغ فى المويد ولا سيما السياسة فلا أجد لها فى الكتاب أثراً ) ( ٢ )

ويقول الدكتور طه حسين فى النظرة السادسة من كتابه :-

( . . . فقد أخذنا عليه أنه يدعو الناس إلى ما لا يُحب وينكر ذات نفسه ، إبتغاء رواج  
ما يكتب وينتحل الأكاذيب فى طلب الصيت والشهرة ) ( ٣ )  
ونرى أن من المُتعارف عليه لدى أى أديب يلجأ إلى التعديل فيما يكتبه كلما أعاد  
النظر فيه وقد يكون هذا التعديل والتغيير لفرض ما ، كتعديل الألفاظ أو العبارات  
مثلاً ، أو تناول الفكرة وعرضها ، أما الذى لانعرفه ولا نرضاه أن يغير الناقد إتجاهه  
لفرض شخص قد يكون الدافع إليه أوضاع سياسية معينة كما سنرى ( ٤ )

١ - محمد سيد كيلانى - طه حسين الشاعر الكاتب ص ٩٩ ط ١ سنة ١٩٦٣ م

٢ - الشعب فى ٢٠ / ٤ / ١٩١٠ م

٣ - المرجع السابق فى ٩ / ٥ / ١٩١٠ م

٤ - فضلاً راجع ص ٢٢٤ من هذا البحث .

فقول د . طه حسين : ( إن المنظوطى مشغوف كل الشغف بذات غيره )

فلا ندرى ماذا يقصد ؟ هل قصد بذلك الإيثار أم التقليد فى الأسلوب ؟

فأما إن كان يقصد الإيثار الذى يتعلّق فى انشغاله فى مشاكل المجتمع ومعالجة قضايا الإنسانية ، فهذه ميزة يجب أن تُحمَد للمنظوطى ويشكر راعيها ولا نعتبرها عيباً فيه .

وأما إن أراد تقليد الأقدمين فى أسلوبهم فما الذى يضير الأديب إذا كان قد قلّد الأقدمين فى سلامة الأسلوب مع عرضه فى ثوب جديد وطريقة خاصة استحققت أن تُنسب إلى اسمه فعرف بها وعرفت له حتى سُميت ( بطريقة المنظوطى ) كما سبق أن أشرنا . ( ١ )

وأما السرقة التى اتهم بها د . طه حسين ز ، المنظوطى فمن أين كانت هذه

السرقة ؟ وعن من أخذ ؟

أما أن يتفق اسم ديوان الرافعى مع كتاب النظرات فما الذى يضير الأديب فى ذلك إذا كان واضح الشخصية فيما كتب ؟

وقول د . طه حسين ، ( إن كثيراً من فصول النظرات قد سُلِيت قسراً من أصحابها ) فلا نستطيع أن نقول ذلك بقول مرسل على عواهنه .

أما قول د . طه حسين - ( إن المنظوطى يدعو الناس إلى مالا يُحِبُّ إبتغاء رواج كتابه ورغبة فى الصيت والشهرة ) ؟ ، فهو قول مردود من أساسه ، لأنه لو كان صدقاً ما يقول لما لمسنا حرارة العاطفة وصدقها فى كتابات المنظوطى ودليل ذلك إستجابة القراء وإقبالهم على أدبه كما ذكر ذلك د . طه حسين نفسه فى حديثه السابق ( ٢ )

١ - فضلاً راجع ص - ١٨٦ - من هذا البحث ( طريقة المنظوطى )

٢ - فضلاً راجع ص - ٢٢١ - من هذا البحث

ولا أدلّ من أنّ الباعث على هذا النّقد هو تعامله عليه وأنّ نقده ليس موضوعياً محضاً  
لا أدلّ على ذلك من قوله مخاطباً المنظوطى :-

( أيها الكاتب اصغ إليّ واسمع لقولي فإنك وإن تبيّنت على الثلاثين أحوج إليّ  
النصيحة ممن لم يبلغ العشرين إظم أن الكاتب المصلح لا يرغب في الكذب والخيـداع  
ولا يجنح إلى الخب والرياء ) ولا يأنف أن يعترف للناس بما عنده من كواذب الأخلاق  
مادام عاملاً على إجلائها عن نفسه .

أيها الكاتب المفرور ليس بنافعك أن تحرك لنفسك من الحمد بروداً وتنظم  
لها من الشناء عقوداً . ( ١ )

نقول :-

لقد اتضح تعامل الدكتور طه حسين على المنظوطى وضوحاً تاماً لأنّ النّقد  
الصحيح يجب أن يكون موضوعياً لا شتماً . وتجريحاً .

وإذا بحثنا عن الأسباب التي أدت إلى ذلك التجريح عنده ، وجدنا  
أن السبب الرئيس في ذلك هو عداء المنظوطى ومخالفته للحزب الوطنى  
الذى كان د . طه حسين على اتصال به ويشق فيه ، فأغرى رجالة الدكتور  
طه حسين بنقد المنظوطى وتجريحه لأنه كان من أبرز كتاب المؤيـد  
المقروئين ومثل هجوماته على الحزب الوطنى يجب أن تقلم أظافرها ،  
فانبرى د . طه حسين لمهاجمته في جرائد الحزب الوطنى ، وقد تجاوزت مقالاته

في هذه الحملة النقدية القاسية على المنظوظي الثلاثين مقالة ( ١ ) والستون  
عرضنا فيما سبق نماذج منها .

- 
- ١ - أحمد حسن الزيات - وحو الرسالة ح ١ ص ٣٨٦ يتصرف  
مثلاً النظرة ( ٢ ) في الشعب ٢٠ / ٤ / ١٩١٠م
  - النظرة ( ٣ ) في الشعب ٢٦ / ٤ / ١٩١٠م
  - النظرة ( ٤ ) في الشعب ٤ / ٥ / ١٩١٠م
  - النظرة ( ٥ ) في الشعب ٩ / ٥ / ١٩١٠م
  - النظرة ( ٦ ) في الشعب ١٠ / ٥ / ١٩١٠م
  - النظرة ( ٧ ) في الشعب ١٢ / ٥ / ١٩١٠م
  - النظرة ( ٨ ) العلم ٢٠ / ٥ / ١٩١٠م
  - النظرة ( ٩ ) " ٢٦ / ٥ / ١٩١٠م
  - النظرة ( ١٠ ) " ٢ / ٦ / ١٩١٠م
- وذلك نقلاً عن رسالة الدكتور أبو الأنوار المخطوطة ص ٥١٢

## ب - بين العقاد والمنظومي

لقد اعترف الأستاذ العقاد - كما سبق أن أشرنا - ( ١ ) - بمكانة  
المنظومي بالنسبة إلى عصره وفضله في تخليص النشر الحديث من قيود السجع  
والمحسنات اللفظية الموروثة عن العصر العثماني ، ودوره العظيم في جعل  
الأسلوب مُرسلاً سهلاً بعيداً عن التعبيرات الموروثة والقوالب المحفوظة في العصر  
الحديث ( ٢ ) .

أما مكانة هذا الأديب في عالم الأدب بصفة عامة ، فذاك ما يتعرض له العقاد  
برأى خاص يقول فيه :

( . . . ولكن ما مكانته في عالم الأدب عامة إذا أردنا أن ننظر إلى الأدب من  
وراء البيئة والظروف بل من وراء الأجناس واللغات ؟  
أول : أولاً ، إنَّ المنظومي منشء وليس بكاثر ، وهو يُحسب على أصحاب الإنشاء  
إذا قسمنا الأدباء الناشرين إلى كُتّاب ومنشئين ) ( ٣ )  
ويُعرف الكاتب على حسب رأيه - بقوله :-

( إنَّ الكاتب هو إنسان قبل أن يكون حامل رُقْم وصانع كلام ، وفضيلته فضيلة نفس  
شاعرة مدركة لا فضيلة لسان وعجالة . . . ) ( ٤ )

---

١ - فضلاً راجع ص ١٧١ من هذا البحث

٢ - العقاد - مراجعات في الآداب والفنون ص ١٧٣ بتصرف

٣ - العقاد - مراجعات في الآداب والفنون ص ١٧٣

٤ - نفس المرجع والصفحة

كما يعرف المنشئ بقوله :-

( أما المنشئ فيخطف عن الكاتب في هذه الخلال ، فإنك تقرأه وكأنما تشعر بالقشرة المطلية تحت يدك ويؤتى إليه أنه يخدعك ويحاول أن يبيعك الشيء الزهيد الذي تراه في كل مكان باسم غير اسمه وقيمة أغلى من قيمته . . إلى أن يقول : )  
( فليست فضيلته فضيلة إنسان يخاطب جميع الناس بلغة الحياة ولكنها فضيلة حروف

لا حياة فيها ، وأصداء لا ارتباط لها بمعانيها ) ( ١ )

هذا نموذج لبعض ما أخذه العقاد على المنظوطي .

ولا نرى فرقاً بين الكاتب والمنشئ في عالم الأدب ، لأن الكاتب أو الأديب هو في الحقيقة منشئ للأدب ، والمنشئ للأدب هو الأديب أو الكاتب .

هذا خلاصة ما نراه في قضية كهذه ، أما إذا سلّمنا جدلاً وبما قاله العقاد وفرقنا بين الكاتب والمنشئ وفقاً للتعريف الذي عرف به العقاد كلاهما إذا اسلّمنا بكل ذلك - نقول للعقاد ولن نحاجوه :-

ألم يكن المنظوطي صاحب رسالة إنسانية تدعو إلى الخير والفضيلة وتنصر الحق وتنهى الرذيلة وتنفر النفس عن الآثام والخطايا - كما أثبتنا ذلك في أدبه ( ٢ ) ؟  
إذاً فما المانع أن نعتبره كاتباً على رأى العقاد نفسه ؟

هذا ويأخذ الأستاذ العقاد على الذين يرون أن المنظوطي كاتب النفس الإنسانية لأنه كان يكي آلام النفس المحزونة ويشاركها مآسيها ويستيقظ أهواءها ويعطف على آمالها وهمومها ويكشف عن فضائلها وأدوائها ، وقد استبعد ذلك عن المنظوطي

١ - العقاد . مراجعات في الآداب والفنون ص ١٧٦

٢ - فضلاً أنظر الباب الأخير من هذا البحث من ص ٢٣٨ - ٤٠٥



فقال :-

( ١ ) ولست أرى في كل ما وُصِفَ به ذلك الفقيد صفة هي أبعد عن الحقيقة وأدَلّ على الجهل بالنفس من هذه الصفة التي يُظنّ لأول نظرة أنها أصدق صفاته وأحرّها بالقبول ( ١ )

كما يرى أن غزارة الدموع في قصصه ومقالاته وإحساس بمصائب النفس الإنسانية أمران لا يتلازمان لأن الأطفال أكثر الناس بكاءً ومع ذلك فهم أغرب الناس عن الحزن وأنهم عن لواعج الآلام ( ٢ )

وأرى أن الأستاذ العقاد قد جانبه الصواب في تعليقه أو في تشبيهه السابق لأن دموع الرجل المتزن العاقل في المواقف المؤثرة لا يصحّ أن تُقارَن بدموع الطفل الذي لا يفقه شيئاً من أمور الحياة ، ولأننا لمسنا من صدق عاطفة المنظوظ وحرارتها ما جعلنا نقرّ ونؤكد أنه كاتب له اتجاهه الإنساني الذي لا يُنكر في أدبه وهو عقيق التأثر بمصائب النفس الإنسانية ، عالى الصوت في دعوته إلى الفضائل التي تسمو بها معارضاً كل الرذائل التي لا تقبلها .

ولا أدلّ على ذلك من مقالاته في النظرات ذات الاتجاه الإنساني البارز ، ومن قصصه التي ألفها أوحت التي ترجمها ( ٣ )

كما يرى العقاد أن أبطال المنظوظ في قصصه ومقالاته من الذين كانوا في حال من البؤس والضنك تستدرّ العطف لأول وهله ويرى أن هذه الآلام القاسية عامة يتأثر بها

١ - العقاد . مراجعات في الآداب والفنون ص ١٧٨

٢ - المرجع السابق ص ١٧٩ بمهرّف

٣ - فضلاً راجع الباب الأخير من هذا البحث ص ٢٣٨ - ٤٠٥

والفصل الثاني من الباب الثاني (كتبه . مؤلفه . ومترجمه )

عامّة الناس وحتى أنفسهم قلباً وأن هناك آلاماً أخرى تعلو آلام الجوع والظنـك  
وهذه ينفرد بها الإنسان لشاعروها آلام النفس ، فقد تتم للإنسان نعمة المال  
والبنين ، وتدين له المتعة والصحة ، ومع هذا يشعر بثورة ضميره لا تهدأ ولا تستقر ( ١ )  
ويريد العقاد بذلك أن المنفلوطى لم يتناول ذلك فى أبخاله مُطلقاً .

ونرى هنا ما رآه الأستاذ أحمد عبد الحميد السّحرتى فى محاضرته عن  
المنفلوطى ، وهو ( أن المنفلوطى له عُذره فى ذلك ولا عيب عليه ، لأنّ العقاد  
يقرر ذلك فى عصر غير العصر الذى كُتب فيه المنفلوطى قصصه ويقدر للشعب ذوقاً  
لم يكن قد وصل فيما مضى إلى هذه الدرجة من الرُقوى وفى إمكاننا أن نقدر ذلك جيداً  
لأنّ لكل عصر ذوقه وقيمة فى الحكم على أدبه ) .

كذلك للأستاذ السّحرتى رأى آخر نقره عليه وهو :-

( أن هناك قاعدة مقرّرة كان لابدّ للمنفلوطى أن يخضع لها وهى أن الإنسان الذى  
لم يرتق فى شعوره بعد لا يتأثر أول الأمر إلا بالشئ الذى يلقى الأذى الذى يلـمسه  
ويكاد يحسّ بوقوعه عليه وأنه كلما ارتقى شعوره كان أقرب إلى التأثر بما هو أقلّ ( ٢ )

ويرى السّحرتى كما نرى معه أن المنفلوطى اضطر إلى ذلك لأنه كان يكتب إلى  
الشعب لا إلى خاصة الناس ، وكان عليه أن يلجأ إلى المواقف القويّة الأخاذة التى  
تلفت نظر الأفراد فيه فتوتّر فيهم الأثر المطلوب ( ٣ )

١ - العقاد مراجعات فى الآداب والفنون ص ١٨٢ ، ١٨٣ بتصرّف

٢ - أحمد عبد الحميد السّحرتى . محاضرة بعنوان ( المنفلوطى ) ألقاها بدار العلوم  
العليا عام ١٩٢٩م طُبعت هذه المحاضرة بمطبعة الطلبة عام ١٩٣٠م ص ٢٧

٣ - المرجع السابق ص ٢٧ بتصرّف

### ج - بين المازنى والمنفلوطى .

لقد أفرد المازنى فى كتاب ( الديوان ) الذى أصدره برفقة العقاد ، لقد أفرد فصلاً فيه بعنوان ( الحلاوة والنعمومة والأنوثة ) وتناول فى هذا الفصل نقى أسلوب المنفلوطى وطريقته فى الكتابة ، وعاب على من ينسب لأسلوبه الحلاوة ويصرى أن أنسب وصف له هو الأنوثة أو النعمومة ( ١ )

وهنا يطيب لنا أن نسأل الأستاذ المازنى ماذا تراه يقصد بالنعمومة والأنوثة ؟ هل تراه يقصد رقة قلب المرأة وسرعة تأثرها أم أن أدب المرأة لا يتسم بالحلاوة والجمال ؟ فأما إذا كان يقصد رقة قلب المرأة فنقول له :-

وما الذى يضير رجلاً متزناً وأدبياً عاقلاً كالمنفلوطى أن يرقَّ شعوره والحبس عاطفته فى المواقف المؤثرة إلى الحد الذى لمسناه منه وعرفناه عنه ؟ ! وهل الأديب فى - نظر المازنى - يجب أن يكون قلبه قطعة من الصخر أو الفولاذ حتى يتسم أدبه بالحلاوة ؟ !

وهل علمنا عن شاعر الأدياء الناجحين إلا هذه الرقة والشفافية وطك الحساسية المفرطة التى تدفعهم إلى أجمل ما يسطرونه من شعر أو نثر ؟ !

ذلك إحساس الذى لولاه ما انفعَل قارئ ولا استجاب له كاتب ، وهل الدافع لآى فن إلا رقة إحساس الفنان وهل الأدب إلا فن من هذه الفنون ؟ !

وأما إذا أراد بالتَّعَمُّدِ والأُنُوشَةِ أن أدب المرأة أدب رث تافه لا يتَّسَمُّ<sup>١</sup>  
بالحلاوة والجمال فنقول له :-

ألم يشهد تاريخ الأدب لأدبيات قديرات - أمثال الخنساء - ومي زيادة وعائشة عبد الرحمن  
وغيرهنَّ - ألم يشهد لأدبيهنَّ بالحلاوة والجودة والجمال ؟  
أم أن جمال الأدب في نظره - موقوف على الأدباء فقط دون الأدبيات ؟

وهل الذين انفعَلُوا بأدب المنفلوطي واستجابوا له وقرَّطُوهُ من النساء فقط ؟  
أم أن أدبه طرب به رجال منهم ؛ الأدباء وغير الأدباء من متذوقي الأدب وطلابه  
أو حتى عامة الناس ؟

وعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ ... كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُدْرِي الْمَسَاوِيَّاتِ  
أما إذا تتبعنا آراء المازني في هذا الفصل وجدنا فيها كل ما هو غريب وعجيب حقاً ،  
فها هو ذا يأخذ على المنفلوطي - مثلاً - بكائه مع المحزونين ورحمته لهم ويصفه  
بالندابة ، ويرى أن وظيفة المرء في الحياة هي مصارعتها ومغالبة قواها فيقول :-

( ولكن وظيفة المرء في الحياة ليست أن يكون ندابة . فما لهذا خُلِقَ بل .  
وظيفته أن يغالِبَ قوى الطبيعة ويصارعها لأنَّ الأصل في الحياة هو هذا الصِّراع وتلك  
المُغالبة وهي قائمة على ذلك ولا سبيل إليها بدونه ، بل هي تنتفي إذا امتنع ومُطْلَ ) ( ١ )

وإذا سلَّمنا جدلاً للمازني برأيه القائل ان وظيفة المرء مغالبة قوى الطبيعة  
ومصائب الحياة . نقول إذا كنا نوافقه على ذلك ، فلا نوافقه على تطاوله على المنفلوطي

ووصفه بالندابة لأنَّ النَّقْدَ لا يكون شَتْمًا ولا تجريحاً ، ولا يخرج إلى هذا المجال إلا إذا كان ذاتياً محضاً تُلِيهِ الْغِيْرَةُ وَيَحْرُكُهُ الْحَسَدُ . ( ١ )

والتَّعْدِ الذَّاتِي لا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ .

ونقول للأستاذ المازني أيضاً :-

هل مغالبة أَرْزَاءِ الْحَيَاةِ وَمَصَائِبِهَا يتنافى مع وقوف المرء مواقفهُ الْإِنْسَانِيَّةِ الْفَاضِلَةِ عِنْدَ

الْحَاجَةِ إِلَيْهَا - كما فعل المنظوط - حينما حنَّ قَلَمُهُ وَقَلْبُهُ وَجْهَهُ لَهَا ؟؟

ولعلَّ أعجب من ذلك أن يشتم المازني قراء المنظوط والمعجبون بأسلوبه فيقول :-

( فبالله ما لهذا الحانوتي الندابة وللأدب الذي هو حياة الأمم وباعث

القُوَّةِ فِيهَا ونافث الحرارة في عروقها وحافزها إلى أَجَلِّ الْمَسَاعِي . . ) الخ ( ٢ )

نقول أَيْضاً الْحَقْدُ بِالْمَازِنِ لِلدَّرَجَةِ الَّتِي يَحْجُرُ فِيهَا عَلَى الْقُرَاءِ آرَاءُهُمُ الْخَاصَّةُ

فِيهِمْ بِسُقْمِ الذَّوْقِ وَمرضِ النَّفُوسِ ؟

ونسأل المازني أيضاً ترى ما هو مقياس الحياة العقلية في نظره عندما يقول :-

( وإنَّ أَخَوْفَ مَا تَخَافُ طَوْ هَذِهِ الْأُمَّةُ أَنْ تَجِدَ هَذِهِ الْجَرَائِمَ تُرى صَالِحاً فِي نَفْسِهَا

فِي وَقْتِ هِيَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ فِيهِ إِلَى مَنْ يَبْذُرُ فِيهَا بَذْرَ الْقُوَّةِ وَيُدْفَعُ بِهَا إِلَى تَطَلُّبِ الْحَيَاةِ

الْعَالِيَةِ ) ( ٣ )

١ - لقد ورد في الديوان شتاً في أخلاق المنظوطي من الأستاذ المازني يؤكد ما ذكرناه

فضلاً راجع ص ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ من الديوان ط ٣

٢ - فضلاً راجع الديوان ص ٩٦

٣ - المرجع السابق نفس الصفحة

نقول ما هو معنى الحياة العالية أو مقياسها في نظر المازني ؟

وهل هناك سمو للحياة أعلى وأعظم من الدَّعوة الصَّادقة لِطُحَّة إلى نصرة المعانوس الإنسانية الفاضلة ، من حب للخير ، ونشر للفضيلة بكل صورها ونبذ الرذائل بشتَّى أشكالها تلك المعاني التي لا نرى سواها لدى هذا الأديب المظلوم الذي أُتِّهِمَ أَدَبُهُ بالسُّخْفِ والتَّكَلُّفِ .

كذلك من أغرب ما وجدناه من تحامل المازني على المنظوطى هو ما كتبه في الفصل

الذى عقده لنقد أسلوب المنظوطى إذ قال فيه :-

( ١ ) وقد عدّنا له إلى الآن ٥٧٢ مفعولاً مُطلقاً ولا ندري إلى أى رقم يرتفع العدد .

ثم يعيب على المنظوطى كثرة النعوت فى أسلوبه ويرى أن هذه الكثرة لا توضح الفرض عند الأديب وتدلُّ على الضعف وفقر الذهن ( ٢ )

وأرى أن هذا الإحصاء من الناقد للمفاعيل المطلقة عند المنظوطى فى قصة

اليتيم) ، لا يعنى سوى إنشغال هذا الناقد بها ومحاولة تصيّد السقطات وهذا ما يدلُّ بدوره على عدم تذوقه لأدب المنظوطى بكل ما فى كلمة التذوق من معنى .

ولا يخفى - من غير شك - على متذوقي الأدب ما فى أسلوب هذا الأديب من

عدوية وقوّة أسرت أخذ بلبّ القارئ وقلبه ، ولا أرى فى كثرة هذه المفاعيل إلا تأكيداً للمعنى وتثبيتاً له فى ذهن القارئ ، كذلك فى كثرة النعوت وتواليها عيماً على الأديب

١ - العقاد والمازني . الديوان ص ١٠٦

٢ - العقاد والمازني . الديوان ص ١٠٧ بتصرف

مادامت تتقل لنا أحاسيسه ومدى انفعالاته بالمواقف التي يتحدث عنها .

كذلك نقد المازنى هذا الأديب فى عدم إهتمامه بسير أغوار نفوس شخصياته واستبطانها ولإقتضاره على النواحي الشكلية منها ( ١ )

وهذا رأي نوافق المازنى عليه ، ولكن ... للمنفلوطى عذره فى ذلك لأنه ليس كاتباً قصصياً - كما نعلم - وإنما هو كاتب مقالة ، ولا يخفى علينا أن لكل فن مواهبه وقدراته اللازمة لنجاحه .

طك هى بعض آراء المازنى فى المنفلوطى بدا لنا منها مدى تحامله عليه - كما بدا لنا من قبل مدى تحامل الدكتور طه حسين والعقاد أيضاً على هذا الأديب وبهذا ينطبق على هذا الاتجاه المعارض له قول طه حسين نفسه فى إهداءه أحد كتبه :-

( إالى الذين لا يعملون ويؤذي نفوسهم أن يعمل الناس )

---

١ - العقاد والمازنى . الديوان ص ١١١ بتصرف

## ثانياً - الاتجاه الآخر ( المنصف للمنطوي ) :

وأصحاب هذا الاتجاه كثيرون فهيلاضافة إلى ما سبق ذكره - في الفصل الخاص ببيان شخصيته الأدبية ( ١ ) - نورد هنا بعض الآراء المنصفة له - هذا الأديب ، فمثلا ورد في الوسيط في الأدب العربي وتاريخه هذا القول ، الذي يبين مصدر ثقافة المنطوي وبراعته في شعره ونثره :-

( تعلم بالأزهر وعني بدراسة الأدب ، وملازمة دروس الشيخ محمد عبده ، وكثر إختلاطه بكبار الأدباء ، فقال الشعر الرائع وأبدع فيه ، ثم عدل عن الشعر إلى الكتابة وأعد نفسه لها بقراءة كثير من القصص الممتعة ، المكتوبة بالعبارات الرائعة ثم عكف على الأغاني فاخترار أصفى عباراته وأكثرها حوكاً في الصدر وقرعاً للسمع ، ثم كتب بطريقته هذه كثيراً من المقالات في الصحف فكانت تشرى لها النفوس ، وترتاح إليها العقول ، لما فيها من التراكيب المختارة والأساليب الرقيقة ، وكتابة النظرات هو زبدة هذه المقالات ونتيجة هذه الدراسات الطويلة ) ( ٢ )

ففي القول السابق دليل واضح على تعدد موارد ثقافة الرجل العربية ، وبهذا يمكن أن نثبت أن أدب المنطوي أدب رفيع المعاني جميل الأسلوب ، وليس ذلك الأدب المجوف التافه كما أدعى المازني وغيره من حساد المنطوي ( ٣ )

١ - فضلاً راجع الصفحات ١٤٤ - ١٤١ من هذا البحث

٢ - الشيخ أحمد الإسكندري ، الشيخ مصطفى العنانى : الوسيط في الأدب العربي وتاريخه ص ٤٠٧ ط ٤ دار المعارف .

٣ - فضلاً راجع قول المازني في الديوان ص ١٠٧



ولفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد شفيع السيد رأى فى أدب المنفلوطى إشير فيه إلى ذبوع أدبه وشفق قارئيه به لما فيه من عذوبة وجمال إذ يقول :-

( والمنفلوطى كان ذا طريقة كتابية خاصة رفعت<sup>٢</sup> فى الكتاب منزلته وأنبّهت ذكره وخلدت أثره وقد رأى معاصروه مدى سبقه وذبوع فضله وإقبال المادبيين على أدبه فهالهم أمره وراعهم تقدّمه فحاول كثير منهم نقده ونشر ذلك النقد فى جرائد ذلك العهد حوالي سنة ١٩١٠ م وما بعدها ..... إلخ ) ( ١ )

وقد أنصفه سعادة الأستاذ الدكتور الدواخلى عندما وصفه برحمته القلب ورقة العاطفة وشدة الحساسية وجمال الذوق الأدبي ورفقته وعذوبة وصف أسلوبه بالأسلوب الإنشائي الذي تأثر فيه بكبار كتاب العربية ، أمثال ابن المقفع والجاحظ ، وابن خلدون ومحمد عبده ، وأن أسلوبه جاء وانحساراً رقيقاً يحسن فيه اختيار الألفاظ والتأليف بينها حتى تكون بمثابة نغمات موسيقية هادئة تارة وصافية تارة أخرى ، وأن هذا الأسلوب كان مع ذلك سهلاً مرناً لا يتكلف فيه ، ولا يلتزم السجع وإن لم ينبج<sup>٣</sup> أحياناً من المترادفات فى الألفاظ والتراكيب ، وإن جمال ذلك الأسلوب كثير ما أخفى عن معظم قارئيه ما ينقص أشخاصه من حركة وحياة ، وضعف فى تحليل العواطف والأهواء والنزعات البشرية تحليلاً نفسياً دقيقاً ( ٢ )

وبالقول السابق يمكن الرد على المازنى الذى عاب على المنفلوطي عدم سيره لأغوار نفسيات أبطاله فى قصصه . ( ٣ )

- 
- ١ - أحمد شفيع السيد ، النصوص الأدبية ظ ١٩٥٨ دار الكتاب المصري
  - ٢ - د . عبد الحميد الدواخلى - نصوص مختارة من الأدب العربى ص ١٨١ بتصرف
  - ٣ - فضلاً راجع المازنى ص ١١١ من الديوان

ويطيب لنا هنا - بعد الإطلالة السريعة السابقة على أقوال النقاد فسي  
أدب المنفلوطي - يطيب لنا هنا أن نختتم هذا الفصل بقول الأستاذ الدكتور  
محمد رجب البيومي عن المنفلوطي :-

( إن أكبر دليل على قوة المنفلوطي وإبداعه ، هو خلود أدبه ، فقد  
مر أكثر من أربعين عاماً على وفاته ، وما زالت كتبه ورواياته تطبع وتكرر طبعاتها  
الواحدة تلو الواحدة . ، وما زال الشباب يجدون في " نظراته " ما يغدّي  
عواطفهم الجائعة أو يروى مشاعرهم الصادقة ، كما يحسون في رواياته البديعة  
سِحراً أخذاً يستولي على النفوس ولا أكاد أعرف أديباً لامعاً ممن عاصر  
المنفلوطي ومن جاء بعده لم ينتفع بأدبه ، حتى وصل إلى القمة على نبراس  
بيانه ، بل إن التلاميذ في المدارس والمعاهد والكليات ، يضلّون السبيل إلى  
الأدب الجذاب ، فتتعثّر بهم الخطوات وتصارعهم الرككة والتفكك والإسفاف ، فإذا  
اتجهوا إلى أدب المنفلوطي قادهم سحره الأخاذ إلى الروعة والقوة والصفاء ) ( ١ )

وهكذا بدا لنا من العرض السابق اتجاهات متفاوتة من النقد حول أدب  
المنفلوطي .

أولهما : ذاتي هدام يحركه الحقد ويلهب حماسه الحسد والتحامل  
ثانيهما : موضوعي بناء مبني على أصول العلم ومؤازر بالحق .

” الباب الثالث ”

المظاهر الإنسانية في أدبه

---

تمهيد :

الإنسانية لغة وآراء النقّاد في الأدب الهادف

- ١ - في مقالاته الاجتماعية
- ٢ - في العطف على البائسين
- ٣ - في انصاف المظلومين
- ٤ - في حملته على الأغنياء وطبقة الحكام
- ٥ - في دعوته الى التمسك بأهداب الفضيلة

تمهيد :-

معنى الانسانية وآراء النقاد فى الادب الهادف :

### أ - الإنسانية لغة :

( خلاف البهيمية وهى أيضاً جملة الصفات التى تميز الإنسان عن سواه ، وقد تُطلق على جملة أفراد النوع البشرى التى تصدق عليها هذه الصفات ) ( ١ )  
وعلى المعنى الأول - وهو المراد هنا - تكون مصدراً صناعياً ، كالشعوبية<sup>ع</sup> والطفولية<sup>ع</sup> ، وعلى المعنى الثانى تكون اسم جنس يطلق على بني الإنسان وهم السلالة البشرية .

### ب - هذا وقد انقسم نقاد الأدب إلى فريقين :

- ١ - فريق يرى أن جمال الأدب يكون فى حُسن الصياغة وتجويد الفن فى ذاته  
دون ربطه بأهداف دينية ولا خلقية ، وهذا ما عُرِف حديثاً فى المذاهب  
الأوربية بمذهب الفن للفن .
- ٢ - وفريق آخر ربط بين الأدب والدين ، فدعا أصحابه الى توخّي القيم  
الخلقية والفضائل الإنسانية فيه وهذا الإتجاه هو ما يعنينا فى هذا  
التمهيد ، فنجد مثلاً أبا العلاء المعريّ - وهو أحد أدباء العصر العباسي  
يدعونا هذا الأديب الى تجنب الدّعوة الى الفاسد فى الشعر ، أو حتّى  
انشاء لمجرد التّكسّب به ونهى عن قذف الفاضلة أو محاولة اغرائها  
بواسطته للوقوع فى الخطأ فيقول :-

---

١ - مجمع اللغة العربية القاهرة - المعجم الوسيط - مادة أنس ص ٣٠

( والشَّعر إذا جُعِلَ مكسباً لم يترك للشاعر حسباً وإذا كان لغير مكسب

حسن في الصفات والنسب ، ما لم تُسَبِّح المَحْصَة وتعد للعار العُصْنة ) ( ١ )

ثم بُيِّنَ أبو العلاء قيمة الشعر ومهمته في الحياة فيقول :-

( لا تجهلوا فضيلة الشَّعر فإنَّه يذكر النَّاسِ ، ويحلُّ عِزَّه الفاتِك ،

ويعطِفُ مودَّةَ الكاشِح ، ويشجِّع الجَبان ) ( ٢ )

ويعلق الأستاذ الدكتور السعيد عبادة على هذا النص بقوله :-

( إنه لم يبعد عن جوهر النقد الأدبي ، لانه في الحقيقة تقويم لأهداف

الشَّعر ولموقف المجتمع منه على نحو يهيب بالشاعر أن يتسامى في شعره ، وأن

يلتزم بأمانة الكلمة في مجتمعه ، كما يهيب بالمجتمع أن يحترم الشاعر وأن يعرف

رسالته وأن يساعده على آدائها ) ( ٣ )

وقد أكد لنا مؤلف الكتاب أن نصَّ أبي العلاء السابق إنما يدلُّ على

أنَّ الدَّعوة إلى الأدب الهادف لغاية سامية إنما هي مدينة لأبي العلاء المعرِّي

الذي دعا إليها قَبْلَ الفكر الأوروبيِّ الحديث بقرون . ( ٤ )

ش كذلك يقرر مؤلف كتاب ( الأسس الجمالية في النقد العربي ) أن موقف

النَّقاد قد تغيَّر في صدر الإسلام حيث وُضِعَت للشَّعر مقوِّمات دينية وكان يلقي

القبول أو الرفض بحسب ما يُوَفَّر فيه من هذه المقوِّمات التي منها :

١ - ابن عبد الغفور الكلاعي . إحكام صنعة الكلام . تحقيق محمد رضوان الداية

ص ط عن كتاب د السعيد السيد عبادة . نصوص من نقد أبي العلاء

ص ٢٦ ط ١

٢ - المرجع السابق نفس الصفحة

٣ - المرجع السابق ص ٣٢

٤ - المرجع السابق نفس الصفحة - بتصرف .

الأخلاق القويمة ، الفضائل ، المواعظ ، العفة ، الهمة

والمروءة .... الخ ( ١ )

وما ينطبق على الشعر ولا شك لأنه من الأولى أن ينطبق على النثر لسهولة كتابته وبعده عن قيود الوزن والقافية .

وهذا الإتجاه الداعي إلى الخلق القديم يُعرَف بمذهب الكمال في الأدب ( الذي يرى أن الفن يمثل المناظر الأصلية أو الأخلاق الفاضلة والآراء العظيمة بخير مما هي في الواقع ، فيجعلها أعظم تأثيراً في العقول من حقيقتها ) ( ٢ )

وعلى هذا الأساس الكمالى وضع بعض الكتاب كتبهم في المدن الفاضلة ، أو كما يسميه الإفرنج ( البوتوبيا ) مثل بوتوبيا توماس مور ، وآراء أهل المدينة الفاضلة للفاراجي ، فقد تخيل مؤلفو هذه الكتب عالماً خلا من كل هذه العيوب ورسموا عالماً مثالياً كاملاً خلا من كل عيب .

وفيما يلي من الصفحات نُورد خلاصة مادعا إليهم المنفلوطى من قيم فاضلة ومعاني إنسانية سامية ترقى بالإنسان إلى أرفع الدرجات وتسمو بالأدب إلى أرقى المنازل وأسمائها ، إلى جانب إهتمام هذا الأديب بتجويد عيافته وحسن آدائه لتلك المعاني الفاضلة .

١ - عز الدين إسماعيل : الأسس الجمالية في النقد العربي ص ١٨١ ( بتصرف ) ط

٢ - أحمد أمين ، النقد الأدبي ص ٥٠ ، ٥١

## مقالاته الاجتماعية

---

( لا أستطيع أن أتصور أن الإنسان انساني حتى أراه  
مُحْسِنًا لأنني لا أعتد فصلاً صحيحاً بين الإنسان والحيوان  
الا الإحسان )

( ان الاحسان عاطفة كريمة من عواطف النفس تتألم لمناظر  
البؤس وصراع الشقاء ، فلو أن جميع ما يبذل له الناس  
من المال ويسمونه احسانا عن تلك العاطفة الشريفة  
لما تجاوز محلّه ولا فارق موضعه )

إنَّ لكلَّ مجتمع ظروفه ومشكلاته ، وقد رأينا في التمهيد ( ١ ) كيف كان المجتمع المصري في عصر المنفلوطي يعجُّ بالمشكلات التي تحتاج إلى علاج . . . والمنفلوطي كما يتراءى لنا في كتبه ومقالاته ، أديب حسَّاس رقيق الحاشية يشعر بشعور الآخرين من بني جنسه ، يفرح لفرحهم ، ويأسى لأحزانهم ، فيكفِّف بيده الآسية دموع البائسين والمساكين .  
ومن مقالاته في هذا الجانب ما فيه إصلاح للمجتمع وشفاء لأرواح الناس :-

### الكأس الأولى ( ٢ )

يعالج هذا الأديب الإنساني الكبير قضية من أهم القضايا الاجتماعية وهي الإقدام على شرب الخمر والدَّاءِ يَكْمُنُ أول ما يَكْمُنُ في الكأس الأولى منه ، وقد خَسَّ الأولى دون سواها ، لانَّها سبب الفساد وبداية الطريق ولولا الإقدام على تجربتها ، لما وقع مجرَّباً في الشرِّك الذي لا مفرَّ منه .

فها هو ذا المنفلوطي يدخل على صديقة وهو في أسوأ حالة صحِّية فيسأله

( مم تشكو ) ؟

فيجيب الصديق بعد زفرة كادت تتساقط لها أضلاعه : ( أشكو الكأس

الأولى . . . الكأس التي أودعتها مالي وعقلي وصحتي وشرفي ، وهما أنا ذا أودعها حياتي . . .

فيذكره المنفلوطي بنصائحته التي أسداها له في بداية الطريق والتي أعرض

عنها ، وكان جزاؤه الندم بعد فوات الأوان .

١ - فضلاً راجع التمهيد لهذا البحث ص ١

٢ - المنفلوطي النظرات ج ١ ص ٤٧



فيقول :-

( ما كنت نعلم حين نصحتني من غوائل هذا العيش النكد أكثر مما أعظم ،

ولكنني كنت شربت الكأس الأولى فخرج الأمر من يدي . ) ( ١ )

والمنظوظي عندما يتناول قضية كهذه ، نلاحظ أنه يأتي بها عن طريق القصّة

والحوار ، فتكون أقرب إلى ذهن السّامع وقلبه ثم يغتنمها فرصة لبث نصائح

بطريق غير مباشر ليضمن عدم ملل السّامع منه ، وبهذا تجد طريقها إلى القلوب ، وهذا

بالتالي يؤدي إلى أن تأخذ مقالاته قيمتها الاجتماعية التي اشتهرت بها لدى قرائه .

---

١ - المنظوظي . النظرات ج ١ ص ٤٩

## مدينة السَّعادة ( ١ )

ملخص هذا المقال ، أن المنظوطى رأى فى منامه مدينة جميلة ، يتجول فى جنباتها ويجول أرجائها الشَّاسعة والحافلة بحدائقها ، تغمرها السَّعادة ويحفظها الهناء ، لتفاهم أهلها وقناعتهم وصفاء نفوسهم ووفاء وعودهم ليس فيها غنى مُستذلٌّ للفقير ولا فقير حاسد لفنى ولا كبير يحقر صغير ولا صغير شاتم لكبير ، فالكلُّ فيهم سَواءٌ فى منازلهم ومساكنهم ورغد عيشهم .

وهذا مقال إجتماعي ، أرى أنَّ المنظوطى استوحى فكرته من قصة المدينة الفاضلة التى تحدث عنها القارابى ، ومن موضوع جمهورية أفلاطون المثالية .

والفرق بين ماكتبه هذا الأديب والقارابى أن المنظوطى عبَّر عن رغبته فى وجود مثل هذه المدينة عن طريق الرؤيا التى رآها ، وهذا أعجز دليلاً على ما تمنى السَّاء المنظوطى للمجتمع حوله من محبة ، وتفاهم ووثام تلك المُثُل الإنسانية العليا التى تخيلها فى مقاله فكتب يقول :-

( وأغرب ما استهوى نظرى أننى لم أر فى تلك المدينة ذلك التَّفَوت الذى أعرفه فى مدائننا بين الناس فى منازلهم ومراكزهم ، ومطاعمهم ومشاربهم وهياتهم ، وأزيائهم وكأنَّ جميع سكانها سَواسية فى حالة المعيشة ودرجة الثروة ) ( ٢ )

١ - المنظوطى . النظرات ج ١ ص ٦٨

٢ - المنظوطى . النظرات ج ١ ص ٧٢

ويقول أيضاً :

( تلك هي مدينة السَّعادة التي يعيش أهلها سعداء ، لا يشكون همّاً لأنَّهم قانعون ، ولا يُعْسِرُكون على أنفسهم حقداً ، لأنَّهم متساوون ، ولا يستشعرون خوفاً لأنَّهم آمنون ) ( ١ )

وهكذا ثبت لنا بالدليل الواضح - من المقالة نفسها - تأييد ما قلناه عن أمنية المنظوطي الدفينة في قرارة نفسه عن إصلاح المجتمع والتي تدلُّ على اتِّجاهه الإنساني النبيل في أدبه . ولا شك أنَّ هذه الأُمْنِيَّة تنبئ عن عاطفة كريمة ، ونفس طيبة يُسعدُّها ما يُسعدُّ البشرية .

## إلى الدّير ( ١ )

حدّثنا المنظوطى هنا عن رجل شكّا اليه أنّه كرّر زواجه مرّتين ، ولم يُوفّق فيهما  
ثم يتساءل ماذا يفعل ؟

فما كان من المنظوطى الا أن أشار عليه بالترهّب قائلاً له :-

( فإنى لا أرى لك إلا أن تتربّ ، وتتعرّب وأن تقول ما قاله هملت ، وقد زهد  
فى الزواج بعد ما عرف حقيقة المرأة وأدرك خبيّته نفسها :-

( إلى الدّير إلى الدّير ) ( ٢ )

وليس ذلك عندى برأى صحيح ، لأنّ الإسلام لا يعرف الدّير ، ولا يقرّ  
الترهّب : قال صلى الله عليه وسلم :-

- مامعناه- لا رهبانيّة فى الإسلام

وكان أحرى به وهو الأديب المسلم أن يفرّس الأمل فى قلب الشّاكى لأنّ المجتمع  
لا يشتمل على النماذج السيّئة فقط بل فيه المحسن والمسيّب ، وعلى الإنسان المسلم  
ألا ييأس من رحمة الله لفشله مرة أو أخرى ، بل عليه أن يظلّ مؤملاً فى توفيق  
الله ومعونته وأن يعيد التجربة مرّات ومرّات متوكّلاً عليه سبحانه وتعالى ( ومن يتوكّل  
على الله فهو حسبه ) وخاصة إذا حسّنت النّيّة وسَلِمَ القصد ، فقد قال تعالى :-

" وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ " ( ٣ )

١ - المنظوطى . النظرات . ج ١ ص ٨١ .

٢ - نفس المرجع ص ٨٣

٣ - آية رقم ٢ ، ٣ سورة الطلاق .

## عِرة الدهر ( ١ )

يعالج المنظوطى فى مقاله هذا مشكلة إجتماعية شائعة وهى إختلاف بعض الأزواج فى شبابهم ، إلى الحانات والمقاهى ، وترك زوجاتهم يقاسين مرارة الوحدة ولوعة الفرقة فى لياليهن الموحشة . ينتظرن هذا الزوج الذى هو بالمفقود أشبه منه بالموجود ، مما يؤثر فى نفسياتهن ، وقد يدفعهن ذلك إلى الحقد ثم إلى انتقام ، وقد شبه المنظوطى ذلك الموقف بين الرجل وزوجته بالدائن والمدين ، فالمرأة تخرج كل ليلة إلى مواطن السرور والبهجة تاركة زوجها فى أسوأ الأحوال وماذا لك إلا لأن عليه ديناً يجب أن تسترده منه فى حالة شدته ومرضه وحاجته الماسّة إليها ، فهذا هو ذا المنظوطى يصوّر لنا ذلك بلسان الخادم الذى يخاطب سيده قائلاً :-

( إن بيننا وبين غريمها صكاً مكتوباً وعليه أن يؤدى ما عليه من الديـن أقساطاً فى كل ليلة قسط ، على أن تتناوله بيدها ، وأن تكون مواعيد الوفاء فى أخريات الليالى ... )

قال السيد : ومن هو غريمها ؟

قال : أنت ياسيدى

نظر إليه السيد نظرة الحائر المشدود ، وقال : إننى أكاد أجنّ لفراصة ما أسمع ، وأحسب أنك هازٍ فيما تقول أو هازى فدنا منه الخادم وقال :

والله ياسيدى ما هزأت فى حياتي ولا هذيت إلا تذكرتك الليالى الطوال

التي كنت تقضيها خارج المنزل بين شهوة تطلبها وكأس تشربها ... ( ٢ )

---

١ - المنظوطى - النظرات ج ١ ص ١٠١  
٢ - المنظوطى . النظرات ج ١ ص ١٠٤ مع بعض التصرف

وهكذا مضى الخادم يذكر سيده بأخطائه وسوء تصرفه السابق  
مع زوجته مؤكداً له أنه لا يجني الآن إلا ثمار ماضيه الجائر .

ويتناول الأديب في نفس المقال السابق - مشكلة أخرى يحاول أن يلفت نظر  
الأزواج إليها وهي :-

خيانة الرجل لصديقه في زوجه وكيف أن هذا الصديق يستوفي دين  
الخيانة منه الآن .

كما يشـير المنظـوطي ألبعضاً في مقالـه إلى التفريط في تربية الأبناء  
والتهاون في توجيههم التوجيه التربوي الإسلامي السليم وترك حرية التصرف لهم  
في الأموال دون تنظيم أو توجيه اقتصادي صحيح ، الأمر الذي يؤدي إلى  
فقد الآباء لأبنائهم وهم في أحوج الظروف إليهم .

والمنظوطي حينما يلفت أفراد المجتمع إلى هذه الأخطاء السلوكية والتربوية ،  
إنما يدل على حرصه الأكيد على مصلحة المحيطين به من بني الإنسان وذلك الإهتمام  
بمشاكل الآخرين ما هو إلا موقف إنساني شريف يدل على نفس نبيلة وقلب رحيم . لا يريد  
إلا الخير والصلاح دائماً .

فها هو ذا يصـرّح بنصيحتـه الإنسانيـة قائلاً :-

( أيها الرجل لو وفيت لزوجك لوفت لك ، ولو أدبت ولدك لعناه أمـرك ،

ولو أحسنت إختيار صديقك ما خانك ، ولو رحمت نفسك ما خسرت حياتك ) ( ١ )

## أفسدك قومك (١)

من المشاكل السائدة في المجتمع أيضاً عدم الإهتمام بتربية النشء تربية خلقية سديدة ، والمنظوطي بصفته كاتب إنساني ، يلفت الأنظار إلى مشكلة هامة في المجتمعات وهي مشكلة الطفولة المشردة في كل مجتمع ، والتي يعزوها إلى الآباء الذين ينجبونهم ويتركونهم عالة على غيرهم من أفراد المجتمع . والبيت دون توجيههم توجيهاً سليماً يقول المنظوطي :-

( شريك في الجريمة أبوك ، لأنه لم يتعهدك بالتربية في صفرك ولم يحل بينك وبين مخالطة المجرمين بل كثيراً ما كان يسيخ لك ان رآك همت على ترك وضرت ، ويصفق لك إذا رأى أنك تمكنت من اختلاس درهم من جيب أخيك ) ( ٢ )

وهكذا يمضي المنظوطي في تعداد جنايات الآباء والأبناء وهم عنها غافلون . وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه ويلفت المنظوطي - أيضاً - النظر إلى ضرورة تطبيق نظام العقوبات ، وتنفيذ الحدود الإسلامية في المجرمين حتى لا يتعادي المجرم في إجرامه فيهلك المجتمع حوله لعدم هذا التطبيق .

وهذه كلها من غير شك نظرات إسلامية صائبة لا ينكر دورها الفعال في بناء مجتمع آمن مطمئن تسوده الألفة والوئام ولذلك كان العقاب شديداً لمن يسعى فساد الأرض فساداً قال تعالى :-

١ - المنظوطي . النظرات ج ١ ص ١٠٩

٢ - المنظوطي - النظرات ج ١ ص ١٠٩

( إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا ، أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ ، أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) (١) صدق الله العظيم .

---



## الإنصاف (١)

حاول المنظوطى فى هذا المقال أن يصلح أفراد المجتمع الذين سيطر عليهم التفاف ، فالصديق الذى يرى عيباً فى صديقه لابد أن يلفت إنتباهه إلى ذلك العيب إن كان منصفاً .

وفى الحقيقة إن هذه المحاولة إنما هى انعكاس لتأثير الإسلام عليه لأن هذا الدين يريد من المؤمن أن يكون مرآة لأخيه وهذا مانجده فعلاً فى هذا المقال الذى بين أيدينا فيقول مثلاً :-

( إن صديقك الذى يسم لك فى حالى رضاك وغضبك وحلمك وجهلك وصوابك وسخطك ، ليس ممن يفتبط بمودته ، أو يوثق بصداقته ، لأنه لا يصلح أن يكون مرآتك التى تتراعى فيها فتكشف لك عن نفسك ، وتصدقك عن زيتك وشيئك وحلوك ومرك . . (٢) ولكن . . . ما الذى جعل المنظوطى يلفت النظر إلى هذه الخلقة ؟؟

إن الذى جعله يفعل ذلك من غير شك - هو ما شاهدته من بعض الناس الذين يتعجبون من الشخص الصادق الذى قد يمدح فلاناً اليوم ثم ما يلبث أن يعيب عليه بعض أموره غداً ظانين أنه يظهر مالا يضمن ويخفي غير الذى يُسدي . فيقول المنظوطى :-

١ - المنظوطى . النظرات ج ١ ص ١٣٥

١ - المنظوطى . النظرات ج ١ ص ١٣١

( ولو أنصفوك لأعجبوا بك وبصدقك ولا أكبروا سلامة قلبك من هوى النفس

وظلالها ، ولستموا ما بدا منك اعتدالاً لا نفاقاً . . ) إلخ ( ١ )

وموقف المنظوطى السابق من المنصف يدل على روح إنسانية صادقة فيه .

---

## الشَّعْرَةُ الْبَيْضَاءُ ( ١ )

يتألم المنظوطى فى بداية هذا المقال لظهور شعرة بيضاء فى رأسه ولكنه ما يلبث أن يرحب بها ، لأنها رسول أمل يبشر ، بدنو فراقه لهذا العالم ، الطيس بالمفاسد الخلقية التوتزهد المرء فى حياته وتزهد فى العيش مع أمثال هؤلاء المفسدين وهو بذلك ينبئه إلى وجود هذه المفاسد فى بعض أفراد المجتمع ، ويتمنى لو كان حياً فى غير هذه البيئة المكتظة بالحق والحسد والهمم والفيرة وحب الانتقام .

كل هذا دليل واضح على ثورة المنظوطى إتجاه مفاسد مجتمعه الذى يحيط به فما هوذا يقول :-

( أليس كل ما أعدّه عليك من الذنوب أنك طليعة الموت والموت هو الذى يخلصنى من منظر هذا العالم المملوء بالشمور والآثام والحافل بالآلام والأسقام الذى لا أغمر عينى فيه إلا لأفتحها على صديق يغدر بصديقه وأخ يخون أخاه ، وعشير يحدّد أنيابه لمضغ عشيره ، وغنى يضئ على الفقير بفتات مائدته وفقير يقتصر على الدهر حتى يلفه الموت فلا يظفر بأمنيته وملاك لا يفرق بين رعيتهم وماشيته ، وملوك لا يميز بين ملك الملوك ورسوليه ) ( ٢ )

١ - المنظوطى . النظرات ج ١ ص ١٤٤

٢ - المنظوطى . النظرات ج ١ ص ١٤٧

والمُلاحظ أن حديث المنفلوطي هذا يعبر عن الرغبة الخفية والأُكيدة  
 في إصلاح المجتمع وثّ الفضائل الإنسانية فيه ، وإلا فالموت عنده أفضل  
 من العيش في أحضان الرذيلة .

---

## الصَّيَادُ ( ١ ) .

موضوع إجتماعى هادف يحكى فيه المنظولى أنه التقى بصديق له قصر عليه قصة صياد كان قد لقيه أثناء شراؤه سمكاً ، وقد نقدته الثمن بلا مساومة ، ففرح الصياد ودعا له بدعوة هي لب الموضوع وجوهره حيث قال له :-

( أَحَسَّنَ اللَّهُ إِلَيْكَ كَمَا أَحْسَنْتَ إِلَيَّ وَجَعَلَكَ سَعِيداً فِي نَفْسِكَ كَمَا جَعَلَكَ سَعِيداً فِي مَالِكَ ) ( ٢ )  
ففرح الرجل فرحاً شديداً بهذه الدعوة .

والمأمل فى هذه الدعوة يجد أنها تناولت موضوعاً اجتماعياً ذا أهمية واضحة وهو :-

الدعوة بسعادة النفس التى لا تتوفر لكل انسان سعيد فى مظهره ميسور فى ماله مرفه فى عيشه بسعادة النفس الإنسانية أمر معنوى ونسبي فى نفس الوقت فما يوفّر المال والصّيت والسُّمعة عند بعض الناس من السّعادة قد لا يوفّره لغيرهم من ملأ القناعة قلوبهم وقد يحصل بعض الناس على مزيد من المال ورفعة فى السُّمعة ومع ذلك لا يشعرون بالسّعادة فى نفوسهم ، لأن هذه الأمور متع زائلة ونعيم مؤقت ، فلا دوام إلا لله سبحانه وتعالى ، وكلما حاز المرء من كثرة المال وطو الصّيت كلما تمنى المزيد والمزيد منه إلى الحدّ الذي يعكّر عليه ما هو فيه من نعيم وخير .

١ - المنظولى . النظرات ج ١ ص ١٤٩

٢ - المرجع السابق نفس الصفحة

والمنطوطى عندما يتناول موضوعاً كهذا إنما يتناوله عن طريق القصة والحوار  
 - كما نؤكد دائماً - ليكون ذلك الموضوع أقرب إلى قلب السامع وإنتباهه لأن  
 إسداء النصح بطريق مباشر قد يودّي إلى الملل والسآمة منه أو من قائله .

والذى زجّحه هنا أن هذه القصة من بنات خيال المنطوطى وليسست  
 حاصلة فعلاً كما حكّاها عن صديق له - وإنما مرت بخاطره عندما رأى صياداً ما -  
 وما أكثر الصيادين على نهر النيل !

فها هو ذا ينقل لنا حديث القناعة على لسان الصياد وإجابة على سؤال  
 سائل قال له :-

ألا تشعر بضالة نفسك بين الأغنياء وأصحاب القصور والعربات الفاخرة ؟  
 فقال :-

( إنما يصغر جميع هذه المناظر فى عيني ويهوّئونها عندي أنى لا أجسد  
 أصحابها قد نالوا من السعادة بوجودها أكثر مما نلتها بفقدانها ) ( ١ )

ثم يقول :  
 ( لا فرق بينى وبين الفنى ، إلا أن الناس لا ينهضون إجلالاً لى  
 إذا رأوني ولا يمدون أعناقهم نحوى إذا مررت بهم وأهون به من فرق لا قيمة له  
 عندي ولا أثر له فى نفسى ) ( ٢ )

---

١ - المنطوطى . النظرات ج ١ ص ١٥٠

٢ - المنطوطى . النظرات ج ١ ص ١٥٢

ونأخذ على المنظوطى مانقه على لسان الصياد فى قوله :-

( لا علاقة بينى وبين أحد فى هذا العالم إلا طك العلاقة بينى وبين  
ربى فأنا أعبده حقَّ عبادته وأُخلص فى توحيدِهِ ، فعلاً أعتقد ربوبيةَ أحدٍ سواه ،  
ولا أكتفك ياسيِّدى إنَّنى لا أستطيع الجَمْع بين توحيد الله والإعتراف بالعظَمَة  
لأحد من النَّاس . . . . ) إلى أن يقول ( حتَّى ولو طلع على المَلِك المُتَسَوِّجُ  
فى مواكبه وكواكبه فى راياته وأعلامه ، لما خفق قلبى خفقة الرهبة والخشية ولا شغل  
من نفسى مكاناً أكبر ممَّا يشغله ملك التَّمثيل ) ( ١ )

نقول إننا نؤخذ المنظوطى إعتقاده فى أن الخوف من الملك هو تعظيم  
إلهيَّ له ، لأن احترام الملك فى الدنيا غير تعظيم الإله عزَّ وجلَّ من غير شكٍّ -  
فشتان شتان بين العبد وربِّه مَهْمَا سَمَتْ درجة ذلك الإنسان ، وهل ننظر إلى الملك  
فى الدنيا كنظرنا إلى ملك التَّمثيل كما يقول المنظوطى ؟  
كما يتجلَّى فى هذا المقال إتجاه المنظوطى الإسلامى فى قوله على لسان  
الصَّيَّاد أيضاً :-

( ولقد كان هذا اليقين أكبر سبب فى عزائى وراحة نفسى من الهموم  
والأحزان ، فما نزلت بي ضائقة ولا هبت على عاصفة من عواصف هذا الكَوْن  
إلا انتزعني من بين مخالبيها وهونها عبي ، حتَّى لا أكاأ أشعر بوقعها

وكيف أتألم لمصاب أنا أعلم حق العلم أنه مقدور لا مفر منه وأنني مأجور طيِّبه  
على قدر احتمالي إياه ، وسكوني إليه ( ١ )

نقول إن هذا المعنى معنى إسلامي قد أخذهُ المنفلوطي من آيات الصَّبر  
في القرآن الكريم وما أكثرها !

نذكر منها قوله تعالى :-

(... وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . ) ( ٢ )

وآيات الصَّبر كثيرة في القرآن نقتصر هنا على الآية السابقة لبيان  
أن المنفلوطي متأثر بالإسلام في اتجاهه الإنساني الذي تحدث بوحى منه  
في كلِّ مقالاته أو قصصه .

---

١ - المنفلوطي . النظرات ج ١ ص ١٥٣ .

٢ - سورة النحل . آية ٩٦ .



## الإنتحار (١)

لقد تولدت فكرة هذا المقال عند المنظوطي من معاشرته للمجتمع المحيط به كما عهدنا ذلك في كل مقالاته الاجتماعية ونظراً لأهمية هذه المشكلة وكثرة شيوعها ، نلاحظ أن المنظوطي عالجها في مقالين من مقالاته فـ في النظرات ٠ (٢)

وقد تأثر المنظوطي في معالجته لهذه المشكلة بالدين الإسلامي الذي طالما حافظ على حق الإنسان محافظة شاملة في كل نواحي حياته . وقد ظهر هذا التأثر في معاني المنظوطي وألفاظه في المقالين فنستمع إليه مثلاً في قوله :-

( ولورث التمييز تربية دينية ، لما هان عليه أن يخسر سعادته الأخروية خسراناً مبيناً أسفاً على أن لم ينل كل حظه من السعادة الدنيوية ) ( ٣ )  
فالمعنى السابق مأخوذ من آيات قرآنية كثيرة تحض على شراء الآخرة بالدنيا والوفاء بعهد الله والإيمان به قال تعالى :-

( ..... إِنَّهُ لَا يَأْسِرُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ) ( ٤ )

وقال تعالى :-

( إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَبَائِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) ( ٥ )

١ - المنظوطي . النظرات ج ١ . ص ١٥٥

٢ - وجد مقال آخر بهذا العنوان في النظرات ج ٢ . ص ١٥٨

٣ - المنظوطي . النظرات ج ١ . ص ١٥٥

٤ - سورة يوسف آية رقم ٨٢

٥ - سورة آل عمران آية رقم ٧٧

ويضع المنظوطى اللوم كله على المجتمع الذى يحيط به سواء كان هذا المجتمع أسرة التلميذ أو المدرسة أو غيرها لأن كل واحد من هؤلاء جميعاً ، يفرس فى ذهن الطفل منذ نعومة أظفاره أن الوظيفة هى الشيء الأساسى بل هى غاية فـى ذاتها يجب أن يسعى لتحقيقها مهما كلفه ذلك ولو كان الثمن حياته .

وأما أستاذه فلا يقل دوره عن دور الأب والأسرة فى غرس نفس الفكرة فى ذهن الطالب ، وكذلك المجتمع لا ينظر بعين الاعتبار والتقدير إلا لمن أُوتِيَ الجاه والمنصب الحسن والوظيفة الحكومية مهما قل شأنها .

وهكذا ينشأ الفتى وهو متشبع بالذهن والفؤاد بترك الأفكار ، فإذا قُدِّر له الفشل فى دراسته لم يترك باباً آخرًا غير باب العلم يـلـجأ إلى الانتحار ، فهو - فى نظره - أسلم طريقة للخلاص من الفشل وحديث الناس عنه . وهكذا يقول لنا المنظوطى :-

( لا يجنى الطالب على نفسه ، وإنما يجنى عليه والده وأستاذه والمجتمع الذى يعيش فيه ) ( ١ )

وبهذا يستطيع المنظوطى أن يهمل فى آذان الآباء والمدرسين والمجتمع كله أن يغيروا من هذا الأسلوب فى معاملة الناشئين لمنع تكرار المأساة .

وهذه الطريقة أيضاً عالج الأديب موضوع الانتحار الذى كتبه فى الجزء الثانى  
من النظرات والذى يحكى فيه قصة انتحار شخص لوفاة صديق عزيز عليه .

والجميل فى ذلك أن المنظوطى عالج أمثال هذه القضايا باتجاه إسلامى  
سديد ، وعندما نقول باتجاه إسلامى إنما نقصد تلك المعايير الإنسانية الفاضلة  
التي تكفل للمجتمع حياة سعيدة هانئة يحفظها الأمن والإطمئنان الدائم .

---

## الجمال ( ١ )

تتجلى في هذا المقال فكرة المنظوظي عن الجمال ؛ فالجمال في نظره هو التناسب بين أجزاء الشيء أو مركباته فالوجه الجميل جميل للتناسب بين أجزائه ، وما كان المقد مفتوناً به لدى الحسناء ، إلا لتناسب بين حباته ، وهكذا يوضح لنا الأديب فكرته ليصل بنا بعد ذلك إلى مشكلة إجتماعية يودّ علاجها وهو وجود بعض الأذواق المريضة في المجتمع فيقول :-

( إن كثيراً من الناس يستحسنون الأنف الصغير في الوجه الكبير ، والرأس الكبير في الجسم الصغير ولا يفرّقون بين البرص ، في الجسم الأسود والخال في الخدّ الأبيض ) ( ٢ ) إلى أن يقول :-

( أولئك هم أصحاب الأذواق المريضة وأولئك هم الذين تصدّر عنهم أفعالهم وأقوالهم مشوهة غير متناسبة ولا متلائمة ، لأنهم لم يدركوا سرّ الجمال فيصدر عنهم ، ولم تألف نفوسهم فيصبح غريزة من غرائزهم ) ( ٣ )

وهكذا عرض لنا المنظوظي المشكلة التي يريد علاجها مع اعترافه أنه ليس من الضروري شفاء مريض الذوق من مرضه تماماً كما أنه ليس من المحتمّ شفاء المجنون من داءه ، وإنما من الممكن حلّ تلك المشكلة بطريق غير مباشر كأن يلفت نظر صاحبها إلى مواطن الجمال في الأشياء ومدى التناسب بين أجزائها لأنّ المواجهة

١ - المنظوظي . النظرات . ج ١ . ص ١٥٨

٢ - المرجع السابق . ص ١٥٨ ، ١٥٩

٣ - المرجع السابق . ص ١٥٩

فى مثل هذه الأمور قد تؤدى إلى تعقيدها أو نفور الشخص وإعراضه يقول المنظوطى :-

( كما أنه ليس كل مجنون يُرجى شفاؤه ، ولا كل مريض يُرجى إيلاله كذلك ليس كل من فسُد ذوقه يُرجى صلاحه ، فإن رأيتَ من تؤمِّل فى إصلاحه خيراً ، وتجِد فى نفسه استعداداً لتقويم ذوقه فعلاجه أن تحفَّ بأنواع الجمال ، وتدأب على تنبيهه إلى متناسباته ومؤلفاته ، وإن استطعتَ أن تعلِّمه فناً من الفنون الجميلة كالشعر والتصوير والموسيقا ، فإنها المقومات للأذواق والغارسات فى النفوس ملكات الجمال ) ( ١ )

والمنظوطى فى حرصه الشديد - السابق - على علاج أصحاب الأذواق المريضة إنما يهدف إلى علاج مشكلة أخرى وهى علاج الخطأ فى أقوالهم وأفعالهم التى قد تؤدى إلى نفور الناس منهم لأن سلامة الذوق وجماله يؤدى إلى سلامة اللفظ وتخيره فى الحديث مع الناس وإلى سلامة أفعال الشخص وحسن معاملاته معهم ،

وبهذا يكون المنظوطى قد أسدى عملاً إنسانياً فاضلاً للمجتمع كله عندما يحاول أن يهذب أذواق أفرادِهِ لأنه بالتالى يهدف إلى تهذيب أقوالهم وأفعالهم .

## الحُبُّ والزَّوْج (١)

يحكى المنظوطى فى هذا المقال عن قصَّة قرأها فى إحدى المجلَّات لكاتب ما ، وهذه القصَّة تتناول مشكلة رجل ثريٍّ طيب الخلق بلغ الأربعين من عمره وتزوَّج فتاة تصفُّره عشرين عاماً ، ولكنَّه حبَّه لها أسبغ عليها من ماله ماشاء أن يسبغ بنفسه وماله ، ولكنَّها بعد فترة من زواجهما تركت داره إلى دار عشيق لها يقرَّبها سناً مدعيَّة أن تصرفها هذا العفاف والشرف والفضيلة ، أمَّا الجريمة التى لا ترتضيها أن تعيش فى دار رجل لا تحبُّ ولا تقبل الحياة معه .

وهكذا عرض علينا المنظوطى مشكلة إجتماعية متكرِّرة مع اختلاف صورها وأشكالها ..

ومعد أن عرضها علينا بدأ يبدى رأيه فيها كعادته دائماً فى مقالاته = ورأيه هنا يبدو فيه العلاج الصحيح لها .

وُخلاصة هذا الرأى أنه لا يصحَّ أن يكون أساس المُعاشرة فى الزَّوْج هو الحُبُّ فقط بل لابدَّ أن يُبنى على إحترام هذا الرِّباط المقدَّس مهما كانت الظروف وتبدَّلت الأحوال ، وإلَّا لما كان هناك داعٍ لأن تُحافظ الزَّوجة على زوجها ولا أن يحافظ الزوج على زوجته ولتركَ كلُّ منهما الآخر لمجرد أن يجد من هو أجمل من الأوَّل أو أشرى منه .

والحقيقة أن هذه الأمور تافهة لا يصح أن ترتبط دوام العلاقة الزوجية بها

يقول المنفلوطي :-

( إن الضجر والسآمة من الشيء المتكرر المتردد طبيعة من طبائع النوع  
الإنساني ، فهو لا يصبر على ثوب واحد أو طعام واحد أو عثير واحد ، وقد  
علم الله سبحانه وتعالى ذلك عنه ، وعلم أن نظام الأسرة لا يتم إلا إذا بُني على رجل  
وأمرأة تدوم عسرتهم ، ويطول إئتلافهما ، فوضع قاعدة الزواج الثابت ليهدم بهما  
قاعدة الحب المضطرب ، وأمر الزوجين أن يعتبر هذا الرباط رباطاً مقدساً حتى يحول  
بينهما وبين رجوعهما إلى طبيعتهم ، ونهايهما في أمر الزوجية مذهبهما في الطعام  
والمشارب من حيث الميل لكل جديد والشغف بكل غريب ) ( ١ )

ويمضي المنفلوطي في دفاعه عن رأي هذا بكل ما أوتي من وسائل الإقناع  
المنطقية الرادعة لكل زوج أو زوجة عن فعل كهذا .

والمنفلوطي في علاجه لهذه المشكلة وإبداء رأيه فيها إنما يدلنا على الروح  
الإسلامية المتعمقة في نفسه إلى أبعد الحدود مما يدفعه إلى الفيرة على حدود  
الدين ورفضه للزنا بشدة إذ يقول :-

( أما وقد وصل الحد إلى تزيين الزنا للزانية وتهوين أمه عليها ، وإغراء  
العفيفة الصالحة بالتمرد على زوجها والخروج على طاعته كلما دعاها إلى ذلك  
داع من الهوى ، فهذا ما لا يطاق احتمال له ولا يستطاع قبوله ) ( ٢ )

١ - المنفلوطي . النظرات ج ١ ص ١٧٧

٢ - المنفلوطي . النظرات ج ١ ص ١٧٦

ويرى الأديب أن الوقاية في كل الأمور خير من العلاج ولذا يطلب من الراغبين في الزواج - ذكوراً كانوا أو إناثاً - ، أن يختار كل واحد منهم الصفة التي يحبها في زوجه قبل إتمام العقد ، فإذا عُدَّتْ عُقْدَةُ النِّكَاحِ فعليهم إحترام ذلك إلى درجة القدسية وأن يتخذ كل زوج زوجه صديقاً له لا مجرد زوجاً .

وانه لينعم الرأي رأيه لأنه قوامه الإحترام وأساسه تعاليم الإسلام التي تدعو إلى راحة الإنسان وإطمئنانه في جميع أطوار حياته وظروفها ، والمنظوي بصفته كاتب رحيم القلب إنساني المشاعر لا يألو جهداً في الحرص على بناء الأسر وجمع شملها على الخير والوفاء دائماً .



## الزَّوجَتَانِ ( ١ )

وهو موضوع يعالج مشكلة إجتماعية شائعة بتصرف إنسانى بديع وهو — هذه  
المشكلة هى :-

طمع بعض الرجال غير الراشدين فى إلاقتران بزوجات آخذات من المدنية  
الفريية المنحلة بأوفى نصيب حتى وإن سبق لهم الزواج وبقاء إارتباط بزوجات  
صالحات ، فهم يفضلون تلك المرأة المختفية وراء ستار المظاهر البراقة على من  
تمتع بأصالة الجوهر وحسن المخبر .

أما إذا تم لهم ما أرادوه من إلاقتران بالأخرى ، فيهبوا بهم قدّهم إلى  
الحضيض مطأطئي الرؤوس بعد أن كانوا شامخي الأنوف فى أحضان سعادة تامة  
مع الزوجة الأولى الصالحة .

وهذا المقال كغيره من مقالات المنظوطى إجتماعية ذو اتجاه إنسانى رفيع  
لأنه يحمل العبرة والعظة لبعض فئات المجتمع من الرجال ، تلك العبرة التى يجب  
أن ينتبه لها كل رجل راشد وهى حسن اختيار الزوجة ، لأنها اليوم زوجته وغداً  
أم لأبنائه وهى فى كل الأحوال أساسهم فى بناء المجتمع .  
وقد وجه الإسلام إلى ذلك حيث قال صلى الله عليه وسلم :-

( . تُنكِحُ النِّسَاءَ لِأَرْبَعٍ ، لِمَالِهَا ، وَلِحَسَبِهَا ، وَلِجَمَالِهَا ، وَلِدِينِهَا —  
فاظفر بذات الدين تربت يداك ) ( ٢ )

١ - المنظوطى . النظرات ج ١ ص ١٩١

٢ - ابن ماجه - سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد عبد الباقي ج ١ ص ٥٩٧ ط ١٩٥٢

ونلاحظ أن المنظوطى وإن لم يأت بهذه النصيحة بطريق مباشر ، ولكنه  
- كعادته - أتى بها بطريقة قصصية ، فحكى على لسان صديق له :

أن امرأة صالحة ظلمها زوجها وتزوج بأخرى وهى ماتزال فى عصته - وكانت  
هذه الزوجة الأخرى على نصيب وافر من المديونة الفاسدة ، وترك ذلك الزوج  
زوجته الأولى تقاسى مرارة الفُرقة والحِرمان حتى طلقها أخيراً ، ثم دارت عليه  
الدائرة ، فساءت العلاقة بينه وبين زوجته الأخرى حتى أذاقته مرارة الحنظل  
بسوء معاملتها ودناءة خلقها ، فنَدِم على ما فات وهيَّات هَيَّات ( ١ )

وهنا يلفت المنظوطى نظر الرجال إلى أمثال هؤلاء الزوجات المظلومات اللاتي  
يحتجن العطف والتقدير بعد أن طلقن من أزواجهن الجائرين ، فقد تزوج ذلك  
الصديق تلك المرأة الصالحة لأنه بُحث عن امرأة عفيفة نقيّة طيّبة النفس والخلق ولم يجد  
أفضل من زوجة ذلك الرجل الظالم التى طلقها ليتزوج بأخرى - هي أرقى منها فى نظره -  
ثم تكفل ذلك الصديق بالزوجة الصالحة وابنتها وصان كرامتها وعزز شأنها ، فكان  
عمله هذا عملاً إنسانياً فاضلاً ، لإشفاقه على تلك المسكينة وصونه لِعِرضها وشرفها  
وابنتها .

وهو موقف قل من الرجال من يقفه أو يتصرف مثله لأن كثيراً من الرجال يرفضون  
الزواج من زوجات ثيبات لهن أطفال من الرجل السابق أو حتى ليبرلهن ، غير  
مقدّرين قبل ذلك الرفر ظروف هؤلاء النساء مع الزوج الأول .

---

١ - المنظوطى - النظرات ج ١ ص ١٩١ بتصرف

ولنستمع إلى المنظوطي كيف يحكى ذلك الموقف الإنساني على لسان الصديق  
الذي روى عنه الحادثة فيقول :-

( فاعلم أنها دفعت زوجها إلى موقف القضاء فضاقت بأمرها ذرعاً ، فطلّقها وكنت  
أفكر في ذلك التاريخ - كما تعلم - في الزواج من زوجة صالحة أجد السعادة في  
العيش بجانبها ، وما كنت لأجد زوجة أشرف نفساً ولا أكرم عُصراً ولا أذكى قلباً  
منها ، فتزوجتها ، فامتعت نفسي بخير النساء ، وأنقذت الإنسانية المعذبة من شقوتها  
ولائها . ( ١ )

ولاشك أن الأديب عندما يتناول أمثال هذه الظواهر في مقالاته ، إنما يدل على  
ميله الإنساني وإعجابه بالمواقف النبيلة ، وذلك لإعجاب هو دليل على نفسه الرحيمية  
ورغبته في نشر الفضائل الإنسانية العظيمة الأثر في إصلاح البشر .

## فِي سَبِيلِ الْإِحْسَانِ ( ١ )

يرى المنظوطى فى هذا المقال أَنَّ الإحسان فى المجتمع المصرى قد أصبح  
لا يَصِيبُ مَوْضِعَهُ ولا يُعْطَى لِمُسْتَحَقِّهِ فيقول :-

( الإحسان شىءٌ جميل وأجمل منه أن يحلَّ محلَّه ويصيب موضعه ، الإحسان  
فى مصر كثير ، ووصله إلى مستحقِّه وصاحب الحاجة إليه قليل ، فلو أضاف المحسن  
إلى إحسانه إصابة الموضع فيه لما سمع سامع فى ظلمة الليل شكاةً بائسَةً وأنَّه  
محزون ) ( ٢ )

ثم يقصُّ علينا الأديب قصةً معظم الموسرين فى مصر الذين يهبون صدقاتهم  
لغير مُسْتَحَقِّينَها وما ذلك إلا رياءً وسمعةً كالذين يقيمون ولائم سنوية لمشايخ الطُّرُق  
ويدفعون الأموال فى ليالى موالد البيومى والعيفى والأموال التى تُوضَع فى صناديق  
الأُضْرحة وما إلى ذلك ( ٣ )

ثم ينبِّه المنظوطى إلى ما يفعله معظم المُتَسَوِّلِينَ فى أنفسهم من العاهات  
لا ستدرار عطف النَّاسِ عليهم ، كقطع أرجلهم أو تشويه أيديهم وأعينهم لجمع أكبر  
قدر مُمَكِّن من المال .

١ - المنظوطى . النظرات. ج ١ . ص ١٩٨

٢ - المرجع السابق. نفس الصفحة

٣ - المرجع السابق . ص ٢٠٣

ونلاحظ أن إشارة المنظوطى هذه إلى مثل تلك الأفعال التى يفعلها المتسولون إنما ظفت نظر معظم المتصدّقين الذين لا يخطر فى بالهم مثل هذه الأمور ويظنّون أن إحسانهم قد وُضع فى موضعه وها هو كذلك .

ثم يقترح هذا الأديب حلاً للمشكلة فيقول :-

( أقتراح أن يقوم جماعة من سُراة الأئمة ووجوهها ، وأصحاب الرأى فيها بتأليف مجتمع فى القاهرة يُسمّى مجتمع الإحسان ويكون له فى كل مدينة من مدائن الأقاليم فرع تابع له ) ( ١ )

ويوضح لنا فى نهاية المقال الأعمال التى ينبغى أن يقوم بها هذا المجتمع من تعليم الناس كيفية وضع إحسانهم فى مكانه المناسب ، وأن يعتبر هؤلاء الناس أن هذا المجتمع كبيت مالٍ لهم يجمعون فيه الصدقات ثم تُوزع على مستحقّيها من اليتامى الذين لا كاسب لهم ، والقيام بأوَدِّ العاجزين عن الكسب وتفقد شؤون الذين نكبهم الدهر ، والإنفاق على من يتوسّم فيهم الذكاء والرفطنة ويرجو أن تنتفع بهم الأمة ( ٢ )

واقترح المنظوطى هذا إنما يدل على مشاركته الفعالة فى حل مشاكل المجتمع ، ولا شك أنه أيضاً لا يحل المشكلة فى المجتمع المصرى فحسب ، بل فى كل دولة مُسلّمة ، وهذه المشاركة الفعالة من الأديب إنما تدل على نغير إنسانية صافية تسعى إلى الخير دائماً وترقى بالمجتمعات البشرية إلى أسنى الفضائل والمثل الإنسانية.

١ - المنظوطى . النظرات، ج ١ . ص ٢٠٤

٢ - المنظوطى . النظرات، ج ١ . ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ بتصرّف

## الاحسان في الزواج ( ١ )

مقال إجتماعي يُظهر موقف المنظوطى الإنسانى في معالجته للمشكلة التى استشير فيها ، وهى زواج أحد الشباب من امرأة ساقطة رحمةً بها وإنقاذاً لها من سوء حالها ، فسُئل المنظوطى عن رأيه في ذلك فأجاب :-

( فإن كان حقاً ما تقول من أن باعته إلى ذلك الرحمة والرأفة والحنان والشفقة ، فقد أحسن كل الإحسان ولا أحسب أن بين أعماله الصالحة عملاً هو أفضل عند الله دُخراً وأعظم أجراً من هذا العمل الصالح .

العِرض أثنى من الحياة ، فإن كان من يمنح الحياة فاقدها شريفاً ، فأشرف منه من يرد العِرض الضال إلى صاحبه المفجوع فيه. ) ( ٢ )

نعم ذلك هو رأى المنظوطى الذى يدل على نفس نقية رائدة إلى الخير والصلاح ، وهل هناك أحسن من أن يتمنى الرجل هذه الأمنية التى وردت في قوله :-

( ليت الرجال يتفقون جميعاً على أن يستنقذوا بهذه الوسيلة الشريفة كل امرأة ساقها فقرها وعدمها أو فقد عائلها إلى البغاء ، بل ليتمتعوا على الزواج منهم قبل أن تضيق بهن حلقات العيش فيسقطن ) ( ٣ )

وهكذا يقف المنظوطى في مقاله هذا إلى جانب المرأة الساقطة ويطالب الناس - خاصة الرجال منهم - إنقاذها من وحل الرذيلة التى تعيش فيها وبين لهم مشورة ذلك العمل عند الله عز وجل .

---

١ - المنظوطى . النظرات . ج ١ . ص ٢١٠

٢ - نفس المرجع . ص ٢١٣ .

٣ - نفس المرجع السابق ، والصفحة .

وإن كنا نقدّر في المنظوطي عاطفته الحساسة وتبكت إحسان من نفسه .  
إلا أننا ننتقده في غلبة تلك العاطفة على العقل ، لأنه نسي أو تناسى بسبب  
 تلك العاطفة الشرط الأساسي في الزواج وهو اختيار المرأة الصالحة المؤمنة قبل  
 كل شيء ، ثم النظر إلى ما تطلبه رغبته فيها من صفات خلقية لا اندفاع وراء عاطفة  
 الشفقة نحوها ، لأن ارتباط الزواج بأمور كهذه قد يؤدي إلى فشله في يوم ما ،  
 وبذلك لا يؤتي هذا الزواج ثماره المرجوة ، بل ربما أدت الشفقة إلى قصر الحياة  
 الزوجية وعدم استمرارها لمجرد حدوث أية هفوة من تلك المرأة فيطلقها الرجل  
 ويفقد مع طلاقها ثواب الإحسان الذي بذله بل ربما تحمل إثمًا لمنه عليها لأنَّه  
 أنقذها من عذابها السابق .

أما عن التماس المنظوطي العذر للمرأة المومس وأنها لم تقع في الخطأ إلا لأنها  
 لم تجد من يقوم على نفقتها ، فلا نقبله منه لأن كثيراً من السيدات اللائي دار عليهن  
 الزمن دورته ، فأصابهن في أزواجهن وترملن مع وجود أطفال لهن لا ميعيل لهم ولا معين  
 - إلا الله - ومع ذلك وجدن العمل الشريف كالخدمة في المنازل مثلاً أو غيرها -  
 من الأعمال الشريفة وقمن على تربية أبنائهن تربية طاهرة سليمة بعيدة عن الوقوع  
 في الإثم والرذيلة .

ويبدو أن نفس المنظوطي الرحيمه وعاطفته الإحسان المتأصلة فيها وقلبه المتعاطف  
 مع المحتاجين في كل ذلك أنساه الاعتبارات الواجبة عند الرغبة في الزواج .

## الجَزَع ( ١ )

مقال يعالج مشكلة إجتماعية شائعة بطريقة المنظوطي الإنسانية المعروفة وهذه  
 المشكلة هي قصة شاب رَسَبَ في امتحان البكالوريا ، ولا يعلم كيف يتصرف مع أهله  
 وذويه . فهو لا ينفك باكياً مُتَجِيباً رَغْمَ مواساة الأصدقاء له .  
 الأمر الذي جعل المنظوطي يواسيه بكلمات مُثْجَةٍ لِلصَّدر مُريحَةً لِلنَّفْسِ والفؤاد فيقول :-  
 ( مَالِكُ تَبْكِي بِكَاءٍ الْوَائِقِ بِمَوَاسَاةِ الْأَيَّامِ ، وَمَطَاوَعَةِ الْأَقْدَارِ ؟ وَهَلْ تَسْتَطِيعُ  
 أَنْ تُهَرِّزَ لَنَا صُورَةَ الْعَهْدِ الَّذِي أَخَذْتَهُ عَلَى الدَّهْرِ أَنْ يَكُونَ لَكَ كَمَا تُحِبُّ وَتَشْتَهِي ؟  
 وَطَى الظَّنَّ أَنْ لَا يَدُورُ إِلَّا بِسَعْدِكَ ، وَلَا يَجْرِي إِلَّا بِجَدِّكَ ؟ وَطَى الْقَلَمُ أَنْ لَا يَكْتُبُ  
 فَوْلُوحَهُ إِلَّا مَا دَلَّتْهُ عَلَيْهِ وَأَوْصِيَتْ بِهِ إِلَيْهِ فِي غَدِكَ مَا خَسِرْتَ فِي أَمْسِكَ ؟ ) ( ٢ )

ويعضى المنظوطي في مواساة الطَّالِبِ على طريقته الإستنكارية هذه ، ويؤكد له  
 ولأمثاله من الرَّاَسِبِينَ ، أَنَّ الشَّهَادَةَ الَّتِي يَسْعَوْنَ إِلَيْهَا لِيَنَالُوا بِهَا وَظِيفَةَ حُكُومِيَّةٍ  
 لَيْسَتْ هِيَ كُلُّ مَا يَحِبُّ أَنْ يَسْعَى إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ فِي حَيَاتِهِ وَلَا مُنْتَهَى مَا يَسْعَى إِلَيْهِ الشَّابُّ  
 بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَسْعَى كُلُّ فَرْدٍ إِلَى اكْتِسَابِ الْفَضَائِلِ الْمَعْنَوِيَّةِ مِنْ شَرَفٍ وَكَرَامَةٍ وَحُسْنِ خُلُقٍ ،  
 حَتَّى يَكْتَسِبَ بِهَا حُبَّ النَّاسِ بِلِ وَاحْتِرَامِ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ - قَبْلَ كُلِّ ذَلِكَ - لِأَنَّ هَذَا  
 أَحْسَنُ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَسْعَى إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ .

وَلَا شَكَّ أَنَّ مَوَاسَاةَ الْمُنْظُوطِيِّ هَذَا مَوْقِفٌ إِنْسَانِيٌّ وَاضِحٌ الْمَعَالِمِ رَفِيعُ الْهَدَفِ .

---

١ - المنظوطي . النظرات . ج ١ . ص ٢٣٠

٢ - نفس المرجع . ص ٢٣٢



## الشَّهيدتان ( ١ )

يحكى الأديب في هذا المقال قصة امرأة زوّجها والدها - رغماً عنها - من رجلٍ مزواجٍ مطلق ، أساءَ عشرتها ثم طلقها بعد أن أنجبت طفتها الأولى ثم ترك لها هذه الطّفة تقوم بشأنها وتسهر على راحتها في منزل جدّها حتى قبضه الله ، فزادت مأساة الأم المسكينة لأنّها فقدت من يعيلها ويقوم بشأنها وشأن ابنتها .

وماهى إلا أيام حتّى جاء الزوج الظّالم فاختطف من زوجته أعز ماتك ، ليرزأها رزأً أشدّ وأعظم من الأوّل ، فتركها تقاسي ألم فرقة الإبن وتعاني من لوعة الحُزن والحرمان وبؤس الجوع والوحدة في لياليها اللّيلاء ، حتّى سمع المنطوطى في إحدى اللّيلى صوتاً محزناً، الأمر الذى أقلق مضجعه وعذبه فذهب إلى حيث الصّوت وإذا به يجد تلك المسكينة وحيدة محزونة فجلس - كفارته - إلى جوارها مسمع شكاتها ويواسي لوعتها وبؤس وحدتها ، حتّى أصابتها غشية لم تلويعدها على شيء ممّا حولها .

والتفت المنطوطى حوله وخلفه فوجد رجلاً يحمل طفة هزيلة لم يُبقِ منها الحُزن والمرّ أكثر من جلب على عظم ، فأدرك أنّه زوجها وأنّ هذه الطّفة ابنتها ثم تناول الطّفة منه وألقى بها بين يدي والدتها المحزونة ، فأفاقت من غفلتها على صوت طذّة كبدها .

وماهى إلا زفرة اللّقاء حتّى قبض الله روحيهما في لحظة واحدة كأنما كانا من

المرّدى على ميعاد ( ٢ )

١ - المنطوطى . النظرات، ج ٢، ص ٢١٨

٢ - المنطوطى . النظرات، ج ٢، ص ٢٢٢ بتصرّف

ثم جلس الأديب يكتب مقاله هذا الذي يدل على نغمة طيبة وقلب رحيم يتأثر لكل موقف أليم حوله .

فها هو ذا يقول في خاتمة المقال :

( أشعر أن نفسي تسيل من بين جنبين حُزناً على تلك المرأة المسكينة ، لا بل حزنًا على جميع البائسات من النساء اللواتي يقتلن الرجال كل يوم صبراً بسيف الطلاق الماضي ، من حيث لا يجدن راحماً يرحمهن ولا شاعراً يثأر لهن ) ( ١ )

والحقيقة أن هذه مشكلة اجتماعية شائعة وهي مشكلة زواج الرجل أكثر من مرة ثم الطلاق المتكرر لأوهن الأسباب ، وتأخذ على المنظوطي موقفه السلبي من الرجل المطلق ، فكان الحرى به أن يركز حديثه ودعوته ، ولو بطريق خفي للرجال الذين هم على هذه الشاكلة ، أن يكونوا أكثر رافة بالنساء البائسات اللاتي لا حول لهن ولا قوة وأن يذكرهم بتقوى الله فيهن ، وعدم استغلال ما أحل الله لهم من تعدد الزوجات أو طلاقهن في الإساءة إلى نساءهن فما أحل الطلاق في الإسلام إلا للضرورة القصوى وإذا أعيت الرجل كل السبل الممكنة للإصلاح وقد قال صلى الله عليه وسلم :-

( أَبْغَضُ الْحَالِ إِلَى اللَّهِ الطَّلَاق ) ( ٢ )

١ - المنظوطي . النظرات . ج ٢ . ص ٢٢٢ .

٢ - ابن ماجه . سنن ابن ماجه . ج ١ . ص ٦٥٠ .

## التَّوْبَةُ ( ١ )

يَحْكِي لَنَا الْمَنْظُوطُ فِي هَذَا الْمَقَالِ قِصَّةَ شَابٍّ مُتَّقِفٍ كَانَ قَاضِيًّا فِي الْمَدِينَةِ  
الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا ، وَقَدْ ظَمَّ هَذَا الشَّابُّ بِوُجُودِ فَتَاةٍ شَابَّةٍ جَمِيلَةٍ الشَّكْلَ فِي الْمَنْزِلِ  
الْمَجَاوِرِ لَهُمْ ، فَحَاوَلَ رَوَّيْتَهَا مَرَّةً ، فَتَعَلَّقَهَا ثُمَّ رَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا حَتَّى

( حَمَلَهَا هَمًّا يَضْطَرُّ فِي فَوَادِهَا وَجَنِينًا يَضْطَرُّ فِي أَحْشَائِهَا ) ( ٢ )

ظَمَّ تَجِدُ بُدًّا مِنَ الْفِرَارِ بِمَا حَطَّتْ إِلَى حَيْثُ لَا يَرَاهَا أَحَدٌ مِمَّنْ يَعْرِفُهَا ، وَكَانَ أَهْلُهَا  
عَلَيْهَا أَنْ يَبْكِيَهَا وَالِدَاهَا بِكَاءٍ هَنَّ عَلَى الْمَوْتِ بَدَلًا مِنْ أَنْ يَبْكِيَاهَا وَهِيَ حَبَّاءٌ ، حَتَّى  
جَاءَهَا الْمَخَافُ فِي وَحْدَتِهَا ، فَزَادَ هَمًّا وَازْدَوَجَ حُزْنُهَا ، وَلَمْ تَجِدْ مَا تُسَدُّ بِهِ  
حَاجَتَهَا وَحَاجَةَ ابْنَتِهَا إِلَّا حُلِيِّهَا ، فَبَاعَتْهَا حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهَا شَيْءٌ ، وَظَمَّتْ إِمْرَأَةً  
عَجُوزًا بِمَا تَكَادُهُ هَذِهِ الْمُسْكِينَةُ وَوَجَدَتْ فِيهَا جَمَالًا مَلْعُوسًا ، فَكَأَنَّهَا وَجَدَتْ فِيهَا ضَالَّتَهَا  
الْمَنْشُودَةَ ، فَأَرْسَلَتْ لَهَا شَيَاطِينَهَا مِنَ الرِّجَالِ الْفَاسِقِينَ ، وَلَمْ تَجِدْ الْبَائِسَةَ بُدًّا مِنْ  
إِلَّا تَجَارِبًا سَبَقَ أَنْ سَلَبَهَا عَزَّهَا وَكَرَامَتَهَا .

وَعَاشَتْ فِتْرَةً مِنْ حَيَاتِهَا رَاضِيَةً بِمَا هِيَ فِيهِ حَتَّى اتَّهَمَهَا أَحَدُ رَوْدَاهَا بِسُرْقَتِهِ ،  
وَرَفَعَ عَلَيْهَا قَضِيَّةً كَانَ قَاضِيهَا هُوَ نَفْسُ الشَّابِّ الَّذِي سَلَبَ مِنْهَا عِرْضَهَا وَكَرَامَتَهَا ، فَمَا  
أَنَّ رَأَتْهُ فِي مَجْلِسِ الْقَضَاءِ حَتَّى صَرَخَتْ صَرْخَةً ذَوَّتْ لَهَا أَرْجَاءُ الْقَاعَةِ وَرَفَضَتْ أَنْ يَكُونَ  
هَذَا الشَّابُّ قَاضِيًّا فِي الْقَضِيَّةِ الَّتِي كَانَ هُوَ سَبَبُهَا .

١ - الْمَنْظُوطُ - النُّظَرَاتُ، ج ٢، ص ١٠٦ .

٢ - نَفْسُ الْمَرْجِعِ وَالصَّفْحَةُ .

وَدِهَشَ النَّاسُ لَأَمْرِهَا فَحَسَرَتْ عَنْ وَجْهِهَا غَطَاءَهُ وَعَرَفَهَا الشَّابُّ وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ  
يُخْفِيَ ذَلِكَ وَيَنْتَصِفَ لِنَفْسِهِ مِنْهَا وَأَنْ يَرْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ جُزْءَ الْمَوْقِفِ الَّذِي يَقِفُهُ فَأَدَّعَى  
أَنَّهَا زَهَلَتْ عَنْ نَفْسِهَا وَأَضَاعَتْ عَقْلَهَا وَلَا بَدَّ مِنْ مَعَالَجَتِهَا ، وَصَدَّقَهُ النَّاسُ وَمَاهَسُوا  
إِلَّا أَيَّامَ حَتَّى اسْتَقَالَ مِنْ وَظِيفَتِهِ تِلْكَ ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهَا وَتَزَوَّجَهَا وَاصْطَحَبَهَا مَعَهُ إِلَى  
مَدِينَةٍ أُخْرَى حَيْثُ لَا يَعْرِفُهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ ، وَعَاشَا مَعَ ابْنَيْهِمَا فِي وَثَامٍ وَسَلَامٍ لَا يَنْغُصُهُمَا  
عَلَيْهِمَا مَنْقُصٌ .

وَلَا شَكَّ أَنْ تَتَاوَلَ الْمَنْظُوطِيُّ لِمِثْلِ هَذِهِ الْمَوْضُوعَاتِ يَدُلُّ عَلَى نَفْسٍ طَيِّبَةٍ رَحِيمَةٍ  
تُبَيِّنُ مَوَاضِعَ الْخَطَا فِي الْمُجْتَمَعِ ثُمَّ تَدُلُّ عَلَى الطَّرِيقَةِ النَّاجِحَةِ لِعِلَاجِهَا .

فَتَصَرَّفَ الْقَاضِي الشَّابُّ هَذَا التَّصَرَّفَ ، إِنَّمَا هُوَ مَوْقِفُ إِنْسَانِي فَاضِلٌ لِأَنَّ الرَّجُوعَ  
فِي الْحَقِّ فَضِيلَةٌ وَالتَّعَادِي فِي الْبَاطِلِ طُغْيَانٌ وَظَلَمٌ ، وَقَدْ عَلِمَ الشَّابُّ خَطَأَهُ فَحَاسِلُ  
إِصْلَاحِهِ ، وَكَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَتَعَادَى فِي إِثْمِهِ وَيَسِيرَ إِلَى الْمَرَأَةِ مَرَّةً أُخْرَى  
وَلَكِنْ يَقْظَةُ الضَّمِيرِ الْإِنْسَانِي فِي نَفْسِهِ مَنَعَتْهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَبَى إِلَّا أَنْ يَنْتَصِفَ لِلْمَرَأَةِ  
مِنْ نَفْسِهِ الشَّرِيرَةِ الظَّالِمَةِ وَكَفَّرَ عَنْ إِسَاءَتِهِ السَّابِقَةِ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهَا وَالزَّوْاجِ مِنْهَا ،  
وَهُوَ مَوْقِفُ إِنْسَانٍ عَظِيمٍ يَهْزُ وَجْدَانُ الْمَنْظُوطِيِّ فَيَتَاوَلُهُ بِقَلَمِهِ لِيَتَوَخَّذَ مِنْهُ الْمِثْرَةَ  
وَالْعِظَّةَ .

## الحَسَد (١)

يتحدّث المنظوطى فى هذا المقال عن مرض اجتماعى شائع يؤدّ علاجه ، لما له من خطئ لأفراد المجتمع وعلى صاحبه نفسه ، لأنّه يُورث الحقد فى نفسه .  
ويرشدنا الأديب بطريقة غير مباشرة إلى الطّريقة المُثلّى لعلاج الحسد فى نفس صاحبه ويرى أنّ خير وسيلة لذلك هى :-

أن يسلّك الحاسد سلوك محسوده طارداً عن نفسه تلك الأحقاد المدمّرة والحسرة التى لا تُورث سوى اليأس والفشل والألم المرير ، فها هو ذا يقول لنا :-

( الحسد مرض من الأمراض القلبية الفاتكة ، ولكل داء دواء . ودواء الحسد أن يسلّك الحاسد سبيل المحسود وليبلغ مبلغه من تلك النعمة التى يحسده عليها ، ولا أحسب أنّه يُنفق من وقته ومجهوده فى هذا السبيل أكثر ممّا يُنفق من ذلك الشئ من شأن محسوده والنيل منه ، فإن كان يحسده على المال فليُنظر أى طريق سلّك إليه فيسلّكه ، وإن كان يحسده على العلم فليتعلم أو الإدراب فليتأدّب فإن بلغ من ذلك مأربه ، فذلك وإلا فحسبه أنّه ملاك فراغ حياته بشؤون لولاها لقضاها بين الغيظ والفاتك والكمد القاتل ) ( ٢ )

ولا شك أنّ معالجة المنظوطى للحسد وفقّة إنسانية فاضلة منه ، لأنّه يريد بذلك القضاء على الحقد والضّغينة التى تملأ قلوب النّاس ، ويريد من أفراد المجتمع أن يعيشوا فى سؤدد ووثام دائمين .

١ - المنظوطى - النظرات ج ٢ ص ١١٦ .

٢ - المنظوطى - النظرات ج ٢ ص ١١٦ .

## الزَّهْرَةُ الذَّائِلَةُ

تحدث المنظوطى فى مقاله هذا عن قصة شاب فى السَّابعة عشرة من عمره ،  
بعث إليه برسالة يخبره فيها أنه حصل على شهادة الابتدائية ، ثم تقدّم لامتحان  
الكفاءة فلم يُفْلِح ، فحاول الكدّ للعام المُقبل وأعدّ عدته لذلك ، بينما لم يكن يعلم  
خلال ذلك ما كان فى طريق الغيب من قضاء الله عليه فأصيب بحمّى أفقدته سمعه وضاعت  
بذلك آماله وأظلمت الدنيا أمام عينيه ، فأرسل إلى المنظوطى يستشيريه ويستغيث  
بمواساته فى مصابه هذا .

وما ان قرأ الأريب رسالته حتى شعر بشدّة الكارثة وفداحة البلاء ، فأخذ يقول :-  
( لا أستطيع أن أعزّيك عن مصابك يابنسى ، فهو فوق ما يحتمل المحمّل ، ويطيق  
الجلد الصّبور ولو حاولت ذلك منك لكذبك وغشّك ، ولكان شأني معك شأن  
أولئك الخادعين من المفجرين الذين يتخلفون ليلهم ونهارهم إلى منازل المنكوبين  
والمرزوقين ليقولوا للشّا كل :-

( لقد قدّمت بين يديك شفيعاً يشفع لك يوم حسابك بين يدي ربك وللباكي  
أباه ، ما مات من خلف مثلك ، وللباكي أخاه إن فى الباقي عزاء عن الماضى . ) إلخ .  
ويستكر المنظوطى مواقف هؤلاء المعزّيين قائلاً :-

( وكأنّما هم يحسّبون أن الغواجع والرزايا صفقات تجارية إذا قاس فيها  
المرء ربحه بخسره ووازن بين دخله وخرجه ، هان عليه هذا لذاك واغتفر ما فات

لما هوأت ، ويعلمون أنَّ الحزن على الذَّاهِبِ المفقود ، إنما هو زفرة من زفرات  
الحبِّ ، وأنفسه من نفثات الودِّ ، ولا دَخل للحساب والمعارضة في شيء من  
ذلك . . . ( ١ )

ويرى المنظوطي الأمور على حقيقتها وقياسها بمقياسها الصحيح فيضع لها  
ماستحقه من تصرف ويشعر اتجاهها الشعور اللازم لها ؛ فهو يرى أنَّ الأم التي  
تبكي على فقد ابنها الوحيد ليست أشدَّ بؤساً من الأم التي تبكي فقد عاشر ابن من  
أبنائها ، وإن فقد الزوجة لزوجها لا يواسيها فيه وجود خطيب يترقبها تحت كل نافذة  
من نوافذ بيتها . . . لذا لا يفوته أن يقول للمصاب :-

( وأعوذ بالله أن أكون يابئاً من الكاذبين في تعزيتك ، أو الفاشين لك فيها  
ولو أردت نفسي على ذلك ما استطعت ، وكيف يستطيع أن يعزّيك عن مصابك من لا  
يستطيع أن يعزّي نفسه في مصابه فيك ؟ فقد ترك كتابك هذا بين جنبي لوعة من  
الحزن لا أحسب أنها دون لوعتك التي تعنّج بين جنبيك من الحزن على نفسك ، حتى  
صرت كأنني أنا الذي ابطيت به وكأنَّ الذي أصابك من البلاء قد أصابني من دونك ، فقد  
انقطع عنك بفقدك سمعك أيها البائس المسكين كل ما كان بينك وبين الناس جميعاً من  
سبب وصله ، فأصبحت وأنت في دار الأتس والإجماع ، وبين ضوضاء الحياة وضجيجها  
كأنك تعيش من وحشتك وكآبتك مدينة متحجرة من مدن التاريخ القديم ، لا تأسر فيها  
بأحد ولا يأسرك فيها أحد ، ولا ترهب بين يديك إلا نصباً ماثلاً وتماثيل جامدة .

تَعَسَّبُ الْعَيْنُ مِنْ جَدِّ الْحَيَاةِ لَهُمْ بَيْنَهُمْ إِشَارَةً خُرْسٍ ( ١ )

وهكذا يمضي المنظوطى فى مواساة الشَّابِّ على طريقته هذه من المُشاركة الوجدانية والشُّعور الصادق بمصابه الجَلَلِ وَخَطْبِهِ الْعَظِيمِ ، ذلك الشُّعور الَّذِي يَظُنُّ السَّامِعُ أَنَّهُ تَعْظِيمٌ لِلْبَلَاءِ وَتَبْسِيطٌ لِلْعَزِيمَةِ ، وما هو من هذا فى شَيْءٍ ، بل هو قَسَمٌ الْمَوَاسَاةِ وَالْإِحْسَاسِ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ ، فهو بِطَرِيقَتِهِ هَذِهِ إِنَّمَا يَرِيدُ مِنَ الشَّابِّ أَنْ يَكُونَ جَدِّدًا ، صَبُورًا وَاقِعِيًّا فِي مُوَاجَهَتِهِ لَصُدَمَاتِ الْحَيَاةِ ، وَيَرِيدُ مِنْهُ أَلَّا يُصَدِّمَ بِمُعَامَلَتِهِ النَّاسَ لَهُ أَوْ مِنَ الْمَوَاقِفِ الَّتِي سَتَجَابِهُهُ فِي حَيَاتِهِ خِلَالَ مُصَابِهِ هَذَا ، سِوَاكَ كَانَ ذَلِكَ مِنْ ضَحْكٍ أَوْ اسْتَهْتَارٍ أَصْحَابِ النُّفُوسِ الْمَرِيضَةِ مِنَ النَّاسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يَشْعُرُونَ بِبِلَاءٍ غَيْرِهِمْ وَمُصَابِهِمْ .

ثم لا ينسى المنظوطى فى نهاية مقاله أن يواسيه أيضاً بكلمات مفعمة بالإحساس العميق والمشاركة الحقيقية له فيقول :-

( وَكَثِيرٌ عَلَيْكَ يَا بُنَيَّ وَأَنْتَ زَهْرَةٌ يَافِعَةٌ فِي رَوْضِ الشَّبَابِ وَابْتِسَامَةٌ لَامِعَةٌ فِي ثَغْرِ الْأَمَالِ وَفَجَرٌ مُشْرِقٌ فِي سَمَاءِ الْحَيَاةِ أَنْ تَصْعَدَ عَلَى هَذِهِ الرَّبْوَةِ الزَّاهِرَةِ الْمَخْضَلَةِ مِنْ رُبُوبِ الْحَيَاةِ فَلَا تَلْبِثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى يَمُرَّ بِكَ فَارِسُ الدَّهْرِ فَيَخْطُفَكَ مِنْ مَكَانِكَ ثُمَّ لَا يَعْدُ وَبِكَ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى يَلْقِيكَ عَلَى هَذِهِ الصُّخُورِ الصَّمَاءِ ) ( ٢ )

ثمَّ يَخْتَتِمُ الْأُدَيْبُ مَقَالَهُ بِدُعَاءٍ مُخْلِصٍ لِهَذَا الشَّابِّ يَشْعُرُ الْقَارِئُ لَهُ بِصَدَقِ شَعُورِهِ وَإِنْسَانِيَّتِهِ فَيَقُولُ :-

١ - المنظوطى . النظرات، ج ٣، ص ٨٠ .

٢ - المنظوطى . النظرات، ج ٣، ص ٨٢ .



( فوارحمتاه يابنيّ ما بك اليوم ، وما يستقبلك به الدهر غداً فاسأل الله  
 لك أن يرفع عنك محنتك ، أو يمنحك عيناً شراً لا ينضب معينها ، تسكب منها صباح  
 كل يوم ومساءً سجلاً على فؤادك المطاع فتبرد غلته ، وتفتأ لوعته ، فالدموع  
 هي الرحمة العامة التي يلجأ إليها المنكوبون المحزونون يوم لا يجدون لأنفسهم في  
 مذهب من مذاهب الأرض ولا في سبيل من سبيل السماء ، ناصراً ولا معيناً ، والسلام  
 عليكم من الراثي لك الباكي عليك .. ورحمة الله .. ) ( ١ )

وهكذا نلمح في كلمات المنظوظ هذه شدة وقع الكارثة على نفسه ومدي  
 إحساسه بمصائب الناس حوله  
 وما ذاك إلا دليل أكيد على اتجاهه الإنسانيّ في معالجته لمشاكل الناس  
 حوله .

---

؛

## أَمْسُ وَالْيَسَوْمُ ( ١ )

يناقش المنظوطى فى مقاله هذا قضية إجتماعية ، كانت سبباً فى خراب الطبائع الإنسانية وتغييرها ، هذه القضية هى قضية أَمْسنا الماضى والذى يمثل عصر الآباء والأجداد الذين كانوا لا علم لهم يُنير عقولهم ولا مدنية فاسدة تهكّر كيانهم وتحسب شخصياتهم ،

وبذلك حافظوا على مبادئهم الإعتقادية وقيمهم الخلقية رغم ما يبدولنا الآن من جهلهم ، يقول المنظوطى :-

( فسيما كان نصيب آبائنا من الجهل ، وانفراج المسافة بينهم وبين هذه المدنية الحاضرة ، فقد كانوا على علالتهم أسعد منا حالاً وأروح بالاً ، وأهنأ عيشاً ، وأسدد خطوات فى سبيل الحياة ، وكانت المعيشة فيهم إجتماعية أكثر منها فردية ، فكانت الأسرة الواحدة أشبه شجرة بالمطلة الدستورية المنظمة يديرها عقل واحد فى جسوم كثيرة متفقة فى الرأي والدين والمذهب والأخلاق والعادات ، تجتمع حول المائدة كما تجتمع فى نادي السامرة ، وتتلاقى فى قاعة الصلاة كما تتلاقى فى ساعة التمرزة يحبون الله لا يخطفون فى الطريق إلى رضاه ، ويحبون الوطن ولا يخطفون إلا فى الطريق إلى خدمته ، ويحترمون عادتهم وأخلاقهم ولغتهم المكونة لهيئتهم الإجتماعية ويعفرون من العادات والمشارب الغربية فرارهم من الأسيد ) ( ٢ )

ذلك هو حديثه عن الأَمْس ، ثم يلفت إنتباه القارىء إلى اليوم ، نعم اليوم الأليم الذى هدمت فيه المدنية الغربية صرح الأمة الشّرقية بإفساد شبابها ونشئها ،

١ - المنظوطى - النظرات. ج ٣ ص ١٦٨ .

٢ - المنظوطى - النظرات. ج ٣ ص ١٦٩ ، ١٧٠ .

فغيرت طباعهم وشوهت أخلاقهم ، وأفسدت مثلهم ونهشت أعراضهم ، وجنت الأسر الحديثة على أبنائها بإدخالهم المدارس الأجنبية التي أخذت تربي النشء لصالحها لا لمصلحة أوطانهم ، وذلك لما تفرسه فيهم من قيم خارجة عن الدين والخلق والصواب ، فينشأ كل طفل في الأسرة متخلقاً بأخلاق أساتذته في تلك المدرسة التي تلقى فيها علومه من المهد إلى اللحد .

وكثيراً ما تتعارض هذه الأخلاق مع تلك الطباع التي رُبَّ عليها الطفل - مع أخيه أو بقية أفراد أسرته في المنزل ، مما يؤدى إلى الشقاق والفرقة بين الأفراد في الأسرة وذلك لاختلاف المبادئ والقيم التي تخلق بها كل ناشئ فيها . وهكذا يتفكك المجتمع كله لتفكك أسرة وذلك لا تجنى تلك الأسرة إلا الخسارة والندم حيث لا يفيد الندم . يقول المنطوطى :-

( وأي شأن لهذه المعلومات الكثيرة التي حشوا بها أذهانهم ؟ وهل أفادوا بها إلا هذراً في المنطق وثرثرة في اللسان وشغلاً للأذهان لا يفنى عن سعادة الحياة وهنائها قليلاً ؟ ) ( ١ )

ثم يؤكّد المنطوطى في نفس المقال - أن ما أصيب به النشء من جمود ونكران للجميل ما هو إلا لبعدهم عن مثلهم وقيمهم الفاضلة وبين أن الأمر كان حافلاً بآباء وأجداد رغم جهلهم - إلا أنهم كانوا مؤمنين إيماناً أكيداً بحب الوطن وضرورة المحافظة عليه من براثن العدوان الأجنبي ، وكانوا رغم ظمهم المشوب بالخرافات والبدع فهو عنده أفضل من لا دين أبداً . ولنستمع إلى قوله :-

( وعندي أن ديناً خُرافياً خيراً من لا دين لأن لهذه المعبودات الوهمية  
 في نفوس العابدين سلطاناً قاهراً يقاوم أهواء الشرف فيها ، ويظهرها من  
 كثير من الرذائل التي تعيا بها القوانين الشرعية والوصعية ، كالخيانة  
 والكذب والحقد والحسد ، وسفك الدماء واغتياال الأموال وغير ذلك من الشرور  
 الإنسانية التي لا تُزجر النفس عنها ما لم يكن منها لها زاجر والتي فشت اليوم بين  
 طبقات المتعلمين الذين أخذوا العلم مجرداً من روح التربية وصيغة الأخلاق ) ( ١ )

وهكذا بدا لنا ومن الموضوع السابق - ثورة المنفلوطي على المدنية لما  
 سببته للبشرية من مفسد خلقيّة ودينيّة تنافي الشرائع الإنسانية وتعارض مبادئها  
 النبيلة الطاهرة ، ويرى أن العلاج لهذه المشكلة يتركز في استعمال السبب  
 الرئيسي ومحاولة الرجوع إلى الأصول الراسخة والثابتة من القيم والفضائل الإنسانية  
 الصحيحة حتى يعود الإنسان إنساناً وألا يسيكون الغد أشدّ شراً من اليوم .

وحرى المنفلوطي الواضح على إصلاح النفوس البشرية دليل أكيد على نفسه  
 الإنسانية الراقية التي تنشد الخير دائماً وتحرس عليه بين البشر .

### فى العطف على البائسين

---

( لمتك تبكى كلما وقع نظرك على محزون أو مفئود ، فتبتسم  
 سروراً ببكائك واغتراباً بدموعك لأن الدموع التى تنحدر على خديك  
 فى مثل هذا الموقف إنما هى سطور من نور تسجل لك فى تلك  
 الصحيفة البيضاء أنك إنسان )

( أحسن الى الفقراء والبائسين وأعدك وعداً صادقاً أنك  
 ستتمرن فى بعض لياليك على بعض الأحياء الهائلة فتسمع من يحدث  
 جاره عنك من حيث لا يعلم بمكانك )

## أيها المحزون ( ١ )

يتضح في هذا المقال الروح الإنسانية السامية - نحو هؤلاء المحزونين - وضوحاً ظاهراً إذ يحاول فيه تخفيف آلامهم والترويح عن أنفسهم بما يهون عليهم مصابهم ، كأن يجلولهم حقيقة الأمور في هذه الحياة ، وأن مافيها من نعيم إنما هو سراب زائل ، لذا وجب على الإنسان ألا يطيل الأمل في سعادته الحاضرة ، وأن يتوقع زوالها بين لحظة وأخرى ، لأنها ما هي إلا سراب لا مع في فيافي الحياة الزائلة ، استمع إليه يقول :

( إن كنت تعلم أنك أخذت على الدهر عهداً أن يكون لك كما تريد فسي جميع شئوك وأطوارك ، وألا يعطيك ولا يمنعك إلا كما تحب وتشتهي ، فجدد بك أن تطلق لنفسك في سبيل الحزن عنانها كلما فاتك فأرب أو استعصى عليك مطلب .

وإن كنت تعلم أخلاق الأيام في أخذها وردّها وعطائها ومنعها ، وأنها لا تنام عن منحه تمنحها ، حتى تكرر عليها راجعة فتستردّها ، وأن هذه سنّها وتلك خلقها في جميع أبناء آدم سواء في ذلك ساكن القصر وساكن الكوخ . . ومن يظأ بنعله هام الجوزاء ومن ينام على بساط الغبراء ، فخفت من حزنك وكفكف من دمك فما أنت بأول غرن أصابه سهم الزمان ، وما مصابك بأول بدعة طريفة في جريدة المصائب والأحزان . ( ٢ ) إلى أن يقول : -

١ - المنفلوطي . النظرات ج ١ ص ٧٦ .

٢ - المنفلوطي . النظرات ج ١ ص ٧٦ .

( أسعد النَّاسَ في هذه الحَيَاة مَنْ إِذَا وَافَقَتْهُ النِّعْمَةُ تَنَكَّرَ لَهَا . .  
وَنَظَرَ إِلَيْهَا نَظْرَةَ الْمُسْتَرِيبِ بِهَا . . وَتَرَقَّبَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ زَوَالَهَا وَفَنَاءَهَا  
فَإِنْ بَقِيََتْ فِي يَدِهِ فَلَذَاقُ ، وَإِلَّا فَقَدْ أَعَدَّ لِفِرَاقِهَا عِدَّتَهُ مِنْ قَبْلِ ) ( ١ )

وَالْمَنْفِلُوطِيُّ بِنَفْسِهِ الْإِنْسَانِيَّةَ الْمُشْرِقَةَ لَا يَأْلُو جَهْدًا فِي مُوَاسَاةِ الْمُحْزُونِينَ  
وَالْعُظْفَ عَلَى الْبَائِسِينَ ، وَقَدْ عَبَّرَ بِصِدْقٍ عَنْ هَذِهِ الْعَاطِفَةِ الرَّاقِيَةِ فِي  
نَفْسِهِ فِي كُلِّ مَقَالٍ مِنْ مَقَالَاتِهِ .

## الرحمة ( ١ )

تظهر في هذا المقال سمو الروح الإنسانية في أدب المنفلوطي إذ يدعو إلى الرحمة ، والرحمة عاطفة إنسانية راقية بل هي ينبوع الذي يتفجر منه كل العواطف الإنسانية الشريفة ، وهي الأساس أو الركيزة الأولى التي يعتمد عليها السلوك الإنساني الموجه للخير والداعي إلى الفضيلة والسلام .

فها هو ذا المنفلوطي الذي تغمر أمواج الرحمة قلبه يدعو إليها صراحةً ، ضمن ما يدعو إليه من مبادئ إنسانية نبيلة فيقول :-  
( أيها الرجل السعيد ، كن رحيماً ، أشعر قلبك الرحمة ليكن

قلبك الرحمة بعينها ) ( ٢ )

ولا يكفي المنفلوطي بطلب الرحمة فقط بل يبين أن الرحمة والشفقة عبارة عن بلسم شاف لجرح المكروبين فيقول :-

( ستقول إني غير سعيد ، لأن بين جنبي قلباً يلماً به من الهمم ما يلماً بغيره من القلوب ، أجل ، فليكن ذلك كذلك ، ولكن أطعم الجائع واكسى العاري وعز المحزون ، وفرج كربة المكروب ، يكن لك من هذا المجموع البائس خير عزاء يعزيك عن همومك وأحزانك ولا تعجب أن يأتيك النور من سواد الحلك ، فالبدر لا يطلع إلا إذا شق رداء الليل . والفجر لا يدرج إلا من مهد الظلام . ) ( ٣ )

١ - المنفلوطي + النظرات . ج ١ . ص ٨٤ .

٢ - المرجع السابق نفس الصفحة .

٣ - المرجع السابق نفس الصفحة .



ثم بين لنا الفئات التي تستحق الشفقة والعطف والتي يجب أن تستدر الرحمة والحنان فيذكر فئة فئة وهم :-

الفقراء والبائسون فيقول فيهم :-

( أحسن إلى الفقراء والبائسين ، وأعدك وعداً صادقاً أنك ستعرفني  
بعض لياليك على بعض الأحياء الخاملة فتسمع من يحدث جاره عنك من حيث لا يعلم  
بمكانك ... ) ( ١ )

وكذلك تجب الرحمة للمحزونين والمفعودين فيقول :-

( ليتك تبكي كلما وقع نظرك على محزون أو مفعود فتبتسم سروراً ببكاءك . .  
واغتباطاً بدموعك ، لأن الدموع التي تنحدر على خديك في مثل هذا الموقف إنما  
هي سطور من نور تسجل لك في تلك الصحيفة البيضاء أنك إنسان ) ( ٢ )  
ثم يذكر الأرملة واليتيم في تواسيه :-

( أيها الإنسان إرحم الأرملة التي مات عنها زوجها ولم يحرك لها غير  
سببة مغارود من غزار ، إرحمها قبل أن ينال منها ويعبت الهم بقلبها ، فتؤثر  
الموت على الحياة ) ( ٣ )

وكذلك الزوجات معهن أجدر بالرحمة والعطف فيقول :-

( أرحم الزوجة أم ولدك ، وتعيدة بيتك و امرأة نفسك وخادمة فراشك لأنها  
ضعيفة ولأن الله قد وكل أمرها إليك وما كان لك أن تكذب ثقته بك ) ( ٤ )

١ - المفلوطين . النظرات ج ١ ص ٨٥ .

٢ - نفس المرجع ص ٨٥ ، ٨٦ .

٣ - نفس المرجع ص ٨٨ .

٤ - نفس المرجع ص ٨٩ .

وكذلك إلا من من مَهْدَه إلى رُشْدِه يحتاج تلك الرَّحْمَة وذلك العَطْف حتى ينشأ نشأة سليمة فيقول :-

( إرحم ولدك وأحسن القيام على جسمه ونفسه فإنك إلا تفعل قتلتَه أو أشقيته فكنت أظلم الظَّالِمِينَ ) ( ١ )

ويتسع قلب المنفلوطي بما فيه من رحمة وعطف ليشمل كذلك الجاهل والحيوان ، والطَّير لأنَّ كلاً من هؤلاء لا يستطيع أن ينتصف لنفسه ولا أن يعبّر عما يُطبق عليها من ظلم وعذاب ( ٢ )

ويختتم المنفلوطي مقاله بدعوة عامة إلى كل السُّعداء أن يُحسنوا إلى الأَشقياء في الأرض ليظفروا برحمة السَّماء فيقول :-

أيُّها السُّعداء أحسنوا إلى البائسين والفقراء ، وامسحوا دموع الأَشقياء وأرحموا من في الأرض يرحمكم من في السَّماء ( ٣ )

وهنا نلاحظ أنَّ المنفلوطي استمدَّ من الحديث النبويِّ الشَّريف معناه السَّابِق إذ قال صلى الله عليه وسلم :

( لا يرحم الله من لا يرحم النَّاسَ ) ( ٤ )

وقال صلى الله عليه وسلم ( من يَحرم الرِّفقَ يُحرم الخَيْرَ ) ( ٥ )

١ - المنفلوطي . النظرات ج ١ . ص ٨٩ .

٢ - نفس المرجع والصفحة . بتصرُّف

٣ - نفس المرجع والصفحة .

٤ - الإمام البخاري . الأدب المفرد . ص ٣٦ . صحيح البخاري . ( الترحيد ) ص ٢ .

٥ - ابن ماجه - سنن ابن ماجه - تحقيق محمد عبد الباقي - باب الرِّفق .

## أبو الشَّمَقِّق ( ١ )

يذكر لنا المنفلوطي في هذا المقال قصة ( أبي الشَّمَقِّق ) ، ذلك الرَّجُل الذي كان يجلس في جمع من الأغنياء الذين أجمعوا على أن السَّعادة التي ترفرف بأجنحتها عليهم ، إنما هي ثمرة من ثمرات النَّماء المالي الذي تدره عليهم أرباح سلعهم وكان كل واحد منهم يُدلي بحديث يختص بتجارته وربحها ، أمَّا أبو الشَّمَقِّق فكان مامتاً لا يُحرِّك شفثيه بكلمة واحدة ، وما زال كذلك حتَّى انتهوا من حديثهم المملول .

وقد حاول المنفلوطي أن يستدرج الرَّجُل ليصرف سبب سُمته هذا ، فأشار أبو الشَّمَقِّق إلى عدم اغتياطه بما سمع لأن شيئاً من هذا ليس في يده ، فـلـا أموال الأغنياء له نصيب منها ولا سعادة السُّعداء له اشتراك فيها فهو يقول :-

( إن لم تبين لي سبب هذه السَّعادة ونظيبي من ذلك الارتقاء فلا أصدق سعادة ولا أتصور ارتقاء ، وما دُمْتُ أرى أن لي هويةً مستقلة عن هوية سواي من السُّعداء ، ويداً تقصر عما تتناولهُ أيديهم ، ووطناً لا يمتلي ، بما تمتلي بطونهم وما دُمْتُ لا أرى واحداً بينهم يلبس معي ردائي الممزق وقميصي المخرق ، ويقاسمني إياها ويشاطرني فقري فهيئات أن أسعد بسعادتهم ، وأسُرُّ بسروهم ) ( ٢ )

---

١ - المنفلوطي . النظرات ج ٢ ، ص ١٩ ، وهو أديب من أدباء المولدين كان شديد الفقر .

٢ - المنفلوطي . النظرات ج ٢ ، ص ٢١ .

والمنفلوطى عند ما يأتى بقصة كهذه إنما يريد أن يلفت نظر الموسرين

- بطريق غير مباشر - إلى ضرورة العطف على البائسين ومراعاة شعورهم .

ثم يمضي أبو الشَّعْمَقِ في حديثه مبيناً أن الإحسان في الأمة التي يعيش فيها إنما يبذل ابتغاء الرِّياء، والسُّمعة، فمعظم الأموال تنفق في بناء المدارس والمستشفيات والمكاتب دون النظر إلى من يحتاج لقمة العيش التي يسد بها أوده وأوده أسرته يقول :-

( أنا رجل ضعيف البصر ، ضعيف القوى كما ترى . . فلا قدرة لي على العمل ، وعندى صِبيّة صغار ، ليس بينهم من يستطيع عملاً أو بحسن مُنعاً ، ولقد كان بي في الزمن الذي تدمونه والعهد الذي تنعمون عليه بنفسح عظيم في منازل المحسنين ومورد غير من صدقاتهم وحياتهم ، وظلّ ظليل مسن من تحنّ الأغنياء ورحمتهم بالفقراء والبائسين . . أما اليوم فإنّي أبيت طويلاً وأصبح باكياً وأغدو راجياً وأرجو بائساً ) ( ١ )

هكذا نرى كيف أن المنفلوطى عرض لنا هذه المشكلة التي تدلّ على مدى إنسانيته ، تلك الإنسانية التي تنتظر بعين العطف والشفقة لمواطن البؤس والشتاء في المجتمع فتحاول علاجها بطريقة غير مباشرة ، فهو يلفت بهذا المقال بهذا المقال نظر الأغنياء والموسرين إلى ضرورة العطف على هؤلاء البائسين والتخلّص من حبّ الذات والأنانية التي كثيراً ما تدفعهم حتى فسى إحسانهم إلى الرِّياء . فيقول :-

( نعم قد يكون الولع برغساء الناس والخوف من سخطهم مذاهباً من مذاهب  
 الخير وطريقاً من طرق الهداية للضالّ عنها لو أن الفضيلة هي الخلق المنشعر  
 فيهم ، والغالب على أمرهم ولو كان الأمر كذلك لآثرت أن يعرض المرء نفسه  
 على الفضيلة ذاتها من حيث هي لا من حيث تشخيصها في أذهان الناس وقولهم ،  
 فإذا استوثق منها وعلم أنها قد خالطت قلبه وأخذت مستقرّها من نفسه جعلها  
 ميزاناً يزن به أقواله وأفعاله كما يزن به أقوال الناس وأفعالهم ، ثم لا يبال شي  
 بعد ذلك أرضوا عنه أم سخطوا عليه أحبوه أم أبغضوه فإنما يبكي على  
 الحبّ النساء ) ( ١ )

## الوفاء ( ١ )

الوفاء معنى من المعانى الإنسانية السامية ، يهتف به المنفلوطى ويدعو إليه فى هذا المقال - أولئك الذين لا يضعون له اعتباراً فى حياتهم ، فلا تتطبع به تصرفاتهم ولا يوجّه سلوكهم فى الحياة .

فهذا رجل أصيبت زوجته برمد أفقد ها بصرها بعث إلى المنفلوطى ليستشيره فى أمر طلاقها لأنه أصبح لا يحتمل استمرار الحياة معها .  
وهنا يقف المنفلوطى موقفه الإنسانى النبيل الذى عهدناه فيه ، فيناشده الوفاء بحق هذه الزوجة عليه بل بحق الإنسانية ومآطليه عليه من عطف وإحسان للبائسات مثلها ممن أعما بهنّ القدر ببلائه حيث لا مفرّ لهنّ من هذا البلاء فيقول :-

( أعيذك أيها الإنسان بالله ورحمته ، مواعيد وزمانه ألا تجعل لهذا الخاطر السيئ - خاطر الطلاق والفرق - سبيلاً إلى نفسك ، فإنّها لم تسيء إليك فتسبىء إليها ، ولم تنقذ عهدك ، فتنتقذ عهدها ، فإن كنت لا بدّ ثائراً لنفسك فاثأر من القدر إن استطعت إليه سبيلاً ) ( ٢ )  
ولم يكتفر هذا الأديب الإنسانى بذلك بل يذكّره بالعواطف الإنسانية وقيمها الفاضلة النبيلة فيقول :-

١ - المنفلوطى . النظرات ج ٢ . ص ١١٩ .

٢ - المرجع نفسه والصفحة .

( إن لم يكن احتفاظك بزوجه وإبقاؤه عدلاً يسألك عنه فليكن إحساناً

تحاسبك إلا أن انية فيه . )

ثم يتعمق المنفلوطي موقف الزوجة وهي وحيدة في ليلى الدّاس الدّائم ،  
 إذ لا تجد مؤنساً لها في وحدتها ولا سميماً يخفف عنها حدة وحشتها ، أو  
 حتى خادماً تقدّم لها جرعة ماء تبل بها رقبها أو كسرة خبز تسدّ بها  
 جوعها ..... الخ

كل هذه المواقف يلفت إليها المنفلوطي بنظرته الإنسانية ونفسه الرحيمة

سائله ثم لا ينسى أن يقول له بعد ذلك :-

" ( أيها الإنسان إن لم تكن عادلاً ولا وفياً ولا مُحسناً فارحم نفسك من  
 هذا الخيال الذي لا بد أن يساورك ، يفت في عضدك ويزعجك من موقبـيدك ،  
 فإن لم تكن هذا ولا ذاك ففيريك أخاطب لأنى لا أحسن إلا مخاطبة الإنسان ) ( ١ )

كذلك لا ينسى هنا المنفلوطي رغبات الإنسان وحاجاته كطلعة إلى لذة  
 العيش ورفاهه ، فيؤكد له أنه إذا وفى لزوجته تمام الوفاء فسيجد اللذة فى  
 ذلك التى لا تعدلها لذة غيرها لأن كل نعمة أولذة فى الحياة يعقبها كدروالم إلا لذة  
 الإحسان فإنها تزيد صاحبها نشوة وسعادة وحبور . ( ٢ )

١ - المنفلوطي . النظرات ج ٢ . ص ١٢٠ .

٢ - المنفلوطي . النظرات ج ٢ . ص ١٢١ . بتصرف

## وَارْحَمْتَهُ ( ١ )

يصف المنفلوطى - فى هذا المقال - بروحه الشفافة وعاطفته الرقيقة أسلوبه المعبر الحال التى وصلت إليها أسر المسلمين فى ليبيا، اثر الحرب التى دارت بين إيطاليا وطرابلس ، والتى بدت الدور فيها ترين بنحيبها ، والمرأة المسلمة المحتشمة حاسرة الرأس كاشفة الوجه حائرة ذاهلة تسائل عن زوجها أو ابنها أو أخيها أو ربما عنهم جميعا ، فإما استمرت على حيرتها وإما عادت بما يزيدها حزنا وألما .

فترى الشيوخ والأطفال والعاجزين والضعفاء ، لا عذرين بالتلال والآكام يحاولن اتقاء روائق الحرب ورمودها فلا تقيمهم ، أو لا عذرين بالمضايق والشعوب محارلين الفرار من وجوه الخيل وسنابكها فلا تقيمهم شرها .

أما أولئك الذين يدعى أنفسهم قواد أعظاما من المستعمرين ، فإنما يمشى فى اختيال رقيه بين بيوت المسلمين ناظرين إلى الشكى واليتامى والأرامل نظرة السيد المغرور إلى مولاة الذى استعبدته بطلاله ، وكما يقول المنفلوطى :-

( وربما رموا إليهم فى تلك الساعة بليقات كتك التى يليقها سيد الكلب إلى كلبه ، أو الراعي إلى ماشيته ليشهدوا العالم الإنسانى أجمعه على كرمهم وسخائهم ، وعظفهم ورحمتهم ، وأنهم ماسفكوا الدماء ولا قطعوا الأصوال ولا أيموا النساء ، ولا يمتوا الأطفال ولا انتهكوا الحرمات إلا خدمة للإنسانية



## العامَّة وإجلالاً لشأنها ( ١ )

وبعد .. فما هو موقف المنفلوطي إزاء هذه المحنة ؟  
لا شك أنه سيدعو بملء فيه إلى مناصرة هؤلاء البائسين والعطف عليهم  
وهذا أفصحاً ما قام به المنفلوطي :

فها هو ذا يناشد المسلمين بإيمانهم ودينهم الواحد الذي يربطهم ،  
وقبليتهم الواحدة التي يتوجَّهون إليها جميعاً في كلِّ يوم خمس مرات ليعبدوا إلهاً  
واحداً ، يناشد هم بكل ذلك لإحسان إلى هؤلاء قائلاً : -  
( لا أَحْسَبُ أَنَّ مُسْلِمًا دَخَلَ الْإِيمَانَ قَلْبُهُ فَمَلَأَهُ رَحْمَةً وَإِحْسَانًا وَعُظْفًا  
وَحَنَانًا ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّخِذَ لِحَبِيبِهِ فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ مُضْجَعًا ، أَوْ يَجِدَ لِنَفْسِهِ  
فِي صَحْوَةِ النَّهَارِ قَرَارًا ، حُزْنَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمَكُوبِينَ الْحَائِرِينَ الَّذِينَ يَسُدُّونَ  
بَأَعْيُنِهِمْ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا يَلْتَمِسُونَ نَاصِرًا يَعْينُهُمْ عَلَى أُمُورِهِمْ إِلَّا أَمَمًا  
إِسْلَامِيَّةً قَدْ أَمَارِبُهَا مِثْلُ مَا أَمَارِبُهُمْ مِنْ قَبْلِ ، فَهِيَ تَعْجُزُ عَنْ النَّظَرِ لِنَفْسِهَا فَأَحْرَى  
أَلَّا تَنْظُرَ لْغَيْرِهَا ، فَلَمْ يَبْقَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْأُمْلِ إِلَّا تِلْكَ الرَّحْمَةُ الَّتِي يَعْتَقِدُونَ  
أَنَّهَا بَاقِيَةٌ فِي قُلُوبِ الْأَفْرَادِ . مِنْ إِخْوَانِهِمُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَمُدَّوهُمْ بِقَلِيلٍ  
مِنَ الْقُوَّةِ يَسْتَعِينُونَ بِهِ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ وَيَعُودُونَ بِمَا بَقِيَ مِنْهُ عَلَى عِيَالِهِمْ  
الَّذِينَ يَتَضَوَّرُونَ وَنُجُوعًا مِنْ بَعْدِهِمْ ) ( ٢ )

ثم يذكِّرنا المنفلوطي بالأجر والمثوبة التي تنتظر المحسنين عند الله  
يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

١ - المنفلوطي . النظرات ج ٢ ص ١٨٠ .  
٢ - المرجع السابق والصفحة .

نعم يذكرنا بالمشوبة في ذلك اليوم إذا قد منّا لهم كل ما يمكننا من معونة  
سواء بالمال أو الكساء أو السلاح أو حتى مجرد مواساة معنوياتهم إذ يقول :-

( إنكم لن تجدوا بعد اليوم موقفاً هو أقرب إلى الله ، وأوفى إلى رحمته  
وأجسانه ، وأجلب لمغفرته ورضوانه ، من موقفكم أمام هؤلاء الضعفاء  
المساكين يطعمون جائعهم وتكسون عاريهم وتسألون أعزّاهم وتخافون قتلهم  
في أهله وولده ) ( ١ )

## قتيلة الجوع ( ١ )

كتب المنظوظي هذا المقال إثر قراءته - في بعض الصحف - خبر سيدة  
وجدت قتيلة على جبل المقطم ، وبعد فحصها أكد الطبيب أن الجوع كان سبباً فـ  
وفاتها .

والمقال يبدو لنا شديد اللهجة عالي الصوت لأن الكاتب يستنكر فيه أن تموت  
إنسانة وسط بني جنسها لعدم حصولها على لقمة عيش تسد بها جوعها فيقول :-

( لم تمت هذه المسكينة في منارة منقطعة أو بيداء جهل ، ففزع في أمرها  
إلى قضاء الله وقدره ، كما تفعل في جميع حوادث الكون التي لا حول لنا فيها ولا حيلة ،  
بل ماتت بين سمع الناس وبصرهم ، وفي ملتقى غاد بهم ورائهم ، ولا بد أننا مرت قبل  
موتها بكثير من المنازل تطرقها فلم تسمع مجيئاً ، ووقفت في طريق كثير من الناس تسألهم  
المعونة على أمرها فلم تجد من يمد إليها يده بلقمة واحدة تسد بها جوعتها ، فما  
أقسى قلب الإنسان وما أبعد الرحمة من فؤاده ، وما أقدر على الوقوف موقف الثبات  
والصبر أمام مشاهد البؤس ومواقف الشقاء . ) ( ٢ )

ثم يمضي المنظوظي في استنكاره هذا لما حدث لهذه المرأة المسكينة ، فيرى  
أنها لم تلجأ إلى جبل المقطم في ساعاتها الأخيرة إلا لأنها ظنت أن الصخر ألين قلباً  
من الناس الذين قصدتهم فلم يستجيبوا لطلبها .

١ - المنظوظي . النظرات ج ٣ . ص ٢٦ .

٢ - نفس المرجع والصفحة .

ويبدو أنفعال المنظوطى الشديد فى هذا المقال وتأثره الواضح بالحادثه  
فى كثرة الإستفهام التعجبى الذى طغى على أسلوبه فى هذا المقال إن يقول :-

- ( أَلَمْ يَلْتَقَ بِهَا أَحَدٌ فِى طَرِيقِهَا ؟ .. )  
( أَلَمْ يَكُنْ لَهَا جَارٌ يَسْمَعُ أُنْثِيهَا فِى جَوْفِ اللَّيْلِ ؟ .. )  
( أَأَقْفَرَتِ الْبِلَادُ مِنَ الْخُبْزِ وَالْقَوْتِ ؟ .. ) ( ١ )

ثم يرجع المنظوطى هذه القسوة إلى سبب واحد وهو أن المجتمع أصبح لا ينفق  
إلا إذا أُطْلِنَ عن هذا الإنفاق وطك المساهمة ، ولو كلف الفرد منهم الملايين  
من الجنيهات فيهن ما يهن عليه فى سبيل الرِّياء والسُّمعة .

أما الصدقة فى السرِّ والخفاء فأصبحت غير مُنتظرة ، وبذل المال من أجل  
المحافظة على الإنسانية والشرف أصبح أمراً مستبعداً حصوله يقول :-

( لقد كان الإحسان فى مصر كثيراً فى عصر الأكتابات والحفلات وفى العهد الذى  
كانت تسجل فيه حسنات المحسنين على صفحات الجرائد تسجيلاً يشهده ثلاثة عشر  
مليوناً من النفوس ، فأما اليوم وقد أصبح كل أمرىء موكولاً إلى نفسه أو مسوءلاً أمام ربِّه  
وضميره أن يتفقد جирته وأصدقائه وذوي رَحِمِهِ ويلتزم مواضع خلاتهم وحاجاتهم ليسدها  
فها هم الفقراء يموتون جوعاً بين كُتبان الرِّمال وفوق شعاب الجبال حيث لا راحم  
ولا مُعين ( ٢ )

١ - المنظوطى . النظرات ج ٣ . ص ٢٦ .

٢ - المنظوطى . النظرات ج ٣ . ص ٢٨ .

وَيُحَرِّكُ الْمُنْفَلُوطُ بِأَنْفَعَالِهِ هَذَا فِي مِثْلِ هَذَا الْحَادِثِ الْمَوْقِعِ - الْمَشَاعِرِ  
 الْإِنْسَانِيَةِ الظَّاهِرَةِ فِي نَفُوسِ الْبَشَرِ الَّتِي لَوْلَاهَا مَا سُمِّيَ الْإِنْسَانُ إِنْسَانًا  
 وَلِمَا اسْتَحَقَّ أَنْ يَمِيزَ بَيْنَ الْبَشَرِ بَلْ حَقَّ لَهُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْجَمَادَاتِ  
 بَلْ رُبَّمَا كَانَ هَذَا قَلِيلًا عَلَى أَمْثَالِهِ مِنْ غَيْرِ الرَّاحِمِينَ .

---

## يوم العيد ( ١ )

فى ليلة كل عيدٍ يُخيِّم على بعض الأسر شعور يكاد أصحابه يطيرون فرحة وحبوراً ، بما أعدّوه لأبنائهم من فاخر الثياب وجميل الهدايا بهجة بهذا اليوم المقبل .

ويخيِّم على بعضها الآخر شعور أليم يذيب القلوب حسرة ولوعة لما يكادونه من مرارة الحرمان ، فلاهم سعداء ، ولا يستطيعون توفير ذرة من السعادة التى تغمر غيرهم ولو لأحد أبنائهم .

وينقل لنا المنظوطى هذه الصورة كاملة فى هذا المقال ( يوم العيد ) إذ سرد لنا فيه قصة أرمة فقيرة لها طفل صغير ، أرادت أن تهيب له فى ليلة العيد ما يهيب الآباء والأمهات لأبنائهم من جميل الثياب ومخطف الألعاب ، ولكن الحاجة أعوزتها أن تقف حائرة على حانوت بائع التماثيل .

أجل . . لقد كانت حيرة هذه المرأة بين أمرين أحلاهما مر ، فإما أن تسرق تماثلاً أعجبها لأبنها لتضفي عليه بهذا التمثال - أيضاً من السعادة ، وإما أن تعود له صفراً اليدين ، فيشعر بشقاءه ونقص ما فى يديه بين أترابه .

ولابدّ هنا أن يقع أحد الأمرين البغيضين ، فسرقت التمثال فى حين أن صاحب الحانوت كان من اليقظة والانتباه إلى الحدّ الذى لا تغوته فيه صغيرة ولا كبيرة تدور حول حانوته . إلا أحصاها .

وما ان برحت السيدة موقفها ذلك حتى تبعها صاحب الحانوت عرافقه  
 جنديان للقبض عليها ، وبينما هي سائرة في طريقها كان ينتابها شعوران ، شعور  
 الندم وتأنيب الضمير على سوء تصرفها وسرقتها ، وشعور الفرحة والسعادة لما  
 ستجده من غبطة ابنها ونشوته لا مثاله هذه اللعبة  
 وما أن وصلت الى منزلها وألقت باللعبة المسروقة بين يدي الطفل حتى ألقى  
 القبض عليها ، وما إن ارتسمت بسمه الفرح على شفتي ابنها حتى محتها صرخة  
 التقاط اللعبة من يديه وشد أمه أمام ناظره الى مكان لا يعلم عنه إلا أنها ستفارقه  
 إليه .

وفي هذه اللحظات المؤلمة تتحرك في نفس صاحب الحانوت عواطفه الإنسانية  
 النبيلة فاعتذر للشروطيين لأنه أخطأ في ادعائه هذا ، إذ أنه لا يبيع هذا النوع  
 من التماثيل انذى بيد الطفل .

وهكذا أفرج عن السيدة ، ولم يكتف هذا الرجل بما فعل من خير أخيراً بل  
 لم يفارق الأم وابنها حتى أضفى عليهما من لعمه الله عليه ما جعل عيدهما أسعد  
 الأعياد وأبهجها .

وبعد أن سرد المنظوطو قصته المؤثرة هذه ، وجد الفرصة سانحة ليدعو  
 أولي الجاه والسلطان والموسرين وكل من كان مثلهم أن يساهموا في إدخال السعادة  
 إلى قلوب هؤلاء البائسين ، بما يسدونه إليهم من معونة وعطاء في ليلة كهذه أو في  
 أى مناسبة سعيدة على الأقل فيقول :-

( فهل لأولئك السعداء أن يمدوا إلى هؤلاء الأشقياء يد البر والمعروف  
 ويفيضا عليها في ذلك اليوم النزر القليل مما أعطاهم الله ليسجلوا لأنفسهم فـ

المسروءة والإحسان مَسْجَلٌ لصاحب حانوت التماثيل . ( ١ )

وهكذا يفضى المنظوطى فى ترغيبه لفضيلة الإحسان والعطف على البائسين من الأراذل واليتامى والمعوذين من الفقراء وذوي الحاجات وهو لا يطالب بهذا الإحسان كل يوم أو كل شهر بل يكفيه من ذلك أن يكون فى المناسبات السعيدة كأيام الأعياد وغيرها فيقول :-

( حَسَبَ البائسين من مَحَنِ الدَّهْرِ وأَرْزَائِهِ أَنَّهُمْ يَقْضُونَ جميعَ أَيَّامِ حياتِهِمْ  
فى سجنٍ مُظْلَمٍ من بؤسهم وشقائهم ، فلا أَقْلَ من أن يَتَمَنَّوْا رؤيةَ أشعةِ السَّعادةِ فى  
كلِّ عامٍ مرةً أو مرتين . ) ( ٢ )

١ - المنظوطى . النظرات، ج ٣، ص ٦٥ .

٢ - المرجع السابق ص ٧٦ .



## اليتيم ( ١ )

قصة صغيرة من تأليف المنظوطي ، وضعها ضمن كتابه " العبرات " .  
وهي تحكي قصة شاب فقد أبويه وهو في السادسة من عمره . وقد كان  
فقيراً معدماً لأنهما لم يتركا له إرثاً يعيش منه فضمه عمه إلى كفله ليكون أخاً لابنته  
التي تفره سنّاً ، فنشأ في بيت واحد ، يرتشفان من ثدى الطفولة ماء شاء الله لهما  
أن يرتشفان من سعادة ومشوه لا ينفصها عليها منفص ظقي الطفل في رفقة ابنة  
عمه من السعادة ما أنساه فقد أبويه ، وكان لا يريان إلا في رفقة بعضهما إما ذاهبين  
إلى المدرسة أو عائدتين منها ، وإما لاهيين في فناء المنزل أو لاهيين في الحديقة  
أو مجتمعين في غرفة المذاكرة أو متحدثين في غرفة نومهما ، حتى حان وقت حجابهما  
فالتزمت حذرهما بينما ، استمر الشاب في دراسته .

هذا وقد ربط الود بين قلبيهما رابطاً لا يحلّه إلا ريب المنون ، فكانت  
سعادتهما بلقائهما لا يعد لها سعادة  
وكانت الفتاة مثلاً في الذكاء والحلم والرحمة والحنان بينما كان فتاهما  
مثلاً في الشجاعة والكرم والوفاء ،

وقد استمر الحبيان على حياتهما هذه حتى أراد الله لهما ما أراد ، فقبر  
العم ولم يترك شيئاً لهذا الغلام يستطيع به أن يضمن له حياة طيبة ، فلم ينس  
ساعة احتضاره أن يوصي زوجته التي كان يظن بها خيراً - لم ينس في تلك الساعة  
أن يرجوها لإهتمام به والقيام بشأنه فوعده بذلك .

وماهى إلا أيام قلائل حتى بعثت هذه الزوجة الخادم للشَّاب في غرفته  
تخبره أن يترك هذا المكان لأن بقاءه به سيضع ابنة عمه في ريبة أمام خطيبها المنتظر،  
ووعده أن تقوم بإمداده بالمال كلما احتاج إلى ذلك لأنها تريد هذا الجناح الخاص  
به في المنزل لابنتها وزوجها .

تظاهر الشاب بقبول ذلك الخير وتحامل على نفسه حتى تركت الخادم غرفته  
ثم أخذ يسكب من عراته ماشاء الله له أن يسكه ، ثم جمع ملابسه وكتبه وأودعها  
حقيته وخرج في ظلام الليل الدامس حيث لا يعلم به أحد فكان آخر عهده بالدار  
الذى رتب في أحضانه . أن يلقي نظرة أخيرة على ابنة عمه من وراء خبائها وهو  
تغط في سبات عميق .

خرج المسكين حائراً شريداً طريداً مُلتاعاً قد اصطلحت عليه الهموم والأحزان  
فراقاً للاقاء بعده وفقراً لآساد لخلته وغربة لا يجد عليها مواسياً ولا مُعيناً ( ١ )  
أما عن مسكنه ومأكله ، فقد كان لديه صباية من المال ، ففتش عن مأوى له ،  
فوجد غرفة في الطابق العلوى المجاور لمنزل ( المنظوطى ) وكانت هذه الغرفة  
أشبهه بالقبور في ظلمتها ووحشتها منها لسكن الأحياء .

فمسكنها وحيداً مكثوماً وكان ( المنظوطى ) يلاحظ وحدته ويشعر بغرته تلك  
على بعده عنه ، وود لو يكون له صديقاً أو حميماً فيكشف له حقيقة أمره ، ولكنه لم  
يفعل مخافة أن يوقعه في حرج لا يريده له .

١ - المنظوطى . العبرات . ص ١٤ . بتصرف .

وهكذا مكث هذا الشاب المسكين في مأساته تلك حتى نفذ ما عنده من مال  
 فلم يجد بداً من بيع بعض كتبه بأبخر الأثمان حتى يسدّ جوعه ، وشعر عندها أنه  
 مشرف على الهلاك لا محالة .

وبينما هو كذلك إذ قدمت عليه الخادم العاملة في منزل عمّه السابق ، وكان  
 يبدو على وجهها علامات الحسرة والألم ، فما أن رآها حتى ارتعد قلبه فرقاً على  
 أن يكون قد أصاب المنزل الذي أحبه وتركه مكروه ، فسألها عن شأنها ، فأخبرته  
 أنها كانت تبحث عنه منذ ثلاثة أيام حتى وجدتته ثم دفعت إليه بكتاب كانت تخفيه  
 في جيبها .

قرأ الشاب الرسالة ، فعلم أن ابنة عمّه في اللحظات الأخيرة من حياتها ،  
 وأنها مبعثت إليه هذه الرسالة إلا لترجوه الحضور إليها حتى تودّعه الوداع الأخير ،  
 طالما أنه عزّ عليها أن تودّعه قبل تركه منزلهم ، فما أن قرأ الشاب آخر كلمة في الرسالة  
 حتى اندفع إلى الباب بسرعة ، فسأله الخادم عن وجهته ، فأجابها أنه زاهب لرؤية  
 ابنة عمه ، وهنا أعطته مالم يكن في الحسبان .

نعم لقد أخبرت الخادم أن قضاء الله كان أسرع منه إليها فدارت به الأرض  
 لذهوله ، وما أن انفرد بنفسه حتى أخذ يمزق القلوب أنيناً ونحيباً ، فسمعه المنظوطي  
 ( جاره ) فسرعان ما اتجه إليه ، وإذا به يجده في حالة يرثو لها من حزن وهذيان  
 ولم ، فلم يجد بداً من استدعاء الطبيب ويقى ليلته إلى جوار هذا المريض يعالجه  
 مرةً ويكي لحالة أخرى حتى انفرج ستار الليل ووضّح نور الفجر ، وبدأ المريض يصحو  
 من غفوته ، ثم سأله المنظوطي عن أمره ، فأخذ يقصّ عليه مأساته ، ثم طلب منه في آخر  
 حديثه أن ينقذ له وصيته التي أوصاه بها وهي أن يدفنه مع ابنة عمّه ويضع معه رسالتها

الأخيرة له ، طَّهَّما يجدان في لقاء الموت تعويضاً عن فرقة الحياة ولوعتها .

نُفذَ المنظومى وصية الشاب وكان تنفيذه لوصيته سلوى له عما سمعه من مأساة  
هذا الشاب اليتيم المَعدَم . . يقول المنظومى :-

( لقد هونَ وجدى على هذا البائس المسكين أنى استطعت إِمضاءَ وصيته  
كما أراد ، فسَعَيْتُ في دَفْنِهِ مع ابنة عَمِّهِ ، ودُفِنَتْ معه تلك الرِّسالة التي دَعَتْهُ فيها  
أن يوافيها فعجز عن أن يليي نداءها حياً ظبَّاهَا ميتاً . ) ( ١ )

وهكذا اجتمع تحت سقف واحد ذاك الصديقان الوفيَّان اللذان ضاق بهما  
في حياتهما فضاء القصر ، فوسعتهما بعد موتهما حُفرة القبر

؛ \_\_\_\_\_

المواقف الإنسانية في القصة :

القصة - كما لاحظنا - قصة حزينّة مؤثّرة ، فبطلها

يتيم الأبوين حُرْمَ جنان الأمومة وعطف الأبوة منذ نعومة أظفاره ، ثم حُرْمَ وهو شاب من شريكة طفولته وسمة شبابه ، فعاش وحيداً ليس له من يواسيه ويخفف آلامه مُعْدِماً من المال حتى يقيم به أوده ، ثم فارق حياته بعد أن فُجِعَ في أعز ما يملك فيها وهو ابنة عمه وشريكة الطفولة وسمة الشباب .

هذا هو بطل قصة المنظوظي الذي يستحق الشفقة والعطف فلا يجد مواسياً له في لحظاته الأخيرة إلا كاتب هذه القصة ذا القلب الرحيم الذي لا تجذبه إلا مواطن البؤس والشقاء ولا يريحه إلا أن يصوّر مآسيها أحسن تصوير منها هو ذا يصوّر لنا حالة اليتيم بقوله :-

( فأحزننى أن أرى فى ظلمة ذلك الليل وسكونه هذا الفتى البائس المسكين منفرداً بنفسه فى غرفة عازية باردة لا يتقى فيها عادية البرد بدِّشَار ولا نار ، يشكوهما من هموم الحياة أو رزأً من أرزائها قبل أن يبلغ من الهموم والآلام من حيث لا يجد بجانبه مواسياً ولا مُعيناً ، وقلتُ لا بد أن يكون وراء هذا المنظر الضارع الشَّاحِبَ نفساً قريحةً معذبةً تذوب بين أضلاعه ذوباً فيتهافت لها جسمه تهافت الخباء المقوِّض ) ( ١ )

ولا يكتفى المنظوظي بهذا التصوير الذي يهز المشاعر الإنسانية ويحركها بالشفقة على أمثال هؤلاء البائسين ، بل يقف ليستطلع أمر هذا المسكين فيراه في كل ليلة إما باكياً أو مطرقاً أو ضارباً برأسه على صدره أو منطوياً على نفسه في فراشه يئنُّ

أَنِينُ الثَّكْلَى أَوْ هَائِمًا فَيُغْرِفُهُ يَدْرُغُ أَرْضَهَا وَيَمْسَحُ جِدْرَانَهَا حَتَّى إِذَا نَالَ مِنْهُ  
الْجُودُ سَقَطَ عَلَى كُرْسِيِّهِ بَاكِيًا مُنْتَحِبًا ( ١ )

وَيَتَنَىٰ هَذَا الْأَرْيَبَ لَوْ يُدَاخِلُهُ مَدَاخِلَةُ الصَّدِيقِ لَصَدِيقَةٌ لَيْسَتْ بِنَفْسِهِ  
وَيُشْرِكُهُ فِي هَمِّهِ لَوْلَا أَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَفَاجِئَهُ بِمَا لَا يَحِبُّ وَأَنْ يَهْجُمَ فِيهِ عَلَى سَرَرَمِيمَا كَانَ  
يُوَثِّرُ الْإِبْقَاءَ عَلَيْهِ فِي دَخِيلَةٍ صَنْدَرِهِ .

ولكن المنفلوطي كانت شفقته أعظم من تمالكه لنفسه ، فما أن سمع أنين المريض وتوجعته حتى شعر أن دقات قلبه قد تحولت إلى ذلك الأنين ، وشعر بوحدته في مرضه فاتجه إليه مسرعاً يسمع شكاته ويخفف عنه آلامه ( ٢ )

فها هو يدخل عليه ويقترب منه قائلاً :-

( أنا جارك القاطن هذا المنزل ، وقد سمعتك الساعة تعالج نفسك علاجاً  
شديداً وطمت أنك وحدك في هذه الفرقة ، فعناني أمرُك فجئتُك عني أستطيع  
أن أكون لك عوناً على شأنك ، فهل أنت مريض ؟ ) ( ٣ )

ويستمر المنظوطي في ملاحظته والعطف عليه ثم أحضر له الطبيب ، ثم اضطر  
إلى البيت عنده في تلك الليلة لتطيبه والعمل على راحته حتى أفاق من غيبته  
فقال له :-

( أرجو أن تكون أحسن حالاً من ذي قبل . . . هل تأذن لي ياسيدي  
أن أسألك من أنت ؟ وما مقامك وحدك في هذا المكان ؟ وهل أنت غريب في

١ - المنظور . العبرات ، ص ٨ .

٢ - المنظور . العبرات ص ٨ . بتصرف

٣ - " " ص ٩ .

هذا البلد ؟ أو أنت من أهليه ، وهل تشكوداء ظاهراً أوهماً باطناً ... )  
إلى أن يقول :-

( فهل لك أن تحدثني بشأنك وتفضي إلى بهمك كما يفضي الصديق إلى صديقه  
فقد أصبحت معنياً بأمرك عنايتك بنفسك ) ( ١ )

ثم ينصت هذا الأديب الشفيق إلى شكاة المحزون حتى علم حقيقة كلها ، ولم  
يكتف بهذا بل حاول جهده إنفاذ وصيته التي أوصاه بها ، إذ بحث عن قبر ابنسة  
عمّه ودفنه معها ووجد في تنفيذ هذه الفرصة خير مواساة له بعدما ناله من تلك  
المأساة الحزينة .

هذه هي قصة اليتيم الحزينة وطك هو مواقف الأديب الإنسانية فيها ، فمسر  
أن تكون نموذجاً صادقاً لدفع القلوب الرحيمة إلى العطف على أمثال هؤلاء البائسين  
كما فعل أديبنا ذو القلب الرحيم .

---

في انصاف المظلومين

---

( الحرّية شمر يجب أن تشرق في كلّ نعر ، فمن عاش

محروماً منها عاش في ظلمة حالكّة . )

( صنع الإنسان القوى لأخيه الإنسان بالضعيف سلاسل

وأغلالاً وسماها تارة ناموساً ، وأخرى قانوناً باسم

العدل ويسلب منه جوهرة حرّيته باسم الناموس

والنظام . )



## الحرية ( ١ )

يؤكد المنظوطى فى هذا المقال أهمية الحرية سواء كانت هذه الحرية للإنسان أو الحيوان والطيور ويرى أنها ضرورية بل هى فطرة كل مخلوق فى هذا الكون ، أما إذا سلبت منه فهذا راجع إلى تغير الظروف والأحوال المارة به .

فها هو ذا يبدأ مقاله بحديثه عن قطعة تموء إلى جوار فراشه حتى أيقظته وتسحبت به تسحاً غريباً ، مما جعله يرتاب فى أمرها وظنّها جائعة ، فقدم لها طعاماً وشرباً ولكنها لم تلتفت إلى شيء منه ، وكل ما استطاعت أن تفعله هو إطالة النظر إلى باب الغرفة مع المواء الشديد .

فعلم حاجتها وأسرع ليفتح لها ثم تبعته ، وماكاد يفتحه حتى انطلقت منه مسرعة وهى تطير فرحاً وسروراً فعلم أنها تدرك معنى الحرية وقيمتها ولولا إدراكها لذلك ما كان طول حزنها وطوّمواها ، وكثرة تسحبها ، حتى تبلغ هذه الحرية ، فما كادت تبلغها حتى طارت فرحاً وسروراً .

وهنا يجد المنظوطى متنفساً للحديث عن أسرى الاستبداد والظلم الذين طغى عليهم تبلد الشعور إلى الحدّ الذى تبلدت فيه مشاعرهم ، وأصبح الحيوان الأعجم أكثر منهم شعوراً بالظلم وتطلعاً إلى الحرية فيقول :-

( من أصعب المسائل التى يحار العقل البشرى فى حلّها أن يكون الحيوان الأعجم أوسع ميداناً فى الحرية من الحيوان الناطق ، فهل كان نطقه شؤماً عليه وعلى سعادته وهل يجعل به أن يتمتع الخرس والبكّة ليكون سعيداً بحرّيته كما كان سعيداً

بها قبل أن يصبح ناطقاً مدركاً ( ١ )

ثم يمضي المنظوطي في مقاله ، معبراً عن ظلم الإنسان لأخيه الإنسان

بقوله :-

( صنع الإنسان القوي للإنسان الضعيف سلاسل وأغلالاً وسماها تارة ناموساً ،

وأخرى قانوناً ليظلمه باسم العدل ويسلب منه جوهرة حريته باسم الناموس والنظام ) ( ٢ )

ثم يعدد المنظوطي أنواع الاستبداد وتطوره منذ بدء الخليقة حيث كان

يعيش عارياً طليقاً فوضعت له قيود الطير وقيل له هكذا نظام الأزياء ، وعندما كان

يأكل ويشرب بلا قيود أو نظام ، فأصبح رهناً لإشارة الطبيب وخوف من المرض والموت .

وقيدت حريته في حديثه فلا ينطق إلا مالا يثير عليه غضب من هو أعلى منه

منصباً وأفضل منه جاهاً ، ولا يتحرك إلا كما تتطلبه قوانين العادات والمطلحات ( ٣ )

؛

وبعد .. ماذا أضاف لنا المنظوطي في مقاله بعد كل ذلك ؟

لقد طالب بحرية الإنسان وحضر على التمسك بها وحرّم سلبه إياها ، لأن

هذا هو الطريق الصحيح إلى السعادة الفردية ، فهي حق من حقوق الإنسان ، لذا

يجب ألا يظلم فيه أو يسلب منه . ( ٤ ) ولنستمع الى قوله :-

( الحرية شمس يجب أن تشرق في كل نفس ، فمن عاثر محروماً منها عاثر في

ظلمة حالكة ، يتصل أولها بظلمة الرحم وآخرها بظلمة القبر . )

١ ) المنظوطي . النظرات ج ١ . ص ١٢٤ .

٢ - نفس المرجع . ص ١٢٥ .

٣ - نفس المرجع . ص ١٢٦ . بتصريف

٤ - نفس المرجع والصفحة . بتصريف

الحرية هي الحياة ولولاها لكانت حياة الإنسان أشبه شيء بحياة اللعيب

المتحركة في أيدي الأطفال بحركة صناعية . . . ) إلى أن يقول :-

إن الإنسان الذي يمد يديه لطلب الحرية ليس بمسؤول ولا مستجدٍ ، وإنما هو يطلب حقاً من حقوقه التي سلبته إياها المطامع البشرية ، فإن ظفر بها فلا منه لمخلوق عليه ، ولا يد لأحدٍ عنده ( ١ )

وهكذا يبدولنا المنظوطى في هذا المقال عالي الصوت قوي النبرات ليطالب بحق فطري من حقوق الإنسان المسلومة وهي حرّيته التي طغى عليها الاستعمار فأنسبها حتى الإحساس بهذا الظلم ، وهو بهذا النداء العالي إنما يريد إنصافاً لهؤلاء المظلومين من ضحايا الاستعمار الفاشم سواء كان ذلك في وطنه أو في أى مكان يقطنه بنوا الإنسان وهذا مبدأ سام من مبادئ الاتجاه الإنساني في الأرب .

؛

## البائِسات ( ١ )

ما أصعب أن يكون الأهل سبباً في تعاسة ابنتهم وضياعها ، وما أشدّ مرارة الظلم عندما يكون من ذوي القربى والأحبّة ، وهذا ما نقله لنا المنظوطي في مقاله ( البائِسات ) إذ حكى لنا قصة فتاة في الثانية عشرة من عمرها ، زوّجها والدها رغماً عنها من رجل عجوز وحشيّ الخلق ، ويعد أن زوّجها إليه أبت إلاّ بقياد له ، فحاول أن يخضّعها لأمره ومشيتته ، ولكنه لم يُطع ، فضربها ضرباً مبرحاً ، ففرت إلى منزل أهلها الذين استنكروا امتناعها عنه وسَمّوا ذلك بِلادة وغلظة ، ثم أعادوها إلى منزلها الزوجيّة فعاد زوجها إلى عادته معها ، وفرت منه مرة أخرى بينما استمرّ الأهل في أسلوبهم معها وموقفهم منها ، فلما عشت من مناصرتهم ، خرجت هائمة على وجهها في الطريق لا تعلم وجهتها ، حتى رُفِع أمرها إلى الحاكم الذي مال به أن استدعاها وآواها في منزله رحمةً بها ورأفةً بحالها حتى خلّصها من ذلك الرجل وماهي إلاّ دقائق حتى عُرِضَ عليه قضيّة أخرى مشابهة لهذه القضيّة من جميع وجوهها إلاّ أنّها أشدّ بلاءً ونكبةً لأن الزوج خدع زوجته وسقاها مخدراً أفقدها صوابها فلم تعد تدري ما يدور حولها حتى نال منها بغيته .

وهكذا عرض لنا الأديب مشكلتين متشابهتين هما نموذجان للظلم الذي يقع على المرأة المسكينة التي يظن أهلها أنّها قد بلغت سنّ الزواج وأن بقاءها في منزلهم عبء ثقيل وعار ذميم ، ولذا يجب زواجها مهما كانت النتائج والظروف دون احترام لرغبتها واستعدادها النفسي والطبيعي لهذه الحياة الجديدة والتغيرات الطارئة يقول المنظوطي :-

( متى بَلَغَت الفتاة سنَّ الزواج سواء كان ذلك على تقدير الطبيعة أو على تقدير أولئك الجهلاء أولياء أمر تينك الفتاتين : إسنْتَقَلَ أهلها ظَلَمًا وبرموا بها وحاسبوها على المضغة والجرعة ، والقومة والقعدة ، ورأوا أنها عالة عليهم وأن لا حق لها في العيش في منزل لا يستفيد من عملها شيئاً وودَّوا لو طلع عليهم وجه الخاطب أى خاطب كان ، يحمل في جيبه آية البشرى بالخلاص منها .

وإنَّ قومًا هذا مبلغ عقولهم من الفهم ، وقلوبهم من القسوة وهذه منزلة ظلمات أكبادهم من نفوسهم لا يمكن بحال من الأحوال أن يفاوضوها في اختيار الزوج ، أو يحسنوا إلا اختيار لها حين يختارون ، فإذا دخلت هذا المنزل الجديد الذي لا تعرفه ولا تعرف شأنًا من شؤن أهلها دخلت في دور الجهاد العظيم بينها وبين قلب الرجل ( ١ )

ثم تناول قضية ظلم المرأة من جانب آخر وهو ظلم زوجها لها حيث سرد طينا قصة امرأة رآها واقفة بجوار منزل صديق له كان يريد زيارته ، فرآها رثة الثياب بائسة الحال يتعلّق بأذيالها صبية صفار كأنهم الخلال ، رقّة وذبولاً يتألمون لألمها وتمسّح بطرف أزهارها عبراتها خوفًا من أن يبكيوا لبكائها ، فسألها عن شأنها فأخبرته أنها طُلِّقت من زوجها وترك لها هؤلاء الصبية على أن يقوم بالنفقة على أولاده ، ووظب على ذلك مدّة ثم توقّف مدة طويلة حتّى أصبحوا على حالهم تلك ، وأنها ما أتت إلى هذا الرجل إلا لتسأله أن يذهب إلى صديقه ليبيع لها ما تسدُّ به جوع أبنائه ، فخوّف عنها ما بها من ألم ثم ذهب لشأنها وفي صبيحة اليوم التالي سمع عن امرأة ماتت على إثر حمى أصابتها وحاول أن يعلم من هي ؟

فعلم أنها تلك المرأة البائسة التي كانت تشكوله حالها بالأمس ، فحزن عليها  
حزناً شديداً ، ورث لحال أبنائها من بعدها لأنهم فريسة ظلم الأب بل فريسة  
الزوجة الفاسدة .

وهكذا بعد أن وقف المنظوطي على نماذج الظلم في المجتمع وأشهدنا عليها  
بدأ يقف موقفه الإنساني منها فأخذ ينطق بلسان عاطفته المنصفة للمظلومين على وجه  
البيسطه فيقول :-

( أيها الرجل :

إن كنت تعتقد أن المرأة إنسان مثلك وهبها الله مدارك مثل  
مدارك ، واستعداداً مثل استعدادك فعلمها كيف تأكل لقمتها من حرفة غير هذه  
الحرفة النكوة وإلا فأحسن إليها وارجمها كما ترحم كلبك وشاتك .

إن كنت زوجاً فلا تطردها من منزلك بعد أن تقضي مأربك منها كما تصنع بنعلك  
التي طيسها ، وإن كنت أباً فهذه فذة كبدك فلا تضق بها ذرعاً ، ولا تطلق بها فـ  
حجر وحتن ضارياً لكل لحمها ويمتص دماً ، ثم يلقي إليك بعظامها . .

ويا أيها المحسنون ، والله لا أعرف لكم باباً في الإحسان تنفذون منه إلى عفو  
الله ورحمته أوسع من باب الإحسان إلى المرأة .

علموها لتجعلوا منها مدرسة يتعلم فيها أولادكم مثل المدرسة وأدبوا لينشأ

في حجرها المستقبل العظيم للوطن الكريم . ( ١ )

هكذا تبدلنا كلمات المنظورين تغير حناناً وشفقة وتعمر بالقيم  
الإنسانية السامية وماذا لك إلا لأنك إنسان بكل ما تحمله هذه الكلمة  
من معانٍ نبيلة قديرة .

---

## خِداَع العناوين ( ١ )

يرى المنظوطى فى هذا المقال أن العناوين ماهي إلا ستار تكمن خلفه  
الأكاذيب وأنماط الظلم فى الإنسانية ويأتى لنا بنماذج متعدّدة للعناوين الكاذبة  
الخداعه سنتناول كل منها فى مكانه من البحث إن شاء الله .

ومما يناسب هذا الفصل ما يتناوله تحت عنوان ( المجرمون ) ( ١ ) إذا حكى  
لنا أنه حضر حكماً لقاضٍ مرتشٍ قد حكم على متهم سرق رغيفاً بحكم ظالم ، فتعالمك  
المنظوطي نفسه من الحديث وكان يود أن يهتف صارخاً مستكراً لظلم هذا الرجل  
المسكين الذي جاع فسرق ذلك الرغيف ليسد به جوعته ، أما القاضي فما أخذ  
رشوته إلا ليشبع طمعه الذي لم يقنع معه بثلاثين ديناراً يتقاضاها فى طلعة  
كل هلال .

وهنا يتساءل المنظوطي مستكراً أيهما أحق بمجلس القضاء ياترى ؟  
أ يكون ذلك الفقير الذى سرق الرغيف ليأكل ؟ أم القاضي الذى قبل الرشوة  
لأنه لم يقنع بما يتقاضاه كل شهر من وظيفته ؟؟

وها هو ذا المنظوطي يحدث نفسه بما يجب أن يقال للقاضي فى هذا الموقف :-  
( إنك ترتزق فى كل شهر ثلاثين ديناراً ، فلم ترتش إلا لأنك شره طماع ولم  
يسرق ذلك السارق الرغيف إلا لأنه جائع مرتاع ، ولو ملك ثلاثين درهماً فقط ما فعل  
فعله الذى فعل ، فأنت مجرم إلا أنك فى وشاح شريف ، وهو شريف إلا أنه

١ - المنظوطى . النظرات ج ٢ ص ٧٤

٢ - المرجع السابق ص ٧٧



## شَظَّةٌ مُجَرَّم ( ١ )

والأديب في حديثه هذا إنما يدلُّنا على نفس طَيِّية تَكْرَهُ الظُّلْمَ وتودُّ<sup>٢</sup> إلى انتصاف  
لهؤلاء المظلومين مهما كلفها ذلك من مشقَّةٍ وعناءٍ ، بل ولا يكفِّي بهذا الألم عليهم  
وإنما يجلي للقارىء معظم الحقائق المُخْتَفِية وراء ستار العناوين الكاذبة المظللَّة  
فيقول :-

( رَبِّ نَفَرٍ بَيْنَ جُدُرَانِ السُّجُونِ أَطْهَرَ قَلْبًا ، وَأَنْقَى رَدْنًا ، وَأَبْيَضَ عَرَضًا ، مَنْ  
مِثْلَهَا بَيْنَ جُدُرَانِ الْقُصُورِ ، وَرَبِّ طَرِيدَةٍ مِنْ طَرَائِدِ الْمَجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ سَاقَهَا الْقُدْرُ  
الَّذِي لَا مَفْرَاقَ مِنْهُ إِلَى وَقْفَةٍ بَيْنَ أَعْوَادِ الْمَشْنَقَةِ ، كَانَ أَجْدَرُ بِهَا ذَلِكَ الْمَرَابِىِ الَّذِي  
يَنْصَبُ حِبَالَهُ مَالَهُ لَخَرَابِ الْبُيُوتِ الْعَامِرَةِ وَقَتْلِ النَّفُوسِ الْمَّاهِرَةِ ، أَوْ ذَلِكَ الْقَائِدِ  
الَّذِي يَسْفِكُ فِي مَوْقِفٍ وَاحِدٍ مِنْ مَوَاقِفِهِ دَمَ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ، فَوْىَ غَيْرِ سَبِيلِ سَبِيلِ  
سَبِيلِ الْمَجْدِ الْمَصْنُوعِ وَالْفَخْرِ الْمَوْضُوعِ ، أَوْ ذَلِكَ السِّيَاسِيِّ الَّذِي يَدَبِّرُ الْمَكِيدَةَ لِلْقَضَاءِ  
عَلَى أُمَّةٍ ضَعِيفَةٍ آمَنَتْ فِي سَرِيرِهَا ، سَعِيدَةٍ فَوْىَ عَيْشِهَا فَيَسْتَبِدُّ أَحْرَارَهَا ، وَيَسْتَتِلُّ<sup>٣</sup>  
أَعْزَاءَهَا ، ثُمَّ يَسْلُبُهَا أَثْمَنَ مَا تَمْلِكُ بِمِجْنِهَا مِنْ حُرِّيَّتِهَا وَاسْتِقْلَالِهَا ، وَسَعَادَتِهَا وَهَنَاءِهَا ) ( ٠٠ ) ( ٢ )

---

١ - المنظوظى . النظرات ج ٢ . ص ٧٨ .

٢ - نفس المرجع والصفحة<sup>٣</sup> .

## الرجل والمرأة ( ١ )

ويتناول المنظوطى هنا فكرة "إنصاف المظلومين" فى صورة جديدة وإطار آخر هو إطار نظرة المجتمع إلى إساءة الرجل على أنها مشيىء لا يستحق العقاب لأنه رجل لا يضيره شيء .

أما إساءة المرأة فهي الخطيئة الكبرى والجُرم الفادح الذى يجب أن تعاقب عليهما ، لأنها ( مرأة ) فى نظر كل فرد من أفراد مجتمعها ولا يقبل الخطأ منها .

نقول يتناول المنظوطى هذه الفكرة فى مقاله هذا ليعلن رأيه - صراحة - ودفاعه الإنسانى عن حق المرأة ودفع الظلم عنها ، فيؤكد أن المرأة وإن تساوت مع الرجل فى قدرات معينة كالذكاء وسرعة الفهم وحضور البديهة فإنها لا تستطيع أن تجاريه فى الأناة والرفق وامتلاك هوى النفس ، والأخذ بفضيلة الصبر على ما تكره وما تحب ( ٢ )

ويرى أن سر عدم مساواة المرأة للرجل فى الصبر والأناة والحلم إنما يرجع إلى أن اندفاعها وراء العاطفة دون تحكيم عقلها ، وهذا معنو إنسانى واضح مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم :

( النساء ناقصات عقل ودين . ) ( ٣ )

فيقول المنظوطى :-

( يمشى الرجل وراء عقله فيهديه ، وتمشى المرأة وراء قلبها فيضلها ، فما وقفت

١ - المنظوطى . النظرات ج ٢ . ص ٤٤ .

٢ - المنظوطى . النظرات ج ٢ . ص ٤٥ . بتصرف

٣ - صحيح مسلم . بشرح النووى . باب الإيمان .

معه موقف إلا سقطت بين يديه عجزاً وضعفاً . . لأنه يعرف السبيل إلى قلبها ولا تعرف السبيل إلى عقله ( ١ )

ثم بين ضعف المرأة أمام الرجل وقوة تأثيره عليها وظلم المجتمع للإنسانو فسو الحكم عليها إذا أخطأت فيقول :-

( يخدع الرجل المرأة عن شرفها فيسلبها إياه ، فإذا سقطت هاج المجتمع الإنسانو عليها رجاله ونسائه . . وملأ قلبها هولاً ورعاً ، وأوسع نفسها تقريعاً وتأنياً من حيث لا تصبر على شرارة واحدة من النار المتأججة لأنه هو الذي وضع هذا القانون وشرع تلك الشريعة وما كان له أن يقصر في ملاءة نفسه ومحاباتها لأنه شره طماع محب لذاته ، لا أن يعدل في القضاء في قضية هو الخصم فيها والحكم ، لأنه ظالم جبار ) ( ٢ )

ثم يؤكد الأريب مدى ظلم المرأة في هذا المجتمع عندما يقضو على المرأة الزانية بالعقاب في حين أنه لا يعاقب الرجل على ذلك بقوله :-

( ولو أنه أنصفها لعرف فرق ما بينهما في القوة العقلية فجعل عقاب الرجل القوي المهاجم فوق عقاب المرأة الضعيفة المدافعة ، ولكنه لم يفعل ذلك لأن رجاله ظلمة جائعون ولأن نساءه ساذجات بسيطات ، يصدقن الرجال في أقوالهم . . ) ( ٣ )

ولا يكتفى المنظوطي بالإستصراخ لظلم المرأة والإنتصاف لها بإعلان رأيه هذا ، بل يعالج هذه المشكلة علاجاً واضحاً فيدعو إلى تعليم المرأة لتستطيع أن تأخذ بلب الرجل وتعرف السبيل السليمة إلى امتلاك قلبه وإقناع عقله . . فيقول :-

١ - المنظوطي . النظرات ج ٢ . ص ٤٥ .

٢ - المنظوطي . النظرات ج ٢ . ص ٤٧ .

٣ - المنظوطي . النظرات ج ٢ . ص ٤٨ .

( فَإِنْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَالَ الْمَرْأَةَ حَقَّهَا مِنَ الرَّجُلِ وَأَنْ تَتَنَصَّفَ مِنْهُ ، فَلَيْسَ سَبِيلُهَا إِلَى ذَلِكَ الْمِغَالِبَةِ وَالْمُصَارَعَةِ ، فَإِنَّهَا أَوْفَعُ مِنْهُ جَعْلًا وَعَقْلًا ، بَلِ السَّبِيلُ إِلَيْهِ أَنْ نَعْلَمَهَا لَتَعْرِفَ كَيْفَ تَسْتَعِظُفُهُ وَتَسْتَرْحِمُهُ ، وَكَيْفَ تَحْمِلُهُ عَلَى إِجْلَالِهَا وَإِعْظَامِهَا ، وَأَنْ تَعْلَمَهُ لَيْسْتَطِيعَ أَنْ يَكُونَ شَخْصًا كَرِيمًا وَإِنْسَانًا رَحِيمًا ) ( ١ )

وهكذا بدا لنا المنظوط في مقاله هذا مُنِصِّفًا لِلْمَرْأَةِ مِنْ ظُلْمِ الْمَجْتَمَعِ ، وهذا من غير شك - ما أكتسبه من القرآن الكريم الذي ساوى في عقابه بين المرأة والرجل في حَدِّ الزَّنا وغيره من الحدود الشرعية فالنساء شقائق الرجال في الأحكام ، ولا يفضل أحدهما على الآخر قال تعالى :-

( الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) ( ٢ )

١ - المنظوط . النظرات . ج ٢ . ص ٤٨ .

٢ - القرآن الكريم . سورة النور . آية رقم ٢ .

## خُطْبَةُ الْحَرْبِ

تُحَرِّكُ الْحِمِيَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ وَالْعَاطِفَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ قَلَمَ الْمَنْظُوطِيِّ ، فَيَتَأَجَّجُ لَهُبًا لِيَشْعَلَ حِمَاسَ الرِّجَالِ فِي الْحَرْبِ الَّتِي يَهْوَى لِقَاتِ الْعَدُوِّ الْأَجْنَبِيِّ وَيَسْتَعْمَلُ فِي سَبِيلِ هَذَا الْإِلْهَابِ كُلِّ مَا أُوتِيَ مِنْ وَسَائِلِ التَّأْثِيرِ وَالْإِقْنَاعِ ، كَتَزْكِيهِمْ بِظُلْمِ الْأَرَامِلِ وَالْأَطْفَالِ وَأَحْوَالِ الظُّلْمِ وَالْحَرَمَانِ الَّتِي يَقَاسُونَهَا ، فَيُطَالِبُهُمْ بِالْإِقْدَامِ السَّارِعِ طَرَفَ الْجِهَادِ حَتَّى وَإِنْ اسْتَشْهَدُوا ، فَهَوَاهُونَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَوْتِ حَقْفَ أَنْوْفِهِمْ ، تَارِكِينَ وَرَاءَهُمْ أَسْرًا مُحْرَمَةً وَعَارًا مُحْتَمًا ، لِأَنَّ الْمَوْتَ فِي ظِلَالِ السِّيُوفِ لِنَصْرَةِ الدِّينِ وَالْوَطَنِ خَيْرٌ مِنَ الْعَيْشِ بَيْنَ جُدُرَانِ الْقُصُورِ فِي ظِلِّ الْهَوَانِ وَالْعَارِ .

وَالْمَنْظُوطِيُّ بِمَوْقِفِهِ الْحِمَاسِيِّ هَذَا إِنَّمَا يَرِيدُ أَنْصَافًا لِهَوَاهُ الْمَظْلُومِينَ مِنَ الْأَسْرِ الْمُحْرَمَةِ بِمَا فِيهِمْ مِنْ يَتَامَى وَأَرَامِلَ لَا عَائِلَ لَهُمْ وَلَا مُعِينٍ إِلَّا اللَّهُ شَبَّاحُهُ وَتَعَالَى ثُمَّ الْمُحْسِنِينَ مِنْ بَنِي الْبَشَرِ .

نَقُولُ إِنْ مَوْقِفَ الْمَنْظُوطِيِّ هَذَا مَوْقِفُ إِنْسَانِي فَاضِلٌ ، لِأَنَّ الْأَدِيبَ شَعَرَ بِمَشَاعِرِ هَوَاهُ الْمَظْلُومِينَ فَهَبَّ صَارِخًا فِي مَقَالِهِ هَذَا لِيَلْهَبَ الْحِمَاسَ فِي نَفْسِ الرِّجَالِ وَالْجُنُودِ وَلَوْلَا وَجُودُ هَذَا الشَّعُورِ النَّبِيلِ فِي نَفْسِ هَذَا الْأَدِيبِ لَمَا سَمِعْنَا كَلِمَاتِهِ الْقَائِلَةَ :-

( لَا تَحَدَّثُوا أَنْفُسَكُمْ بِالْفِرَارِ ، فَوَاللَّهِ إِنْ فَرَرْتُمْ لَا تَفْرُونَ إِلَّا عَنْ عِزِّ رُضٍ لَا يَجِدُ لَهُ حَامِيًا ، وَشَرَفٍ لَا يَجِدُ لَهُ قَائِدًا ، وَدِينٍ يَشْكُو إِلَى اللَّهِ قَوْمًا أَضَاعُوهُ وَأَنْصَارًا خَذَلُوهُ ) ( ١ ) كَمَا يَقُولُ :-

( إنكم تعتمدون على الله وتثقون بعهده ورحمته فتقيدوا إلى الموت غير شاكرين ولا مرتابين ، فما كان الله ليخذلكم ، ويحكمكم إلى أنفسكم وأنتم ممن القوم الصادقين ) ( ١ )

ويقول مذكرا الرجال بمصائبهم :-

( إن أعداءكم قتلوا أطفالكم ، وبقروا بطون نساءكم وأخذوا بلحى شيوخكم الأجلاء فساقوهم إلى حفائر الموت سوفاً ، فماذا تنتظرون بأنفسكم ، أجليبوا عليهم بخيلكم ورجلكم واعدوا حملتكم عليهم وجمعوا بهم واقتلوهم حيث ثقتموهم ، واطلبوهم بكل سبيل وفوق كل أرض وتحت كل سماء ، وازعجوهم حتى عن طعامهم وشرابهم ويقتلهم ومنامهم ، فما أعذب الموت في سبيل تنفير الظالمين ) ( ٢ )

وهكذا بدالنا المنظور صارخاً بصوت المظلومين ملهياً به حماس المقاومين رغبة منه في إغاثة المنكوبين .

؛

١ - المنظور . النظرات . ج ٢ . ص ١٨٣ .

٢ - المرجع نفسه والصفحة .

## مدرسة الفرام ( ١ ) .

هذا هو عنوان المقال الذي خصصه المنظوطي لنقد المفاسد الخلقية المستورة

بستار المدنية الغربية .

ويرى أن المدنية الغربية والمفاسد الخلقية أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن

الآخر ( ٢ )

كما يذكر هنا أمثلة للمفاسد الخلقية التي كانت ثمرة من ثمار هذه المدنية

الغربية المخربة . كحوادث الإنتحار وحوادث غرام الشوائب بالحيوانات وغيرها . .

كذلك منها افتتاح مدارس الفرام وهو المدارس التي فُتحت خصيصاً لإفساد النشء

والشباب وتعليمهم في كل يوم من أيام الأسبوع درساً من دروس الفرام كالفساد

والمصارحة واختيار مواعيد اللقاء ( ٣ )

ثم بعد أن عدّ لنا الأديب هذه المفاسد الشائعة - المتخذة لقب المدنية

الغربية - بعد أن عدّها رقق هذا الظلم الموجّه في أمريكا للزنج ، لأنهم

أكثر حفاظاً على نساءهم وأعراضهم فيقول عنهم :-

( إنهم لا يتركون عذاريتهم ينامون وسط البيوت مخافة أن يكون لهم سبيل إلى

مخالطة النساء ، فيأخذونهم جميعاً إلى مكان خاصّ بهم خارج القرية يبيتون فيه فوق

هضبة مرتفعة ينثرون حولها تراباً معبداً ، حتّى إذا أراد أحدهم أن يخطب من

ظلام الليل ، غيرة ثم أثره عليه ) ( ٤ )

١ - المنظوطي . النظرات ج ٣ ص ١٦٢ .

٢ - المرجع نفسه والصفحة ( بتصرف )

٣ - المرجع نفسه ص ١٦٥ ( بتصرف )

٤ - المرجع نفسه ص ١٦٦ .

إلى أن يقول مُصْرَحاً بهذا التَّفْجِيرِ مِنْ ظَلَمِهِمْ :-

( فَيَا أَيُّهَا الزَّجِيُّ الْمُسْكِينُ ، لَقَدْ ظَلَمَكَ مِنْ سَمَّاكَ مَتَوَحِّشاً وَيَا أَيُّهَا الْأَمْرِيُّ الْمَتَوَحِّشُ لَقَدْ كَذَبَكَ مَنْ سَمَّاكَ مَتَّوِدِينَ ، أَيُّهَا الزَّجِيُّ الْأَسْوَدُ إِنْ كُنْتَ أَسْوَدَ اللَّسُونِ فَالْفُضِيلَةُ أَعْلَى قَدَرًا مِنْ أَنْ تَنْتَزِلَ لاعتبار السَّوَادِ ذنباً تَغْفُرُ مِنْهُ ، وَجَرِيْمَةً تَفْتَقِرُهَا ، وَإِنْ كُنْتَ جَاهِلاً فَهَلْ اسْتَفَادَ صَاحِبُكَ مِنْ عَمَلِهِ إِلَّا إِمْتِنَاعَ نَفْسِهِ بِشَهَوَاتِهَا وَلِذَائِذَاهَا وَالتَّفَنُّ فِي فُجُورِ الْحَيَاةِ وَقَسْوَقِهَا تَفَنُّنًا لَا أَحْسَبُكَ تَحَنُّنًا إِلَيْهِ أَوْ تَتَقَطَّعَ نَفْسُكَ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِ ٢٠ ) ( ١ )

ثُمَّ يَسْتَعْرِ الْمَنْظُوطُ فِي حَدِيثِهِ مَمْتَدِحًا لِبَاسِ الْفُضِيلَةِ الَّذِي يَتَحَلَّى بِهِ الزَّجِيُّ بِمَا يَتَعَسَّكَ بِهِ مِنْ حِفَاطٍ عَلَى عَرْضِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ ، مُنْتَصِرًا لَهُ مِنَ الْأَبْيَافِ بِحَدِيثِهِ هَذَا ذَلِكَ الْإِنْسَانُ الَّذِي حَجَبَتْ الرَّذِيلَةُ عَيْنِيهِ وَصِيرَتْهُ ظَمَّ يَدْرِى أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى الصَّوَابِ أَوْ الْحَقِّ .

وَحَدِيثُهُ هَذَا إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى مَوْقِفِ إِنْسَانٍ نَبِيلٍ لِأَنَّهُ لَا يَبْغِي مِنْ وَرَائِهِ إِلَّا إِصْلَاحَ الذَّاتِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ وَتَقْوِيمَ الْخَيْرِ فِيهَا .



## إحترام المرأة ( ١ )

مقال يُعالج فيه المنظوطي قضية إنسانية فاضلة وهي ضرورة النظر إلى المرأة على أساس أنها إنسان متكامل له حقوقه واحتياجاته كالرجل تماماً ، مع عدم إنكاره لقوامة الرجل عليها ، ولكنه يؤكد أن المرأة عضو فعال في بناء المجتمع وفي سعادته فيقول :-

( نعم إن الرجال قوامون على النساء كما يقول الله تعالى في كتابه العزيز ، ولكن المرأة عماد الرجل ، وإعلاؤه ، وسرّحياته من صرخة الوضع إلى أنسة النزع .. ) ( ٢ ) إلى أن يقول :-

( وجملة القول ان الحياة سرّات وأحزان ، أما سرّاتها ، فنحن مدينون بها للمرأة ، لأنها مصدرها وينبوعها الذي تتدفق منه ، وأما أحزانها فالمسرة هي التي تتولى تحويلها إلى سرّات ، وترويحيها عن نفوس أصحابها على الأقل ، فكأننا مدينون للمرأة بحياتنا كلها ) ( ٣ )

وتظهر نظرة المنظوطي الإنسانية إلى المرأة التي كان للإسلام فضل كبير في تكوينها عنده في قوله عنها :-

( قد تحنو عليها وترحمها ولكنها رحمة السيد بالعبد لرحمة الصديق بالصديق ، وقد تصفها بالعفة والطهارة ) إلى أن يقول :-

١ - المنظوطي . النظرات ج ٣ . ص ١٠٢ .

٢ - المرجع نفسه والصفحة .

٣ - المرجع نفسه ص ١٠٤ .

ومعنى ذلك عندنا أنها عفة الخدر والخباء ، لاعفة النفر والضمير ، وقد تهتم بتعليمها وتخريجها ولكن لا باعتبار أنها إنسان كامل لها الحق في الوصول إلى ذروة الإنسان التي تريدها ، والتمتع بجميع صفاتها وخصائصها ، بل لتعهد إليها بوظيفة المربية أو الخادم أو الممرضة أو لتتخذ منها مطهارة لأنفسنا ، ونديماً لسمرنا . . . ) إلى أن يقول :-

( إنها لا تريد شيئاً من ذلك ، إنها لا تريد أن تكون سرية الرجل ولا حظيته ، ولا أداة لهواه ولعبه ، بل صديقه وشريكه حياته ، إنها تفهم معنى الحياة كما يفهمها الرجل ، فيجب أن يكون حظها منها مثل حظه ) ( ١ )

وهذه المطالبة من الأديب . . . بالمساواة في الحقوق بين كل من الرجل والمرأة إنما هي أثر من آثار الإسلام الحنيف حيث يقول الله تعالى في كتابه العزيز الطاهر :-  
( وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ) ( ٢ )

والمنظوظ حريص كل الحرص على دعوته إلى هذه المساواة وفي الوقت نفسه لا يطالب بالتبرج والسفور والخروج إلى مجتمعات الرجال وأنديتهم ، بل جالس ما يريده هو حسن معاملة المرأة كما قال صلى الله عليه وسلم :-

( خِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ ) ( ٣ )

ولنستمع هنا إلى قول الأديب في هذا المجال :-

( لا أريد أن تتخلع المرأة وتستهر وتهيم على وجهها في مجتمعات الرجال

١ - المنظوظي . النظرات ج ٣ ص ١٠٥ .

٢ - القرآن الكريم، سورة النساء، آية رقم ١٢٤ .

٣ - ابن ماجه . سنن ابن ماجه - باب حسن معاشره النساء ج ١ ص ١٢٣ تحقيق محمد عبد الباقي .

وأنديتهم ، وتمزق حجاب الصيانة والعفة المسبل عليها ، كذلك لا أحب أن تكون  
جارية مستعبدة للرجل ، يملك عليها كل مادة من مواد حياتها ويأخذ عليها كل طريق  
حتى طريق النظر والتفكير ( ١ )

ومعد فإن المنظوطى يدعو فى هذا المقال - كإنسان له مشاعره وحرّيته  
وتفكيره الخاص - يدعو إلى حسن معاشرّة النساء وتقدير إنسانيتهم ، وهذه من غير  
شك دعوة إنسانية كريمة أفاءتها عليه تعاليم الإسلام الفاضلة ، لأننا قلّ أن نجد مثل  
هذا التّكريم للمرأة إذا تتبّعنا تاريخ النظرة إليها منذ أقدم العصور سواء كان ذلك عند  
العرب أو عند غيرهم من الأمم ، أو فى الأديان الأخرى ، وحتى يومنا هذا ، لانجد  
ذلك الفضل والتّكريم للمرأة إلا فى دين الإسلام الحنيف .

والمنظوطى - كما نعرفه - رجل مسلم حافظ للقرآن مُلِمٌ بمعظم الأحاديث  
النّبوية ولا بد أن يكون لها تأثير واضح فيه ( ٢ )

١ - المنظوطى . النشرات ج ٣ ، ص ١٠٦ .

٢ - فضلاً راجع ص ١٣ من هذا البحث ( ثقافته )

## عجائب زبوشنج ( ١ )

كثيراً ما تُطْفَى النِّعْمَةُ أصحابها ، وربما كان أكثرهم طُغْيَاناً من كان قبل ذلك في حالة فقر مدقع . . . بل كثيراً ما يحاول هذا الشَّخْص - الذي نقله الله من العُسْرِ إلى اليسر والرخاء - كثيراً ما يحاول أن يتكبر لكل ما يذكره بهذا الماضي التعيس فيغيّر من مسكنه وملبسه وطريقه حديثه ولو استطاع لغيّر اسمه وصورته . . . ويلتمس المنطوطي العذر لهذا الشَّخْص في كل ما يفعله ، إلا أن تكون الزَّوْجَةُ شيئاً من الأشياء التي يستبدلها بغيرها ويرى أن ذلك ظلم فادح وعمل غير إنساني لا يليق بمثله أن يفعله ، وكان الأجدر به أن يتمسك بها بعد تبدل حاله وتحسنها ليرى في وجهها صورة ماضيه وحاضره بل عليه أن يتمسك بها لأنها أول من كانت تدعوله بهذا اليسر والرخاء ، وهو أكثر من عاش في الشَّدة وضنك العيش ، فليس بكثير عليها أن تشاركه سعادته الحاضرة ونعيمه الزاهر يقول المنطوطي :-

( إنها رفيقة حياتي ، وعشيرة صباه ، وشريكتي في سرائي وضرائي ويسره وعُشره ، وشبعه وجوعه ورية وظمئه ، وأحسب أنها كانت إذا خلت إلى نفسها وفلالها وجه السماء بسطت يديها بالدُّعاء إلى الله تعالى أن يبدل عسره يسراً ، وضيقه وشدة رخاء ، فليس من الرأي ولا من الوفاء أن يخلعها فيما يخلع من أثوابه وأرديته وأن يلقبها وراء ذلك السدِّ كما يُلْقَى نعله وأداته ) ( ٢ )

١ - المنطوطي . النظرات ج ٣ ، ص ١٩٤ .

٢ - المنطوطي . النظرات ج ٣ ، ص ١٩٥ .

ولكن ما الذي دفع المنظوطي إلى هذا الحديث ؟

لا شك أن الأديب الحق لا يعيش بمنأى عن مجتمعه وأُمَّته ولا يتخذ لنفسه برجاً عاجياً بعيداً عن مصائب الناس وأرزائهم ، وهذا ما كان يفعله المنظوطي حقيقة فيها هو يكتب هذا المقال بعد أن سمع من صديق له قصة امرأة رآها واقفة على باب رجل موسر كان قد دعاه في ذلك اليوم إلى وليمة كبيرة ، وكانت تلك المرأة زوجته السابقة وقد حاولت أكثر من مرة الدخول إلى ذلك القصر لتطلب من زوجها السابق الذي بدل الله عسره يسراً وفقره غنى والذي هو أب لابنها ، حاولت الدخول إليه لتطلب منه ما يقوم بسد حاجتها وحاجة ابنه من الطعام والشراب فلم يسمح الخدم بدخولها ، لأنه كان يرفض ذلك لتزوجه من امرأة أخرى تناسب حالتها حاله الحاضرة ( ١ )

ولم يكتب هذا الأديب الإنسان بسر هذه القصة ضمن مقاله بل أبدى ألمه اتجاه هذه الزوجة المسكينة وأمثالها فقال :-

( إنه لموقف مؤلم جداً أن تقف امرأة على باب البيت الذي كانت سيده بالأمس

موقف السائل المتكفف فلا تجد من يمنحها ما يمنح السائلين المتكففين ) ( ٢ )

ثم يتبع المنظوطي في نصحه الطريقة المنطقية المقنعة التي عرفناها عنه فيقول

للرجال :-

( أريد أن يتمنى النساء جميعاً لأزواجهن دوام الفقر والفاقة حتى لا يستبدلوا

بهن يوم يجدون السبيل إلى ذلك ) ( ٣ )

١ - المنظوطي . النظرات ج ٣ - ص ١٩٦ .

٢ - المنظوطي . النظرات ج ٣ - ص ١٩٧ .

٣ - المرجع نفسه . ص ١٩٦ .

وإننا لنشاطِر المنطوي رأيه الذي ارتأه وهو أن من الحرِّيِّ بالرجل الذي يسرت  
 حاله وكثرت أمواله ألا يقطع الصلة بماضيه بل عليه أن يتصل بكل ما يذكره بذلك العاضبي  
 حتى يشعر بلذة الحاضر وحتى يحرك العواطف الإنسانية في نفسه ، فيعطف على من  
 هو أدنى منه ويمنحه مما أفاء الله عليه من فضله ( ١ )

## العقاب (١)

قصة قصيرة وضعها المنظوطي ضمن ما وضعه في كتابه "العبرات" وهي تدور حول ثلاث شخصيات كان عقابهم القتل ظلماً وعدواناً واهتزت نفس المنظوطي حزنناً عليهم ورثاءً لحالهم وردا ذلك التأثير على أسلوبه .

والقصة من غير شك - من بنات أفكار الكاتب وضعها على نسق قصة أمريكية

باسم "صراخ القبور" (٢).

إن يحكي فيها أنه رأى فيما يرى النائم أنه هبط بمدينة كبرى فيها أجناساً من البشر ينطقون بلغات مختلفة وكأن الدنيا جمعت في تلك المدينة ، وبينما هو يسير في تلك المدينة ان رأى بناءً كبيراً قد وقف عند بابه عدد غفير من الناس قد دخله فإذا الأمير جالس في وسط القاعة كالشمس عظيمة وضياءً وعن يمينه كاهن يلبس مسووحه وعن يساره قاضٍ يثيئه في جبروته وعنفوانه ، وماهي إلا دقائق ، حتى طلب الأمير إحضار المجرمين بين يديه بحشدٍ هائل يطل من باب السجن ، وإذا بشيخ هريم كأنه الخلال - لضعفه وسوء صحته - يقف بين يديه لم يكن له جريمة يعاقب عليها إلا لأنه سرق كيساً صغيراً من الدقيق من بين الأكياس المخزونة للفقراء والمساكين أمثاله فكان عقابه القتل ، بعد أن شهد عليه أشد الناس ظلماً وكذباً وهم رهبان الدين ، وليت هذا القتل نفذ فيه دفعة واحدة ، وإنما أمر الأمير بقطع يمينه ثم يسراه ثم بقتل أطرافه ، وأخيراً يقطع رأسه ، فيقطع بعد ذلك حنجرته إرباً إرباً للطيور والوحوش ، فنفذ فيه الحكم .

١ - المنظوطي . العبرات ، ص ٩٩ .

٢ - المرجع نفسه والصفحة .

وَأَتَى بِصَاحِبِ الْجَرِيمَةِ الثَّانِيَةِ وَكَانَ شَابًّا فِي عُمُرِ الزَّهْوَرِ ، وَكَانَتْ جَرِيمَتُهُ هِيَ قَتْلُهُ لِأَحَدِ قَوَادِ الْأُمِيرِ الَّذِينَ كَانُوا يَجْمَعُونَ الضَّرَائِبَ مِنْ قَرِيْبَتِهِ فُحُكِمَ عَلَيْهِ بِالصَّلْبِ عَلَى أَعْوَادِ شَجَرَةٍ ، ثُمَّ تَقَطَّعَ عُرْوَقُهُ كُلُّهَا حَتَّى لَا يَبْقَى فِي جِسْمِهِ قِطْرَةٌ مِنَ الدَّمِّ فُنْفِذَ فِي الْمَجْرِمِ الْحُكْمَ بَعْدَ شَهَادَةِ الشُّهُودِ عَلَيْهِ وَهُمْ أَعْوَانُ خَصْمِهِ وَشُرَكَائِهِ .

أَمَّا الْجَرِيمَةُ الثَّلَاثَةُ فَكَانَتْ أَكْثَرَ الْجَرَائِمِ ظُلْمًا لِأَنَّهَا كَانَتْ صَادِرَةً عَنْ فَتَاةٍ حُكِمَ عَلَيْهَا بِالرَّجْمِ عَارِيَةً لِأَنَّ أَحَدَ أَقْرَبَائِهَا وَجَدَهَا مُخْتَبِئَةً فِي دَارِ رَجُلٍ مَغْرَمٍ بِهَا فُنْفِذَ الْحُكْمَ فِي الْمَجْرِمَةِ بَعْدَ شَهَادَةِ عَمِّهَا عَلَيْهَا .

وهكذا قصَّ علينا المنظوطي قصة هؤلاء المجرمين الثلاثة في - نظرنا لميهم - ثم بات يفكر في قضاياهم تلك واستبعد إجرامهم كلَّ البعد لأنه لم يستمع إلى دفاع المجرم عن نفسه وإنما حُكِمَ عليه إثر حديث المدعي عليه .

ثم يستمر المنظوطي في تتبع القضية ، كما تدفعه نفسه النبيلة إلى المكان الذي حُمِلَ إليه القتلُ وأشلائهم ويقف على جثة الشيخ الهرم وهي تسبح في دَرَمَها سباحاً فإذا به يرى امرأة عجوز في ثياب بالية تقف على تلك الجثة تلمم أجزائها وتضم بعضها إلى بعض بينما تغيّر عيناها دُمْعاً ويندب قلبها ندباً ثم تقول مودعة صاحبها :-

( في سبيل الله مالقيت في سبيلي وسبيل أحفادك البؤساء أيها الشهيد المظلوم ، وفي ذمة الله وكنفه روح طار عن جسدك وجسد ضمة قبرك ، فقد كنت خير الناس زوجاً وأباً وأظهرهم لساناً ويدا وأشرفهم قلباً ونفساً . . ) الخ ( ١ )



ولم يكتفِ الأديب بما سمعه من المرأة بل يتقصَّ الحقيقة ويسأل المرأة عن أمرها ، فإذا به يعلم أن هذا الرجل كان جدًّا لخمسة أحفاد صغار أكبرهم فسنة العاشرة ، قد توفي عنهم والدهم وهو قس ريعان شبابه ثم تركهم تحت رعاية هذا الجدِّ العجوز ، فلما كبر سنُّه واجتمع عليه همُّ الشُّكْلِ وهمُّ الشيخوخة أعياه ذلك عن العمل فأصبحت الأسرة في حالٍ يرثى لها ، لا مال ولا مُعيل ، فلم تجد المرأة بُدًّا من الخروج لطلب الإحسان والمعونة من المارة والمتجولين ، ولكنها عادت خلوة اليدين لأنَّ الرحمة نُزعت من قلوب النَّاسِ ، ولم يعطوها ولو رغيفاً تسدُّ به جوعة الأطفال البائسين ، ولكن الجدِّ الرحيم لم يطق الصَّبْرَ أمام أطفال يصرخون وزوجة يقطر وجهها حُزنًا وألماً لذلك العويل والصُّراخ ، فلم يكن أمامه إلا أن يتَّجه إلى دير المدينة الذي كان يحتوي على مال للصدقات يجب على الكاهن توزيعه على المحتاجين إليه من النَّاسِ ، فأتى الدَّير وشكا للكاهن مصابه ، فالتفت إليه ولم يلقِ له بالاً بل نهَّره وشتته ثم طلب منه القيام بجريمة السرقة ليستجيب حاجة أطفاله الجياع ، ثم طرده من عنده ، فخرج الرَّجل العجوز حزيناً مكتوماً لا يلوي على شيء حوله ولا يملأ خاطره إلا شمه واحداً هو أن يحصل - مقابل أى تضحية - على شيء من المال أو الطعام من أجل زوجه وأحفاده ، فلمح على بُعدٍ منه كيساً من الدَّقِيق ، فراودته نفسه بأخذه ولكنه حارب هذه الرغبة فيها حتى اقترب من الدَّقِيق ، فعاودته نفسه بما كانت بدأت به ، فلم يجد بُدًّا من حَمْل الكيس والهروب به ولكن كان حمله ثقيلاً عَظِيماً وشعر أنَّ روحه تخرج من بين أضلاعه حتَّى ألقاه أرضاً وسقط بجانيه وهو لا يلوي على شيء فرآه القس في الوقت الذي سمعوا فيه صوت حراس الدَّير يصرخون سائلين عن الدَّقِيق ، فعلموا الأمر وقبضوا على الشَّيخ مثبِّساً بجريمته التي اضطرت إليها

الحاجة والفقر .

أما الشاب ، فكانت تهمة التي ألصقت به وتسببت في قتله هي أن رجلاً من أتباع الأمير الذين كانوا يجمعون الضرائب في البلدة التي يسكنها الغلام - رأى ذلك الرجل أخت الشاب التي تنطق بهاءً وحسنًا ، فطمع فيها ولكنه أخفى ذلك في نفسه وطالب الشاب بالمال ، ولكن الشاب لم يستطع دفعه في تلك الأيام وطلب منه أن يمهله حتى يبيع غلته ويعطيه المال المطلوب غير أن الرجل أبى ذلك وطالبه بالدفع فوراً أو تكون أخته رهينة عنده حتى يسد ما عليه من ضرائب ، فرفض الشاب ذلك لما سمعه عن أولئك النساء الرهينات من فساد أحوالهن بعد خروجهن من عند الأمير ، ولم يكن أمامه إلا نفسه فعرضها رهينة بدلاً من أخته ، ولكن المسئول عن هذه الضرائب رفض هذا العرض واشترط أن يكون هو صاحب الرأي في نوع الرهينة لا غيره ، ويجب أن تكون الفتاة الحسنة هي رهينته ولا تكون حياة أخيها فدأ لها ، فغضب الشاب لشرفه ورأى أن فقد نفسه خير من فقد شرفه فحمل سيفه طوى الرجل وقطعه صيانة لعرضه وشرفه ثم أخذ مفلولاً إلى حيث نفذ فيه الحكم الظالم دون أن يسأل عن سبب ذلك .

أما الفتاة فكانت ظلامتها أنها أحببت شاباً طيب النفس كريم الخلق مثلهما فخطبها من والدها الذي وافق سروراً سعيداً بذلك ، ثم نزلت بالأب نازلة الموت فاضطر الخطيبان إلى تأجيل الزواج لمدة عام كامل ، حتى إذا انقضى العام وأشاروا على الإنتهاء ذهبت الفتاة إلى قاضي مدينتها في أمر يتعلق بميراثها ، فقرأها القاضي وتعلقها نفسه فأرسل إلى عمها الذي كان ولياً لأمرها بعد وفاة والدهما فخطبها منه ، ولما كان ذلك العم قد صلا الطمع نفسه استطار فرحاً لهذا الطلب لأنه بشرى سعيدة لمستقبل حياته فزف هذه البشرى إلى الفتاة الحسنة ولكنها رفضت

ذلك لأنها لا تستطيع أن تترك خطيبها الأول فأجبرها العم على الموافقة وحدد موعد الزفاف ، فما جاء ذلك اليوم حتى هربت الفتاة الى حيث لا تعلم أين وجهتها فأعلم عمها القاضي الذي خطبها ، فأرسل عيونه وراءها في كل صوب وطريق حتى لحقوها فألقت بحقيبتها أرضاً وأفلتت منهم فارة إلى حيث لا تعلم فالتقت في طريقها بخطيبها وهو عائد الى منزله فقصت عليه قصتها ورجت له أن يحميها من ظلم هؤلاء .

وهنا لم يجد الشاب بُدّاً من إخفائها في إحدى غرف منزله ، فأنكر وجودها وفتشوا المنزل حتى وجدوها فألقوا القبض عليها وكان عمها معهم الذي صرخ بأعلى صوته اقبضوا على الزانية فحملت إلى حيث نُفِّذ الحكم الظالم فيها .

هذه هي قصة ثلاثة مجرمين - في نظر عدالة ظالمة - كتبها لنا المنفلوطي وهو يعتصر ألماً وحزناً لهذا الظلم السائد بين البشر بل وفي الطبقة الحاكمة التي كان ينبغي أن تكون مثلاً للعدل بين أفراد المجتمع .

المواقف الإنسانية فيها :- القصة - كما رأينا - تعكّر لنا أفكار المنفلوطي الإنسانية وتعاطفه مع المظلومين ورغبته في إنصافهم ، يظهر ذلك من المواقف الإنسانية الآتية :-

لعلّ أول موقف إنسانيّ يواجهنا في هذه القصة هو موقف المنفلوطي نفسه - كاتب هذه القصة - إذ رأى في منامه أنه وقف إلى جانب هذه الجثث الثلاثة مغشياً عليه لهول ما رأى حتّى إذا أدرك ما حوله ، رأى امرأة عجوز تقترب من جثة الشيخ وهي تذوب بكاءً وحنناً ، فلم يُطق الصبر بل اتّجه نحوها ، وأخذ يسألها عن حالها وقصة هذا الشيخ الذي تقف إلى جواره مُنتحبة والتي حاولت أن تخفى الأمر عنه لخوفها من المسؤولين ، ولكنه استمرّ في محاولته ، فأخبرها أنه رجل غريب عن المدينة وأنه ليس له شأن في معرفة حالها إلا لغرض التخفيف عنها ولنستمع إلى قوله لها :-

( لا تُراعي ياسيدتي فإنني رجل غريب عن هذا البلد لا أعرف من شأنه ، ولا من شأن أهله شيئاً ، وقد رأيت الساعة موقفك على هذا القبر وتفجعك على ساكنه ، فرثيت لك وبكيت لبكائك ، وتمنيت لو أفضيت إليّ . بذات نفسك عليّ أستطيع أن أكون لك عوناً على همّك ) ( ١ )

فلا شك أنّ وقوفه إلى جوار السيدة ومحاولته أن يعرف شكاتها وألمها هو موقف إنسانيّ نبيل لا بدّ أن يكون الدافع إليه ما تحمله نفس المنفلوطي من

عواطف نبيلة سامية موجهة لنصرة الخير دائماً .

وشبيه بهذا الموقف موقفه من أخت الشاب الذي قُتلَ فداءً لشرفه وصيانة عرضه ، إذ رأى الأديب أخت ذلك الشاب منتحبة باكية على قبره ، فسألها عن أمره فأخبرته بقصته مع هبعوث الأمير ، وسمع منها ثم خفف عنها مأساتها وسألته مساعدتها في مواراة جثته بالتُّراب فنفذ لها ما أرادت وها هو ذا يقول :-

( فقمتم إلى الشجرة واحتفرت حول ساقها حفرة بجانب حفرة الشيخ

فواريته فيها ) ( ١ )

ويرى المنفلوطي بعد ذلك جثة الفتاة العارية - التي قُتلت رجماً - رآها باقية مكانها فحرك ذلك المنظر مشاعره الطيبة فأخذ يحدث لنفسه بقوله :-

( إنني لا أدخر لنفسي عملاً أرجو فيه رحمة الله وإحسانه يوم جزائه ،

أفضل من مواراة هذه المسكينة بالتُّراب ) ( ٢ ) ثم احتفل لها حفرة ستر فيها جثتها هذه المظلومة التي مالبث أن رآه خطيبها السابق وهو يوارى جثتها فتعريف عليه وشكره على جميله معها ، ثم سأل المنفلوطي عن ظلامتها وخفف عنه مصابه فيها .

ولا يكتفى المنفلوطي بمارواه ، بل يعلن صراحة عن تأثيره لهذه العصائب

التي رآها وذلك الظلم الذي كان سبباً فيها فقال :-

١ - المنفلوطي . العبرات ص ١١٠ .

٢ - المرجع نفسه ص ١١١ .

( ليت شعري ألا يوجد في هذه الدنيا عادل ولا راحم ، فإن خلت

منها رقعة الأرض فهل خلت منها ساحة السماء ؟

أَجْرَمَ الزَّعِيمَ الدِّينِيَّ لِأَنَّهُ غَنَّ عَلَى ذَلِكَ الشَّيْخَ الْمُسْكِينَ بِدَرَاهِمٍ مِنْ مَالٍ  
يَسُدُّ بِهِ جُوعَهُ وَجُوعَ أَهْلِ بَيْتِهِ ، فَاضْطَرَّ الرَّجُلُ إِلَى ارْتِكَابِ جُرَيْمَةِ السَّرْقَةِ  
فَعُوقِبَ السَّارِقُ عَلَى سَرَقَتِهِ ، وَلَمْ يُعَاقَبِ الْقَاضِي عَلَى قَسْوَتِهِ وَلَوْلَا قَسْوَةُ  
الْقَاسِي مَا كَانَتْ سَرَقَةُ السَّارِقِ .

وَأَجْرَمَ الْأَمِيرَ لِأَنَّهُ أَرْسَلَ قَائِدَهُ لَا خُتْطَافَ فَتَاةَ حَرَّةٍ لَا تَوْثَرُ أَنْ تَجُودَ بِعِرْضِهَا  
فَاضْطَرَّ أَخُوهَا إِلَى الْبُذُودِ عَنْهَا ، فَارْتَكَبَ جُرَيْمَةَ الْقَتْلِ ، فَعُوقِبَ الْفَتَى عَلَى  
جُرَيْمَتِهِ وَاسْلَمَ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَنْ دَفَعَهُ إِلَى الْإِجْرَامِ .

وَأَجْرَمَ الْقَاضِيَّ لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُكْرِهَ فَتَاةً لَا تُحِبُّهُ عَلَى الزَّوْاجِ مِنْهُ ، فَفَرَّتْ  
مِنْ وَجْهِهِ فَعَاقَبُوهَا عَلَى فِرَارِهَا وَلَمْ يُعَاقَبُوا الْقَاضِيَّ عَلَى ظُلْمِهِ وَاسْتِبْدَادِهِ .

وهكذا أصبح المجرم بريئاً والبريء مجرمًا ، بل أصبح المجرم قاضي البريء

وصاحب الحق في معاقبته ( ١ )

نعم هذا موقف المنفلوطي من قضايا الظلم التي رآها أو سمعها أو حتى  
تخيلها فدونها على هيئة مقال أو قصة .

ولاشك أن رجلاً يقف مثل هذه المواقف في قضايا الظلم - التي ذكرنا نماذج  
منها في هذا الفصل من البحث - لاشك أن رجلاً كهذا ، إنما يحمل في طيات نفسه  
روحاً إنسانياً عالياً تتجلى في صفتها معاني الإنسانية الحقّة ، وهذا مانسعى جاهدين  
لإثباته في هذا البحث المتواضع .

حَمَلَتْهُ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ وَطَبَقَ الْحُكَّامِ

( الشَّرَفُ فِي كَمَالِ الْأَدَبِ لَا فِي رَيْنِ الذَّهَبِ )

( لَا مَجْدَ إِلَّا مَجْدَ الْعِلْمِ وَلَا شَرَفَ إِلَّا شَرَفَ

التَّقْوَى وَلَا عَظَمَةَ إِلَّا عَظَمَةَ الْآخِذِينَ بِيَدِ الْإِنْسَانِيَّةِ

الْمُعَذِّبَةِ رَحْمَةً بِهَا وَحَنَانًا عَلَيْهِمَا )

لا شك أن المنفلوطي أديب منصف مدافع عن الحق ، ولو كلفه ذلك مهاجمة ذوى الجاه والسُّلطان ولا أدلّ على ذلك من قصيدته " قدوم " التي سبق إيرادها وتحليلها في بداية هذا البحث ( ١ )

ويستمر هذا الهجوم منه على كل ذي سلطة في المجتمع سواء كان موبِراً أم حاكماً ، طالما أنه تسلّط ظالم متناير حقيق الفضيحة عليه ، وحقّ الإنسانية النبيل على ماله أو على منصبه وها هو ذا المنفلوطي ينشُر آراءه هذه في مقالاته إما بطريق التلميح ، أو بطريقة التصريح كما سنجد في مقالاته الآتية في هذا الفصل من البحث :-

---

١ - فضلاً راجع قصيدة " قدوم " وتحليلها ص ٤٦-٤٧ من هذا البحث .



## خَدَاعُ الْعَنَاوِينَ ( ١ )

### ( الأَمْجَاد ) ( ٢ )

يرفض المنفلوطي - تحت عنوان " الأمجاد " - برفض العناوين الزائفة والحُجُب الكاذبة ، فلا يقبل أن يُقال ان الإبن ماجد مادام أن ورث نَسَباً شريفاً ومركزاً رفيعاً عن أبيه وجدّه ، حتى ولو كان سلوكه سيئاً وتصرّفه خاطئاً ، ويرى أن المجد الحقيقي في العلم المنتفع به وفي تقوى الله وحسن الخلق لأن هذه الصفات إذا توفرت للشخص استحق أن ينتمي لجنس الإنسان وهي تغنيه عن كل جاهٍ وسلطان ، فالعظمة كلها في الأخذ بيد الإنسانية المعذبة ( ٣ ) فيقول :-

( ثُمَّ مازال النَّاسُ يعبثون بعنوان الشَّرَف ، ويتوسَّعون في معنساءه حتى نظموا في سلكه الجبابرة الذين يسمونهم أَمْهَاءَ وَالظَّالِمَةَ السُّذُنِ يسمونهم أغنياء ، فساقهم الخطأ في فهم الشَّرَف إلى الخطأ في فهم المجد ، قَسَمُوا ماجداً كل من وُلِدَ في فراش ملك وإن كان الحاكم بأمر الله ، أو أمير وإن كان الحجاج ، أو وزير وإن كان بن الزيات ، أو قائد وإن كان " تيمورلنك " أو غني وإن كان قازين ( ٣ )

١ - المنفلوطي . النظرات ج ٢ . ص ٧٤ .

٢ - المرجع نفسه . ص ٧٥٠ .

٣ - المرجع نفسه . ص ٧٦ بتصرّف .

٤ - المرجع نفسه . ونفس الصفحة .

هذا هو حديث المنفلوطى الذى يحارب فيه ذوى الجاه والمال  
الظالمين ولا يكتفى بذلك بل يُعرِّف لنا المجد - فى نظره - بقوله :-

( لا مجد إلا مجد العلم ولا شرف إلا شرف التقوى ولا عظمة إلا عظمة  
الآخذين بين الإنسانية المُعَذِّبة رحمةً بها وحناناً عليها ) ( ١ )

ولاشك أن محاربة المنفلوطى هذه تدل على نفس إنسانية طيبة  
تكمُن فى ذاته ، وتُحرِّك كيانه فيلُفِّظ بما تأمره به هذه النفس ، فيسبيل تلمة  
معبِّراً عن حدِيثها ، ذلك الحديث الذى ترفض فيه الظلم بكل مُسَوِّره  
وأشكاله وتطلب الفضيلة أنى كانت وحيثما حلت .

## خِـدَاعُ الْعَنِيَّائِـنَ

الأغنياء ( ١ ) ويبدى المنفلوطى تحت عنوان ( الأغنياء ) رأيه فى التعريف الحقيقى بالأغنياء لأنه لا يعترف بمقاييس الناس الباطلة فى الحكم على بعضهم بعضاً ، بل يرى أن الأغنياء أشد الناس شقاءً على وجه الأرض وأنهم لو استطاعوا أن يشقوها ليخرجوا الكنوز من باطنها لفعّلوا . . . وليتهم يؤتوا الناس ما آتاهم الله من فضله ، ولكنهم بخلوا حتى على أنفسهم بهذا المال فاشترأ بت نفوسهم إلى ما تطلع إليه الفقراء من الرغبة فى المال أو الطعام ( ٢ )

ولا يكفى هذا الأدب ببيان هذه الحقائق البلاغة بل يعرف لنا الفقر والفنى فى رأيه - بقوله :-

( الغنى هو الغنى بما فى يده عما فى أيدي الناس والفقر هو الذى لا يقنعه فى هذه الحياة مقنع ولا تغف به نفسه عند مطمع ) ( ٣ )

فالقناعة - فى نظره - شرط أساسى للإنسان ولا عبرة لديه بزيادة المال عند الشخص أو نقصه فالغنى ما هو إلا معرفة خلقية يجب أن يتحلى لها الشخص ليستحق أن يسمى غنياً .

ولأنك فى هذا الرأي رأى عائب صحيح لأنه لا قيمة للمال إذا لم يكن هناك بذل فيه فى سبيل الخير ، ولا عبرة بكثرته إذا لم تكن هناك قناعة باليسير منه فالقناعة فى ذاتها كنز لا يفنى .

١ - المنفلوطى . النظرات ج ٢ ص ٧٦ .

٢ - المرجع نفسه ص ٧٧ . بتصرف

٣ - المرجع نفسه ص ٧٧ .

## الْكِبْرِيَاءُ ( ١ )

وحملة أخرى من حملات المنفلوطي على الأغنياء وذوي الجاه والسلطان نلتقى بها مع سطور هذا المقال ، تتجلى هذه الحملة في رده على الرجل الذي شكاه إليه جُرأة أحد الفقراء الصعاليك - في نظره - لوقوفه إلى جواره في صلاة الجمعة دون أن يحترم منصبه وسلطانه ، ثم يسأله هذا الشاكي عن حكم الشريعة في هذا الأمر .

وهنا يجد المنفلوطي الفرمة أمامه سائحة ليسخط على مثل هؤلاء الأغنياء ومن نجا نحوهم ، فيخاطبهم بالهودة مة وبالشدة والعنف أخرى ، عل ذلك يحرك مشاعرهم المتبلدة أو يخفف من حدة تعاليهم وكبريائهم فيقول :-

( رُحْمَاكَ بِهَذَا الصُّلُوكِ الْمُسْكِينِ الْوَاقِفِ بِجَانِبِكَ لَا تُضِنُّ عَلَيْهِ بِمَذْقَةِ مِنْ ظِلِّكَ الظِّلِيلِ أَنْ تَمْتَدَّ إِلَيْهِ فَتَقِيَهُ أَشْعَةَ التَّصْلُوكِ الْهَارَةِ الَّتِي يَتَلَطَّى فِيهَا ، وَلَا تَحْرِمَهُ نَفْحَهُ مِنْ نَفْحَاتِكَ الْعِطْرَةِ الَّتِي تَهَبُّ مِنْ بَيْنِ أَرْدَانِكَ عَلَيْهِ يَجِدُ فِيهَا رَوْحَ الْحَيَاةِ ... ) الى أن يقول :-

( وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ) ( ٢ )

ثم يعرض المنفلوطي متدرجا في حديثه من اللين والهودة إلى التهكم بهذا السائل لعل ذلك يصرفه عن كبريائه فيقول :-

١ - المنفلوطي . النظرات ج ٢ ص ١٥٤ .

٢ - نفس المرجع ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

( ليفرخ روعك وليشج عدرك ، وأعلم أن هذا المسكين الواقف بجانبك  
لا يستطيع مهما نال منه العدم ، ويرح به السقاء أن يقطع قطعة من سعادتك ،  
أو يفتلذ فلسفة من شرفك ، فشرفك كالمصباح تستمد منه الصابيح ونوره  
نوره وبهاؤه وبهاؤه ) ( ١ )

ثم يتبع الأديب تهكمه هذا برأى الشريعة في هذا التعالى والكبرياء  
والذى سأل السائل عنه ، فيخبره أن هذا الكبرياء الذى يغلفه وتلك العظمة التى  
تكتنفه وتشمخ أنعمه وذلك التعالى الذى يقفز به إلى عنان السماء لا يعادل  
ذرة واحدة من عظمة ملك الله وجبروته ، الذى يقف بين يديه فى كل يوم ولياسة  
خمس مرات ليعبده ، ويرى أنه من الحرى به وهو يقف بين يدي هذا الملك  
العظيم أن تلبيه عظمته عن كل شيء حوله فلا يرى معلوكاً ولا عظيماً فى موقفه ذلك .  
ولكن أشئ له ذلك ؟ وقد غشى كبرياؤه عينيه وحجز صلفه مشاعره  
تجاه خالقه فلم يعد يرى أو يشعر بشيء سوى هذه العظمة وذلك الكبرياء وتلك  
السلطة القاهرة ( ٢ ) ولنصفى هنا إلى قول المنفلوطى :-

( إن كنت تريد الصلاة للصلاة فاعلم أن الله لا يقبلها منك ولا يجزل لك  
شواحبها ، حتى تقف بين يديه موقف من خالطت الخشية قلبه وملكت عليه  
السكينة سمعه وبصره ، فلم يعد يبصر شيئاً مما حوله ولا يعلم أواقف هو فى صفوف  
الملوك أو فى زمرة الصعاليك ؟ ) ( ٣ )

١ - المنفلوطى . النظرات ج ٢ ص ١٥٥ .

٢ - نفس المرجع ص ١٥٥ / ١٥٦ بتصرف

٣ - نفس المرجع ص ١٥٦ .

ثُمَّ يُوَكِّدُ فِي خاتمة مقالهِ أَنَّ هذه العظمة التي يعيشها معظم الأغنياء والعُظماء في دُورِهِم وقصورِهِم ما هي إِلَّا قشور جميلة تحمل في أحشائها لباباً سيئاً وحقائق مُفْجِعة وأنَّ عليهم تلافي ذلك بالإحسان إلى أنفسهم فيعملوا على ترويضها وتدريبها على الفضائل حتَّى تُوْتِيَ أَكْلَهَا ( ١ )

ولنستمع إلى حديثه لهم :-

( أيها العُظماء :-

لا عذر لكم في الكبرياء في جميع حالاتكم وشؤونكم ، فإن كُنْتُمْ من أرباب الفضائل فحرِّى بالفاغل أن لا يشوّه وجه فضيلته برذيلة الكبرياء ، أولاً ، فما تحمل الأرض على ظهرها أسمى وجهاً ، ولا أصلب خدّاً من جهلة المتكبرين ، فانظروا أين تنزلون في أيِّ مقامٍ تقيمون ؟ ) ( ٢ )

نعم هذا هو موقف المنفلوطي من كلّ متكبرٍ شاہنخ بأنفه إلى عنان السماء لأنّه ملك من زخرف الدنيا الزائل وسرابه البراق الذي لا يلبث أن يصل إلى ما وراءه الظامي ، فيجد الحقيقة القاطنة .

والذي لا نشك فيه أنّ أديباً يحارب الأغنياء ، المتصّلين هذه المحاربة الواضحة ، إنما هو يدعو إلى الخير ويحارب الشرّ بكلِّ وسائله وصوره ، وهو بهذا أديب له اتجاهه الإنساني الذي لا مراء فيه .

١ - المنفلوطي . النظرات ١٥٧ ص ١٢٢ بتصرف

٢ - المرجع نفسه والصفحة .

## الْكُؤُحُ وَالْقَصْرُ ( ١ )

نعم هذا هو عنوان المقال الذى بسط فيه المنفلوطى حديثه عن الفقراء والأغنياء فغبط الأول لأنه أروح بالاً ، وأسعد حالاً ، ورشى للآخر لأنه يغوص فى بحر ليس لأواجه استقرار ولا لهديره سكن ، فهو دائم القلق دائم التفكير فى الحاضر والمستقبل .

أما تفكيره فى الحاضر فيتركز فى حرصه الشديد على ثروته الحاضرة ، فيحرم نفسه من لذة الاستمتاع بها ويكون ذلك أتعس حالاً من ذلك المعدم الفقير .  
وأما تفكيره فى مستقبله ، فهو لا يقل خوفاً ولا قلقاً عن تفكيره فى حاضره ، فهو مازال يفكر فى أنجح الطرق لاستثمار أمواله حتى تكون أضعاف ما هى عليه وذلك يزيد احترام الناس له ، وتكثر نظرات الإعجاب والتقدير لما يملكه ، وهكذا تفلت منه لذة العيش ومتعة الحياة التى كان ينبغي أن ينعم بها والتى يحسد الناس عليها لعدم علمهم بفحوى الأمور وحقائق الأشياء ، يقول المنفلوطى متهمكاً :-

( لقد بلغ الضعف ويغتر النفس بكثير من الناس أنهم يحفلون بالأغنياء لأنهم أغنياء ، وإن كانوا لا ينالون منهم ما يبل غلة أو يسيغ غصه ، وليت شعري إن كان لابد لهم من إجلال المال وإعظامه جث وجد ، فلم لا يقبلون أيدي الصيارفة ، وينهضون إجلالاً للكلاب المطوقة بالذهب وهم يعلمون ألا فرق بين هؤلاء وهؤلاء ؟ )

فالمنفلوطى كما نرى يرفض أن يحترم الرجل لماله ومنصبه فهذه مظاهر وعروض زائلة لا قيمة لها فى ميزانه الإنسانى الرفيع ، لذا لا يفرق بين الشخص المالك

للمال وبين الحيوان المطوق بالذهب فكلاهما - عنده - يبد وأنَّ يملك المال ولكنه لا يستطيع أن يتصرّف فيه ، لأنَّه الغنيّ يمنعُه بخله وغمته به حتّى على نفسه ، وأهله .

ولأنَّ الحيوان جاهل به وبقيمته ، وكأنَّه هنا يريد أن يقول :-  
إن الحيوان لو عقل ذلك لتصرّف فيه ، ولم يكن مجرد شكل لا يمكن الانتفاع

به .

ثم لا يكفي هذا الأديب بتهكمه هذا بل يلجأ إلى تحريض الفقراء عليهم

بقوله :-

( لوعامل الفقراء بخلاء الأغنياء بما يجب أن يعاملوا به لوجدوا أنفسهم في وحشة ، ولشعروا أن بدرات الذهب التي يكتزونها إنما هي قيود ملتفة على أقدامهم ، وأغلال آخذة بأعناقهم ، ولعلموا أن الشرف في كمال الأدب لا في رنين الذهب ، وفي جلائل الأعمال ، لا في أحمال المال ، فليعظم الناس الكرماء وليحتقروا الأغنياء وليعلموا أن الشرف شيء وراء الغنى والفقر وأن السعادة وراء الكوخ والقصر ) ( ١ )

وهكذا بدا لنا المنفلوطي - كما عهدناه دائماً - رجلاً فاخلاً وإنساناً نبيلاً بكل ماتحمله كلمة الإنسانية من معاني سامية فلا عبرة عنده بالمال إلا إذا أنفق في وجوه الخير والبرّ فيها هوذا يقول معبراً عن هذا الرأي :-

( أنا لا أغبط الغنيّ إلا في موطن واحد من مواطنه إن رأيته يُشبع الجائع ويواسي الفقير ، ويعود بالفضل من ماله على اليتيم ، الذي سلبه الدهر أباه



والأرملة التي فجعها القدرُ في عائِلِها ، ويمسح بيده دمعَه البائس المحزون ، ثم  
أرثي له بعد ذلك في جميع مواطنه الأخرى ( ١ )

---

## النَّاشِيءُ الصَّغِيرُ ( ١ )

مَنْ مِمَّا لَا يَرَاوِدُ ذَهْنَهُ التَّفَكِيرُ فِي شَأْنِ نَاشِئِهِ الصَّغِيرِ ؟ سَوَاءٌ كَانَ هَذَا  
النَّاشِيءُ ابْنًا أَوْ أَخًا أَوْ حَفِيدًا ؟  
لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا تَفَكِيرَ عَامٍ يَشْتَرِكُ فِيهِ الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ وَغَيْرُهُمَا . فَهَذَا رَجُلٌ  
يَبْعَثُ إِلَى الْمَنْفَلُوطِيِّ رِسَالَةً لِيَسْأَلَهُ فِيهَا :-

أَيُّهَا أَصْلَحُ لِلْإِنْسَانِ ، أَنْ يُوَلَّدَ فَقِيرًا أَوْ غَنِيًّا ؟  
وَكَانَ رَدُّ الْمَنْفَلُوطِيِّ عَلَيْهِ فِي مَقَالٍ طَوِيلٍ نَحْوِي فِيهِ مَنْحَى الصَّرَاحَةِ وَالْوُضُوحِ  
فِيمَا يَتَحَمَّاهُ لِمُسْتَقْبَلِ ابْنِهِ الصَّغِيرِ الَّذِي كَانَ فِي السَّابِعَةِ مِنْ عَمْرِهِ - فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ -  
ذَلِكَ الْإِبْنِ الَّذِي لَنْ يَتْرَكَ لَهُ ثَرَوَةً مِنْ مَالٍ وَإِنَّمَا مِنَ الْعَقْلِ وَالْأَدَبِ هِيَ  
خَيْرٌ عِنْدَهُ أَلْفُ مِوَةٍ مِنَ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ ( ٢ )

فَهُوَ لَا يَرِيدُ لَهُ أَنْ يَنْشَأَ مُعْتَمِدًا عَلَى ثَرَوَةِ أَبِيهِ وَجَاهِهِ بَلْ يَرِيدُ أَنْ يَنْشَأَ بِكِيَانٍ  
مُسْتَقْلٍ وَشَخْصِيَّةٍ مُتَمَيِّزَةٍ غَيْرِ مُتَأَثِّرَةٍ بِمَالٍ سَابِقٍ أَوْ جَاهٍ مُورُوثٍ . بَلْ شَخْصِيَّةٍ تَصْنَعُ  
التَّجَارِبَ فَتَصْرَعُهَا مَرَّةً وَتَصْرَعُ بِهَا مَرَاتٍ حَتَّى تَرْسُمَ لَهَا طَرِيقًا خَاصًّا تَسْلُكُهُ فِي هَدْوٍ  
وَاطْمِئْنَانٍ نَازِلَةً إِلَى جَمِيعِ الطَّبَقَاتِ فِي الْمَجْتَمَعِ مُخْتَطِطَةً بِكُلِّ النَّاسِ ، فَتَزُوقُ مَرَارَةَ  
وَبُؤْسِ الشَّقَاءِ حَتَّى تُقَدِّرَ بُؤْسَ الْبُؤْسَاءِ وَتَعَاسَى الْأَشْقِيَاءَ ، فَتَمُدَّ لَهُمْ يَدَ الْمَعُونَةِ  
وَالْمُسَاعَدَةِ إِذَا مَا أَزْهَرَتْ لَهَا الْأَيَّامُ وَمَدَّتْ إِلَيْهَا يَدَ الدَّهْرِ بِالرِّخَاءِ وَالرَّفَاهِ .

وَلَا يَنْسَى الْأَدِيبُ هُنَا - أَثْنَاءَ قَعْدَادِهِ لِأَمَانِيهِ فِي ابْنِهِ - لَا يَنْسَى أَنْ يُقَارَنَ

١ - الْمَنْفَلُوطِيُّ . النُّظَرَاتُ ج ٣ . ص ١٤ .

٢ - الْمَوْجَعُ نَفْسُهُ بِتَصْرِفٍ

بين ما يريد له لابنه من مصارعة الأيام وتجاربها ، وبين الغنى المترف الذى ورث  
السعادة المادية من أهله وذويه ، فلا يشعر هذا الوارث للمال بما يسدور  
حوله من شقاء كما يشعر الذى جرب مرارة الأيام فيها هوذا يقول :-  
( ذلك خير له من أن يجلس فى شرفة من شرف قصره مُطلاً على العالمين ،  
والجاهدين ، يمتع نظره بمرآهم كأنما يشاهد رواية تمثيلية فى أحد ملاعب  
التمثيل ) ( ١ )

ويمضى المنفلوطى فى حملته على الغنى والأغنياء معددا مساوىء المال  
وإتلافه لنفوس وارثيه وأهله حيث تستحيل فطرة هذه النفوس الطيبة إلى نفوس  
جامدة متحجرة تطغى عليها المادة ويوجهها المال فتتجسّر فيها المشاعر وتجمد  
بها الأحاسيس ، فلا يعطف أحد هم على منكوب ولا يرحم بائساً ولا يرثي لتعاسة  
أمته أو غيرها من الأمم ، بل لا يعنيه إلا أمر نفسه وحسبه من الحياة فـوزه  
وفلاحه فيها ( ٢ )

ولكنه مع ثورته هذه على الأغنياء وأصحاب المال ، لا ينسى أن يكون صريحاً  
معتدلاً فى رأيه فيقول :-  
( لا أكره أن ينشأ ولدى غنياً ولا أحب أن أعرضه لمخاطر الفقر وآفاته ،  
ولكنى أخاف عليه الغنى أكثر مما أخاف عليه الفقر ) ( ٣ )

وهكذا نستطيع أن نخلص من حديث المنفلوطى هذا بخلاصة نستشف  
فيها نفس المنفلوطى العالية وروحه الإنسانية الفاضلة ، هذه الخلاصة هي :-

١ - المنفلوطى . النظرات ج ٣ . ص ١٥٠ .

٢ - المرجع نفسه . ص ١٨ .

٣ - المرجع نفسه . ص ١٧ .

إنَّ المنظوطى يرجّح نشأة الناشئ<sup>١</sup> في بيت فقر طو<sup>٢</sup> أن ينشأ في بيت ترفرف  
أطيار المال في أرجاءه لأنّ وفرة المال قد تدفعه إلى الاستكانة إلى ما عنده منه فلا  
يحاول أن يعمل لمستقبله حياته ولا حتّى لاستثمار هذه الثروة التي بين يديه بل ربّما  
دفعه هذا إلى الضياع والخسران لأنّه طو حسب استقراءه وتجاربته في حياته - لاحظ  
أن كثيراً من أبناء الفقراء ناجحون في حياتهم ، ولم ير إلا قليلاً من أبناء الأغنياء  
عالمين (١)

وهذا أمر ملموس في أغلب الأحيان ، فقد تدفع الحاجة الإنسان إلى العمل الجاد  
والإنتاج المثر خاصة في فئة الشباب الواعي حتى يتمكن من سدّ ثغرة النقص التي عانى  
منها طوال حياته .

ولا ينسى المنظوطى هنا أن يشير إلى الصّراع الدائر في المجتمع الإنساني<sup>٣</sup>  
وتكائب الناس على الثروة والجاه ، ويرى أنّ السبب في ذلك هو اعتقادهم أنّ المال هو  
سرّ السعادة في هذا الكون ، بينما يعتقد أنّ العلاج الوحيد لذلك هو أن يفهم  
الناس أنّ علاقة بين السعادة وبين المال وأن سعادة العيش وراحة البال واطمئنان  
النفس وسكونها لا يتأتّى إلا عن طريق الاعتدال ، لأنّ الإفراط في الطلب لا يقلّ وبالا<sup>٤</sup>  
عن التقصير فيه (٢)

وهذا موقف إنساني من الأديب من غير شك لأنّه ينمّ على نفس فاضلة لا ترجس  
إلا الخير ولا تنشد سوى الصلاح والرفاهية ، لكلّ ما يحيط بها من بشر .

---

١ - المنظوطى . النظرات ج ٣ . ص ٢٣ . بتصرف

٢ - نفس المرجع ص ٢٤ . بتصرف

## الوجهـا (١)

ناقش المنظوطي في هذا المقال أحد الوجهـا الذي رأى علامات الحزن والكآبة  
ترتسم على وجهه وتحف أطرافه ، فلم يعد يدري عن شيء سوى التفكير في ماله  
الزائل وملكه الضائع وجاهه المفقود .

لقد أسرف هذا الوجهـي في أيامه الخوالي وبذر المال رغبة في التقرب إلى الحكام  
وذوي السلطان فاشترى جميع تذاكر الجمعيات الخيرية وساهم في بناء المدارس والمكتبات  
وأقام الولائم والحفلات وقدم المعونات طو المعونات لا رغبة في فضيلة الإحسان بل  
تقرباً وزلفى للسلطان ، وعندما نضبت معينه وفرغ صندوقه من كل ما يملك وأثقلت كاهله  
القروض ، انتبه من غفلته وعاد إلى رشده من سكرته وندم حيث لا ينفع الندم ، واعترف  
بخطئه الفادح وجُرمه العظيم لأنه أنفق المال لا رغبة في هذا الإنفاق وحباً فيه ، فيكسب  
بذلك سعادة الإحسان وثوابه ، بل أنفقه رغبة في الرياء والفخر ، فأضاع كل ما جمع  
وضاع بضايعه كل أمل حتى الأمل في ذلك المال المجموع ، والذي سعى من أجله وجيهاً  
والذي لم يبق له منه إلا تلك الأرقام السوداء في صفحات سجلات البنوك التي أصبح  
الآن طريداً لها (٢)

هذه هي حقيقة الوجهـي كما وصفها المنظوطي ولم يكتف بذلك بل انتهز فرصة  
ندمه على حاله الجديدة فأخذ يؤنبه وأمثاله على معرفتهم للحق وجيلاهم عنه فهي هو  
ذا يقول له مؤنباً :-

١ - المنظوطي . النظرات ج ٣ ص ٨٤ .

٢ - نفس المرجع ص ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ . بتصرف

( أعجب ما رأيتُ من أمرِك في حديثك معي أنك تعرف الحق وتتكبر له كأنك لا تعرفه ، وتعد يدك إلى الصواب حتى تكاد تلمسه ثم تعجز عنه ، فقد زعمت أن مجد القُربى من أولياء الأمور باطل ، ولقد أصبتُ فيما تقول فما شأنك به ، وما تهوؤك إليه ، ومالك واللصوق بأمرأئت تعلم قلة جدواه ، وسوء مغبته ، ولقد كان طريق مختصر إلى المجد الصحيح والشرف الصميم ، لو كنت أكبر منك همّة ، وأصح رأياً وأقوى عزيمّة ، فمجد الكرم ليس بأقلّ شأنًا من مجد السيف والقلم ، ولا أرى أنك كنت تنفق في سبيله إلا بعض ما أنفقت في هذا المجد الكاذب وما كان يصيبك في الأول من الشقاء ما أصابك في الثاني ، فالكریم معانٍ على أمره ومبارك له في عيشه ، متى صح له معنى الكرم ، وكانت الرحمة غريزة من غرائزه تسوقه إلى تفقد الضعفاء ومواساة الفقراء من حيث لا يتفكر على ذلك أجراً سوى ما وعد الله به المحسنين من حسن المثوبة والأجر ، رفع الذكرى في الآخرة والأولى . . ) ( ١ )

وهكذا مضى المنظوطى في حديثه تأثراً على أمثال هؤلاء الوجهاء وذوي المال والسلطان ، لما يتوج أعمالهم من رياء وزيف ليس له أي اعتبار بالنسبة إلى مقياسه الإنساني السامى الذى يقيس به جلائل الأمور وصغائرهما فما وافقه فهو تصرف إنسانى يستحق التقدير منه ورفع شأن صاحبه والثناء عليه وما خالفه ، فليس من الإنسانية فهو شئ ، ويستحق عند ذلك تأنيبه والسخط عليه .

## دعوته الى التمسك بأهداب الفضيلة

---

( نحن فى حالة نحتاج فيها الى أن يعلم الناس أننا فى كل مكان أننا أمة أخلاق وآداب ، وأن فى نفوس أفرادنا من الصفات والمزايا ما يرفعنا الى مصاف الأمم العظيمة ومقياس عظمة الأمم عند العالم إنما هو لصفاتها ومزاياها قبل أن يكون بأي شيء غير ذلك ... )

( الفضيلة الفضيلة أيها القوم ، فهي العزاء الوحيد لهذه الأمة المسكينة فى جميع آلامها ومصائبها ... )

أَيُّ دَعْوَةٍ هِيَ أَفْضَلُ مِنْ هَذِهِ الدَّعْوَةِ ؟ إِنَّهَا الْإِنْسَانِيَّةُ عِنْدَهَا - وَلَا أُتَجَاوَزُ الْحَقَّ إِنْ قُلْتُ - إِنْ مَعْظَمُ مَا كَتَبْتَهُ الْمَنْغْلُوطِيُّ مِنْ مَقَالَاتٍ أَوْ قِصَصٍ أَوْ حَتَّى الْمُتَرْجِمِ مِنْهَا ، مَا هُوَ إِلَّا صَالِحٌ لِأَن يَنْدَرِجَ تَحْتَ هَذَا الْعَنْوَانِ ، وَإِنْ كُنْتُ لَجَأْتُ لِتَقْسِيمِ الْمَقَالَاتِ إِلَى عَنَاقِبٍ مُتَبَايِنَةٍ فِي ذَاكَ إِلَّا لِتَحْقِيقِ حَاجَةِ الْبَحْثِ إِلَى عُنْوَنِ الْفُصُولِ .

أَمَّا مَا أَدْرَجُهُ فِي هَذَا الْفَصْلِ فَهُوَ دَعْوَةُ الْمَنْغْلُوطِيِّ الْحَارَّةَ إِلَى التَّسَّكُّ بِأَهْدَابِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ الْحَنِيفِ ، ثُمَّ بِالْفَضَائِلِ الَّتِي يَدْعُو إِلَيْهَا مِنْ تَرْكِ الْكُذْبِ وَالْخِدَاعِ وَغَيْرِ النَّاسِ ، وَتَحَرِّيِ الصَّدَقِ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَالْحِرْصِ عَلَى الْفَضِيلَةِ بِشَتَّى صُورِهَا ، أَوْ تَرْكِ مَا يَنَافِيهَا مَهْمَا كَانَ ذَلِكَ شَيْئًا قَائِمًا عَلَى الْمَرْءِ لِأَنَّهَا السَّبِيلُ الْوَحِيدُ لِلْحِفَافِ عَلَى إِنْسَانِيَّةِ الْإِنْسَانِ بِكُلِّ مَا تَحْمِلُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ مَعَانٍ سَامِيَةٍ رَفِيعَةٍ .

وَفِيمَا يَلِي مِنَ الصَّفَحَاتِ أَتَنَاوَلُ كُلَّ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَضُمَّ مِنْ أَقْوَالِ الْمَنْغْلُوطِيِّ تَحْتَ هَذَا الْعَنْوَانِ الشَّامِلِ ، تَارِكَةً كُلَّ مَا سَبَقَ تَنَاوُلُهُ - مِمَّا يُمْكِنُ أَنْ يَضُمَّ فِي هَذَا الْفَصْلِ أَيْضًا - حَرِصًا مَنِيًّا عَلَى تَجَنُّبِ التَّكَرَّارِ وَالْفَصْلِ الدَّقِيقِ بَيْنَ مُتَشَابِهَاتِ الْأُمُورِ .



## الكذب ( ١ )

ما أسوأ هذه الرديلة وما أسوأ نتائجها على صاحبها وعلى من يحيط به ، ولا يفرق المنفلوطى بين كذب القول أو كذب الفعل ، بل ربما كان كذب الفعل أشدّ وبالا ، وأسوأ خالاً - فى نظره - من كذب القول ، لأنّ الكاذب فى فعله غاشر لمجتمعه ، مُراءٍ فى تصرفه وسلوكه حتى يؤمن جانبُه ، ويعطو الثقة التى ليس أهلاً لها يقول المنفلوطى :-

( لا فرق بين كذب الأقوال وكذب الأفعال فى تضليل العقول ، والعبث بالأهواء وخدلان الحق واستعلاء الباطل عليه ولا فرق بين أن يكذب الرجل فيقول : إني ثقة أمين لا أخون ولا أغدر فأقرضني مالا أردّه إليك ثم لا يؤدّيه بعد ذلك ، وبين أن يأتيك بسبحة يهّمهم بها فتتطرق سبحة بما سكت عنه لسانه من دعوى الأمانة والوفاء فيخدعك فى الثانية كما خدعك فى الأولى ، لابل يستطيع كاذب الأفعال أن يخدعك ألف مرة قبل أن يخدعك كاذب الأقوال مرة واحدة ، لأنّه لا يكتفى بقول الزور بلسانه حتى يقيم على قضيتّه بينة كاذبة من جميع حركاته وسكناته ) ( ٢ )

ثمّ يعدّد المنفلوطى أشكال الكذب المخطفة وصوّره المتباينة من نفاق وفسق وكبر ونميمة وتلق ( ٣ )

ويرى أن هذه الأشكال والنماذج قد شاعت بل طغت على المجتمع وأفسدت الطبائع الإنسانية فى أفرادها إلى الحدّ الذى أصبح فيه الحديث عن الصادق نوعاً

١ - المنفلوطى . النظرات ج ١ ص ١٦١ .

٢ - نفس المرجع ج ١٦١ ، ١٦٢ .

٣ - نفس المرجع ج ١٦٢ . بتصرف .

من النّوادر والطّرف وأعجوبة من عجائب الأمور ، بل أصبح يخاف على الصادق من حياة  
نكبه ، لأن كل ما حوله كذب وخداع ، فلا صديق صدوق ، ولا رفيق وفّيق  
ولا مستشار أمين ولا مخلص في الحفاظ على السرّ ولا عالم صادق أو تاجر لا يغشّي فسو  
تجارته أو يجنّث بيمينه ( ١ )

لكلّ الأسباب السابقة يرى المنطوطي أن الكذب أسوأ الشرور وعادها الأول فيقول :-  
( ليس الكذب شيئاً يستهان به ، فهو أسّ الشرور ورذيلة الرذائل فكأنّه أصل  
والرذائل فروعه ، بل هو الرذائل نفسها ، وإنما يأتي في أشكال مخطّفة ويقتل  
في صور متّوعة ) ( ٢ )

ولا يفوت المنطوطي أن يحذّر من مخالطة الكاذب لأنّه جليسر سوء لا بدّ أن يضرّ  
جليسه بأيّ وسيلة كانت فيقول :-

( كذب اللسان من فضول كذب القلب ، فلا تأمن الكاذب على ودّ ولا تثق منه بم عهد ،  
واهرب من وجهه الهرب كله ، وأخوف ما أخاف عليك من خلطاءك وسجرائك الرجل  
الكاذب ) ( ٣ )

وهكذا نلمس حرص المنطوطي الشّديد على سلامة الفرد قبل سلامة المجتمع ،  
فالمجتمع ما هو إلا مجموعة أفراد فإن صلح كل واحد منهم كان الصّلاح المؤكّد للمجموعة  
كلّها وإذا صلحت المجتمعات باختلاف أجناسها وجنسياتها وأوطانها ، صلحت

١ - المنطوطي . النظرات . ج ١ . ص ١٦٢ . بتصرّف

٢ - المرجع السابق . نفس الصفحة .

٣ - المرجع السابق . ص ١٦١ .

الإنسانية جمعاء . ولا يفوتنا هنا أن نلاحظ تأثير المنفلوطي في دعوتِهِ إلى  
عدم مخالطة جلسير السوء بقول الرسول صلى الله عليه وسلم :-

( إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ  
فَحَامِلِ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ،  
وَنَافِخِ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً )

---

١- الإمام مُسْلِم - صحيح مُسْلِم بِشرح النَّوَوِي - جزء ١٦ ص ١٧٨ - ط ٢ ١٩٧٢ م .

## الشَّرَف ( ١ )

الشَّرَفُ معنَى إنسانِيٍّ رَحْبٍ يُخْطِئُ ، فَيُفْهَمُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ فِي كَثْرَةِ الْمَالِ أَوْ غَوَّ الْجَاهِ وَالسُّلْطَانِ ، فَيَسْعُو جَاهِدًا لِلْحَصُولِ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَخْطَأَ سُبُلَ الْوَصُولِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ الشَّرَفَ فِي الْمَصَانِعَةِ وَالْخِدَاعِ ، أَوْ فِي الرَّيَاءِ وَالنَّفَاقِ ، لِيَكْسِبَ بِذَلِكَ مَحَبَّةَ مَنْ حَوْلَهُ وَإِنْ كَلَّفَهُ ذَلِكَ جُرْمًا ظَاهِرًا وَخَطَأً فَادْحًا .

كَمَا يَرَى أَدِينَا أَنَّ هَذَا الْخَطَأَ فِي فَهْمِ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ هُوَ الَّذِي يُوَدِّي إِلَى خَطَأِ السُّلُوكِ الْإِنْسَانِيِّ كُلِّهِ وَمَا يَنْتُجُ عَنِ الْأَفْرَادِ مِنْ تَصَرُّفَاتٍ نَتِيجَةُ ذَلِكَ التَّصَوُّورِ الْخَاطِئِ ، وَيَرَى أَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَهْدِّبَ أَخْلَاقَ النَّاسِ ، عَلَيْهِ أَنْ يَهْدِّبَ تَصَوُّرَاتِهِمْ وَمَفَاهِيمَهُمْ أَوَّلًا ، كَمَا يَرَى أَنَّ الْمَجْتَمَعَ الْإِنْسَانِيَّ مُصَابٌ بِالسَّقَمِ فِي فَهْمِهِ وَالتَّخْلُخُلِ فِي تَصَوُّرِهِ فَلَا ثِقَةَ بِوَزْنِهِ وَتَقْدِيرِهِ . ( ٢ )

أَمَّا الشَّرَفُ الْحَقِيقِيُّ - فَوَاعْتِقَادُ أَدِينَا - هُوَ الَّذِي يَنَالُهُ الْإِنْسَانُ بِتَغَانِيهِهِ فِي خِدْمَةِ هَذَا الْمَجْتَمَعِ الْبَشَرِيِّ بِكُلِّ مَا أُوتِيَ مِنْ ظَمٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ حُسْنِ خُلُقٍ .  
وَهَا هُوَ ذَا يَعْدِّدُ لَنَا النَّمَازِجَ الْبَشَرِيَّةَ الَّتِي تَتَّصِفُ بِالشَّرَفِ حَيْثُ يَقُولُ :-

( فَالْعَالَمُ شَرِيفٌ ، لِأَنَّهُ يَجْلُو صَدَأَ الْعَقْلِ الْإِنْسَانِيِّ وَيَصْقِلُ مِرَاتَهُ ، وَالْمَجَاهِدُ فِي سَبِيلِ الدَّوْدِ عَنْ وَطَنِهِ شَرِيفٌ ، لِأَنَّهُ يَحْمِي مَوَاطِنَهُ غَائِلَةَ الْأَعْدَاءِ وَيَقِيهِمْ عَارِيَّةَ الْفَنَاءِ ، وَالْمُحْسِنُ الذِّي يَضَعُ الْإِحْسَانَ فِي مَوْضِعِهِ شَرِيفٌ لِأَنَّهُ يَأْخُذُ بِأَيْدِي الضُّعَفَاءِ

١ - المنظوظى . النظرات ج ١ ص ١٧٠ .

٢ - نفس المرجع ص ١٧٢ . بتصرف

ويحمي أنفس البائسين .

والحاكم العادل شريف ، لأنه رسول العناية الإلهية إلى المظلومين يمنعهم أن ينفق عليهم الظالمون ، وصاحب الأخلاق الكريمة شريف لأنه يؤثر بكم أخلاقه وجمال صفاته في عُشرائه وخطائيه ، ويلقي عليهم بالقدوة الصالحة أفضل دربر فـى الأخلاق والآداب والصانع والزارع والتاجر أشرف من كانوا أمناء مُستقيمين لأنهم هم الذين يحملون على عواتقهم هذا المجتمع البشري ويحتلون في سبيل ذلك ما يحتلون من الموهنة والمشقة حذراً عليه من التهافت والسقوط . ( ١ )

تلك هي المنازج الشريفة في نظر المنظوط ، ولا شك أن نظرت سديدة لا جدال في صحتها ، لما لهذه الجماعات من أثر في إصلاح المجتمع فرداً فرداً ، ولما تحمله من قيم إنسانية فاضلة ، فلا يكون الشريف شريفاً إلا إذا اجتمعت له كل الصفات الإنسانية القيمة التي دعا إليها هذا الأديب في كل ما كتبه من مقالات أو ترجمه من قصص وروايات ؛

## الإسلام والمسيحية ( ١ )

لا وقع أشدّ على سمع المسلم من وقع حديث المعادي لدينه ، سواء كان ذلك العدو يهودياً أو نصرانياً .

وهذا ما شعر به المنظوطى حقاً عندما عظم بما كتبه اللورد ( كرومر ) في شأن

الإسلام .

وخلاصة ما كتب أن الإسلام دين موضوع من قبل رجل بدوي لا يعلم له بحكمة اليونان أو بمدينة الرومان ، ولا حتى طبق شيئاً من علوم الشرائع والعمران . . . إلى آخر ما نقرأه من الطعن في الإسلام وفي بنيته المرسل وشريعة السماوية المنزلة ولنستمع إلى المنظوطى في قوله :-

( يقول اللورد كرومر ، إن الدين الإسلامي دين جامد لا يتسع صدره للمدينة

الإسلامية ، ولا يصلح للنظام الاجتماعي ) ويقول :-

إن ما لا يصلح له الدين الإسلامي يصلح له الدين المسيحي ويستدل على الإسلام

بالمسلمين وعلى المسيحية بالمسيحيين ( ٢ )

وبعد أن نقل لنا المنظوطى كلام اللورد ( كرومر ) الطاعن في الإسلام أنكره إنكاراً

شديداً واستشهد في دفاعه عن الإسلام بالحرب التي دارت رحاها الطاحنة بين الأرثوذكس والكاثوليك تارة وبين الكاثوليك والبروتستانت تارة أخرى ، بصورة وحشية اسود

لها وجه الإنسانية ، كما استشهد على ذلك بما كان عليه المسيحي من إمعنة مطلقـة

وإن عان شديد الرأي الكاهن الجاهل حتى أنه كان يحرم عليه النظر في كتاب غير الكتاب المقدس أو أن يتلقى علماً في غير مدرسة الكنيسة واستدل على ذلك أيضاً برفع

١ - المنظوطى . النظرات دج ١ ص ١٧٩ .

٢ - المرجع نفسه ص ١٨١ .

الشَّعْبَ الْمَسِيحِيَّ عِنْدَمَا رَأَى السَّاعَةَ الدَّقَاقَةَ الَّتِي أَهْدَاهَا هَارُونَ الرَّشِيدُ خَلِيفَةَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ ذَاكَ إِلَى شَارِلَمَانِ وَالَّتِي ظَنُّهَا الْمَسِيحِيُّونَ أَنَّهَا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى الْجَسَنِ وَالشَّيَاطِينِ ، كَمَا كَانَ مِنْ بَيْنِ اسْتِدْلَالِهِ عَلَى فسادِ الْعَصْرِ وَرِجَالِهِ الْمَسِيحِيِّينَ طَكَ الْمَحَاكِمَاتِ الَّتِي صُدِرَتْ عَنْ مَحْكَمَةِ التَّفْتِيشِ ، وَالَّتِي قُضَتْ بِإِعْدَامِ ثَلَاثَةِ أَرْبَعِينَ أَلْفَ بَيْنَ عَشِيَّةٍ وَضُحَاهَا لِأَنَّهُمْ يَزَاولُونَ الْعُلُومَ الْحَدِيثَةَ .

وَهَكَذَا أَخَذَ الْمَنْغُولِيُّ يُعَدِّدُ مَسَاوِيَّ الْمَسِيحِيَّةِ وَحَجَرَهَا عَلَى الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ إِذْ عَانًا لِلْكَنِيسَةِ وَأَمَرَ الْكَاهِنَ وَالْبَابَا فِي حِينٍ أَنَّ الْإِسْلَامَ ، جَاءَ بِتَعَالِيهِ السَّمَاوِيَّةِ فَأَمَرَ بِالتَّأَخُّرِ بَيْنَ أَفْرَادِهِ - سِوَاهُ كَانَ مِنْهُمْ الْخَطِيبُ أَوِ الْحَاكِمُ أَوِ الْفَقِيهَ أَوِ الْكَيْمِيَاءَ أَوْ الْقَاضِيَّ أَوِ الْمُتَعَبِّدَ أَوِ الظُّكِّيَّ ، فَكُلُّهُمْ يَجِبُ أَنْ يَكُونُوا إِخْوَةً أَصْفِيَاءَ مُتَعَاوِنِينَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى إِلَى جَانِبِ مَا أُتِيَ بِهِ الْإِسْلَامُ مِنْ شَرَائِعَ قَامَتْ عَلَى خِدْمَةِ الْجَنَسِ الْبَشَرِيِّ فِي جَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي مَقَارِهِ وَمَعَاشِهِ وَمَا يَفِيدُهُ فِي وَحْدَتِهِ أَوْ اجْتِمَاعِهِ فَهَذَا الْعَقَائِدُ وَطَلَبَ مِنَ الْإِنْسَانِ تَسْرِجَ فِكْرَةٍ وَعَقْلُهُ لِلتَّأَمُّلِ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لِيَقِفَ عَلَى حَقَائِقِ الْكُونِ وَالْوُجُودِ وَلِيَدْرِكَ طِبَائِعَهُ وَكُنْهَهُ ، حَتَّى يَزِدَادَ إِيمَانًا وَاقْتِنَاعًا بِخَالِقِهِ وَمَوْجِّدِهِ وَحَقِّهِ لَا يَكُونُ آلَةً صَمًّا يَجْرُكُهَا الدَّاعِي كَيْفَ شَاءَتْ نَفْسُهُ .

وَلَمْ يَكْتَفِ الْإِسْلَامُ بِذَلِكَ بَلْ أُلْحِقَ لَهُ الْحَرِّيَّةَ فِي كُلِّ شَيْءٍ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَبَيَّنَ لَهُ جِزَاءَ الْخَيْرِ أَوِ الشَّرِّ لِيَخْتَارَ بَيْنَهُمَا ، كَمَا عَظَّمَهُ أَنَّهُ لَا فَرْقَ فِي شَرْعِ الْإِنْسَانِيَّةِ بَيْنَ فَقِيرِهَا وَغَنِيِّهَا ، كَبِيرِهَا وَصَغِيرِهَا إِلَّا بِالتَّقْوَى وَالْعَمَلَ الصَّالِحِ ، ثُمَّ بَيَّنَ نِظَامَ الْأُسْرَةِ وَعِلَاقَاتِ أَفْرَادِهَا وَبَيَّنَ نِظَامَ الْمَجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ وَنَظْمَ اقْتِصَادِهِ وَطَبِيعَةَ الْمَعَامَلَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ بَيْنَ الْبَشَرِ سِوَاهُ كَانَ مِنْهُمْ الْمُسْلِمُ أَمْ غَيْرَ الْمُسْلِمِ .

ونظراً لعلم المنظوطي أَنَّ حديثه عن نِعَم الإسلام على مُعْتَقِبِهِ وغيرهم لا تُحْصَى ولا تُعَدّ - لعلمه بذلك - لجأ إلى القول :-

( وَجُمَلَةُ القول أَنَّ الدِّينَ الإسلاميَّ ما غادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولا ترك الإنسان يعيش في ميدان هذه الحياة خُطوة من مَهْدِهِ إلى لَحْدِهِ إلا مدَّ يده إليه ، وأنار له مَوْضِعَ أَقْدَامِهِ وأرشده إلى سواءِ السَّبِيلِ ) ( ١ )

ولم ينسحب المنظوطي أَنَّ يَثْبُتَ أَنَّ شمس الحضارة الإنسانية لم تشرق أشعتها الأولى إلا بين المسلمين في أوطانهم وأماكن تواجدهم ثم بعد ذلك اجتازت مواظنهم إلى دول أوروبا عن طريق انتقالات المسلمين أنفسهم وعن طريق رحلات الأوربيين إليهم وابتهارهم بما وجدوه لدى المسلمين من تطوُّر وازدهار ثم تناسيهم لفضل المسلمين والعرب عليهم .

كما لا يتعصَّب المنظوطي لإسلام مُطلقاً فيذكر ما أصاب المسلمين من فتور في الآونة الأخيرة مَرَجِعُهُ المسيحيون أنفسهم وأشباههم ممن لبسوا لباس الإسلام وتزيّوا بزيِّهِ ودخلوا بلاده وتمكنوا من نفوس بعض ملوكه الضعفاء أو بعض أمراءه ما لُمَدَّهم بشيء من السَّطوة والقوَّة حتَّى تمكنوا من نشر مذاهبهم السَّقيمة ومعتقداتهم الخُرافية بين المسلمين فأفسدوا عليهم أصالة مذاهبهم وصحَّة عقائدهم ، وأوقعوا الفتنة بينهم وحالوا بينهم وبين الاستعداد من روح الإسلام وقوَّته ، فكان من أمرهم بعد ذلك - ما رأيناه -



من تدهور وضياح . (١)

ويوجه المنفلوطي في نهاية مقاله - الخطاب إلى اللورد (كرومر) نفسه قائلاً :-

( أيها الفيلسوف التاريخي : لا تقل إننا متعصبون تعصباً دينياً فإنك قد أسأت إلينا وإلى ديننا ظم تريبداً من الذبب عنا وعنه بما تعلم أنه حق وصواب على أنه لا عارطينا فيما تقول ، وهل التعصب الديني إلا اتحاد المسلمين ببدأ واحدة على الذود عن أنفسهم والدفاع عن جامعتهم ، وإعلاء شأن دينهم ونصرته حتى يكون الدين كله لله ) ( ١ )

وهكذا صرح لنا المنفلوطي في نهاية حديثه أنه عدد بعض محاسن الإسلام وبين فضائله على المسيحية خاصة والبشر عامة ليدافع عن حقه بما هو فيه حقيقة ولم يرسل القول على عواهنه بل أيده بالأدلة المادية والمنطقية بما يكفي للذب عن دينه وأهله وحضارته المتفوقة السبابة التي لا سبيل لأحد إنكارها .

١- المنفلوطي . النظرات . ج ١٠ ص ١٨٨ بتصرف .

٢- نفس المرجع والصحة .

## أَيْنَ الْفَضِيلَةِ ( ١ )

الفضيلة ، تلك الدُّرَّة الثَّمِينَةُ التي أعيانا المنظوطو الحصول عليها وفتش عنها في كل مكان فلم يجدها .

نعم . . . لقد كتب المنظوطي هذا المقال ليشعرنا بعجزه عن الحصول على ضالته المنشودة في الأماكن التي كان يتوقع وجودها فيها ، لقد فتش عنها فـسـى حوانيت التجار فلم يجد الا تاحراً لصاً يأخذ الدينارين على ما قيمته أقل من دينار بحجة ربحه الذي لا يُنكره عليه المنظوطي بل يريد الاعتدال فيه ، كما فتش عنها في مجالس القضاء فلم يجد الا قاضياً مقيداً بقوانين وضعية لا يستطيع الزحزحة عنها حتى وان كانت لا تتصف مظلوماً ولا تأخذ الحق من ظالماً يقول :-

( فتشتُ عن الفضيلة في مجالس القضاء فرأيت أن أعدل القضاء من يحصر الحِرص كله على أن لا يهفوا في تطبيق القوانين الذي بين يديه يهفوة يحاسبه عليها من منحه هذا الكرسي الذي يجلس عليه مخافة أن يسلبه إياه .

أما انصاف المظلوم والضرب على يد الظالم وإراحة الحقوق على أهلها وأنزل العقوبات منازلها من الذنوب فهي عنده ذيول أذنان لا يأتبه لها ، ولا يحتفل بشأنها ، إلا إذا أشرق عليها الكوكب بسعده فمشت مع القانون في طريق واحد مصادفةً ، واتفاقاً ، فإذا اختلف طريقاهما بين يديه ، حكم بغير ما يعتقد ونطق بغير ما يعلم ، ودان البريء وبراء المجرم ، فإذا عتب عليه في ذلك عاتب كانت معذرتة إليه حكم القانون عليه ، كأنما يريد أن يجعل العقْل أسير القانون ، وما القانون إلا حسنة من حسنات

العقل وصنيعة من صنائعه ( ٢ )

١ - المنظوطي . النظرات ج ١ ص ٦٠ .

٢ - نفس المرجع ص ٦١ .

ثم فتش المنظوطي عن ضالته في بيوت الأغنياء فوجدهم نمودجين ، إماماً شحيحاً  
أو تار قلبه لمناظر البؤس والشقاء ، وإماماً مضيقاً لماله أسيراً بين تغري الحسناء والصهباء ( ١ )

كما فتش عنها بين السياسيين ورجال الدين ، فوجد الأمم السياسية تسعي  
كل منها جاهدة لتوفير المال والعتاد لقهر أختها من بنو الإنسان ليتحطوا بالفكوز  
ويندحر عدوها دون مراعاة منها لحق البشرية والإنسانية عليها ، أما رجال الدين  
- إلا من هداهم الله - فهم في رأيه - ليسوا إلا مبتزين لأموال الناس وخزائنهم  
تحت شعار الدين المزعوم .

وهكذا عدد لنا المنظوطي النماذج التي كان يتوقع أن يجد الفضيلة ترفرف  
بأجنحتها عليهم فتظلمهم بظلمها الظليل ، فلم يجدوا بينهم فهل تراه يتوقع وجودها  
في الحانات وأماكن الفساد ؟

لا شك أن هذا مستحيل ولعل ذلك هو السبب الذي أفقد المنظوطي أمه فلو  
الحصول على ضالته ثم استرسل قائلاً :-

( سيقول كثير من الناس ، قد غلا الكاتب في حله وجاوز الحد في تقديره ، فالفضيلة  
لا تزال تجد في صدور الكثير من الناس صدراً رحيماً ومورداً عذياً ، وإنني قائل لهم قبل  
أن يقولوا كلمتهم : إنني لا أنكر وجود الفضيلة ، ولكنني أجهل مكانها فقد عقد رياء  
الناس أمام عيني سحابة سوداء أظلم لها بصري ، حتى ما أجد في صفحة السماء نجماً  
لأرمع ولا كوكباً طالعاً كل الناس يدعي الفضيلة وينتحلها ، وكلهم لهم لباسها ويرتدي  
رداءها ويعد لها عدتها من منظر يستهوي الأذكيا والأغنياء ، ومظهر يخدع أسوأ

النَّاسَ بِالنَّارِ ظَنًّا ، فمن لِي بالوصول إليها في هذا الظلام الحالك والليل الأليل ( ١ ) ( ٢ )

وقد سيطر هذا اليأس على المنظوطي حتّى أصبح لا يشعر بلذّة العيش ورغده ولا حتّى لجمال الطبيعة وسحرها لأنّه لا يجد بين جنباتها ما يُشعره بلذّة تلك السعادة لأنّ مقياس السعادة في نظره أن يجد صديقاً صدوقاً يعينه على شدة الدهر وأرزائه ولا ينتظر منه جزاءً ولا شكوراً أو مقاصد وأهدافاً خاصّة . وأن يكون صادق النصحّة غير مُراءٍ ولا مُداهن فلا يُحب فيه إلّا الفضيلة ولا يُكره منه إلّا الرذيلة .

نعم هذه هي السعادة التي نشدها المنظوطي ولم يُفلح في طلبه وحشّه فتعنى لو فقد إحساسه وقلبه حتّى يفقد الشعور بما حوله من رذائل . يقول :-  
( لقد سمح وحده الرذيلة في عيونه فتغلّ حديتها في مسمي حتّى أصبحت أن أعيش بلا قلب فلا أشعر بخير الحياة وشرّها وسرورها وحزنها ) ( ٢ )

ولكن ترى - بعد هذا اليأس - ما الذي يُرغم المنظوطي على البقاء في هذه الحياة والمحافظة على استمرارها ؟  
إنّه ذلك القلب الرحيم في عُنفوان ثورته تلك على المجتمع المحيط به الذي طفت عليه الحيوانية وضاعت منه المثل والقيم الإنسانية . . نعم ذلك القلب الذي يروأ لبنيّاته الصغيرات اللاتي سيفقدن بفقده طيب العيش ولذته ( ٣ )

وهكذا بدالنا هذا الأديب ثائراً على الرذيلة بكلّ صورها وأشكالها وأزوائها محبّاً للفضيلة باحثاً عنها متشوّقاً إليها شغوفاً بها متمنياً وجودها ليهنأ بلذّة العيش في أجوائها ولكن هل إلى وصوله لصالته من سبيل ؟

وَمَا نَيْلُ الْمَطَالِبِ بِالتَّمَنِّي  
وَلَكِنْ تَوَخُّذُ الدُّنْيَا غَلَابَا

١ - المنظوطي . النظرات ج ١ ، ص ٦٣

٢ - نفع المرجع ص ٦٤

٣ - نفع المرجع والصفحة . بتصرف

## دَمْعَةٌ عَلَى الْإِسْلَامِ ( ١ )

كتب المنظوطى هذا المقال إثر رسالة وصلت من أحد علماء الهند الذى شكّا إليه ما قرأه فى كتاب ظهر عندهم فى ذلك العصر بلغة ( التأميل ) ( ٢ ) موضوعه ( تاريخ حياة السيد عبدالقادر الجيلانى ( ٣ ) وذكر مناقبه وكراماته ) شكّا إليه ما قرأه من الصفات والألقاب التى وُصِفَ بها ذلك الولي والتى تكاد تكون لا ثقة بل لاله لا بالسيد المذكور كقول المؤلف عنه : ( سيد السموات والأرض والنفع والضّرار ، والمتصرّف فى الأكوان والمعلّم على أسرار الخليقة ومحيي الموتى إلى آخر هذه الصفات الخاصة بالخالق سبحانه وتعالى .

وقد ذكر له الشاكي أن مؤلف ذلك الكتاب لم يكتف بهذا بل عقد فصلاً فى كتابه بين فيه الهيئة والشروط التى يجب أن يلتزم بها زائر قبره كالوضوء السابع والصلاة

١ - المنظوطى . النظرات ج ٢ ص ٦٥ .

٢ - لغة الهندو الساكنين بناقور وطحقاتها بجنوب مدراس

٣ - عبدالقادر الجيلانى ( ٤٧١-٥٦١ هـ = ١٠٧٨-١١٦٦ م ) عبدالقادر بن موسى بن عبدالله بن جنكبي دوست الحسنى أبو محمد محيى الدين الجيلانى ، أو الكيلانى ، المعروف بالطريقة القادرية من كبار الزهاد والمتصوفين ، وُلِدَ فى جيلان ( وراء طبرستان ) وانتقل إلى بغداد شاباً سنة ٤٨٨ هـ فاتصل بشيوخ العلم والتصوف وسرع فى أساليب الوعظ ، وتفقه ، وسمع الحديث وقرأ الأدب ، واشتهر وكان يأكل من عمل يده ، وتصدّر للتدريس والإفتاء فى بغداد سنة ٥٢٨ هـ وتوفى بها له كتب ، منها لطالب طريق الحق و " الفتح الربانى " و " فتوح الغيب " و " الفيوضات الربانية " وللمستشرق مرجليريت إنجليزى رسالة فى ترجمته نشرها ملحقاً بالمجلة الآسيوية الإنجليزية ، ولموسى بن محمد اليونينى كتاب " مناقب الشيخ عبدالقادر الجيلانى

ركعتين بخشوع واستحضار ثم بعد ذلك يتوجه إلى تلك الكعبة المشرقة ( على حدّ قوله ) ( ١ )  
وهكذا مضى الشّاكي في حديثه عن ذلك الكتاب الذي امتلأ بالكفر والإشراك  
باللّه .

فما أن قرأ المنظوم رسالة الشّاكي حتى اسودّت الدنيا في عينيه ، واستطير  
غضباً وغيرة على الإسلام وما آل إليه من حالٍ بعد عزّه وعظمته السابقتين فهاهو يقول :-

( هذا ماكتبه إليّ ذلك الكاتب ويعلم الله أنّي ما أتممت قراءة رسالته حتى دارت  
بني الأرض الفضاء ، وأظلمت الدنيا في عيني فما أبصر عما حولي شيئاً . . حزناً وأسفاً  
على ما آلت إليه حالة الإسلام بين أقوامٍ أنكروه بعد ما عرفوه ووضعوه بعد ما رمعوه  
وزهبوا به مذاهب لا يعرفها ولا شأن له بها . ) ( ٢ )

ثم يستنهر المنظوم همّ المسلمين وغيّرتهم على دينهم فيحثهم على الرّشاش  
للإسلام وحالته الراهنة لأنّ ضياعه يعني ضياع المسلمين أنفسهم فيقول :-

= خ - ولعلّ بن يوسف الشطوفي " بهجة الأسرار " ط - في مناقبه ولمحمد بن يحيى  
التازفي " قلائد الجواهر " في مناقب الشيخ عبد القادر و ترجم عبد القادر بن محي الدين  
الاريلي عن الفارسية ، " تفريح المخاطر في مناقب الشيخ عبد القادر " ط  
الأعلام - مجلد ٤ ص ٤٧ ط ٤ . سنة ١٩٧٩ م

١ - يقصد بها قبر عبد القادر الجيلاني

٢ - المنظوم . النظرات ج ٢ ص ٦٧ .

( أَيْ عَيْنٌ يَجْمَلُ بِهَا أَنْ تَسْتَبْقَى فِي مُحَاجَرِهَا قَطْرَةً وَاحِدَةً مِنَ الدَّمْعِ فَلَا تَرِيْقُهَا )  
 أَمَامَ هَذَا الْمَنْظَرِ الْمُؤَثِّرِ الْمُحْزِنِ مَنْظَرَ أَوْلَئِكَ الْمُسْلِمِينَ ، وَهُمْ رُكَّعٌ مُسْجِدُونَ عَلَى أَعْتَابِ  
 قَبْرِ رَبِّمَا كَانَ بَيْنَهُمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْ سَاكِنِهِ فِي حَيَاتِهِ فَأُحْرِبَهُ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ بَعْدَ مَمَاتِهِ .  
 أَيْ قَلْبٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَقَرَّ بَيْنَ جَنْبَيْ صَاحِبِهِ سَاعَةً وَاحِدَةً فَلَا يَطِيرُ حُزْنًا حِينَئِذَا  
 يَرَى الْمُسْلِمِينَ أَصْحَابَ دِينِ التَّوْحِيدِ أَكْثَرَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِشْرَاكَ بِاللَّهِ وَأَوْسَعَهُمْ دَائِرَةً  
 فِي تَعَدُّدِ الْأَلْهَةِ وَكَثْرَةِ الْمَعْبُودَاتِ ( ١ )

وَبَعْدَ اسْتِنْكَارِ هَذَا الْإِسْتِنْكَارِ الَّذِي نَلَمَحُهُ فِي عِبَارَاتِ الْأَدِيبِ السَّابِقَةِ وَفِي بَقِيَّةِ  
 مَقَالِهِ لَا يَفُوتُهُ أَنْ يَدْعُو دُعَاةً مُخْلِصَةً صَادِقَةً كُلَّ مُسْلِمٍ غَيُورٍ عَلَى دِينِهِ وَعَقِيدَتِهِ إِلَى ضَرُورَةِ  
 التَّسَّكُّ بِأَهْدَابِ الدِّينِ وَالْعِزُّ عَلَى مَبَادِئِهِ بِالنَّوَاجِزِ لِأَنَّ صِلَاحَ الْمُسْلِمِينَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالمَحَافِظَةِ  
 عَلَى هَذَا الدِّينِ الَّذِي كَانَ أَسَاسَ عِزَّتِهِمْ وَرَكِيزَةَ عِظَمَتِهِمْ الطَّيْدَةِ يَقُولُ الْمَنْظُوطُ :  
 ( وَاللَّهِ لَنْ يَسْتَرْجِعَ الْمُسْلِمُونَ سَالِفَ مَجْدِهِمْ ، وَلَنْ يَلْفُوا مَا يَرِيدُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مِمَّنْ  
 سَعَادَةِ الْحَيَاةِ وَهَنَاءَتِهَا إِلَّا إِذَا اسْتَرْجَعُوا قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَضَاعُوهُ مِنْ عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ ،  
 وَإِنْ طَلَعُ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَانْصَبَّ مَاءُ النَّهْرِ مِنْ مَنبَعِهِ ، أَقْرَبُ مِنْ رَجُوعِ الْإِسْلَامِ  
 إِلَى سَالِفِ مَجْدِهِ مَا دَامَ الْمُسْلِمُونَ يَقِفُونَ بَيْنَ يَدَيِّ الْجِيلَانِ كَمَا يَقِفُونَ بَيْنَ يَدَيِّ اللَّهِ  
 وَيَقُولُونَ لَهُ " أَنْتَ الْمُتَصَرِّفُ فِي الْكَائِنَاتِ وَأَنْتَ سَيِّدُ الْأَرْضِينَ وَالسَّمَاوَاتِ " ( ٢ )

وَيَرَى أَدِينَا الْكَبِيرَ أَنَّ قَادَةَ الْأُمَّةِ هُمْ أَوَّلُ الْمَسْئُولِينَ عَنْ هِدَايَةِ الضَّالِّينَ

فَيَقُولُ :-

١ - الْمَنْظُوطُ . النُّظَرَاتُ ج ٢ . ص ٦٧ .

٢ - الْمَنْظُوطُ . النُّظَرَاتُ ج ٢ . ص ٦٩ .

( يا قادة الأمة ورؤساءها ، عذّرنا العامة في إشراكها وفساد عقائدها وقلنا  
 إنّ العامّة أقصر نظراً وأضعف بصيرة من أن يتصور الألوهية إلا إذا رآها مائلة في  
 النصب والتماثيل والأضرحة والقبور ، فما عذركم أنتم وأنتم تطون كتاب الله وتقرأون  
 صفاته ونعموته ، وتفهمون معنى قوله تعالى : " قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ " وقوله مخاطباً نبيه " قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً " وقوله  
 " وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى " ( ١ ) )

وهكذا نرى تأثر المنظوطي بتعاليم الإسلام في غيرته السابقة ودعوته الطاهرة  
 إلى الاستقامة على الطريق السليم ونبذ كل ما هو من الشرك والبدع حتى لا يضيع الإسلام  
 وسط أهله وفي موطن ذويه .



## خداع العناوين ( ١ )

وتحت هذا العنوان يتناول المنظوطى عناوين مختلفة خدع الناس بها أصحابها  
وأتناول هنا العنوان اللائق بهذا الفصل والذي كتب المنظوطى تحت مقاله هذا  
العنوان هو ( الأتقياء ) .

ويرى المنظوطى فى هذا المقال القصير أن معظم الناس لا يسمون التَّقَى تَقِيًّا  
إلا إذا كان ذا عمامة ملتفة على رأسه وسبحة لا تفارق يده ولحية تكسو وجهه وجبة يسبح  
فيها جسده حتى وإن كان هذا الشخص سيئ الخلق والمعاملة قليل التضحية من أجل  
راحة الجماعة وما ذاك إلا لأن هيئته هى عنوانه الخادع وستاره المظلل لحقيقته ، يقول  
المنظوطى : ( لولا خداع العناوين ماسمعنا ( ٢ ) صالحاً تَقِيًّا كل من حرك سبحة  
وأطال لحيته ، ووسع جيبته وكور عمامته ، ولقد نعلم أن وراء هذا العنوان كتاباً  
أسود الصفحات كثير السقطات وإن تحت هذا الستار الحرهى الرقيق نفساً سوداء مظلمة ،  
لا ينفذ إليها شعاع من أشعة الرحمة ، ولا تهب عليها نسمة من نسائم الإحسان ) ( ٣ )

ويرى أدينا الإنسانى المسلم أن إيمان الحقيقى فى الإيثار والتضحية فى  
سبيل الله أو فى سبيل الجماعة لا فى تحريك الشفاء بالهمهمة والأنامل بالمسبحة ،  
ويتجلّى صدق دعوته إلى التضحية والإيمان الحقيقى فى تعريفه للإيمان فى هذا  
المقال بقوله : —

١ - المنظوطى . النظرات ج ٢ ص ٧٤ .

٢ - أرى أنه خطأ فى طبعة النظرات والأصوب ماسمينا

٣ - المنظوطى . النظرات ج ٢ ص ٧٤ ، ٧٥ ،

( إِنَّ الْإِيمَانَ مَوَاقِفَ يَمْتَحِنُ اللَّهُ فِيهَا عِبَادَهُ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَيَعْلَمَ  
 الْكَاذِبِينَ ، فَإِنَّ بَذْلَ الصَّنَنِ بِمَالِهِ فِي مَوَاقِفِ الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ ، وَالشَّحِيحِ بِنَفْسِهِ  
 نَفْسَهُ فِي سَبِيلِ الذُّودِ عَنْ حَوْضِهِ ، وَالذَّبِّ عَنْ عَشِيرَتِهِ وَقَوْمِهِ . . . وَضَعِيفِ الْعَزِيمَةِ  
 مَا يَمْلِكُ مِنْ قُوَّةٍ وَأَيُّدٍ فِي مُغَالَبَةِ شَهَوَاتِ نَفْسِهِ وَمَقَاوِمَةِ نَزَوَاتِهَا ، فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ  
 الَّذِي لَا يَشُوبُ إِيْمَانَهُ رِيَاءٌ وَلَا دِهَانٌ ، وَلَا يَخَالِطُ يَقِينَهُ خِدَاعٌ وَلَا كَذِبٌ أَوْ لَا فَأَهْلُونَ  
 بِهِمْمَتِهِ وَسَوَاكِهِ وَسَمِجَتِهِ ، وَهُوَ بِعُنْوَانِ الْمَنَافِقِ الْكَاذِبِ أَجْدَرُ مِنْهُ بِعُنْوَانِ التَّقْوَى  
 الصَّالِحِ ، " أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ " ( ١ )

مَا أَجْمَلَ هَذِهِ النَّفْسَ الطَّيِّبَةَ عِنْدَ الْمَنْظُوطِ وَمَا أَقْوَى تَأْثِيرَ الْإِسْلَامِ عَلَى تِلْكَ  
 النَّفْسِ الرَّحِيمَةِ وَذَلِكَ الْقَلْبَ الْعَطُوفَ وَالْإِلْمَ لِمَا لَمَسْنَا مِنْ أَلْفَاظِهِ السَّابِقَةِ تِلْكَ الرَّحْمَةِ  
 الْفَيَاضَةِ وَالْإِيمَانَ الصَّادِقَ وَهَلْ هُنَاكَ دَلِيلٌ عَلَى تَأْثَرِهِ بِالْإِسْلَامِ فِي دَعْوَتِهِ السَّابِقَةِ  
 أَفْضَلَ مِنْ اقْتِبَاسِهِ الصَّرِيحِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ؟

؛

## الأدب الكاذب ( ١ )

يدعو المنظوطى فى هذا المقال إلى ضرورة التمسك بأدب النفس بحيث يكون هذا الأدب موجهاً لسلوك الإنسان فى حياته وبين مجتمعه وأن يكون قيساً وهاجساً<sup>١</sup> ينير له طريق سلوكه فلا يفعل إلا ما يطيعه هذا الخلق المتأصل فى النفس ، وبهذا لا يضل طريقه فى معركة الحياة الصاخبة كذلك كانت الأجيال السابقة لا يردعها إلا ضميرها الإنسانى وخلقها القويم عن الخوض فى أدران الرذيلة والشرور ، يقول المنظوطى :- ( كُنَّا وَكَانَ الأدب حالاً قائمة بالنفس تمنع صاحبها أن يقدم على شراً<sup>٢</sup> أو يحدث نفسه به ، أو يكون محملاً لفاطيه فإن ساقته إليه شهوة من شهوات النفس ، أو نزوة من نزوات العقل ، وجد فى نفسه عند غشيانه من المقصر والارتماض ما ينغصه عليه ويكدر صفوه وهناءه . . . ) ( ٢ )

ولعل الذى دفع المنظوطى إلى هذه الدعوة الصريحة ما وجدته من سيادة الشكليات والقشور على الجواهر واللباب ، فأصبح الخلق الكريم والأدب الحقيقى<sup>٣</sup> يتخفى فى إشارات والتفات لا دخل لها فى جوهر النفس ولا علاقه لها فى شعورها ووجدانها ، وأصبح معنى الأدب أن يكذب الإنسان دون أن يشعر الناس بكذبه<sup>٤</sup> فيأتى سائفاً مهذباً وأن يحسن الاعتذار إذا لم يبر بوعده وأن يظهر للناس محبته على لسانه ويطن لهم الكره والحق فى نفسه ولعل المنظوطى يقصد بذلك أن يقول إن معنى أدب النفس فى وقتنا الحاضر هو حسن المصانعة والمداهنة ، والمنظوطى - كما مهدناه - لا يكتفى بطرح القضية أو إدلاء الرأى دون حجة أو برهان قاطع فغضب لنا مثلاً

١ - المنظوطى . النظرات ج ٣ ص ٢٩ .

٢ - نفس الترخ والتفخه .

لرجلين عرفهما يجمعهما مركز واحد ووظيفة واحدة ويرى أن أحدهما خير الناس ففى نظره وثانيهما أشدهم شراً أما عن رأى الناس فيهما فبعكس رأيه تماماً .

أولهما رجل اطلع على خيار الكتب من الأدب والأخلاق فأخذ نفسه بكل ماقرأ عن الصدق والأمانة والعفة والزهد والسماحة والنجدة والمروءة والكرم والسماحة والرحمة . . . وافتتن بترك الفضائل أيما افتتان حتى وجهت سلوكه ومعاملته للناس لأنه قد استقرى ذهنه أن الناس قد عرفوا من أدب النفس ما عرف وفهموا من معناه ما فهم ، ففضب فى وجهه الأشرار ، وابتسم فى وجه الأخيار ، وامتدح إحسان المحسن ، وذم إساءة المسمى ، وبذل معروفه للعاجز ومنعه عن القادر وقال لمن يساومه أحبك ولكنني أحب الحق أكثر منك فكثر أعداؤه وقل أصدقاؤه . أما الآخر فكان لا يفي بوعده ولكن يحسن الاعتذار عن تأخره ، ولا يعطف على بائس أو مسكين ولكنه يحب الرثاء لحالهم ، وكثيراً ما كان يأكل أموال اليتامى ولكنه يكثر المسح على رؤوسهم ولا يفتأ ليله ونهاره ينال من أعراس الناس ويستنزل من أقدارهم ، إلا أنه يخطط جدّه بهزله فلم يقل الناس عنه شيئاً سوى أنه الماكن الظريف ( ١ ) .

ثم يعلق لنا المنظوطى على المثالين السابقين بقوله :-

( ذلك هو الأدب الذى أصبح فى هذا العصر رأياً عاماً يشترك فيه خاصّة الناس وعامّتهم وعقلاؤهم وجهلاؤهم ويعلمه الوالد ولده ، والأستاذ تلميذه . . . ) ( ٢ )

١ - المنظوطى . النظرات ج ٣ ص ٣٢ . بتصرف

٢ - المنظوطى . النظرات ج ٣ ص ٣٢ .

وهكذا يضي المنطوق في تعليقه الذي يبين فيه مدى تبدل الحقائق وانعكاسها في عصره فأصبح الرجل المخلص أخرج الناس بهذا الصدق وذلك لإخلاص فلا يعلم أيكذب فيسخط ربه ويرضى الناس أم يصدق فيرضوا عنه ربه ويسخط الناس أم يهجر هذا العالم إلى عزلة فيها الراحة والسكون وفيها الوحشة والفربة الأبدية ؟

لذا يدعو المنطوق بقلب صادق ونفس محبة للخير والفضيلة إلى ضرورة التحلي بأجمل الفضائل وأسماها ليخلق المرء في أفق الفضيلة الرحب بعيداً عن آثام الرذيلة والشُرور ، ولنستمع إلى قوله :-

( يجب أن يكون أدب النفس أساس أدب الجوارح ، وأن يكون أدب الجوارح تابعاً له وأثراً من آثاره فإن أبى الناس إلا أن يجعلوا أدب الحركات والسكنات أساس صلاتهم وعلائقهم ، وميزان قيمهم وأقدارهم فليعترفوا أن العالم كله مسرح تمثيل ، وأنهم لا يؤدون فيه غير وظيفة الممثلين الكاذبين ) ( ١ )

## المَلَّاعِبُ الهَزْلِيَّة (١)

يشير المنظوطى فى هذا المقال إلى مشكلة تورط فيها مجتمعه ، فحرّكت مشاعره للكتابة بعد أن آل على نفسه أن يترك قلمه آمناً مطمئناً فى مكانه فلا يحركه فى أىّ شأن من الشؤون العامة .

هذه المشكلة هى انتشار الملاعب الهزلية فى عصره والتي ليست من التمثيل أو التصوير ولا من الجدّ أو الهزل فى شيء كما أنها ليست تنتمى إلى فنّ من الفنون الأدبية ، وإنما هو - فى نظره - عبارة عن مضيعة للوقت والمال ومفسدة للخلق والدّين ومقابر للمجد والشرف لأنها لا تشتمل إلا على الهُزء والسخرية بالطبقات الشريفة العامة فى الأمة كالفلاحين الكادحين للكسب الحلال ، وحفظة الدّين من الشيوخ والأئمة وأفاضل الأمة وعيونها من المحامين والأطباء والمعلّمين كما أنها تشتمل على ما هو أسوأ من ذلك وأكثر ضرراً كتمثيل الشهوات البدنية والنفسية بجميع ألوانها وضروبها على مشهدٍ من الجمهور الشامل للرجال والنساء والأطفال .

والمنظوطى كما عهدناه رجل غيور على خلق مجتمعه وسيرة وطنه وعزة أمّته ، فلم يستطع أن يتحمّل وطأة هذه الكارثة الخلقية التى تنخر أخلاق الشباب والطلبة وهو أكثر الناس حرصاً بهم لأنهم نواة الأمة ودعامتها - لذلك يستنكر ارتياد مثل هذه الأماكن الهزلية ليسر لهذا فحسب بل الخوفه أن ينزل بوطنه زائر من الزوّار فيفجأ بما يراه فى وطنٍ عربىّ مسلم وخاصة إذا زار مساح ( أبيض أو عكاشة ورشدى ) وغيرهم ممن تقوم على مسارحهم مشاهد التمثيل الجديّ الشريف ، فلا يجد الكمية الضخمة من الجمهور

المتقف النَّاشِر ، كما وجدوه في الملاعب الهزلية كمراقص ( كَشِكْر والهِريري ) وغيرهما  
وإنما يجد ذلك الجمهور مكوّن من العامة والسّوقة والأُميين والجاهليين .

نعم إن المنظوطي يخشى حكماً عاماً يصدر من هؤلاء الزّوار على الأُمّة المصريّة  
مَنّاها أُمّة غريبة الأطوار ، يقول المنظوطي مخاطباً الشّباب المتعلّم الواعي :-

( ألا تخشون أن يستنتج مستنتج منهم بعد ذلك وقد راعه هذان المشهّدان  
الغريبان - مشهّدكم في الأجواق الهزلية السّاقة ، ومشهّد العامة والسّوقة في  
الأجواق الجدّية الشّريفة - أن الأُمّة المصريّة أُمّة غريبة الشّأن يفندها العلّم ،  
ويصلحها الجهل ، أو أن يتطرف متطرف منهم في رأيهم فيقول : ليت الأُمّة عاشت  
جاهلة عمياء ، موفوراً لها حظها من الأخلاق والآداب ، فذلك خير لها من علم يهوي  
بإفني مهواة الشّقاء والعار ) ( ١ )

لهذا يخشى المنظوطي على الشّباب المتعلّم ارتياد أمثال هذه الأماكن وخاصّة  
أن المشاهد لأمثال هذه الملاعب قد يقصّ ما شاهده على أسرته إن لم يصحبهم معه  
فيكون بذلك قد أفسد من في المنزل جميعاً وهكذا يفسد المجتمع بأسره لتقليده ما يسمع  
من شتائم وألفاظ بذيّة مبتذلة .

ولا يكتفى المنظوطي - كما دته - بعرض المشكلة ونقدها وبيان مفسدها وآثارها  
السّيئة بل يختتم حديثه بوصف الدّواء النّاجع لذلك الدّاء المتفشّي فيهب بالطلبية  
أن يبتعدوا عن ارتياد أمثال هذه الملاعب حفظاً لخلقهم وكرامة وطنهم وسلامة أسرهم  
من العار وأن ينتدب فريقاً نفسه لنصح إخوانهم المتطهّفين على أمثال هذه الأماكن

حتى تنتشر النصيحة بين أفراد المجتمع وحتى ينقذ هذا الفريق المصلح أسرته ثم أمته  
من الضياع المحقق والخسران المبين وحتى يظل رأس أمته مرفوعاً وأنفها شامخاً عالياً  
يحسن أخلاقها علواً يرتقى بها إلى ذروة المجد يقول المنظوطى :-

( نحن فى حالة نحتاج فيها إلى أن يعلم الناس عنا فى كل مكان أننا أمة أخلاق  
وآداب ، وأن فى نفوس أفرادنا من الصفات والمزايا ما يرفعنا إلى مصاف الأمم العظيمة ،  
ومقياس عظمة الأمم عند العالم إنما هو بصفاتنا ومزاياها قبل أن يكون بأى شئ غير  
ذلك ... ) ( ١ )

ويستمر المنظوطى فى دعوته الجمهورية الصوت من أجل الحفاظ على الفضيلة  
والتمسك بأهداب الأخلاق السامية فيذكر هؤلاء الطلبة بالأمانة الملقاة على عاتقهم  
قائلاً :-

( إننى لا أدعوكم إلى الإمتناع عن الإلزام بهذه المقادير العامة من أجل أنفسكم  
فقط ، بل من أجل إخوتكم وأخواتكم ، ومن أجل مستقبل للأمة المصرية كلها الذى  
أعتقد أنه أمانة فى أيديكم ، ووديعة موكولة إلى كرم نفوسكم وشرف ضمائركم .  
اهدوا هذه الأماكن هدماً بالإغراض عنها واحتقارها ، ثم قفوا بعد ذلك على  
أطلالها هاتفين صائحين صياح الظافر المنتصر قائلين : ها قد نجت الأمة من خطر  
عظيم وها نحن قد قمنا جميعاً بالواجب طينا لوطننا ) ( ٢ )

١ - المنظوطى . النظرات ج ٣ . ص ٤٥ ، ٤٦ .

٢ - نفس المرحع والصفحة .



نعم ما أشدَّ حماس المنفلوطي في مثل هذه المواقف والتم لا يرجو  
 منها، إلا انتشار الفضيلة والنعكاس أضواءها على المجتمع ثم على  
 الإنسانية جمعاء . ولم لا وهو كاتب إنسانيّ مناضل بقلمه وكلمته  
 في سبيل الحق والخير والفضيلة .

---

## الآداب العامة (١)

يستكر المنظوطي في مقاله ما يتحدث عنه الناس في مجتمعه عن فئة من الشبان المصريين المتعلمين الذين ظهروا في تلك الأيام متخذين لأنفسهم في حياتهم العامة طريقاً غير الطريق لللائقة بهم وكرامتهم وبالعلم الذي يتعلمونه وذلك لتبذل هؤلاء الشباب في شهواتهم وتطرفهم في أهوائهم وميولهم وانتهاكهم لحرّمات الأعراض دون مخافة لومة لائم أو حتى مغبة أخطائهم فيتعرضون للطالبات المراهقات وهن في طريقهن إلى مدارسهن أو في عودتهن إلى منازلهن ملقين إليهن بالرسائل الفرامية المفرّرة ثم لا يكتفون بذلك بل قد يشركونهن في جلسات شرب الخمر أو المخدرات وما أشبه ذلك من وسائل إفساد الخلق وإلحاق العار بهن وسمعتهن حتى إذا ما تمّ لهم ذلك ابتعدوا عنهن غير راضين بالزواج من إحداهن ، ولا يقف بهم الأمر إلى هذا الحد من الضرر بها بل قد يبعث أحد هؤلاء الشباب بعمرة الفتاة التي أهدتها إليه في لحظة سعادتها معه إلى الرجل الذي ينوي الزواج منها . وقد قرأنا المنظوطي قصة ماثلة سمعها وهو أن فتاة أهدت لحبيبها صورتها موقعة عليها بتوقيعها ظمناً تزوجت بغيره . وكان لا يحب ذلك منها - قصّ رأس الصورة فألقها بصورة جسم فتاة عارية وأرسلها إلى زوجها في ليلة عرسهما ، فما لبث أن خسرت الفتاة في لحظة واحدة سمعتها وسعادتها .

وهكذا عرض علينا المنظوطي هذا الداء المتفشّي في شباب عصره في صيغة الاستكثار الشديد وما أكثر الاستفهام الإنكارى في هذا المقال ( ٣ ) كقوله :-

١ - المنظوطي . النظرات . ج ٣ . ص ١٢٦ .

٢ - المنظوطي . النظرات . ج ٣ . فضلاً راجع الصفحات ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .

( أصحح ما يقولون عنكم أيها الفتيان التّعسّون أنكم تتخذون صلة العلم التي هي أشرف الصّلات وأكرمها صلة فساد بينكم وبين أولئك الفتيات الضّعيفات وأنّ الحباله التي تنصبونها لهنّ لا صطياد هنّ إنّما هو حباله القلم الذي هو أفضل اداة للخير ، وأعظم وسيلة للفضيلة وخير واسطة للأدب والكمال ( ١ ) )

( أصحح أنكم أصبحتم لا تقنعون في أمر أولئك الفتيات البائسات اللواتي يقعن في مخالبيكم بإفساد أخلاقهنّ حتّى تسجّلوا عليهنّ ذلك الفساد تسجيلاً موقّعاً عليه بتوقيعاتهنّ ، ستشهداً عليهنّ بصورهنّ وخطوطهنّ لتلكوا عليهنّ أمرهنّ بعد ذلك وتحولوا بينهنّ وبين التفلّت من أيديكم ، والحياة بعيداً عنكم في جوّ غير جوكم وجوار غير حواركم عذاري أو متزوجات ) ( ٢ )

ولا يكتفى أدينا الفاضل بهذا الاستنكار لأفعال الشّباب المشينة فحسب بل يذكّرهم بأنّ هذا سيؤدي بهم إلى المهالك لأنهم سيكونون سبباً في إفساد فتيات المجتمع اللاتي سيصبحن فيما بعد أمّهات المستقبل يقول المنظوطي :-

( أين تجدون الزوجات الصّالحات في مستقبل حياتكم إنّ أنتم أفسدتم الفتيات اليوم أو في أيّ جوّ يعيش أولادكم ويستنشقون نسمة الحياة الطّاهرة إنّ أنتم لوثتم الأجواء جميعها وملائمتوها سموماً وأكداراً . لا تتكون أخلاق الفتاة في عهد طفولتها أو في عهد شيخوختها بل في عهد شبابها ، فإذا سلم لها ذلك العهد فقد سلم لها كلّ عهد بعد ذلك ، فدعوها تجتزّ هذه المرحلة الوحيدة من مراحل حياتها شريفة طاهرة تجدوا فيها بعد قليل من الزمن خير زوجة للزوج ، وخير أم للولد ، وخير سيّدة للمنزل ) ( ٣ )

١ - المنظوطي . النظرات ج ٣ ص ١٣٧ .

٢ - نفس المرجع ر ٥ ص ١٣٨ .

٣ - نفس المرجع . ص ١٣٩ .

ثُمَّ يَحَاوِلُ الْمَنْظُوطِيُّ إِيقَازَ ضَمَائِرِ الشَّبَابِ فِي اسْتِنكَارِهِ لِلْفُسَادِ وَدَعْوَةِ الطُّعْنَةِ إِلَى التَّزَامِ الْفَضِيلَةِ فَيَذَكِّرُهُمْ بِضَمَائِرِهِمْ وَمَا سَتَدَّثَهُمْ بِهِ فِي خُلُوتِهِمْ فَيَقُولُ لَهُمْ عَنْ حَدِيثِ الضَّمِيرِ :-

( إِرَاصِفُوا إِلَيْهِ تَسْمَعُوهُ يَقُولُ لَكُمْ : إِنْ هُوَ لَا الْفَتَيَاتِ اللَّوَاتِي لَا تَسْتَحْيُونَ أَنْ تَدُوا إِلَى يَهَنِّ أَعْيُنِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّمَا هُنَّ إِخْوَاتُكُمْ الْحَمِيمَاتُ يَجْمَعُكُمْ وَإِيَاهُنَّ أَبٌ وَاحِدٌ وَهُوَ النَّيْلُ وَأُمٌّ وَاحِدَةٌ وَهِيَ الْبِلَدُ . وَشَرَفُ الْأُخُوَّةِ وَهُوَ الطُّجَاءُ الْأَمِينُ لِأَعْرَاضِ الْأَخَوَاتِ وَشَرَفُهُنَّ ) ( ١ )

وَيَخْتَتِمُ الْمَنْظُوطِيُّ مَقَالَهُ السَّابِقَ بِالدَّعْوَةِ إِلَى تَعْلِيمِ الْفَتَيَاتِ حَتَّى لَا يَخْدَعَهُنَّ الشَّبَابُ بِمَعْسُولِ الْحَدِيثِ وَحَتَّى لَا يُلْتَفَتَنَّ إِلَى طُرُقِ الْفُجَاوِيَةِ وَالْفُسَادِ . كَمَا يَدْعُو الشَّبَابُ وَالرِّجَالُ جَمِيعاً إِلَى إِفْسَاحِ الطَّرِيقِ لِلْمَارَةِ وَخَاصَّةً مِنَ النِّسَاءِ فَيَقُولُ :-

( إِفْسَحُوا الطَّرِيقَ لِهِنَّ ، وَافْسَحُوا لِلْعَامِلَةِ الْخَارِجَةِ فِي طَلَبِ رِزْقِهَا وَالْأُرْمَلِ الْمُسْتَرْزَقَةِ لِبَنِيهَا ، وَالْفَقِيرَةِ الْعَاجِزَةِ عَنْ قَضَاءِ حَاجَتِهَا إِلَّا بِنَفْسِهَا ، وَالذَّاهِبَةَ لَصَلَةِ رَحْمَتِهَا ، وَالسَّائِرَةَ لَزِيَارَةِ قَبْرِ فَقِيدِهَا وَلَا تَكُونُوا حَجَرِ عَثْرَةٍ فِي سَبِيلِ حُرِّيَةِ الْمَرْأَةِ فَفُورِ ذَهَابِهَا وَجِيئَتِهَا وَاضْطِرَابِهَا فِي مَذَاهِبِ الْأَرْضِ سَعْياً وَرَاءَ رِزْقِهَا ، وَقَضَاءِ مَصَالِحِهَا فَإِنْ أَبَيْتُمْ عَلَيْهَا ذَلِكَ فَاعْتَرَفُوا أَنَّكُمْ أَعْدَاؤُهَا الْقَسَاةُ الْمُتَوَحِّشُونَ لِأَنَّكُمْ تَأْبُونَ عَلَيْهِمْ إِلَّا إِحْدَى الْخَطِئَتَيْنِ الْقَاتِلَتَيْنِ ، إِمَّا الْجَهْلَ الدَّائِمَ أَوِ السُّقُوطَ الْعَظِيمَ .

الفضيلة الفضيلة أيها القوم ، فهو العزاء الوحيد لهذه الأمة المسكينة  
عن جميع آلامها ومصائبها ، والأمل الباقي لها إن ضاعت - لا قدر الله - جميع  
آمالها وأمانيتها والشرف الشرف فربما جاء يوم ندير فيه أعيننا من حولنا فلا نجد ما تملك  
أيدينا شيئاً سواه ( ١ )

وهكذا نلاحظ تأثر المنظوم بالدين الإسلامي في دعوته إلى إفراح الطريق  
للمارة من النساء حيث قال صلى الله عليه وسلم :-  
( إياكم والجلوس في الطرقات قالوا يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث  
فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه  
قالوا وما حقه قال غر البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي  
عن المنكر ) ( ٢ )

١ - المنظوم . النظرات ج ٣ ص ١٤١ - ١٤٢ .

٢ - صحيح مسلم بشرح النووي . جزء ١٤ ص ١٠٢ ط ٢ ١٩٧٢م

## الماضي والحاضر ( ١ )

يرى المنظوطى فى مقاله هذا أن الفضيلة والرزيلة أمران اعتباريان يخطفان من عصر إلى عصر ومن مكان إلى مكان ، ولذا فهو ينتقد مؤلفات علماء الأخلاق الذين لا يفوتهم فى مؤلفاتهم أن يضعوا جدولا لبيان الفضائل كالوفاء والكرم والإحسان والسماحة وجسد ولا آخر للرزائل ، كالغدر والخيانة والبخل والكذب . . . الخ

وسبب انتقاد المنظوطى لهذا راجع إلى اعتقاده الأكيد أن معايير الفضائل والرزائل تختطف من جماعة إلى جماعة ومن عصر إلى عصر ، فما كان فضيلة فى عصر البداوة مثلاً قد أصبح فى عصر المدنية ؛ ففى عصر البداوة مثلاً كان العرب يفتخرون بالوحيدة ليكرم ضعفه فيحمد على عمله ولا يعدم من يعينه على حياته ورزقه بعد ذلك ، أما فى عصر المدنية الحاضرة لو تصرف أحد الناس مثل هذا التصرف لانهالت الملامات عليه من كل حذب وصنوب ولا تصرف الناس عنه لغظته - فو نظرهم - وسوء تصرفه للأمور .

وكانت القناعة فضيلة فى نظر الناس عندما كانت التقوى والعمل الصالح أساس المفاضلة بين الناس ، أما فى عصر السيطرة المادية فقد أصبح الغنى هو مقياس المفاضلة بين الناس حتى وإن التوت الطرق فى سبيل الحصول على المال يقول المنظوطى : ( وكانت القناعة فضيلة يوم كان الفضل هو الميزان يزن به الناس أقدار الناس وقيمهم ، ويوم كان الفقر مفخرة الشريف إذا عقرت يده وعزفت نفسه ، والغنى معرة للدني ، إذا سظت بساعيه وأغراضه ، أما اليوم وقد مات كل مجد فى العالم إلا المجد المالى ،

وأصبح النَّاسُ يتعارفون بأزيائهم ومظاهرهم ، قبل أن يتعارفوا بصفاتهم وأعمالهم  
فالقناعة ذلُّ الحياة وعارها أو بؤسها الدائم وشقاؤها الطويل ( ١ )

ومضى المنظوطي يعدّد هذه المُغلِّ والقيَم التي اختفت معاييرها في عصر  
المدنية الحاضرة عن العصور السابقة كما بيّن في مقاله كيف أصبحت الفضيلة ستاراً  
يتستر به الأدياء ليوهموها النَّاسُ أنَّهم فضلاء وماهم بفضلاء . إستمع إلى قوله :-

( إِنْ الدُّعَاءُ إِلَى الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ وَالشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ وَالصَّدْقِ  
وَالْإِخْلَاصِ فِي هَذَا الْعَصْرِ إِنَّمَا هُوَ حِبَالَةٌ يَنْصَبُهَا الْأَقْوِيَاءُ الْمَاكِرِينَ لِلضُّعَفَاءِ السَّاجِدِينَ  
لِيُخْدَعُوهُمْ بِهَا عَنْ مَائِدَةِ الْحَيَاةِ الَّتِي يَجْلِسُونَ عَلَيْهَا فَيَتَأَثَّرُوا بِهَا مِنْ دُونِهِمْ ، فَلَا  
يَدْعُو الدُّعَاءُ إِلَى الْكَرَمِ إِلَّا لِيَنْقُلَ مَا فِي جُيُوبِ النَّاسِ إِلَى جَيْبِهِ وَلَا إِلَى الْعَفْوِ إِلَّا لِيُصِيبَ  
بَشَرَهُ مِنْ يَشَاءُ دُونَ أَنْ يَنَالَهُ مِنَ الشَّرِّ شَيْءٌ ، وَلَا إِلَى الْقَنَاعَةِ إِلَّا لِيَقْلَلُ مِنْ سَوَادِ  
الْمُزَاحِمِينَ لَهُ عَلَى أَعْرَاضِ الْحَيَاةِ وَمَطَامِعِهَا وَلَا إِلَى الصَّدْقِ إِلَّا لِيَتَمَتَّعَ وَحْدَهُ بِمُشْرَافَاتِ  
الْكَذِبِ وَمَزَايَاهُ ) ( ٢ )

ثمّ يذكر لنا المنظوطي كيف ينبغي أن يعرف الطّفصل هذا التّغير في معايير  
الأخلاق والفضائل باختلاف المكان والزّمان ، ويرى أن تلك المعرفة تحفظ هذا الدّافل  
في شبابه من الإصطدام بالمفاجآت السيئة التي هي بعكس ما نشأ عليه من قراءة فضائل  
رجال التّاريخ السابقين ومحاولة التّقدي بهم في حياته اليوميّة مع النَّاسِ فيحدث لــــه  
ملا تَحْمَدُ عَقْبَاهُ وَيُوَثِّرُ الْعُزْلَةَ عَنِ النَّاسِ عَلَى الْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَةِ الْمَلِيئَةِ بِالْآثَامِ وَالشُّرُورِ .

١ - المنظوطي . النظرات ج ٣ ، ص ١٨٥ .

٢ - نفع المرجع ص ١٨٦ .

وَيَتَمَنَّى لَوْ كَانَتِ السَّبِيلُ لِتَعْرِيفِ الطَّرِيقِ ذَلِكَ تَأْلِيفُ الْكُتُبِ الْمُنَاسِبَةِ لِعَقْلِيَّتِهِ  
وَالَّتِي تَبَيَّنَ كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَفْشَرَ الصَّانِعُ ، وَيَكْذِبَ التَّاجِرُ ، وَيَلْفَقَّ الْحَامِي ، وَيَخْطُرَ  
الْمُرَابِّي ، وَيَصَانِعَ السِّيَاسِي . . . الخ ( ١ )

وَبِذَلِكَ يُمْكِنُ أَنْ يَعْلَمَ النَّاشِءُ إِمْكَانَ حَدُوثِ أُمُثَالِ هَذِهِ الْمَتَنَاقُضَاتِ فِي الْحَيَاةِ  
فَيَقْبَلُهَا عَلَى عِلَّاتِهَا وَيَكُونُ خَدِرًا فِي مَوَاقِفِهَا .  
ثُمَّ لَا يَنْسُو الْمَنْظُوطِي فِي خَاتَمَةِ مَقَالَةٍ أَنْ يَبَيِّنَ أَنَّ طَرِيقَ الْفَضِيلَةِ وَاضِحٌ الْمَعَالِمِ  
وَأَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَيِّ التَّوَهُُّ فِي سَبِيلِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ فَيَقُولُ :-

( مِنْ أَرَادَ الْفَضِيلَةَ لِلْفَضِيلَةِ فَسَبِيلُهَا الْمَقْدَسُ الشَّرِيفُ مَعْرُوفٌ لَا رَيْبَ فِيهِ فَيَسْلُكُهُ  
كَمَا يَشَاءُ ، وَمَنْ أَرَادَهَا عَلَى أَنْ تَكُونَ وَسِيلَةً مِنْ وَسَائِلِ الْعَيْثِ فِي عَصْرٍ مِثْلَ هَذَا  
الْعَصْرِ . وَنَاسٍ مِثْلَ هَذَا ( ٢ ) النَّاسِ ، فَيَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ وَضَلَّ السَّبِيلَ .  
مَا أَجْمَلَ الْفَضِيلَةَ وَمَا أَعْذَبَ مَذَاهِبَهَا وَمَا أَجْمَلَ الْعَيْثَ فِي ظِلَالِهَا لَوْلَا أَنَّ شُرُورَ  
الْأَشْرَارِ وَوِيْلَاتِهِمْ قَدْ حَالَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا ، فَرَحِمَ اللَّهُ طَيْبَهَا وَأَسْفَا عَلَى أَيَّامِهَا  
وَعَهْدِهَا ) ( ٣ )

وَهَكَذَا نَجِدُ الْمَنْظُوطِي حَزِينًا عَلَى ضَيَاعِ تِلْكَ الْفَضِيلَةِ وَذَهَابِ عَصْرِهَا  
الزَّاهِرَةِ .

١ - الْمَنْظُوطِي - النُّظَرَاتُ، ج ٣، ص ١٨٧ . بِتَصَرُّفٍ

٢ - وَرَدَ فِي كِتَابِ النُّظَرَاتُ، ج ٣، ص ١٨٨ . هَذَا اللَّفْظُ وَأَرَى أَنَّهُ خَطَأٌ مَطْبَعِيٌّ الصَّوَابُ فِيهِ  
قَوْلُنَا ( هُوَ لَا النَّاسَ )

٣ - الْمَنْظُوطِي - النُّظَرَاتُ، ج ٣، ص ١٨٨ .



## الكلمات (١)

وتحت هذا العنوان تناول المنظوطى مجموعة عناوين جانبية تناول فيها موضوعات متعدّدة يهّمنا هنا التعليق على ما يختصّ بهذا الفصل من الدّراسة ، فمثلاً تحت عنوان ( الدين ) ( ٢ ) بين المنظوطى أنّ بعض النّاس لا يستطيع تحمّل أحكام الدّين والوقوف عند حدوده الشرّعية فلا يجدون بداً من إنكاره وجحوده والخروج على طاعته ، ظناً منهم أنّ فعلهم هذا هو العذر الذي يعتذرون به إلى النّاس في تقصيرهم عن العمل بحدوده والحفاظ عليه ، وهم في الحقيقة غير منكرين له ولا جاحدين ، ولذا ينبّه المنظوطى قارئه إلى أنّ سيّئاً بمثل هؤلاء النّاس في حياتهم ومجتمعهم وعليه أن يكون حريصاً في الأخذ بكلامهم لأنّهم سيّئون له ما زعموا أنّهم منكروه بل ربّما أوهموه أنّه لن يبلغ حظه من المدنيّة الحاضرة إلاّ بإعراضه عن الدّين .

والمنظوطى - كما ثبت لنا - رجل مسلم حريص على الحرص على الدّعوة للدّين والتّمسك بأهداف الشّريعة السّميحة لذا يؤكّد في مقاله هذا على ضرورة التّمسك بالعقيدة والعمل بأحكام الدّين وعدم الإنسياق خلف سراب المدنيّة البراق لأنّ العقيدة الرّاسخة والدّين الصّحيح هما خير مُعين على تحمّل أرواء الدّهر ومصائب الزّمان يقول المنظوطى لقارئه عن هؤلاء النّاس المزيّنون للفساد :-

( فأظن أنّ الله سيّئ عليك بهم ، وأنّهم سيّئون لك إنكار ما يزعمون أنّهم ينكرونه ، ويسخيلون إليك أنّك لن تستطيع أن تبلغ ما تريد من هذه المدنيّة الحاضرة ، وأنّ تنال

١ - المنظوطى - النظرات - ج ٣ ص ٢١٢ .

٢ - المنظوطى - النظرات - ج ٣ ص ٢١٥ .

الخطوة الباسقة في نفوس أصحابها إلا إذا تنكرت لدينك وتسلبت منه ، وخفرت زمته  
 فاحرص الحرص كله على أن لا يعلق بنفسك عالق من هذه الخيالات الباطلة واعلم  
 أنك إلى نفسك أجوج منك إلى الناس وأن الناس لا يفنون عنك من الله شيئاً إن أنت  
 آثرت مرضاتهم على مرضاته ، وأن هذه الحياة الحافلة بصنوف الشقاء ، وأنواع الآلام ،  
 والتي لا يفيق المرء فيها من غمرة إلى غمرة ، ولا يثقل من عثرة إلا إلى عثرة ولا يعين  
 عليها إلا عقيدة راسخة يلوذ بها الحائر كلما عثرت خطواته ، وتداركت عثراته ، ويستروح  
 من أعطافها رائحة الجنة كما ضاق ذرعه باحتمال جحيم العذاب ( ١ )

وهكذا نلاحظ تأثر المنظوطي بالإسلام في دعوته الملحة السابقة إلى ضرورة  
 تمكّن العقيدة الصحيحة من نفس الإنسان حتى لا تزغزه هجن الزمان وأرزاء الدهر  
 لأن تمكّن العقيدة من نفع المسلم يعني صبره على البلاء والصبر على الشدائد هو  
 دليل الإيمان الصادق الذي ليس جزاءه عند الله إلا الجنة قال تعالى :-  
 ( وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءً وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرَأُونَ  
 بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ) ( ٢ )

ومما يؤكّد لنا موقف المنظوطي الفيور على الدين قوله تحت عنوان جانب آخر  
 سماه ( الدين والوطن ) يقول فيه :-

( من لا خير له في دينه لا خير له في وطنه ، لأنه إن كان ينقضه عهد الوطنية  
 غادراً فاجراً فهو ينقض عهد الله وميثاقه أغدر وأفجر ، وإن الفضيلة للإنسان

١ - المنظوطي - النظرات ج ٣ ص ٢١٥ - ٢١٦ .

٢ - آية ٢٣ من سورة الرعد .

أفضل الأوطان ، فمن لم يحرص عليها فأحرى به ألا يحرص على وطن السقوف والجدران (١)  
ثم لنرى حديثه تحت عنوان الأخلاق الذى يرى فيه أن الخلق الحسن مطلوب  
من الإنسان قبل علمه وألا فائدة من العلم المجرد من حسن الخلق يقول المنطوطى :-

( مَثَلُ الْمُتَعَلِّمِ غَيْرِ الْمُتَأَدِّبِ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ عَارِيَةٍ لَا تُورِقُ وَلَا تُثْمِرُ قَدْ انْتَصَبَتْ لِلنَّاسِ  
فَوُضِعَ الطَّرِيقُ تَعْتَرِضُ الرِّيحُ ، وَتَصُدُّ سَبِيلَ الْغَادِي فَلَ النَّاسِ يَظْلُمُهَا يَسْتَظِلُّونَ  
وَلَا هُمْ مِنْ شَرِّهَا نَاجُونَ ) ( ٢ )

وحديث المنطوطو السابق يذكرنا بالقول الفائل : ( علم بلا عمل كشجر بلا ثمر )

---

١ - المنطوطى - النظرات - ج ٣ ص ٢١٨ .

٢ - المنطوطى - النظرات - ج ٣ ص ٢١٩ .

## الحجاب ( ١ )

وهذه قصة قصيرة وضعها المنظوطى ضمن ما وضعه من قصص ألفها من بنات أفكاره فى كتابه (العبرات)، وهى تحكى قصة صديق له سافر إلى أوربا ، وهو على خُلُقٍ كريم ونفس طيبة ووجه حيي ونفس عالية شريفة لا تطأ مواطن الشبهة والفساد ، ثم عاد من أوربا بعد أن لبث فيها بضع سنين ولم يبق مما يعرفه عنه الناس ولا أصدقاؤه شراً . يقول المنظوطى مقارناً بين حاله فى ذهابه وبعد إيايه :-

( ذهب بوجه كوجه العذراء ليلة عرسها ، وعاد بوجه كوجه الصخرة الملساء تحت الليلة العاطرة ، وذهب بقلب نقي طاهر يأتمر بالعفو ويستريح إلى العذر ، وعاد بقلب ملوف مدخول لا يفارقه السخط على الأرض وساكنها ، والنقمة على السماء وخالقها ، وذهب بنفس غضة خاشعة ترى كل نفس فوقها وعاد بنفس ذهابية نزاعة لا ترى شيئاً فوقها ، ولا تطبق نظرة واحدة على ماتحتها ، وذهب برأس ملوئة لحكاماً ورأياً وعاد برأس كراش التمثال المثقب لإيلوئها إلا الهواء المتردد ، وذهب وما على وجه الأرض أحب إليه من دينه ووطنه ، وعاد وما على وجهها أصفر فى عينيه منها ) ( ٢ )

وكان المنظوطى مازال يظن بأمثال هؤلاء الشباب خيراً إذ اعتقد أن ما يصيبهم بعد عودتهم ما هي إلا سحابة مؤقتة ما لبث أن تشرق عليها شمس المشرق فتبدد غيومها وتزول ، ولذا لم يحاول أن يترك صديقه بل قبله على علاقه آملاً فيه الإصلاح القريب والعودة السريعة وظل على حسن علاقته له إلى أن جاءه ذات ليلة واجماً مكتئباً قد جن

١ - المنظوطى - العبرات ص ٣٩

٢ - نفس المرجع والصفحة

جنونه فسأله عن حاله ، فعرف أنه على خلافٍ مع زوجته التي طلب منها أن تتخلّى عن حجابها وسترتها لتظهر بالمظهر اللائق به بعد عودته من أوروبا ولتخطط بأصدقائه وتشاركه سهراته وحفلاته التي لا عدّ لها ولا حصر ، فرفضت الزوجة الصالحة الحبيبة ذلك فلم يجد أمامه إلّا أن يفكّر في الخلاص منها لأنّها أصبحت غير لائقة به وخاصةً أنّه يريد أن يكون أول هادمٍ لصرح الحجاب الذي سيطر على جميع الناس في وطنه فأصبح عادة ذميمة ينبغى الجرأة في الخروج عليها ثم الخلاص منها .

فإذا بأدبينا يدّيهه ماسمعه من صديقه وطمأن أنّها مجرد فكرة لا يعلم عواقبها ولا نتائجها الوخيمة فأخذ يحاوره ويناقشه آملاً منه الإحجام عما عزم عليه ويبيّن له أنّ ما يطلبه من زوجته اليوم ويصرّ عليه قد يكون سبباً في ضياعه وهدم بيته دون شعور منه ، ولكنّ الصديق كان ملوّثاً بالخدعة التي يخدع بها الشيطان معظم الرجال وهو أن المرأة الشريفة تستطيع أن تعيش بين الرجال ولها من شرفها وعفتها حصن حصين لا تمتدّ إليه المطامع ، وهكذا دار نقاش طويل بين المنظوطي وصديقه لم ينتهِ إلّا بابتسامة الشاب الهازئة من ناصحه تعنى إصراره على ما ارتآه من خلع حجاب زوجته وهتك ستار الحشمة والوقار الذي كان يجملها .

فعزم المنظوطي على قطيعة منزل صديقة حفاظاً على شرفه من الدنس والوبية . وماهي إلّا أيام قلائل حتى سمع الأديب أن صديقه نفذ ما كان قد ناقشه فيه وأن بيته أصبح مغشياً بالأصدقاء حافلاً بهم على شاكلة من الشباب والشابات ومرّ على هذه الحال ثلاثة أعوام والمنظوطي مقاطع لصديقه لا تزاور بينهما ولقاؤهما لا يكون إلّا صدفةً يحيى فيها كلّ منهما الآخر تحية الغريب للغريب دون أن يدور بينهما أي حوار

وفى منتصف ليلة من الليالي كان المنظوطى عائداً إلى داره ، فرأى صديقه  
 ذاهلاً مشدوهاً يصطحبه جنديٌّ إلى مخفر الشرطة فى تلك الساعة من الليل فأهمَّه  
 أمره واقترب منه ثمَّ سأله عن حاله فأجابه أنه لا يعلم من أمره شيئاً وطلب منه فى تلك  
 اللحظة الحرجة أن يصحبه إلى المخفر طمَّ يحتاج إلى مساعدته فلأذن عن المنظوطى  
 لرغبته ، وبينما هما فى الطريق كانت علامات الخجل والرغبة فى الحديث تظهر على وجه  
 صديقه فشعر المنظوطى بذلك ثمَّ بدأه بالحديث وأعاد عليه سوءه عن حاله وسبب  
 دعوته إلى المخفر فى هذه الساعة المتأخرة من الليل . فتحير الصديق فى الرد وأعلمه  
 بأنه أن تكون زوجته هى سبب ذلك إلا استدعاءً فقد رابه أمر عدم وجودها فى المنزل  
 إلى هذه الساعة المتأخرة من الليل ، فسأله ألم يصحبها أحد فى خروجها أو يعرف  
 مكان ذهابها فأجابه بالنفي ثمَّ سأله المنظوطى وهل يخاف عليها من شيءٍ معينٍ فأجابه  
 أنه لا يعلم من أمرها سوى أنها امرأةٌ غيور شرسةٌ وربما حاول أحد اغتصابها فوقعت بينهما  
 الواقعة التى ألجأتها إلى المخفر ، وما أن وصل إلى المخفر حتى جاءه فتى يقوله له :  
 يؤسفنى ياسيدى أن أقول لك إن رجال الشرطة عثروا على امرأةٍ ورجلٍ فى مكان من أمكنة  
 الريبة فى حال غير سالحة فاقْتيدا إلى مخفر الشرطة وادّعت المرأة أن لها بك صلة  
 فدعوناك لتتأكد من دعوتها فإن كان صدقاً قولها تركناها وشأنها حِفاظاً على شرفك  
 وإلا فهو امرأةٌ كاذبةٌ ليس لها إلا عقاب الساقطات أمثالها ، فنظر الرجل إلى المتهمين  
 فوجد المرأة وزوجته والرجل الذى معها صديقه فصرخ صرخة دوت فى أرجاء المخفر  
 وسقط مفشياً عليه فأشار المنظوطى على المأمور أن يرسل المرأة إلى منزل أبيها ففعل ،  
 وأطلق سبيل صاحبها ، وحمل أدينا صديقه ومع جماعة من الحاضرين إلى العربة ثمَّ  
 إلى منزله حيث استدعى له الطبيب الذى وجهه أنه أُصيب بحُمى شديدة واستمرَّ

الطبيب بجانبه وهو يكابد ليلة ليلاً حتى أشرقت شمس الصباح فانصرف الطبيب ثم استدعى له مرة أخرى ، وليث المنظوط بجواره يستلطف الله في حاله حتى أفراق من غظته وصحا من رقدته ونظر إلى صديق عمره وناصحه وأراد أن يقول شيئاً ولكنه لم يستطع فحاول أن يدنو منه ليعرف حاجته فسأله ألا يدخل عليه أحد وسأله عن مكان زوجته فدُهِشَ المنظوط وسأله ما الذي يريد منها بعد ذلك فأخبره أنه يريد أن يخبرها أنه عفا عنها خطيئتها لأنه السبب الأول والأخير فيها فقد كانت امرأة عفيفة طاهرة وأهلها شرفاء أمجاد لم يلحقهم العار إلا بمصاهرتهم ، وتذكر اليوم الأول الذي رفضت فيه الزوجة خلع حجابها وهتك سترتها ثم تذكر كيف أرغمها وهددها بالطلاق إن لم تُجِبْ رغبته ، ودار ما كان يراه من اجتماع صديقه معها في داره وفرحته بذلك اللقاء في غيبته أو حضرته وظنه أن ذلك هو التجديد الحقيقي وظنك هي السعادة الأكيدة والذكاء النادر ، فاعترف اليوم ببلالته وغظته وتعاسته الفذة ، وتنبؤ رؤية أهله زوجته ليعلمهم بندمه على فعلته وليعتذر منهم لأنه تسبب في تدنيس عرضهم وشرفهم ولأنه حنث بيمينه معهم يوم خطبها أن يصون عرضها وشرفها ويحافظ على مجدهم وكرامتهم ، واعترف أنها قتله حقاً ولكنه هو الذي وضع لها الخنجر الذي أغمدته في قلبه فكان في هذه الطعنة هلاكه ومصرعه لأن البيت بيته والصديق صديقه والزوجة زوجته وهو الذي فتح باب بيته بيده لصديقه ، وتأكد أن معظم من كانوا يتوددون إليه إنما كان غرضهم الوصول إليها لا صديق محبتهم وإخلاصهم له ، وبينما هو يعالج آلام أحزانه ويكابد ما فقد صوابه وعاد سيرته الأولى من الفيسومة والهذيان ، وفي تلك اللحظة دخلت عليه مرضع ولده تحمله بين يديها حتى وضعت بجوار أبيه وتقلب الطفل حتى علا صدر أبيه فأيقظه عطف الأبوة من غظته واحتضنه وقبله ثم تذكر ما مر به فرمو الطفل وتذكر له فسمعت المرضع صياح الطفل فعادت لأخذه ، فأحزن الأب صوت ابنه وهو

يتمتع عنه فطلب إعادته إليه مرة أخرى قبله واحتضنه حتى بلغ الجهد منه مبلغه فعاد إلى غشيته وعاودته الحمى فاستدعى أدينا له الطبيب مرة أخرى الذي علم بدنو أجله وبينما الموت يسيل أستاره على المريض وفراشه إذا بامرأة مؤتزة تدخل عليه الحجرة وتتقدم نحوه ببطء ثم ركعت بجانبه وقبلت يده الموضوعة على صدره قائلة :-

( لا تخرج من الدنيا وأنت مُرتاب في ولدك فإن أمه تعترف بين يديك وأنت ذاهب إلى ربك أنها وإن كانت قد دنت من الجريمة ولكنها لم ترتكبها ، فاعف عني يا والد ولدي وأسأل الله عندما تقف بين يديه أن يلحِقني بك فلا خير لي في الحياة من بعدك ) ( ١ )

ثم انفجرت الزوجة باكياً وابتسم المريض ابتسامة كانت آخر عهده بالدنيا . فأخذه أدينا إلى المقبرة ثم عاد حزيناً واجماً لا يخفف حزنه وألمه طمس فراقه إلا أنه كان المشجع الأول على هتك حجاب المرأة وكشف ستارها لحياء عنها .



## المواقف الإنسانية في القصة :

لا شك أن القصة حافظة بالمواقف الإنسانية الجليلة كمحاولة الحفاظ على الشرف والدعوة إلى الفضيلة والتمسك بأهداب الدين والشريعة وكان بطل هذه المواقف والداعي إليها في القصة من أولها إلى آخرها هو المنظوطي كما سنرى . . .

أول هذه المواقف يتجلى في محاولة المنظوطي أن يحتفظ بصديقه رغم ما طعمه عنه من تغيير أفكاره وتصرفاته بعد عودته من أوروبا وظنه أن ما يسمعه عنه ما هو إلا سحابة طارئة لا بد أن تنقشع بعد حين ( ١ ) ، وأهم هذه المواقف الحوار الذي دار بينه وبين صديقه عندما جاءه عازماً طو كشف حجاب زوجته ورغبته في طلاقها إن لم تزجر عن لرغبته حيث يظهر في هذا الحوار مدى رغبة المنظوطي الأكيدة في الحفاظ على الشرف والكرامة وصيانة العرض بشتى الوسائل يظهر ذلك من انفعال المنظوطي الشديد أمام صديقه وطول حديثه معه محاولاً إقناعه وإزالة تلك الفكرة الهدامة البائسة من رأسه  
استمع إلى قوله لصديقه :-

( أبواب الفخر أمامكم كثيرة ، فاطرقوا أيها شتم ودعوا هذا الباب موصداً ، فإنكم إن فتحتموه فتحت على أنفسكم وبلاداً عظيمة وشقاء طويلاً .  
أروني رجلاً واحداً منكم يستطيع أن يزعم في نفسه أنه يملك هواه بين يدي امرأة يرضاها ، فأصدق أن امرأة تستطيع أن تملك هواها بين يدي رجل ترضاه .  
إنكم تكدفون المرأة ما تعلمون أنكم تعجزون عنه وتطلبون عندها ما لا تعرفونه عند أنفسكم ، فأنتم تخاطرون بها في معركة الحياة مخاطرة لا تعلمون أترى حونها من بعدها

١ - المنظوطي - العبرات . ٣٩ - ٤٠ بتصرف

أم تخسرونها ، وما أحسبكم إلا خاسرين .

ماشكت المرأة إليكم ظلماً ، ولا تقدّمت إليكم في أن تحلوا قيدها وتطلقوها  
من أسرها ، فمادخولكم بينها وبين نفسها ؟ وما تضعفكم ليلكم ونهاركم بقصصها  
وأحاديثها ؟ ( ١ )

وهكذا يمضي المنظوطى في دفاعه عن المرأة المحتشمة بكل ما أُوتِيَ من وسائل  
التأثير ، وما ذاك إلا نفعال منه إلى جانب المرأة إلا موقف من المواقف الإنسانية التي  
تدعو إلى الحفاظ على الشرف والفضيلة أينما حلت والحفاظ على سُمعة المرأة وحشمتها  
وابعاد كل ما يشينها عن طريقها موقف إنساني نبيل بل هولب النبيل والشرف وهو شوق  
في دم المنظوطى وخلقه كما ثبت لنا في ما عرضناه في هذا الفصل من البحث ولننظر  
إلى قوله الذي يوجهه لأمثال هؤلاء الشباب الذين يطالبون بكشف الحجاب عن المرأة :

( إنا نضرع إليكم باسم الشرف الوطني والحُرمة الدينية أن تتركوا تلك البقيّة  
الباقية من نساء الأمة مطمئنات في بيوتهنّ ، ولا تزعجهنّ بأحلامكم وآمالكم كما أزعجتم  
من قبلهنّ ، فكلّ جرح من جروح الأُمّة دواءٌ إلا جرح الشرف ، فان أبيتم إلا أن تفعلوا  
فانتظروا بأنفسكم قليلاً ريثما تنتزع الأيام من صدوركم هذه الفيرة التي ورثتموها عن  
آبائكم وأجدادكم لتستطيعوا أن تعيشوا في حياتكم الجديدة سعداء آمنين ) ( ٢ )

نعم إن حديث المنظوطى السابق لصديقه والذي يوجهه إلى الشباب أمثاله  
إنما ينمّ عن نغمة شرقية شريفة تدعو إلى الخير والحفاظ على نقاء ثوب الشرف وكرامته

١ - المنظوطى - العبرات - ص ٤٣ .

٢ - المنظوطى - العبرات - ص ٤٨ .

ثم ماذا نرى من المواقف الانسانية الشريفة الصادرة عن المنفلوطي في هذه القصة ؟  
نعم لازلت اذكر ما قرره المنفلوطي من قطيعة صدقه الحميم بعد ان تأكد من  
إصراره على كشف حجاب زوجته ومنعها منه فيها هو يقول له بعد عزمه على رأيه :-  
( لك أمرك في نفسك وفي أهلك فاصنع بهما ما تشاء ، وأذن لي أن أقول لك  
اني أستطيع أن أختلف الى بيتك بعد اليوم ابقاءً عليك وعلى نفسي لأنني أعلم أن الساعة  
التي ينفرج لي فيها جانب ستر من أستار بيتك عن وجه امرأة من أهلك تقتلني حياءً  
وخجلاً ) ( ١ )

أي نبل هو أعظم من هذا وأي طهر هو أحسن من طهر الإيمان ؟ فحياء  
المنفلوطي من لقاء زوجته صديقه غير محجبة هو دليل إيمانه الذي لا مروء فيه فالحياء من  
الإيمان .

وتستمر مواقف المنفلوطي الإنسانية كعادته مع صدقه رغم انقطاعه عنه وعدم زيارتهما  
لبعضهما فيها هو يلتقي بصدقه ويصحبه الى المخفر لمساعدته إن احتاج اليه ثم  
يقوم على رعايته في مرضه وتطبيبه وتخفيف وطأة المأساة عليه حتى قبضه الله .  
تلك هي وقفة المنفلوطي الطويلة من دفاعه عن الدين ودعوته الى التمسك  
بأهداه مهما كلف ذلك صاحبه من مشقة وعناء .

ووقفة المنفلوطي هذه من الدين تدل دلالة واضحة على تأثر الأديب بما حفظ  
من قرآن كريم أو أحاديث نبوية طاهرة ، فكان عطاءه له عطاءً واضحاً اذ كان  
رافدين جليلين لاتجاهه الانساني النبيل ، فما الإنسانية في أدبه الا ثمرة ذلك  
الدين الحنيف وفيض ثقافته المعطاء . جزاء الله عن الدين والانسانية خير  
الجزاء ورحمة واسعه .

## " الخاتمة "

### خلاصة البحث مع نتائجة

بين مرارة الظلم وقسوة الاستبداد ، وضراوة الجوع وظلمة الجهل ، وانتشار الأمراض في نهاية العصر العثماني وبداية العصر الحديث ، وفي " منفلووط " إحدى مدن صعيد مصر ، ولد " مصطفى لطفى المنفلوطى " الذي لقّب بالسَّيد لانتسابه الى الحسين بن على رضى الله عنهما ، وكانت نقابة الأشراف ومرتبة القضاء يتوارثها بيت أبيه منذ مائتي عام ،

أما شهرته بالمنفلوطي ، فترجع الى تلك المدينة التي ولد بها عام ١٨٧٦م . نبت ذلك الطفل في بيت كريم بالدّين جليل بالفقه ، اهتم أهله بتنشئة أبنائهم تنشئة اسلامية صادقة ، فأرسله والده في ميعة الصّبا الى الفقيه السّدى يتولّى تحفيظه القرآن - كعادة أبناء عصره - وقد تلقى دروسه الأولى عن الشّـيخ محمد رضوان الذي كان يدير مكتب الشّـيخ جلال الدّين السيوطي ، ثم لحق بالأزهر وبقي به قرابة العشر سنوات ، تلقّى خلالها علوم اللغة والبلاغة والشريعة ، ولكنّه مالبث أن تركه وعكف على قراءة كتب الأدب وأخذ ينهل من معينها الفياض وقد لزم الإمام محمد عبده الذي تلقّى عنه كتابي " دلائل الاعجاز " و " أسرار البلاغة " ثمّ اتّصل بسعد باشا زغلول الخطيب المفوّه والسّياسى المعروف وتقرّب من الصّحفى الكاتب علي يوسف ، كذلك كان لزيارة الشّـيخ عبد الله هاشم لأبيه - فى اشارة كلّ يوم - وانصاته لمن يتطوّعون لقراءة كتب الأدب من أمثال الشّـيخ سيّد المصطفى والشّـيخ حسين الموصفى ، كان لكلّ ذلك أثره الواضح على شخصيته الأدبية وميله للأدب وشغفه بفنونه ، فاطّلع على كتب أبى العفّاق والجاحظ وبشر بن المعتمر والمبرّد والآمدي وبديع الزّمان الهمزانى وغيرهم من ذوي الثّقافات العالية ، كذلك اطّلع

على كل ما انتجته القرائح في الأدب العربي شعره ونثره قديمه وحديثه ، مع عنايته الواضحة بما تُرجِم إليه من روائع الأدب الغربي .

وبهذا يكون المنفلوطي قد وقف على طرائق النثر الغني في عصره والذي كان على عهده لونا حافلا من أدب القاضي الفاضل أو أثرا ماثلا لفن ابن خلدون يتمثل الأول في طبقة المويلحي وحفني ناصف ، ويظهر الثاني ضعيفا في طبقة قاسم أمين ولطفي السيد .

هذا وقد مرت بالأديب ظروف خاصة كانت من الأسباب التي وجهت أدبه تلك الوجهة الانسانية الصافية ، فقد طَلَّت أمه وهو مازال صبيًا فاستمرت حياته مع زوجة أبيه حتى اذا كبر تزوج وأنجب خمسة أولاد من زوجته الأولى ولكن هؤلاء ماتوا جميعًا وتلتهم تلك الزوجة ، فتزوج أخرى وأنجب منها خمسة آخرين مات أحدهم ثم ضعف بصر زوجته ضعفاً شديداً فما زال بها يواسيها ويلاطفها مؤكداً لها عكس ذلك تخفيفاً لها عما بها .

فاذا أُضيفت الى ظروفه الخاصة ظروف المجتمع عامة - من فقر وجهل وظلم ومرغى علمنا إلى أي مدى يمكن أن يتعاطف هذا الأديب مع كل ما حوله من مؤثرات خاصته كما أنه كان على قدر كبير من طيبة النفس ورحمة القلب وحسن الخلق مع ما امتاز به من ثقافة اسلامية عالية تمثلت في حفظه للقرآن الكريم ومعظم أحاديث الصطفى صلى الله عليه وسلم في الأمر الذي دعاه الى الغيرة على الإسلام والعمل على تخليص المجتمع حوله من ضراوة المادّة ووحشيتها ، فجنّد قلبه وعاطفته لخدمة الانسانية والدعوة الصادقة الى التعاطف معها ورحمتها ، فكان بذلك مشاركا فعّالاً لأحاسيس بنسبي وطنه عاملاً على نشر الفضيلة بينهم .

أما عن حياته الأدبية ، فقد أشرقت شمسُه في عصر ضاعت فيه المعاني وسط  
 أغلال من الصنعة البديعية وأثقال الحُلَى اللَّفْظِيَّة ، فضاعت معها الأهداف  
 الفاضلة للأدب عامةً شعره ونثره ، بينما اتَّحَفْنَا المنفلوطي بأسلوب رفيع  
 المعاني سامي الأهداف تمثل ذلك في مقالاته التي نُشِرت في ( المؤيد ) بعنوان  
 ( النظرات ) وُجِّعت بعد ذلك في أجزاء ثلاثة ، وفي العبرات التي اشتملت  
 على قصص من تأليفه وأخرى مترجمه ، كذلك تمثل إنتاجه الأدبي الرفيع فيما قام  
 بتنقيح ترجمته وتهذيبها من روايات ك ( الفضيلة ) ، ( ماجدولين ) ، ( الشاعر )  
 ( في سبيل التاج )

وقد بدا في كل ذلك الإنتاج اتِّجاهه الانساني الرفيع وشخصيته الأدبية  
 المتميزة وأسلوبه المشرق الوضاء الذي عَشَّتْ أمام بريقه أبصار الحاقدين عليه  
 والحاسدين له ، فلم تتبين الحقيقة الساطعة أمام ذلك البريق ، ألا وهي تميُّز  
 المنفلوطي بأسلوبه وطريقته في عصره حتى يمكننا أن نقول : إنه صاحب مدرسة  
 أسلوبية واضحة المعالم بيّنة السمات والخصائص ، ألا وهي مدرسة المنفلوطي التي  
 لم يعترف بها أحد في عصره بل اتَّهَمُوهُ بالسَّخَفِ والتَّفاهُه والأنوثة - كما ادَّعى  
 المازني في الديوان - واتَّهَمُوهُ بتجسيل عباراته وتزويق كلماته دون أن يكون وراءها  
 أي معنى كما ادَّعى العقاد ، أما طه حسين فقد رماه بسوء الخلق واهتمامه بذات  
 غيره عن ذات نفسه وافتري عليه افتراءات لم يأت بدليلها الواضح من أدب الأديب  
 حتى نتبين صحتها أو غير ذلك ، الأمر الذي جعلنا نؤكد أن كل هذه  
 الافتراءات ماهي إلا حقد وحسد وغيره لا أساس لها من الموضوعية والنقد الذاتي  
 لا يعول عليه .

ثم كانت الجولة في أدب الأديب ذاته لبيان المظاهر الانسانية في أدبه

والتي تعثت في :-

مقالاته الاجتماعية ، تلك المقالات التي أثبت فيها الأديب مدى مشاركته الفعلية لمشاعر المجتمع حوله فحاول بكل ما أُوتِيَ من جُهد وأمانة الكلمة - حاول أن يُعالج هذه المشاكل في مقالاته تارة عن طريق القصة وأخرى بطريق مباشر فكان الخطيب الموجه والأب الواعي لكل ما يدور حوله ، فعالج مشكلة الانتحار الناجم عن عدم تربية النشء تربية اسلامية سليمة ، وعالج مشكلة تطلع الأزواج الى تبديل زوجاتهم لمجرد رؤيتهم من هي أجمل منها ، ومشكلة الآباء الذين يزوجهن بناتهم لرجال أثرياء يكبروهن سنّاً ، ظانين أن وفرة المال هي كل السعادة .

نعم لقد عالج المنفلوطي أمثال هذه المشاكل معالجة انسانية واضحة

المعالم بينة السمات .

وفى عطفه عن البائسين، اتضح اتجاهه الانساني في مواساته للمحزونين وتخفيفه ارزاء المفثودين من بني الإنسان؛ فبين أن على الانسان ألا يوءل فيسى دوام السعادة بل عليه أن يتوقع زوالها بين لحظتين وأخرى لأنها سراب لا يلبث أن يزول .

كذلك طالب بالرحمة لأنها ينبوع الذي يتفجر منه كل العواطف الانسانية ويطالب بعدد يد العون مادياً أو معنوياً لهؤلاء البائسين لأن هذا العمل سيجبر لفاعله في صحيفته أنه انسان وكفى بهذا اللقب تشريفاً .

وفى انصافه للمظلومين، طالب بحق المرأة ، من حسن معاملة الزوج لها

وضرورة تعليمها والأخذ بيدها الى ما فيه صلاحها والنظر اليها باعتبارها إنسان

له حقوقه وواجباته وعدم ظلم المجتمع لها أو تزويجها بمن لا ترغب لثراه ومكانته  
كذلك طالب الناس بعدم معاقبة الفقير الذي سرق رغيفاً ليسد به جوع  
عِيَالِهِ .

وثار الأديب هنا على الذين يتنكرون لزوجاتهم لمجرد تحسن أحوالهم المادية  
وهي أن أحق الناس بحسن المعاملة هي تلك الزوجة التي عاشرت أيام شقاءه  
الأولى .

واستنكر هنا أن يقتل الرجل المدافع عن عرضه أو أن يؤخذ برأي المدعي فسي  
قضية يقتل فيها المتهم دون معرفة الحقيقة منه .

أما في حقلته على الأغنياء وطبقة الحكام ؛ فيرى الأديب أن الشرف كل الشرف  
في حسن الأدب لا في رنين الذهب ، وأن السعادة الحقيقية هي سعادة النفس  
وطمأنينتها لا في كثرة المال وعلو الجاه .

كذلك استنكر على القاضي المرتشي حكمه الظالم وتضييعه لحقوق الآخرين  
زوراً .

وهو لا يمتنى لابنه أن يكون غنياً حتى لا يكله ذلك الغنى إلى الاستكانة وعدم  
العمل الجاد للوصول إلى أرفع الدرجات من العلم والمعرفة والكد المتواصل ، لأن  
معظم الناجحين في حياتهم إنما هم أبناء الفقراء الذين دفعتهم الحاجة إلى  
العمل الجاد ومحاولة الوصول إلى قمة المجد بأنفسهم لا بعمال آبائهم وشهرتهم .

وفي دعوته إلى التمسك بأهداب الفضيلة لا ينسى أن يدعو المسلمين جميعاً إلى  
العودة إلى مبادئ الدين الصحيحة حتى يعود الإسلام إلى سابق مجده ورفعته  
لأن ما أصاب هذا المجد من فتور وضعف الآن ليس الا نتيجة تهاونهم في دينهم  
ومبادئه .



ويدعو المفلوطى دعوة حارة حارة إلى الالتزام بالفضيلة فى كل الأمور  
وبين كل الناس ، فلا يظلم قوى ضعيفاً ولا يحتقر كبير صغيراً ، أو عالم  
جاهلاً ولا يغدر صديقاً بصدقته أو يغش تاجر فى سلعته أو يخلف  
وعدده ، حتى تسود الطمأنينة ويعم الأمن فى المجتمع وحتى تتحقق  
السعادة للجميع .

وهكذا بدأ من العرض المختصر السابق كيف استطاع المفلوطى أن  
يلتزم بأمانة الكلية فى مجتمعه ، فجند لسانه وقلمه وفكره لخدمته  
بكل ما أوتي من وسائل الإقناع أو الردع ، وقد استطاع بحجج بيانية  
واشراق أسلوبه وقوة أسره أن يعالج هذه القضايا باتجاه إنسانى  
فاضل يسمو بالإنسان إلى عوالم الإنسانية الرحبة .

ولعل أهم ما توصلت إليه من نتائج بعد متابعة طويلة لأدبه هي :-  
أولاً : وضوح أثر الثقافة الإسلامية من " القرآن الكريم " و " الحديث النبوي الشريف "  
على أدبه . سواء كان ذلك التأثير فى معانيه الإنسانية الخالدة لأن اتجاهه  
الإنسانى ما هو إلا ثمرة ذلك التأثير ، أو كان ذلك التأثير فى ألفاظه وعباراته التى  
أخذ معظمها ان لم يكن كلها من الكتاب والسنة ، وقد بينت بعض هذه التأثيرات  
فى ثنايا البحث فأرجعتها الى أصولها من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .  
ثانياً : ان هذا الأديب بما قدّمه من معانٍ إنسانية سامية فى أسلوب رائع عذب -  
استطاع أن يؤكد لكل من ادّعى عليه إهماله لمعانيه كالأستاذ العقاد ومن نحاه نحوه  
استطاع أن يؤكد لهم انه ليس كذلك فحسب بل هو من أوائل الأدباء الذين اهتموا  
بجمال اللفظ وحلاوته مع اهتمامهم لمشاطرة النفس الإنسانية مشاعرها ، فيهِش

لسعادتها ويأسى لشقائها .

ثالثا : ان النقاد الذين ثاروا على المنفلوطى وحملوا معاولهم لتهديم صرح بنائه الشامخ من أمثال د . طه حسين ، والعقاد ، والمازنى ليسوا على حق فى شىء ، وانما دفعهم الى ذلك أغراض شخصية وأسباب سياسية . وسمت نقدهم بسمات ذاتيه والنقد الذاتى لا يقول عليه .

رابعا : أرى أن للمنفلوطى طريقة خاصة فى الكتابة عرفت له وعرف بها هل واستحقت أن تضاف لاسمه فعرفت و ( طريقة المنفلوطى ) تلك الطريقة التى نسبها له بعض أساتذة الادب المعاصرين أمثال الدكتور احمد هيكل والدكتور شوقي ضيف والدكتور محمد نبيه حجاب بينما لم يعرف بها أحد من معاصريه .

## المُتَحَرِّجَات

فى نهاية هذا المطاف لا يسعني المجال هنا أن أدلي بمتحرجات متواضعه

قد تعين من يخطو على الدرب بعدي ، هي :-

أولاً : أن تجمع أعمال المنفلوطي فى كتاب واحد كما جمعت أعمال أدباء

غربيين من أمثال :-

شكسبير ، فرنسيس بيكون ، وجيتيه وغيرهم من الأدباء المشهورين

حتى يسهل على من يطلبها الوصول إليها دفعة واحدة .

ثانياً : أن يجمع كل ما كتب عن المنفلوطي من مقالات نقدية أو غيرها فى كتاب واحد

صوناً لهذه المقالات من الضياع والبلى ، لأننى عانيت فى سبيل الوصول إلى

بعض ما كتب عنه وخاصة فى مجال شعره ، حتى شعره نفسه قد ضاع أكثره بسبب

ما أصاب الدواوير التى نُشر فيها من بلى وفقدان .

ثالثاً : أن يعنى بلفت نظر الطلاب - أو السّاديين فى الأدب - ، إلى عبارات

المنفلوطي السّاحره وأن تختار نصوصاً من أدبه الأخاذ ليحفظها كلُّ سّادٍ

فى الأدب .

مصادر البحث ومراجعته

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - الحديث النبوي الشريف

( أ )

- ٣ - الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث . أنيس المقدسي ط ٥
- دار العلم للملايين . بيروت
- ٤ - الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر . محمد محمد حسين . ج ١ ط ١ . القاهرة

سنة ١٩٦٣ م .

- ٥ - , احكام صنة الكلام لابن عبد الغفور الكراعي . تحقيق محمد رضوان الداية ط

- ٦ - أدب العرب . مارون عبود ط ٥ . سنة ١٩٦٠ م . بيروت

- ٧ - الأدب العربي المعاصر في مصر . د . شوقي ضيف ط ٧

- ٨ - أدب المقالة الصحفية . د . عبد اللطيف حمزة ج ١ ط ١

- ٩ - الأدب وفنونه د . عز الدين اسماعيل ط ٤ دار الثقافة . بيروت .

- ١٠ - الأدب وفنونه د . محمد مندور ط ١ بدون . دار نهضة مصر .

- ١١ - أربعة أدباء معاصرين . عمر فروخ ط عام ١٩٤٤ م .

- ١٢ - الأسس الجمالية في النقد العربي . د . عز الدين اسماعيل ط

- ١٣ - الأسلوب . أحمد الشايب ط ٧ عام ١٩٧٦ م . مكتبة النهضة المصرية

- ١٤ - أسواق الذهب . أحمد شوقي ط . دار الهلال . القاهرة عام ١٩٣٢ م

- ١٥ - الأعلام . للزركلي . م ٤ ط ٤ عام ١٩٢٩ م .

( ب )

- ١٦ - البلاغة الفنية . علي الجندي ط . عام ١٩٥٦ م

- ١٧ - بلاغة الكتاب في العصر العباسي ط ١ عام ١٩٦٥ م

١٨ - بين الأدب والصحافة . فاروق خورشيد ط ٢ عام ١٩٧٣م

دار الفكر العربي . بيروت

( ت )

١٩ - تاج العروس . محمد مرتضى الزبيدي .

٢٠ - تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر . لويس شيخو . ج ١ . ١٩٠٨م . بيروت .

٢١ - تاريخ الأدب العربي . أحمد حسن الزيات ط ٧

٢٢ - تاريخ الأدب العربي . أحمد حسن الزيات ط ٢٦ . دار الثقافة . بيروت

٢٣ - تاريخ الأدب العربي في العصر الحاضر . ابراهيم علي ابو الخشب ط

عام ١٩٧٨م الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٢٤ - تاريخ الأستاذ الإمام . محمد رشيد رضا . ط ١ . عام ١٩٣١م .

٢٥ - تاريخ الجبرتي . للجبرتي ج ٤ ط دار الشعب .

٢٦ - تطوّر الأدب الحديث في مصر . أحمد هيكل . ط ٣ . دار المعارف .

٢٧ - تطوّر الرواية العربية في مصر . عبد المحسن بدر ط ٣

( ج )

٢٨ - جنّة العبيط . زكي نجيب محمود ط عام ١٩٤٧م

( ح )

٢٩ - حياتي . أحمد أمين . ط عام ١٩٧١م . دار الكتاب العربي .

( د )

٣٠ - دراسات في علم النفس الأدبي . حامد عبد القادر ط عام ١٩٤٩م

٣١ - دفاع عن البلاغ . أحمد حسن الزيات ط ١٩٤٥م مطبعة الرسالة

٣٢ - الديوان للعقاد والطائفي ط رقم ٣ دار الشعب

( ز )

٣٣ - زهر الربيع . احمد الحلاوى ط ٤

( س )

٣٤ - سرّ الفصاحه . لابن سنان الخفاجي ط عام ١٩٣٢ م . مكتبة صبيح .

٣٥ - سنن ابن ماجه . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . طبعة ١٩٥٢ م . دار إحياء الكتب العربية .

٣٦ - السيرة النبوية . تهذيب ابن هشام . ج ١ بدون تاريخ مكتبة صبيح

( ش )

٣٧ - الشاعر . ترجمه المنفلوطي . دار الثقافة . بيروت

٣٨ - شعراء العصر . محمد صبرى ج ١ ط عام ١٩١٠ . الناشر . مطبعة الأمانة .

( ص )

٣٩ - صحيح مسلم بشرح النووي ط ٢ عام ١٣٩٢ هـ عام ١٩٧٢ م . دار الفكر . بيروت

٤٠ - الصناعتين . أبو الهلال العسكري ط مطبعة عيسى الحلبي ١٣١٩ هـ

٤١ - صهاريج اللؤلؤ . توفيق البكري ط ٢ بدون تاريخ

٤٢ - صور البديع . فن الأسجاع

( ط )

٤٣ - دبطه حسين الشاعر الكاتب . محمد سيّد كيلانى ط ١ عام ١٩٦٣ م . دار القومية -  
العربية للطباعة . القاهرة .

( ع )

٤٤ - العبرات . المنفلوطي . دار الثقافة . بيروت

٤٥ - علم الاجتماع . محمد عاطف غيث ط ١٩٨١ . دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية

## ( ف )

- ٤٦ - فصول فى الأدب والنقد . حرطه حسين ط ٤ عام ١٩٦٩ م . دار المعارف
- ٤٧ - الفضيلة . ترجمة المنفلوطى . دار الثقافة . بيروت
- ٤٨ - فن المقالة الصحفية د . محمد عوض محمد ط عام ١٩٥٩ م
- ٤٩ - الفن ومذاهبه فى النثر . د . شوقي ضيف ط ٦ دار المعارف . القاهرة
- ٥٠ - فى الأدب الحديث . عمر الدسوقي ط ٨ . دار الفكر العربى .
- ٥١ - فى سبيل التاج . ترجمة المنفلوطى . دار الثقافة . بيروت
- ٥٢ - فيض الخاطر . أحمد أمين . ج ١ ط ١ . دار النهضة . مصر
- ٥٣ - فيض الخاطر . أحمد أمين . ج ١ ط ٦ عام ١٩٧٣ . مكتبة النهضة المصرية
- ٥٤ - فى المرآة . عبد العزيز البشري ط . عام ١٩٤٧ م . لجنة التأليف والترجمة والنشر

## ( ك )

- ٥٥ - الكواكب والمواكب والدور . محمد محمد عبد المجيد ط ( بدون ) . التزام عطية مجرعية

## ( ل )

- ٥٦ - اللغة الشاعره . العقاد . عام ١٩٦٠ م

## ( م )

- ٥٧ - ماجدولين . المنفلوطى . دار الثقافة . بيروت
- ٥٨ - ماذا بقى منهم للتاريخ . صلاح عبد الصبور . ط ١ عام ١٩٦١ م
- ٥٩ - المحافظة والتجديد فى النثر العربى المعاصر . أنور الجندي ط عام ١٩٦١ م
- ٦٠ - مذكراتى فى نصف قرن . أحمد شفيق ج ١ ط ١ القاهرة سنة ١٩٣٦ م
- ٦١ - مراجعات فى الآداب والفنون . العقاد . ط (بعض) الناشر إلياس أنطون إلياس .

٦٢ - مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال البريطانى . د . عبد الرحمن الرافعى

القاهرة عام ١٩٤٢ م .

٦٣ - مصطفى كامل . عبد الرحمن الرافعى ط القاهرة عام ١٩٥٠ م الناشر

٦٤ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى الشريف . ترتيب وتنظيم ليف مسن

المستشرقين . نشره . ونسبك ، د . مسنح ط ليدن عام ١٩٤٣م

٦٥ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . محمد فؤاد عبد الباقي . دار مطابع الشعب .

٦٦ - المعجم الوسيط . مجمع اللغة العربية . القاهرة

٦٧ - ( المنفلوطى ) . محاضرة لأحمد عبد الحميد السحرتى ألقىته دار العلوم عام

١٩٢٩ م وطُبعت بمطبعة الطلبة عام ١٩٣٠م

٦٨ - المنفلوطى . محاضرة مطبوعة لأحمد عبد الحميد السحرتى عام ١٩٣٩م

٦٩ - المنفلوطى الكاتب . رسالة ماجستير مخطوطة للأستاذ محمد أبو الأنوار

قدّمت الى كلية دار العلوم عام ١٩٠٩ مطبوعة على الآلة الكاتبة

## ( ن )

٧٠ - النثر العربى فى نماذجه وتطوره لعصرى النهضة والحديث د . علي شلق

ط ٢ عام ١٩٤٢م دار القلم . بيروت

٧١ - النثر العربى المعاصر . أنور الجندى عام ١٩٦١م

٧٢ - نشأة النثر الحديث وتطوره . عمر الدسوقي ج ١ ط ٢

٧٣ - النصوص الأدبية . أحمد شفيع السيد ط ١٩٥٨م . دار الكتاب العربى

٧٤ - نصوص مختاره من الأدب العربى . كتاب النثر . د . عبد الحميد الدواخلى

دار الكتاب الحديث - الكويت



- ٧٥ - النظرات . المنفلوطي . ج ١ ، ج ٢ ، ج ٣ ط دار الثقافة . بيروت  
 ٧٦ - نظرات أدبية . ج ١ . د . محمد رجب البيومي ط . عام ١٩٧٠ مطبعة زهران  
 ٧٧ - النقد الأدبي . احمد أمين . ط ١٩٧٢ . دار النهضة المصرية

## ( و )

- ٧٨ - وحى الرسالة . أحمد حسن الزيات ج ١ ط ٨ . دار النهضة مصر .  
 ٧٩ - الوسيط في الأدب العربي وتاريخه . الشيخ أحمد الإسكندري  
 والشيخ مصطفى العناني ط ٤ دار المعارف .

## ( ي )

- ٨٠ - يسألونك . العقَّاد . ط عام ١٩٤٦ .

## "السِّدْرَات"

- ١ - صحيفة الجمهورية ٢٣ مايو ١٩٥٤ م
- ٢ - صحيفة الشعب في ٢٠/٤/١٩١٠ م
- ٣ - صحيفة الشعب في ٢٦/٤/١٩١٠ م
- ٤ - صحيفة الشعب في ٤/٥/١٩١٠ م
- ٥ - صحيفة الشعب في ٩/٥/١٩١٠ م
- ٦ - صحيفة الشعب في ١٢/٥/١٩١٠ م
- ٧ - صحيفة الشعب في ٢٠/٥/١٩١٠ م
- ٨ - صحيفة الشعب في ٢٦/٥/١٩١٠ م
- ٩ - صحيفة الشعب في ٢/٦/١٩١٠ م
- ١٠ - صحيفة مصر الفتاة في ٣١/٨/١٩٠٩ م
- ١١ - مجلة الأستاذ العدد ١٧ يناير ١٩٩٣ م
- ١٢ - مجلة الرسالة ١٢ يولية ١٩٣٧ م
- ١٣ - مجلة الرسالة ١٩ أغسطس ١٩٣٧ م
- ١٤ - مجلة الرسالة أكتوبر ١٩٥٢ م
- ١٥ - مجلة الهلال ديسمبر ١٩٢٩ م
- ١٦ - مجلة الهلال أول سبتمبر ١٩٥٤ م

أ - ز	المقدمة
١	التمهيد : الحياة الاجتماعية في عصر المنفلوطي :
١	تعريف المجتمع
١	مراحل الحياة الاجتماعية في مصر الى عصر المنفلوطي
١	١ - الطور الأول ( فترة الحكم العثماني )
٤	٢ - الطور الثاني ( طور البعث )
٥	٣ - الطور الثالث ( فترة الإنتداب الانجليزي )
٢٨ - ١٠	الباب الاول
١٠	حياته
١١	١ - مولده ونسبه ونشأته
١٢	٢ - أساتذته وروافد ثقافته
١٥	٣ - ظروفه الخاصة
١٨	٤ - أخلاقه وصفاته
١٩	٥ - وظائفه
٢٠	٦ - مرضه ووفاته
٢١	٧ - تأثره بتعاليم الإسلام
٢٧	٨ - عاطفته الإنسانية ( إحساسه باحساس بنى وطنه )
٢٣٧ - ٢٩	الباب الثاني
٢٩	أدبه
٤٦ - ٣٠	تمهيد : الحياة الأدبية في عصره :
٣٠	أ - حالة النثر

رقم الصفحة

٣٧	ب - حالة الشعر :
٤١	قصيدة قدوم
٤٢	تحليل القصيدة
٤٦	المعاني الإنسانية فيها
١٤٣ - ٤٧	* كتبه :
٤٧	أولا : مؤلفاته :
٤٧	أ - النظرات
٤٨	ب - العبرات
١٤٣ - ٤٩	ثانياً : مترجماته :
٥٠	أ - ماجدولين أو ( تحت ظلال الزيفون )
٦٠	التعليق
٦١	المواقف الإنسانية فيها
٦٦	ب - في سبيل التاج
٦٧	المواقف الإنسانية فيها
٧٠	ج - الفضيلة ( بول وفرجينى )
٧٣	المواقف الإنسانية فيها
٧٨	قصيدة بول وفرجينى
٨٠	تحليل القصيدة
٨٤	الاتجاه الإنسانى فى القصيدة
٨٧	د - الشاعر ( سيرانودى برجرارك )
٨٩	المواقف الإنسانية فيها
٩٧	مترجماته فى العبرات :-

٩٧	- الشُّهداء
١٠٢	المواقف الإنسانية فيها
١٠٦	- الذَّكرى
١١٢	المواقف الانسانية فيها
١١٧	- الجزاء
١٢٠	التعليق والمواقف الانسانية فيها
١٢٢	- الضَّحية
١٣٧	- مذكرات مرجريت
١٣٩	المواقف الانسانية فيها
١٤٤ - ٢١٩	* شخصيته الأدبية وأسلوبه :-
١٤٤	الشَّخصية :- لغة
١٤٤	- اصطلاحاً
١٤٥	عناصر الشخصية الأدبية
١٤٥	مجالات الشخصية الأدبية
١٤٦	١ - طريقة النظم
١٤٦	٢ - ناحية الطبع أو الصَّنع
١٤٦	٣ - ناحية اللفظ والمعنى
١٤٧	فنون الأدب : الشعر والنَّثر
١٤٨	المقاله :
١٤٩	تعريف المقالة لغة
١٤٩	تعريف المقالة الأدبي :
١٤٩	١ - تعريف اد موند جوس
١٤٩	٢ - تعريف موري

- ١٥٠ ٣ - تعريف د . يوسف نجم .
- ١٥٠ ٤ - تعريف الأستاذ أحمد أمين
- ١٥٠ ٥ - تعريف الأستاذ أحمد الشايب
- ١٥١ ٦ - التعريف الشخصي لها
- ١٥١ ٧ - رأي د . عز الدين اسماعيل
- ١٥٤ دور الشيخ محمد عبده في مقاله
- ١٥٥ أنواع المقالة :
- ١٥٥ أ - المقالة الذاتية
- ١٥٦ ب - المقالة الموضوعية
- ١٥٧ تعقيب
- ١٦٠ أنواع مقالات المفلوطي :
- ١٦٠ المقالة الذاتية في أدبه
- ١٦١ نموذج :
- ١٦٢ دورة الفلك
- ١٦٤ التعليق والتحليل
- ١٦٨ أشهر كتاب المقالة العربية المحدثين
- ٢١٥ - ١٦٨ أولا : مكانته بين أدباء عصره :
- ١٦٨ ١ - رأي الأستاذ صلاح عبد الصبور
- ١٧٠ ٢ - رأي العقاد
- ١٧٢ ٣ - رأي الأستاذ عمر الدسوقي
- ١٧٢ ٤ - رأي الأستاذ أحمد هيك
- ١٧٤ ٥ - الرأي الشخصي في مكانته

## رقم الصفحة

١٢٥	موازنته بغيره من أدباء عصره
١٢٥	- الموازنة بينه وبين البشري
	التعليق
١٢٩	- المنفلوطى وأحمد أمين
١٨٥	تعليق
١٨٦	* طريقة المنفلوطى
١٨٦	اتجاهات الكتابه فى عصره
١٨٧	أ - الإِتِّجَاهُ التَّقْلِيدِيّ
١٩٠	ب - الإِتِّجَاهُ التَّجْدِيدِيّ
١٩٢	طريقته فى الكتابه
١٩٣ - ٢١٥	* خصائص أسلوب المنفلوطى :-
١٩٣	- رأى د . أحمد هيكى
١٩٣	- رأى د . شوقى ضيف
١٩٥ - ٢١٢	سمات أسلوب المنفلوطى :
١٩٥	أولا : الأسلوب المرسل السهل
١٩٦	ثانيا : السجع والازدواج
١٩٧	ثالثا : موازنة الجممل
١٩٨	رابعا : المقابلة والمطابقة
٢٠٠ - ٢٠٤	خامسا : توفيقه فى الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف وأشعار العرب مع نماذج منها

## رقم الصفحة

- سادساً : تمثله بالحكايات والنوادر والأمثال ٢٠١
- نماذج منها ٢٠٦
- سابعاً : النغمة الحزينة الباكية في أدبه ٢٠٧
- ثامناً : تمتعه بالحكمة الخالدة ٢٠٩
- تاسعاً : قوة الحجّة وبراعة الاستدلال ٢١٠
- عاشراً : قوة الأسر مع جمال العبارة وبراعة التصوير وقتّه ٢١١
- الحادي عشر : تميز أسلوبه باللهجة الخطابية المثيره المشوّقه ٢١٢
- ألفاظ المنفلوطي ٢١٣
- جُملة القول في أدب المنفلوطي ٢١٤
- ثانياً : مكانته في تاريخ الأدب العربي ٢١٦ - ٢١٩
- \* موقف النقاد من أدبه :- ٢٢٠ - ٢٣٧
- أولاً : الاتجاه المتحامل عليه : ٢٢١ - ٢٣٤
- أ - بين د . طه حسين والمنفلوطي ٢٢١
- ب - بين العقاد والمنفلوطي ٢٢٦
- ج - بين المازني والمنفلوطي ٢٣٠
- ثانياً : الاتجاه الآخر ( المنصف للمنفلوطي ) ٢٣٥ - ٢٣٧
- رأى الشيخ أحمد الإسكندري والشيخ مصطفى العناني ٢٣٥
- رأى الأستاذ الشيخ أحمد شفيع السيد ٢٣٦
- رأى د . عبد الحميد الدواخلي ٢٣٦
- رأى د . محمد رجب البيومي ٢٣٧



## رقم الصفحة

٢٣٨ - ٤٠٥

## الباب الثالث

٢٣٨

المظاهر الانسانية في أدبه

٢٣٩

تمهيد : معنى الإنسانية وآراء النقاد في الأدب الهادف

٢٣٩

أ - الإنسانية لغة

٢٣٩

ب - آراء النقاد في الأدب الهادف

٢٤٢ - ٢٨٦

\* في مقالاته الاجتماعية

٢٤٢

( التحليل وبيان الإتجاه الانساني فيما يأتى ) :-

٢٤٢

- الكأس الأولى

٢٤٤

- مدينة السعادة

٢٤٦

- إلى الدّير

٢٤٧

- عبرة الدهر

٢٤٩

- أفسدك قومك

٢٥١

- الإنصاف

٢٥٣

- الشعرة البيضاء

٢٥٥

- الصياد

٢٥٩

- الانتحار

٢٦٢

- الجمال

٢٦٤

- الحب والزواج

٢٦٧

- الزوجتان

٢٧٠

- في سبيل الإحسان

٢٧٢

- الاحسان في الزواج

## رقم الصفحة

٢٧٤	- الجزع
٢٧٥	- الشهيدان
٢٧٧	- التوبه
٢٧٩	- الحسد
٢٨٠	- الزهرة الزائلة
٢٨٤	- أمس واليوم
٢٨٧ - ٣١٣	* في العطف على البائسين
٢٨٨	( التحليل وبيان الإتجاه الإنساني فيما يأتي ) :-
٢٨٨	- أيها المحزون
٢٩٠	- الرحمة
٢٩٣	- أبو الشقمق
٢٩٦	- الوفاء
٢٩٨	- وارحمناه
٣٠١	- قتيلة الجوع
٣٠٤	- يوم العيد
٣٠٧	- قصة اليتيم
٣١١	المواقف الإنسانية في القصة
٣١٤ - ٣٤٤	* في إنصاف المظلومين
٣١٥	( التحليل وبيان الإتجاه الإنساني فيما يأتي ) :-
٣١٥	- الحرية
٣١٨	- البائسات
٣٢٢	- خداع العناوين

## رقم الصفحة

٣٢٤	- الرجل والمرأة
٣٢٧	- خطبة الحرب
٣٢٩	- مدرسة الغرام
٣٣١	- احترام المرأة
٣٣٤	- عجائز بوشنج
٣٣٧	- قصة العقاب
٣٤٢	المواقف الانسانية فيها
٣٤٥ - ٣٦٠	* في حطته على الأغنياء وطبقة الحكام
٣٤٦	( التحليل وبيان الاتجاه الانساني فيها ) :-
٣٤٧	- خداع العناوين :-
٣٤٧	. الأمجاد
٣٤٩	. الأغنياء
٣٥٠	- الكبرياء
٣٥٣	- الكون والقصر
٣٥٦	- الناشء الصغير
٣٥٩	- الوجهاء
٣٦١ - ٤٠٥	* في دعوته الى التمسك بأهداب الفضيله
٣٦٢	( التحليل وبيان الاتجاه الانساني فيها ) :-
٣٦٣	- الكذب
٣٦٦	- الشرف
٣٦٨	- الاسلام والمسيحية
٣٧٢	- أين الفضيله

## رقم الصفحة

٣٧٥	- د معة على الإسلام
٣٧٩	- خداع العناوين :
٣٧٩	. الأتقياء
٣٨١	- الأدب الكاذب
٣٨٤	- الملاعب الهزلية
٣٨٨	- الآداب العامة
٣٩٢	- الماضي والحاضر
٣٩٥	- الكلمات :
٣٩٥	. الدين
٣٩٦	. الدين والوطن
٣٩٧	. الأخلاق
٣٩٨	- قصة الحجاب :
٤٠٣	المواقف الإنسانية فيها
٤٠٦	الخاتمة
٤١٣	المقترحات
٤١٤	صادر البحث ومراجعته
٤٢٠	الدراسات
٤٢١	فهرس الموضوعات